

مقدمة الطبعة الاولى

لعل احسن ما ابدأ به في تقديم هذا الكتاب الى ابناء العربيه اراد كرم بوجه خاص ما كتب اعلمه وانا احاصر في التأريخ القديم في دار المعلمين لعالمه منذ عام ١٩٤١ من صغوره ومسعه من ناحية المراجع التي يمكن احصارها لعدم عليها الطلاب في دروسهم . فالمعروف اني الملمن بموضوع الحصارات القديمة انه لا يوجد حتى في اللغات الاحيه ، بله اللغة العربيه ، مرجع يوفر فيه ان يكون كتابا مدرسيا محبوا على احداث ما استجد من البحوث في حصارات الشرق القديم . نعم هناك بحوث وتقارير علمية لا تحصى عن نتائج البعثات والدراسات الآثاريه وهما كتب مسوعه لا يمكن استجابتها لتكون مراجع للدارسين المبتدئين لانها عدا كونها وسعت لدوى الاحصاس فانها تقتصر على صاحب خاصه كان يسأل أروح حصه معه كمصور ما قبل التأريخ او عصر الحصاره السومريه او أدوار حاسه في العهد الآريجه او انها كتب مركزه الاحصاس بحث في بعض العلوم والمعارف التي وصلت اليها الحصارات القديمه . وادا علمنا ان هذا هو الحال في تأريخ كل موطن من مواطن الحصارات القديمه ادركنا بعدد وجود كتاب واحد او عدد كتب مسطه يجمع بين بعضها تأريخ الحصارات القديمه . على اننا لا نكر وجود بعض الكتب المدرسه من هذا الصنف بل كتب «برسد» في تأريخ العصور القديمه ، ولكن مل هذه الكتب بعضها أمراا خطيراا بجعلنا استعمالها من جانب الطلاب أمراا فيه كبير من الضرر والخطر ، فأولا انها كتب قديمه التأليف مضي على تأليفها سنون كثيره استحدثت من بعدها اكتشافات خطيره غيرت كثيرا من الحقائق والعت صواا كاشفها على بعبور

(ب)

الحصارات الشرية وأسسها وعلومها ومعارفها^(١) ، وبأنا مع قدم تأليفها فإنها وصفت للطلاب العربيين في أورده وأمريكه ولذالك اسهت في تاريخ الحصاره اليونانه والرومانه اما حصارات الشرق القديم فقد جعلت فيها كأنها مقدمه لفهم الحصاره اليونانه الرومانه ، في حين ان الحال يجب ان يكون معكوسا بالنسبة الى طلاب الشرق العربي حيث سعى التأسد على الحصارات الاسليه الكرى التي قامت في وادي الرافدين ووادي النيل وربط ذلك بدرس الحصاره العربيه الاسلاميه واحجار درج اليونان والرومان ليكون مقدمه لدرس الـ الحصاره ودرس التاريخ الاوربي . وهذه هي الحفنه التي اسعها في هذا الكتاب .

فوجدني اراء هذه الصعوبات مستطرا على طبعه . اتمنه على الطلاب من المحاصرات نهته كبراسات كتب اجمع فيها مؤخر مسائل المهمه في تاريخ الحصارات القديمه . فأحدث هذه الكراسيات رسو وادب كلما اعدت طبعها اطالاف الدوريات المبدعه ارباؤها . شجع وادح دها ما مسجده من التحريات والاكتشافات . ولكن صعوبه الطبع رسو ادب بحول دون اكسال جميع الماده التي نسجها على اطالاف بعرب على يد في دار المعلمين العاليه فوافق مجلس اساتذتها على طبعها منه كتاب . والتفصل في بعض ذلك يعود الى دار المعلمين العاليه . اسانديها وجميع موطئيتها . وسعي لي مما ان احسن ما تشكره الامور عبدالحميد . طم عبد الدار

(١) مع ان هذا العنوان يصدق على اكثر النواحي المختلفه من الحصارات القديمه الا انه لا على . يوجد خاص في أصول هذه الحصارات وبنائها في عصور ما قبل التاريخ . وفي عتودها ومعارفها . والمصل على ذلك يقول اذا لم تكن لتعرف قبل ١٩٢٠ سيما بعد نه عن عصور ما قبل التاريخ المهمه في حصارات وادي الرافدين . وكان ما يعرفه عن العلوم الرياضيه قبل عام ١٩٢٩ أمورا ناهيه . ولكن ما كسف عن هذه العلوم منذ عدا التاريخ قد قلب الحقائق في تاريخ المعارف السريه راسا على عقب (راجع بوجه خاص عصور ما قبل التاريخ والعصل الخامس بالعلوم الرياضيه في حصارات المعرف في المسم الاول من هذا الكتاب) .

(ج)

والدكتور حامر عمر وكيل العمدة والدكتور ركي صالح رئيس قسم العلوم
الاجتماعية للمساعدة القيمة التي اولوي بها في تحقيق طبع الكتاب .

وها ابي سعد ار اقدم هذه الجهود المتواصلة وهي مرة دراسة
الموسوع والحصص به واشغالي بالبحراني الا تاربه في مدرسه الآثار
العراقية مدة اربعة عشر عاما ويدررس الموسوع رهاء سماي سين ، فأرجو
ان يكون هذا العمل المتواضع حافرا لغري الاماح في مل هذه الحقول التي
تقصر اليها المكبة العربية افتقارا شديدا . وارجو ان لا يحمل مي ذلك
محمل الاعترار فاني ساعر بمساعد بحده المحصور من عوب وتقائص
واحسن مالدكر منها ما شأ عن وسائل الطبع المتوفره مي بلادنا . ثم ان آون
الكتاب كئاما مدرسا مالد، حه الاولى حال دور بحسله بالنصوص والمراجع
والوثائق في الهوامش بل النسب وجمع من محار المراجع التي تستمع
ان يرجع اليها الطلاب والامانه عبر الجيوش ، ولما أنا ان ادرج في هذا
انك الوثائق العلية التي لا تحصى مما لب من الجوب الاحصائية لان
مجرد ذكر عاوي عدد . جوت ومراجعتها يؤلف منه كئاما خاصا . والى
هذا آناه قد لا بدو الكاب ماسا في حجم مادته و ا حصصت القسم
الاول منه التاريخ العرافي والاوجه المتجانسة من . تصاربه او حرت في القسم
الثاني حصاره وادي النيل وموحر تاريخ قسم اخرى كالغرس واليونان
والرومان ، اما القسم الثالث من ما بعدد بي اعمه حصارات وادي الرافدين
في التاريخ النكري فحسب لي لان حمده آكون الكتاب ومسع للطلاب
العراقيين حسب الكند على الحصارات التي ومب في وادي الرافدين بوجه
حاس والافصار في الحصارات الاخرى على الامام والاحار . ثم ان عدم
توفر الصور الموصحة ونقاط الطبع حال دور بوضيح القسم الثاني
بالصور ماسا، بعض الصور والجرائط . والواقع ان الكتاب بأجمعه ما هو
الا . مقدمه لم يروه الحصص في الحصارات القدسه وان بدا للبعض سخما
مفصلا ولكن لا يظهر كدالك اذا بذكرنا انه محاوله للامام تاريخ القسم

(د)

الاعظم من قصة الاسان على هذه الارض منذ ان صار اساما الى مطلع
العصور الحديثة التي لا تؤلف من « عمر الاسان الا مصع دقائق بالنسبة
الى ساعتين وهي عمر الحضارة البشرية ، بالنسبة الى شهر واحد وهو عمر
الاسان منذ ان وجد على الارض » .

والنحام ارحو ان اكون قد سددت فராعا في المكتبة العربية وحفظت
حاجة ماسة لا شعر بها الا من مارس بدرس هذا الموضوع . ومن الله
التوفيق .

طه بامر

بغداد ١٩٥١

مقدمة الطبعة الثانية

مقدمه اقدم مصى على الطبعة الاولى نحو خمس سنوات وبعد نقاد السح الى
دارها دعا للحاجة الى إعادة طبعه من كلية دار المعلمين العاليه ،
وما ابي يسرى ان اقدم الكتاب مرة اخرى الى القراء وليس لدى ما اضعفه
الى ما ذكره في مقدمه الطبعه الاولى سوى اسي معط جد الاعطاط لما
لسه من الافعال الشديد والطلب المتراكم على الكتاب في العراق وفي خارج
العراق . فانهرب فرسه إعادة طبعه وبدل ما وسعى من الجهد على تفيحه
بإضافة مواد جديدة أساسية الى فصوله المتعلقة وإعادة النظر في بعض ما جاء
فيه على ضوء التحريات والاكتشافات التي تمت في عالم البحوث التاريخية ،
كما ابي بالاقب توجه اساسي النقائص الموحوده في الجزء الثاني في اتمام
الواحي المهمة من حصارات الشرق القديم الاخرى وبوجه خاص حصاره
وادي السبل ، وافردت بحما خاصا بموحر تاريخ بلاد الشام القديم . وعملت
بجهدى على ذكر المراجع الاصلية في المسائل المهمة في من الكتاب بالإضافة
الى تخصص اسباب المراجع الاساسيه في آخر كل جزء بحسب فصول
الكتاب المتعلقة ، واصف ايضا الى ان كتاب تكلل حربه سوريا موصحه اخرى
على قدر ما استطعت . واكرر ما ذكره في مقدمه الطبعه الاولى عن عدم
دائبات الكتاب في حجمه من ناحية ، تخصص جزء كامل لحصارات وادي
الرافدين في حين اسي تخصص الجزء الثاني للكلام على اكثر من حصاره
واحد . فالى الاسباب التي بينها من اهميه حصارات وادي الرافدين في
التاريخ الشرقي وكون الكتاب وضع حصصا للطلاب في العراق ، فان في
الجزء الاول مواد عامة لا تحصن تاريخ العراق وحده وانما هي بحوث عامة
في الحصارات الشرقيه القديمة كمقامة في موضوع التاريخ والكلام على

(ز)

عصور ما قبل التاريخ وما ذكرته فيه من مقادير أدوار تاريخ العصور،
القديم وبين ما صاحبها من الاطوار الحضارة في تاريخ الشرق الادبي .
والحداث اود ان اسجل في درجتي و شكرى ائمتها دار المعلمين في تكليس
من اعاد، طبع الكتاب و احسن بالسر عميد دار المعلمين العاليه الاسناد
الدكتور خالد الهاشمي في قد سددت الدلوام الاحماده الاسناد الي .
ركي صالح .

طه باقر

بغداد ١٩٥٥

فهرست القسم الاول

القسم الاول

صفحة

| | | | | |
|--|---------|----|-----|-------|
| مقدمة الطلعة الاولى | | .. | .. | أ - د |
| مقدمة الطلعة الثانية | | .. | .. | و - ر |
| الفصل الاول : مقدمه في التاريخ والتاريخ القديم | .. | .. | ١ | ٢٨ |
| الفصل الثاني : أقدم عصور ما قبل التاريخ | .. | .. | ٢٩ | ٤٧ |
| الفصل الثالث : فجر الحضارة أو عصور ما قبل السلاسل | .. | .. | ٤٨ | ٥٦ |
| الفصل الرابع : أقدم القرى من فجر الحضارة في العراق | .. | .. | ٥٧ | ٧٤ |
| الفصل الخامس : الحضارة السومرية وعصور فجر السلاسل | .. | .. | ٧٥ | ٩٧ |
| الفصل السادس : دول المدن السومرية وأولى انظمه للحكم | .. | .. | ٩٨ | ١١٤ |
| الفصل السابع : سومر وأكد | .. | .. | ١١٥ | ١٣٨ |
| الفصل الثامن : العهد البابلي القديم | .. | .. | ١٣٩ | ١٦٢ |
| الفصل التاسع : الآشوريون - موطن الآشوريين وبدء تكوّنهم السياسي | .. | .. | ١٦٣ | ١٧٩ |
| الفصل العاشر : العهد الآشوري الحديث والامبراطورية الاولى | .. | .. | ١٨٠ | ٢٠٢ |
| الفصل الحادي عشر : الامبراطورية الكلدانية والعهد البابلي الاخر | .. | .. | ٢٠٣ | ٢١٩ |

القسم الثاني

عصر الاوحد المحلقة من حضارة وادي الرافدين

| | | | | |
|--|----|----|-----|---------|
| الفصل الثاني عشر : الدمار | .. | .. | .. | ٢٢٣-٢٥٥ |
| الفصل الثالث عشر : طرف من العادات والشعائر الدينية | .. | .. | ٢٥٦ | ٢٧٩ |
| الفصل الرابع عشر : انشرايح والهوايين | .. | .. | ٢٨٠ | ٣٠٦ |

صفحة

| | | |
|---------|---------------------|--------------------------------------|
| ٣٢٩-٣٠٧ | المفصل الخامس عشر : | المعارف المعوية والباريحية والحرارية |
| ٣٧٤-٣٣٠ | المفصل السادس عشر : | العلوم الرياضية والفلسفة |
| ٢١٢-٣٧٥ | المفصل السابع عشر : | الدواء والمجتمع |
| ٢٢٢-٢١٣ | المفصل الثامن عشر : | الحياة الاقتصادية |
| ٢٧٦-٤٤٣ | المفصل التاسع عشر : | التمويل (١) الآداب |
| ٥١٢-٢٧٦ | (٢) الفن | |
| ٥٢٩-٥١٣ | مراجع مختارة | |

الفصل الاول

مقدمة في التاريخ والتاريخ القديم

١ - علم التاريخ ومنهجه

يحسن بنا ونحن نبحث في الخصائص القديمة والتاريخ القديم أن نعرف إلى أي صنف من أسلاف المعرفة نرجع موضوع التاريخ . وقد كان هذا الأمر فيما سبق قضية خلاف بين العلماء . ولكن الذي عليه ثبات الباحثين الآن ، أن التاريخ ، أساسا إلى مفهوم العلم^(١) ، علم من العلوم . بيد أنه ليس من صنف العلوم التي يعمد على الملاحظة المباشرة كالأدب أو على التجربة والمجرب كأكثر العلوم الطبيعية ، وإنما هو علم بحث وبعد ونظر . فهو أقرب ما يكون إلى «الحيولوجيا» فكما أن الحيولوجيا تبحث في أحوال الأرض فيعرف التاريخ أحوال الأمم إلى ما هي عنه الآن ، كذلك تبحث المؤرخ في أحوال الأمم وآثاره يستعمل بها على معرفة الحاضر . والتاريخ مثل العلوم الأخرى له غرض وموضوع . وموضوعه البحث في

(١) من التعريف الدقيق عليها للعلم أنه «معرفة منظمة أو مجموعة من الحقائق يمكن الوصول إليها بالمنهج والمجرب والتدقيق» والواقع من اللازم أن كلمة التاريخ في اللغات الأوروبية (History) هي من أصل ما . هيرودوت أو باليونانية أما استعمالها عند رومانيين لأول مرة «تحت» من «معرفة» يحصل عليها بالمنهج والمجرب» ولكن استعمال هذه الكلمة كذلك في معان أخرى منها سير الحوادث الماضية واستعمل أحيانا بمعنى طريقة تدوين تلك الحوادث . ويستعمل كلمة تاريخ كذلك بمعنى زمن وقوع الحوادث . ومن الجدير ذكره بهذا الصدد أن العلامة ابن خلدون أول ناخب أشار إلى أن التاريخ بحث ونظر وبعد (أنظر المقدمة لمقدمته)

أعمال الشر التي وقعت في الماضي • أو هو درس المجمعات الشريفة في المكان والزمان •

وإذا كان التاريخ علماً فسيُرى أن يكون له مثل العلوم الأخرى منهج أو طريقة للبحث (Method) (١) يستطيع بها الوصول إلى مادة وحياتها • ولكي يعرف شيئاً عن منهج التاريخ صفه علماً يؤكد ما أشرنا إليه من اختلافه عن بعض العلوم الأخرى ولا سيما العلوم الطبيعية أو العلوم المصنوعة من حيث أنه لا يعتمد على التجربة لأنها مسرحها في التاريخ ، ولا يعتمد من الملاحظة المباشرة ولا من الدليل العقلي المحدود كما في الرياضيات بل أنه يبحث فيما خلفه الأسان لمعرفة حاصر الأسان • وإن مصادره ومادته الأولى بوجه العموم جميع • حاتم البشر مما يمكن الاستفاد منها كالتونانق والسجلات والآثار المادية مما يعسا على فهم حركات الأمم وتقلباتها وأديانها ولغاتها وتفكيرها وغير ذلك من متومات تلك الحضارات ومصادره موحدة معرفة البشرية والنفس البشرية ، ولكن نفس النفس الفردية أو الشخصانية التي هي موضوع علم النفس بل الفسحة البشرية وإمكاناتها وحدودها ، وماداً استخرج الأسان أن يفعل • وسجته • هو الأسان •

وإذا كان منهج البحث العلمي الذي أوحده الباحثون في العصور الحديثة قد أكسب التاريخ أهله ليكون علماً إلا أنه لا يزال أمام المصيرين على كون التاريخ علماً محالاً للاعراض بأن التاريخ لا يستطيع أن يجاري العلوم المصنوعة (Exact Sciences) في قدرتها على استنباط القوانين والنواميس من درس العلاقات بين الأشياء ومقارنتها ، بحيث تستطيع أن تتنبأ بها عن المستقبل تحت شروط وأحوال معينة • أما مسألة التنبؤ (Prediction) فلا تقصر على كونها غير ممكنة في التاريخ بل إنها خارج اختصاص بحثه ، لأن دائرة البحث الخاصة بالمؤرخ كما قلنا حوادث البشر ومحاربتهم في الماضي • وقد يحاول المؤرخ استناداً إلى خبرته التاريخية أن يقس عليها

(١) ويسمى منهج التاريخ بالالامنه (Die Historik) وبالاختصار منهج (Methodology) أو (Historical Method)

فحدث ما يقع في المستقبل ولكنه حتى لو صدق في حده إلا أن محاولته
 هذه تسعى أن لا تكون نصه مؤرخا بحسب مفهوم موضوع التاريخ . أما
 عن وجود القوانين في التاريخ فبحث عنه الباحثون المحدثون بأن التاريخ
 نصه علما من العلوم الاجتماعية يحاول حاشدا أن يكشف القوانين والقواعد
 الكلية لمفسر حوادث التاريخ ، ولكن لما بلغ هذه القواعد مرتبة قوانين العلوم
 الطبيعية من الدقة والاطراد ، دليل أن قانون العلم أو السببية
 (Law of Causality) في حوادث التاريخ مناه في المعنى «فالحادية الاجتماعية
 منها لمع من الساطعة أما مع فعل سلسلة مشابكة من العلة بخلاف
 الوقائع الطبيعية التي بحث فيها علماء الطبيعة حيث تكون واحدهم في درسيها
 والعلاقات فيما بينها سرا لو فس نواحي المؤرخ الذي يكون موضوعه
 ليس اساء حامده بل أفعالا صادرة من فاعل يصنعون الفكر والقصد والحواف
 المعقدة . ولكن مع ذلك فمعظم حوادث التاريخ وأسابيها ليس فوص أو
 حوادث فردية لا صابط لها . وإنما نشأ من معشاة الاسان في مجتمعات
 أو أنظمة اجتماعية سيطر على أفعالها قواء الضرورة الاجتماعية والوأمس
 الاجتماعية العامة ، والا . امكن وجود ما يسمى بعلوم الاجتماع أو العمران
 الذي يدرس المؤسسات والأنظمة الاجتماعية دراسة مقارنة . وسبحر لها
 القواعد الكلية التي تسعد منها المؤرخ .

ثم اما لعل أمل وطيد من أن هذا النوع الشرى الذي سمي «بالاسان
 العاقل» سرور أهليه لهذا اللب فحدد في البحث عن نفسه والكشف عن
 أسرار المجتمعات الشرية فاندريس العلمى المتأز «وعندئذ فسوطد قوانين
 التاريخ والعمران الشرى على وجه ليس كما نظرف البعض في مفسر
 حوادث التاريخ وليس كما يرتأى البعض الآخر من انكار لامكان استخراج
 القوانين في التاريخ .

وبحسب المصادر التي سمد عليها التاريخ في جمع مادته تكون أولى
 خطواته منطقية في منهج البحث التاريخى هي جمع المصادر والاصول المتعلقة

بحته . وضح أن يطلق على هذه الخطوات اسم «جمع الأصول» ^(١) ومع أن هذه خطوات من خطوات المؤرخ غير أنها المرحلة الأساسية ، كما قل « لا تأرجح لا وثائق » . فإذا جمع المؤرخ « استطاع جمعه من مصادر بحثه وأصول مادته وكان على معرفته بأمه بصادقه وحجرا بمصادره كخطوط الوثائق واللغات المكتوبة بها أو أطرزتها وأوصافها إن كانت من الآثار المسمية وبالاسم بالعلوم الموصله ^(٢) ، فإنه بدأ بخطوة ثالثة من بحثه وهي مرحلة البعد ^(٣) ، أي بعد ما جمعه في الخطوة الأولى وبمحصن المصادر ووثائق التي جمعها وجمعها لمعرفة أصلها ونسبها من حقتها وبرورها ومعرفة مؤلفها وزمان كتابها ومكانها ، ثم بحرى مدى ما جاء فيها من معلومات ومطالعته إلى التحقق والواقع » فإن كتب من الوثائق المدونة ، كالكتب ، فلزم معرفته تاريخها ووثوقها ومناخ . . . د . واوهاده . وقد يلزم تصحيح من الوثائق التاريخية ومسالخ حقتها المعوى وتكامل ما نقص منها . وذلك بمقاصد الأصول التي تهتد بوثائق . وبلى ذلك بمحصن مدر وثائق تحليل الحقائق الواردة فيها ويرتب موضوعاتها ويصف حوادثها .

(١) وتدعى بالإنجليزية (Die Heuristik)

(٢) العلوم الموصله أو المساعدة ويسمى (Auxiliary sciences) مجموعته من الطرق العلمية المسمية (Techniques) تسعى إلى التباحث التاريخي في فهم مصادره وتقدير قيمتها لمهندا لبعدها . وأشهر هذه الطرق علم الخطوط القديمة على الورق وما سببه (Palaeography) كسكال الحروف القديمة قبل اختراع الطباعة وأنواع الورق والحبر . والكتابة على الحجر والطين وما سبب ذلك (Epigraphy) ومعرفه اللغات والقبوم (Chronology) ومن العلوم الموصله تنم المود أو النصب (Numismatics) وعلم الاحتمام والظمعات (Sphragistics) . وعلم تلوم عامة يعبر بمساعدة للساحب التاريخي من حيث مقاصد العامة وسبب اطلاعه . يذكر من ذلك علم الآثار (Archaeology) وعلم الأسس (Anthropology) وعلم الاقتصاد والجغرافيه والاحتمام .

(Langlois and Seignbos, Introduction to the Study of History, English Trans 1912)

(الطبر)

Vincent, Historical Research (1929)

(٣) criticism . Die Kritik

وبالاحمال لا تعدو المصادر المكتوبة أن تكون مثل شهادة الغير . ولذلك وجب على المؤرخ الباحث بمحض هدد الشهاده وعده قولها على غلابها . وسأ ان الحوادث الأريجه وقائع حصصه والحقيقه واحده لا تعدد فلا بد أن يصل الباحث ، هو نفسه أو من سنده له عليه . الى تلك الحقيقه أو ما سار بها على الأقل . وحل اعتماده في ذلك سسل الاحال ونقصي الحوادث وموارها ومصاهها ، ووجه الاحمال يمكن تحليل عمله النقد ، انى هى عماد البحث الأريجى ، الى مرحلتين كثيرا ما يكونان مداخلين . وهما مرحله النقد الخارجى (External criticism) ويدور على البحث فى المصادر الدأار من اسمائها وصحتها ومعرفه مؤلفها و زمانه ومكانه ، فليس كسل الوثائق الأريجه صححه بل كثيرا ما بطرق الشك الى صحتها واصالتها ومشا ذلك قد يكون اربور المعمد أو الاحطاء والادعاء المائنه من القله والساح وكذلك من بعداء احره والممارسه الأريجه ومن السرع والسطحه ، كما ان كثيرا من الوثائق تكون محرومه غير معلوم مؤلفها أو مان رتبها فسمعن بطرق النقد الخارجى بحث المؤلف وزمانه ومكانه .

أما المرحله الثانيه من النقد فسمى النقد الساطى أو الداخلى (Internal criticism) ومدار هذا النقد على وزن علاقته الوثيقه أو الدلاليه الأريجه الى جميعها بالحصصه وواقع الاحال ، وقد عسم هذه المرحله ايضا الى شطرين يسمى أحدهما وأولهما بالنقد الساطى الايجابى والثانى بالنقد الساطى السالب . والاول يعلو بفهم بصوص الوثائق أى فهم لغتها وأساسها وإدراك أعراض المؤلف وآراءه ثم سسل الى الشطر الثانى من النقد وهو اناب سحه المعلومات الواردة فى تلك الوثائق أى بحريج المؤلف أو بعبله

(١) ويذكر من طرق تعيين زمن الوثيقه على سسل المال طريقه بعض الحدس الادبى والاعلى فى زمن الوثيقه بالنظر فى الحوادث المذكوره فى الوثيقه . فالحد الاعلى هو الزمن الذى لا يمكن ان يكون الوثيقه قد كتبت قبله (Terminus Post Quem) والحد السابى (Terminus ante quem) انى الزمن الذى لا يمكن أن يكون الوثيقه قد كتبت بعده . ومن ذلك يحصل من عده الحدس علم تاريخى يعر به للوثيقه المجهول زمن تأليفها .

(الشرح والتعديل) من حيث صدقه وكذبه او اجداعه وأوهامه وتحليل الظروف والاحوال التي كسب فيها الونمة . وانقد الناطق بكل نوعه سمي المصطلح اليوناني (Hermeneutic) ومعناه انقد التفسيرى أى التفسير والتحليل .

فإذا ما تم فحص الوثائق وعدّها ١١ احيايا وسالنا (التعديل والشرح) فان الباحث يخطو الخطوة الثالثة من خطوات البحث التاريخي ومدار هذه المرحلة على المؤلف من الحقائق وبركبتها . ويؤلف شرح التركيب والتأليف (Historical Construction) (١) ، ويكون طرق التركيب والتأليف شطرا مهما من منهج البحث التاريخي . فان عمليات النقد التي أوجزناها لا تسع لنا الا حقائق معزلة مفصلة بعضها عن بعض ، فلكي يؤلف من هذه الحقائق المفصلة السمرله مجموعته كاملة متهمه من العلم والتعرفه فلهذا على المؤرخ أن يقوم بجهود أخرى لتركيب هذه الحقائق المفصلة والتأليف فيما سها بتصنيف الحقائق والمعلومات الواردة في الوثائق الى أساف وموضوعات . محاسنه .

والذي يمكن قوله بوجه عام يصدر قواعد التأليف التاريخي انه لا يمكن وضع خطة مثلى (ideal) على عراز مناهج العلوم المصنولة التي نأمل أن تكون التاريخ مثلها ، بل ان خطه عملا يتوقف الى حد كبير على المادة التاريخية التي سوف ندسها بعد جمع المصادر وتقديرها . ولكي نهم حدود خطة التأليف التاريخي بمره علينا أن نأخذ بنظر الاعتبار طبيعة الحقائق التاريخية المسخرجه من الوثائق ، وطريقه استخراجها وتصنيف منهج البحث الذي أوجزناه بشرح الحقائق التاريخية تحليل الوثائق تحليلها (Critical analysis of documents) فشرح لب هذه الحقائق بعد عمله البدر وهي معزلة متدا ، ولكنها بهتة معلومات محررة

فردية لا يجمعها نظام أو تأليف ما . فقد تؤدي طرق القصد التاريخي الى بحرته الحملة الواحد من الوثيقة الى آخره برفص بعضها وبقيل البعض الآخر . كما ان الوثيقة الواحد . ولو كانت صغيرة . أو ان بها تاريخا واحدا . قد تؤدي بمعلومات مسوعة محلقة . فكون الحقائق التاريخية المسحرجة من الوثائق حليطة مريجة . وهذا احد الامور الى سبر التاريخ من العلوم الأخرى ، فضلا ان العلوم الى يعتمد على الملاحظة المباشرة (direct observation) سحب الحقائق التي تدرسها ويحصر همها في البحث المنظم في حقائق محاسنه . أما العلوم المعتمدة على النصوص والوثائق (documentary sciences) ، والتاريخ واحد منها ، فانها تأخذ حقائقها وقد سمع مشاهدتها وملاحظتها عن طريق آخر غير طريقها ، أي عن طريق مؤلفي الوثائق . فمن الضروري تصفه هذه الحقائق وتصفها بحب أصاف وأنواع محله بحسب المواضيع الى عالجه المؤرخ وبحسب الفصا والمائل الى سحب المؤرخ عن حلولها .

ولعل أقرب العلوم الى يمكن للتاريخ أن سبر على خطأ منهجها من ناحية جمع الحقائق وتصفها هو علم الحيوان الوصفى (Descriptive Zoology) الذي بدأ بحته بملاحظة الحيوان بكامله بالمشاهدة المباشرة ثم شرح هذا الحيوان الى آخراته المحلقة . والسريع هنا يقابل التحليل في طريقه التاريخ (أي Analysis) ثم بعد الى جمع الأجزاء المشرحة وبركيها بحسب كون الكل الأصلي وهذا هو التركيب التحمى (Synthesis) ، وتوسع علم الحيوان ايضا في مرحلة ثالثة أن يارن هذا الشكل الذي كونه بعد الشرح مع أفراد أخرى من نوعه فدرس أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها وتصفها . فكون خطوات علم الحيوان في استجراحه للحقائق . (١) الملاحظة والتحليل = (٢) التركيب . (٣) المقارنه والتصنف وتوسع التاريخ أن سبر على هذا المنهج الى حد ما على الوجه الآتي

بوسعنا أن نوحّر تصميم المؤلف أو التركيب التاريخي بحمله مراحل
مركبه (Synthetic)

أ - تحليل الحقائق وتصورها في العقل :- نجهدنا تحليل الوثائق
القدي بالمادة اللارمه الماء الدريحي . هذه المادة عباره عن حقائق تاريخيه
مصت وهي معرفه وممرله معشها من بعض . وبما ان المؤرخ « بخلاف
عالم الحوار » لا يرى شيئا ملموسا سوى « الورق المكتوب » ، وفي بعض
الاحايين الآثار العائمه وبناج الصور والصناعة « فعمد المؤرخ لادراك هذه
الحوادث التي مصت الى تحليلها مفرضا انها تشبه حقائق الحاضر بوجه
عام ، محاولا تكوين صوره عقليه تشبه بقدرا الامكان الحوادث الماصه انسي
استخرجها من الوثائق .

ب - جمع الحقائق ومطيمها . وبعد أن تحليل الحقائق ويكون عنها
في أدهاها صوراً عقليه جمع فيما بينها : معشها بموجح خطه بصمها بحسب
موضوع بحثنا . وعمد أيضا في هذه المرحله من المؤلف التاريخي الى
تقسيم الحقائق الى مجاميع وأجزاء مساهمه بحسب مواضعها .

ج - الإجهاد (Reasoning) أو الاستدلال التاريخي بطريق
الإجهاد ، فإن الباحث كثيراً ما يجد انه بالرغم عما جمعه من الحقائق فإنه
لا يزال يجد امامه فجوات عن وفائض انسي لم يستطع الحقائق التي جمعها
ان تروده بها بصوره مباشره ، فعليه في مثل هذه الحال أن يحاول ملا بعض
هذه الفجوات عن طريق الإجهاد العقلي أو المنطقي بالاستناد الى الحقائق
التاريخيه المعروفة لديه .

د - مرحلة الاستدلال واستخراج القواعد العامه .

تساعدنا المراحل الثلاث السامه على استخراج مجموعه من الحقائق
أو المعرفه المصغه بموجح خطه عقليه من المنسب . فسي على الباحث أن
يركر هذه الحقائق المصغه ويعبر عنها بقواعد أو دسائر (formulae)
لاستنتاج خصائصها ومبرانها العامه وعلاقاتها بمعشها بعض . وخلاسه هذه
المرحلة انها تؤدي الى الاستنتاجات الهائيه . ويحصل من بحثنا التاريخي بحثنا

علما = ويدخل في هذه المرحلة من مراحل التركيب التاريخي أو يأتي بعدها بتفسير الحوادث التاريخية أى تحليل الحوادث التاريخية والبحث عن أسباب وقوعها = ويحدد ما أن شربها إلى أن مشأ الاحلاف من المؤرخين وشؤون المذاهب المختلفة في تفسير التاريخ مرده إلى احلاف وجهات النظر من الباحثين في هذه المرحلة من منهج البحث التاريخي =

وبعد أن سم الباحث جميع المراحل التي لحصاها فيما سبق يبدأ في المرحلة النهائية من مراحل بحثه وهي مرحلة التأليف والتدوين أى تبويب مادته وعرضها عرضا لها صححا مساعا^(١) = ولان هذه المرحلة الأخيرة

(١) تسمى في التدوين التاريخي بـ (Historiography) وطرق التدوين السائدة عند المؤرخين محصوره في ثلاثة أساليب - أولها نظام الحوليات (annals) وهي أسببه ما تكون لها كان عند البابليين وكذلك المصريين القدماء . واستعملها مؤرخو العصور الوسطى في أوربه وهي ذكر الحوادث المعاصره عاما بعد عام وكانت في أول أمرها تافهه لا تعدو مجرد مذكرات لتعيد الحوادث المعاصره تدون بهته بعلقات على التعاويص الدبسه الخاصه بالاعساد . وأعلت هذه الحوادث لا تعدو الحوادث الدبسه كالحوارق . وحدوث الزلازل الى غير ذلك . ولكن برقت الحوليات في أواخر العصور الوسطى وأصبحت سجلات سنويه مهمه . ومما لا شك فيه ان التحسن الذي طرأ على هذه الطريقه من التدوين كان بئان مؤرخي العرب . والطريقه الثانيه هي التاريخ التي بصطلح عليها اسم (Chronicles) وهي أرقى من سابقتها اد أنها تدور على عرض الحوادث عرضا اتم وأوفى مما في الحوليات . بعد أنها احتفظت بالترتيب المنبع في الحوليات أي بترتيب الحوادث وعرضها على السنين وبدأ بها عادة منذ الجدمه حتى وقت الكتابه وقد تأثرت أوربه بمؤرخي العرب المسلمين فمرقى عندها هذا الفن من التأليف التاريخي . ونظن ان أول من بدأ هذا النمط في عرض ماده التاريخ الهسم بن عدي الموفى عام ٢٠٧ للهجره ثم جرى عليها الطبرى وابن مسكويه وابن الأثير وابن القدا . أما الطريقه الثالثه وهي التي عليها معظم المؤرخين الآن فهي عرض الحوادث وسوقها مساقا القصه المرتبه على العهود التاريخيه دون السنين . وقد جرى على هذه الطريقه من مؤرخي العرب البعويي والديوري والمسنودي وابن خلدون وغيرهم وانتهى أمر التاريخ عند العرب بأن أوصله المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون إلى مرتبه العلم وإلى مفهومه في الوقت الحاضر فهو بذلك كما لقنه بعض العلماء بعد واضح علم التاريخ . أنظر .

تعتمد على الادب والى كثيرا عد الناس التاريخ فما أو فرعا من فروع الادب
ولسا بحاجة الى التاكيد على حطل هذا الرأى لان الادب فى الواقع انما
اتخذ وسيلة للعرض والدوين السأريحي وانه حتى فى هذه المرحلة الى
يدخل فيها الادب بحث على مؤلف التاريخ أن يسعين بالاسلوب المطلقى فى
طريقة عرض مادته . ولعل حير ما يقال بهذا الصدد «ان أحسن تأريخ يكتب
لناس هو ذلك التأريخ الذى اعتمد على الطرق العلمية من البحث السأريحي
فى جمع مادته وعلى الادب والى فى عرض تلك المادة» .

ومن الملاحظات المهمة التى يحذر بكم أن تعرفوها عن التاريخ ومهجه،
وقد سبق السويه بها . ان التاريخ شارك العلوم الأخرى بوجه عام . فالعلوم
كلها تقريبا لا تقصر فى بحثها على جمع المعلومات التى تصل اليها بالبحث
والجربى وجمعها ونظيمها بموجب طرار أو شكل خاص وانما تتعدى ذلك
الى الكشف عن الشئ المجهول . أى الاشياء التى تجهلها . والتأريخ
من هذا النوع . وادا كان التاريخ شارك العلوم الأخرى فى هذا الامر
فانه يفرق عنها ولا سيما عن العلوم الطبيعية فى مسألة مهمة . فوطبقه العالم
الطبيعى درس حوادث الطبيعة ومظاهرها ، وهذه ليست أعمالا صادرة من
فاعلين كالحوادث السأريحيه ، يحاول العالم الطبيعى فهم قصدهم وفكرهم
على نحو ما يفعل المؤرخ الذى يجهد فى الكشف عن الفكر والقصده من وراء
أعمال البشر التى حدثت فيما مضى . وهذا فرق جوهري بين المؤرخ وبين
العالم الطبيعى ، بين التاريخ وبين العلم انطسى . وثمة فرق آخر هو ان
العالم الطبيعى مع عدم محاوله لفهم القصد والفكر وراء الطواهر الطبيعية
التي يدرسها الا انه يدرس علاقات هذه الطواهر بعضها بعض وسنطلع من
بحثه المقارن أن يصع الاشياء التى تبحث فيها فى قانون أو دستور هو القانون
العلمى ، أى «حدود القوابين والدينامى فى العلم ولكن التاريخ لم يستطع بعد
ان يصع لأعمال البشر قوابين ودساتير مصنوعة مطرده عامه تسر بموجبها .
وكل ما استطاع أن يفعل هو محاولات لوضع قواعد عامة لما يطلع درحة

المصط واندوه والاطراد مما يمار به دساتر العلوم المصوطة كما ذكرنا ذلك من قبل .

٢ - التاريخ القديم : فوائده ومصادره

حرى المؤرخون ولا سيما القدماء منهم على تقسيم تاريخ الانسان أى الحوادث والوفائع الشرية مد أقدم الارمان الى عصور وأطوار أطلقتوا على أقدمها الى سقوط رومه (٤٧٦ للميلاد) اسم التاريخ القدم ويصح أن يعد الفصح الإسلامى نهاية المصور القديمه فى الشرق الادبى . وهذه أزمان طويلة ماله فى القدم إذ سعى أن تبدأ مد أقدم وجود الانسان على هذه الارض وبداية معرفه فصيح الآلات السادحة (فل نحو المليون أو نصف المليون من السنين) ونذكر فانه من المهد لسهل العرص والبحث أن نسم التاريخ القدم نفسه الى أطوار وعصور . وقد توأص المؤرخون على تقسيمه الى عصور ما قبل التاريخ والمصور . التاريخة . أما عصور ما قبل التاريخ فهي الارمان المأولة الى مرتب على الاسان فل أن يهدى الى احراع وسيله للتدوين (أى الكتابة) وقبل أن شأ الحصاره الراقية فى الشرق الادبى ماتقاله من عهد انقطره والداوه . ويدعى أقدم أزمان ما قبل التاريخ بالمصور الحجرية التى نسم بدورها الى المصور الحجرية القديمة والمصور الحجرية الحديثة أو المتأخره وقد استعرفت انقدمه منها رهاه الـ ٩٨ ٠/٠ من عمر الاسان على هذه الارض (١) . ويصح أن نعد بداية

(١) نوسمنا أن نعدر عمر حصاره الاسان على الوجه الآتى - اذا - سينا (١٢٠٠) مليون سنة لعمر الحصاره على الارض (عمر الارض ٢٠٠٠ مليون سنة) وقدربا رهاه المليون سنة لعمر الاسان . وعمر حصاره ٣٠٠٠ م . م . بم حفظنا المقاس وحسبنا ١٠٠ سنة لعمر الحصاره على الارض فيكون عمر الاسان «شهرًا واحدًا وعمر حصاره نحو ساعين» .

عن (CEM Joad) فى مقال له فى الموسوعة Encyclopaedia of Modern Knowledge, Vol 1, p 18

وبالوسع نعدر عصور ما قبل التاريخ بنحو ٢٢٥٠٠ جيلا بالنسبة الى =

الآله المائدة، و اول عصور التاريخ في الشرق الأدنى . أما في نواح الأرض الأخرى فقد احترق دانه التاريخ ألوقا أخرى من السنين .

وعلى هذا فإن مصطلح عصور ما قبل التاريخ (Prehistory) والعصور التاريخية بحسب حيز التوزيع الجغرافية من الأرض . ولكن الذي عليه جمهور الباحثين أن بداية العصور التاريخية في الشرق الأدنى كانت في بداية الألف الثالث و ويرادف مصطلح العصور التاريخية هنا عهد الحضارة الزراعية . وبعد احترق دانه العصور التاريخية في بعض الأقطار عدة آلاف من السنين من بعد انشقاق الأدنى ، فمثلا تقدر بداية العصور التاريخية في اليونان في حدود ٧٠٠ و وفي أوربة الشمالية حتى القرن الأول و وطلب زعمون كثيره مساعدة حتى العصور الحديثة وهي مشن في أطوار عصور ما قبل التاريخ وبعضها في عهود الهمجية الأولى أي العصر الحجري القديم .

وهناك اختلافات بين العراق ومصر في بداية عصور ما قبل التاريخ، ففي العراق ظهرت الكتابة وبدأت الحضارة بأخذ شكلها الواسع قبل دانه الألف الثالث و وقبل أن ، وإن كان دانه أمور تاريخية مهمة . أما في مصر فقد ظهرت الكتابة منذ ٣٠٠٠ ق.م. وحين ظهرت دوت بها حوادث تاريخية فكون ظهور الكتابة في مصر مرادفا لمصطلح العصور التاريخية .

(H. Frankfort, Birth of Civilization in the Near East (1951), P. 32)

١١-١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧-٣٨-٣٩-٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤-٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٤٩-٥٠-٥١-٥٢-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٥٩-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٦٧-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٦-٧٧-٧٨-٧٩-٨٠-٨١-٨٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٨٨-٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨-٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٠-١١١-١١٢-١١٣-١١٤-١١٥-١١٦-١١٧-١١٨-١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٢٧-١٢٨-١٢٩-١٣٠-١٣١-١٣٢-١٣٣-١٣٤-١٣٥-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٤٧-١٤٨-١٤٩-١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٧-١٥٨-١٥٩-١٦٠-١٦١-١٦٢-١٦٣-١٦٤-١٦٥-١٦٦-١٦٧-١٦٨-١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٧٧-١٧٨-١٧٩-١٨٠-١٨١-١٨٢-١٨٣-١٨٤-١٨٥-١٨٦-١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٠-١٩١-١٩٢-١٩٣-١٩٤-١٩٥-١٩٦-١٩٧-١٩٨-١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٠٢-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢٠٩-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٣-٢١٤-٢١٥-٢١٦-٢١٧-٢١٨-٢١٩-٢٢٠-٢٢١-٢٢٢-٢٢٣-٢٢٤-٢٢٥-٢٢٦-٢٢٧-٢٢٨-٢٢٩-٢٣٠-٢٣١-٢٣٢-٢٣٣-٢٣٤-٢٣٥-٢٣٦-٢٣٧-٢٣٨-٢٣٩-٢٤٠-٢٤١-٢٤٢-٢٤٣-٢٤٤-٢٤٥-٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩-٢٥٠-٢٥١-٢٥٢-٢٥٣-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٦-٢٥٧-٢٥٨-٢٥٩-٢٦٠-٢٦١-٢٦٢-٢٦٣-٢٦٤-٢٦٥-٢٦٦-٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩-٢٧٠-٢٧١-٢٧٢-٢٧٣-٢٧٤-٢٧٥-٢٧٦-٢٧٧-٢٧٨-٢٧٩-٢٨٠-٢٨١-٢٨٢-٢٨٣-٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦-٢٨٧-٢٨٨-٢٨٩-٢٩٠-٢٩١-٢٩٢-٢٩٣-٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧-٢٩٨-٢٩٩-٣٠٠-٣٠١-٣٠٢-٣٠٣-٣٠٤-٣٠٥-٣٠٦-٣٠٧-٣٠٨-٣٠٩-٣١٠-٣١١-٣١٢-٣١٣-٣١٤-٣١٥-٣١٦-٣١٧-٣١٨-٣١٩-٣٢٠-٣٢١-٣٢٢-٣٢٣-٣٢٤-٣٢٥-٣٢٦-٣٢٧-٣٢٨-٣٢٩-٣٣٠-٣٣١-٣٣٢-٣٣٣-٣٣٤-٣٣٥-٣٣٦-٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩-٣٤٠-٣٤١-٣٤٢-٣٤٣-٣٤٤-٣٤٥-٣٤٦-٣٤٧-٣٤٨-٣٤٩-٣٥٠-٣٥١-٣٥٢-٣٥٣-٣٥٤-٣٥٥-٣٥٦-٣٥٧-٣٥٨-٣٥٩-٣٦٠-٣٦١-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤-٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨-٣٦٩-٣٧٠-٣٧١-٣٧٢-٣٧٣-٣٧٤-٣٧٥-٣٧٦-٣٧٧-٣٧٨-٣٧٩-٣٨٠-٣٨١-٣٨٢-٣٨٣-٣٨٤-٣٨٥-٣٨٦-٣٨٧-٣٨٨-٣٨٩-٣٩٠-٣٩١-٣٩٢-٣٩٣-٣٩٤-٣٩٥-٣٩٦-٣٩٧-٣٩٨-٣٩٩-٤٠٠-٤٠١-٤٠٢-٤٠٣-٤٠٤-٤٠٥-٤٠٦-٤٠٧-٤٠٨-٤٠٩-٤١٠-٤١١-٤١٢-٤١٣-٤١٤-٤١٥-٤١٦-٤١٧-٤١٨-٤١٩-٤٢٠-٤٢١-٤٢٢-٤٢٣-٤٢٤-٤٢٥-٤٢٦-٤٢٧-٤٢٨-٤٢٩-٤٣٠-٤٣١-٤٣٢-٤٣٣-٤٣٤-٤٣٥-٤٣٦-٤٣٧-٤٣٨-٤٣٩-٤٤٠-٤٤١-٤٤٢-٤٤٣-٤٤٤-٤٤٥-٤٤٦-٤٤٧-٤٤٨-٤٤٩-٤٥٠-٤٥١-٤٥٢-٤٥٣-٤٥٤-٤٥٥-٤٥٦-٤٥٧-٤٥٨-٤٥٩-٤٦٠-٤٦١-٤٦٢-٤٦٣-٤٦٤-٤٦٥-٤٦٦-٤٦٧-٤٦٨-٤٦٩-٤٧٠-٤٧١-٤٧٢-٤٧٣-٤٧٤-٤٧٥-٤٧٦-٤٧٧-٤٧٨-٤٧٩-٤٨٠-٤٨١-٤٨٢-٤٨٣-٤٨٤-٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-٤٨٨-٤٨٩-٤٩٠-٤٩١-٤٩٢-٤٩٣-٤٩٤-٤٩٥-٤٩٦-٤٩٧-٤٩٨-٤٩٩-٥٠٠-٥٠١-٥٠٢-٥٠٣-٥٠٤-٥٠٥-٥٠٦-٥٠٧-٥٠٨-٥٠٩-٥١٠-٥١١-٥١٢-٥١٣-٥١٤-٥١٥-٥١٦-٥١٧-٥١٨-٥١٩-٥٢٠-٥٢١-٥٢٢-٥٢٣-٥٢٤-٥٢٥-٥٢٦-٥٢٧-٥٢٨-٥٢٩-٥٣٠-٥٣١-٥٣٢-٥٣٣-٥٣٤-٥٣٥-٥٣٦-٥٣٧-٥٣٨-٥٣٩-٥٤٠-٥٤١-٥٤٢-٥٤٣-٥٤٤-٥٤٥-٥٤٦-٥٤٧-٥٤٨-٥٤٩-٥٥٠-٥٥١-٥٥٢-٥٥٣-٥٥٤-٥٥٥-٥٥٦-٥٥٧-٥٥٨-٥٥٩-٥٦٠-٥٦١-٥٦٢-٥٦٣-٥٦٤-٥٦٥-٥٦٦-٥٦٧-٥٦٨-٥٦٩-٥٧٠-٥٧١-٥٧٢-٥٧٣-٥٧٤-٥٧٥-٥٧٦-٥٧٧-٥٧٨-٥٧٩-٥٨٠-٥٨١-٥٨٢-٥٨٣-٥٨٤-٥٨٥-٥٨٦-٥٨٧-٥٨٨-٥٨٩-٥٩٠-٥٩١-٥٩٢-٥٩٣-٥٩٤-٥٩٥-٥٩٦-٥٩٧-٥٩٨-٥٩٩-٦٠٠-٦٠١-٦٠٢-٦٠٣-٦٠٤-٦٠٥-٦٠٦-٦٠٧-٦٠٨-٦٠٩-٦١٠-٦١١-٦١٢-٦١٣-٦١٤-٦١٥-٦١٦-٦١٧-٦١٨-٦١٩-٦٢٠-٦٢١-٦٢٢-٦٢٣-٦٢٤-٦٢٥-٦٢٦-٦٢٧-٦٢٨-٦٢٩-٦٣٠-٦٣١-٦٣٢-٦٣٣-٦٣٤-٦٣٥-٦٣٦-٦٣٧-٦٣٨-٦٣٩-٦٤٠-٦٤١-٦٤٢-٦٤٣-٦٤٤-٦٤٥-٦٤٦-٦٤٧-٦٤٨-٦٤٩-٦٥٠-٦٥١-٦٥٢-٦٥٣-٦٥٤-٦٥٥-٦٥٦-٦٥٧-٦٥٨-٦٥٩-٦٦٠-٦٦١-٦٦٢-٦٦٣-٦٦٤-٦٦٥-٦٦٦-٦٦٧-٦٦٨-٦٦٩-٦٧٠-٦٧١-٦٧٢-٦٧٣-٦٧٤-٦٧٥-٦٧٦-٦٧٧-٦٧٨-٦٧٩-٦٨٠-٦٨١-٦٨٢-٦٨٣-٦٨٤-٦٨٥-٦٨٦-٦٨٧-٦٨٨-٦٨٩-٦٩٠-٦٩١-٦٩٢-٦٩٣-٦٩٤-٦٩٥-٦٩٦-٦٩٧-٦٩٨-٦٩٩-٧٠٠-٧٠١-٧٠٢-٧٠٣-٧٠٤-٧٠٥-٧٠٦-٧٠٧-٧٠٨-٧٠٩-٧١٠-٧١١-٧١٢-٧١٣-٧١٤-٧١٥-٧١٦-٧١٧-٧١٨-٧١٩-٧٢٠-٧٢١-٧٢٢-٧٢٣-٧٢٤-٧٢٥-٧٢٦-٧٢٧-٧٢٨-٧٢٩-٧٣٠-٧٣١-٧٣٢-٧٣٣-٧٣٤-٧٣٥-٧٣٦-٧٣٧-٧٣٨-٧٣٩-٧٤٠-٧٤١-٧٤٢-٧٤٣-٧٤٤-٧٤٥-٧٤٦-٧٤٧-٧٤٨-٧٤٩-٧٥٠-٧٥١-٧٥٢-٧٥٣-٧٥٤-٧٥٥-٧٥٦-٧٥٧-٧٥٨-٧٥٩-٧٦٠-٧٦١-٧٦٢-٧٦٣-٧٦٤-٧٦٥-٧٦٦-٧٦٧-٧٦٨-٧٦٩-٧٧٠-٧٧١-٧٧٢-٧٧٣-٧٧٤-٧٧٥-٧٧٦-٧٧٧-٧٧٨-٧٧٩-٧٨٠-٧٨١-٧٨٢-٧٨٣-٧٨٤-٧٨٥-٧٨٦-٧٨٧-٧٨٨-٧٨٩-٧٩٠-٧٩١-٧٩٢-٧٩٣-٧٩٤-٧٩٥-٧٩٦-٧٩٧-٧٩٨-٧٩٩-٨٠٠-٨٠١-٨٠٢-٨٠٣-٨٠٤-٨٠٥-٨٠٦-٨٠٧-٨٠٨-٨٠٩-٨١٠-٨١١-٨١٢-٨١٣-٨١٤-٨١٥-٨١٦-٨١٧-٨١٨-٨١٩-٨٢٠-٨٢١-٨٢٢-٨٢٣-٨٢٤-٨٢٥-٨٢٦-٨٢٧-٨٢٨-٨٢٩-٨٣٠-٨٣١-٨٣٢-٨٣٣-٨٣٤-٨٣٥-٨٣٦-٨٣٧-٨٣٨-٨٣٩-٨٤٠-٨٤١-٨٤٢-٨٤٣-٨٤٤-٨٤٥-٨٤٦-٨٤٧-٨٤٨-٨٤٩-٨٥٠-٨٥١-٨٥٢-٨٥٣-٨٥٤-٨٥٥-٨٥٦-٨٥٧-٨٥٨-٨٥٩-٨٦٠-٨٦١-٨٦٢-٨٦٣-٨٦٤-٨٦٥-٨٦٦-٨٦٧-٨٦٨-٨٦٩-٨٧٠-٨٧١-٨٧٢-٨٧٣-٨٧٤-٨٧٥-٨٧٦-٨٧٧-٨٧٨-٨٧٩-٨٨٠-٨٨١-٨٨٢-٨٨٣-٨٨٤-٨٨٥-٨٨٦-٨٨٧-٨٨٨-٨٨٩-٨٩٠-٨٩١-٨٩٢-٨٩٣-٨٩٤-٨٩٥-٨٩٦-٨٩٧-٨٩٨-٨٩٩-٩٠٠-٩٠١-٩٠٢-٩٠٣-٩٠٤-٩٠٥-٩٠٦-٩٠٧-٩٠٨-٩٠٩-٩١٠-٩١١-٩١٢-٩١٣-٩١٤-٩١٥-٩١٦-٩١٧-٩١٨-٩١٩-٩٢٠-٩٢١-٩٢٢-٩٢٣-٩٢٤-٩٢٥-٩٢٦-٩٢٧-٩٢٨-٩٢٩-٩٣٠-٩٣١-٩٣٢-٩٣٣-٩٣٤-٩٣٥-٩٣٦-٩٣٧-٩٣٨-٩٣٩-٩٤٠-٩٤١-٩٤٢-٩٤٣-٩٤٤-٩٤٥-٩٤٦-٩٤٧-٩٤٨-٩٤٩-٩٥٠-٩٥١-٩٥٢-٩٥٣-٩٥٤-٩٥٥-٩٥٦-٩٥٧-٩٥٨-٩٥٩-٩٦٠-٩٦١-٩٦٢-٩٦٣-٩٦٤-٩٦٥-٩٦٦-٩٦٧-٩٦٨-٩٦٩-٩٧٠-٩٧١-٩٧٢-٩٧٣-٩٧٤-٩٧٥-٩٧٦-٩٧٧-٩٧٨-٩٧٩-٩٨٠-٩٨١-٩٨٢-٩٨٣-٩٨٤-٩٨٥-٩٨٦-٩٨٧-٩٨٨-٩٨٩-٩٩٠-٩٩١-٩٩٢-٩٩٣-٩٩٤-٩٩٥-٩٩٦-٩٩٧-٩٩٨-٩٩٩-١٠٠٠-١٠٠١-١٠٠٢-١٠٠٣-١٠٠٤-١٠٠٥-١٠٠٦-١٠٠٧-١٠٠٨-١٠٠٩-١٠١٠-١٠١١-١٠١٢-١٠١٣-١٠١٤-١٠١٥-١٠١٦-١٠١٧-١٠١٨-١٠١٩-١٠٢٠-١٠٢١-١٠٢٢-١٠٢٣-١٠٢٤-١٠٢٥-١٠٢٦-١٠٢٧-١٠٢٨-١٠٢٩-١٠٣٠-١٠٣١-١٠٣٢-١٠٣٣-١٠٣٤-١٠٣٥-١٠٣٦-١٠٣٧-١٠٣٨-١٠٣٩-١٠٤٠-١٠٤١-١٠٤٢-١٠٤٣-١٠٤٤-١٠٤٥-١٠٤٦-١٠٤٧-١٠٤٨-١٠٤٩-١٠٥٠-١٠٥١-١٠٥٢-١٠٥٣-١٠٥٤-١٠٥٥-١٠٥٦-١٠٥٧-١٠٥٨-١٠٥٩-١٠٦٠-١٠٦١-١٠٦٢-١٠٦٣-١٠٦٤-١٠٦٥-١٠٦٦-١٠٦٧-١٠٦٨-١٠٦٩-١٠٧٠-١٠٧١-١٠٧٢-١٠٧٣-١٠٧٤-١٠٧٥-١٠٧٦-١٠٧٧-١٠٧٨-١٠٧٩-١٠٨٠-١٠٨١-١٠٨٢-١٠٨٣-١٠٨٤-١٠٨٥-١٠٨٦-١٠٨٧-١٠٨٨-١٠٨٩-١٠٩٠-١٠٩١-١٠٩٢-١٠٩٣-١٠٩٤-١٠٩٥-١٠٩٦-١٠٩٧-١٠٩٨-١٠٩٩-١١٠٠-١١٠١-١١٠٢-١١٠٣-١١٠٤-١١٠٥-١١٠٦-١١٠٧-١١٠٨-١١٠٩-١١١٠-١١١١-١١١٢-١١١٣-١١١٤-١١١٥-١١١٦-١١١٧-١١١٨-١١١٩-١١٢٠-١١٢١-١١٢٢-١١٢٣-١١٢٤-١١٢٥-١١٢٦-١١٢٧-١١٢٨-١١٢٩-١١٣٠-١١٣١-١١٣٢-١١٣٣-١١٣٤-١١٣٥-١١٣٦-١١٣٧-١١٣٨-١١٣٩-١١٤٠-١١٤١-١١٤٢-١١٤٣-١١٤٤-١١٤٥-١١٤٦-١١٤٧-١١٤٨-١١٤٩-١١٥٠-١١٥١-١١٥٢-١١٥٣-١١٥٤-١١٥٥-١١٥٦-١١٥٧-١١٥٨-١١٥٩-١١٦٠-١١٦١-١١٦٢-١١٦٣-١١٦٤-١١٦٥-١١٦٦-١١٦٧-١١٦٨-١١٦٩-١١٧٠-١١٧١-١١٧٢-١١٧٣-١١٧٤-١١٧٥-١١٧٦-١١٧٧-١١٧٨-١١٧٩-١١٨٠-١١٨١-١١٨٢-١١٨٣-١١٨٤-١١٨٥-١١٨٦-١١٨٧-١١٨٨-١١٨٩-١١٩٠-١١٩١-١١٩٢-١١٩٣-١١٩٤-١١٩٥-١١٩٦-١١٩٧-١١٩٨-١١٩٩-١٢٠٠-١٢٠١-١٢٠٢-١٢٠٣-١٢٠٤-١٢٠٥-١٢٠٦-١٢٠٧-١٢٠٨-١٢٠٩-١٢١٠-١٢١١-١٢١٢-١٢١٣-١٢١٤-١٢١٥-١٢١٦-١٢١٧-١٢١٨-١٢١٩-١٢٢٠-١٢٢١-١٢٢٢-١٢٢٣-١٢٢٤-١٢٢٥-١٢٢٦-١٢٢٧-١٢٢٨-١٢٢٩-١٢٣٠-١٢٣١-١٢٣٢-١٢٣٣-١٢٣٤-١٢٣٥-١٢٣٦-١٢٣٧-١٢٣٨-١٢٣٩-١٢٤٠-١٢٤١-١٢٤٢-١٢٤٣-١٢٤٤-١٢٤٥-١٢٤٦-١٢٤٧-١٢٤٨-١٢٤٩-١٢٥٠-١٢٥١-١٢٥٢-١٢٥٣-١٢٥٤-١٢٥٥-١٢٥٦-١٢٥٧-١٢٥٨-١٢٥٩-١٢٦٠-١٢٦١-١٢٦٢-١٢٦٣-١٢٦٤-١٢٦٥-١٢٦٦-١٢٦٧-١٢٦٨-١٢٦٩-١٢٧٠-١٢٧١-١٢٧٢-١٢٧٣-١٢٧٤-١٢٧٥-١٢٧٦-١٢٧٧-١٢٧٨-١٢٧٩-١٢٨٠-١٢٨١-١٢٨٢-١٢٨٣-١٢٨٤-١٢٨٥-١٢٨٦-١٢٨٧-١٢٨٨-١٢٨٩-١٢٩٠-١٢٩١-١٢٩٢-١٢٩٣-١٢٩٤-١٢٩٥-١٢٩٦-١٢٩٧-١٢٩٨-١٢٩٩-١٣٠٠-١٣٠١-١٣٠٢-١٣٠٣-١٣٠٤-١٣٠٥-١٣٠٦-١٣٠٧-١٣٠٨-١٣٠٩-١٣١٠-١٣١١-١٣١٢-١٣١٣-١٣١٤-١٣١٥-١٣١٦-١٣١٧-١٣١٨-١٣١٩-١٣٢٠-١٣٢١-١٣٢٢-١٣٢٣-١٣٢٤-١٣٢٥-١٣٢٦-١٣٢٧-١٣٢٨-١٣٢٩-١٣٣٠-١٣٣١-١٣٣٢-١٣٣٣-١٣٣٤-١٣٣٥-١٣٣٦-١٣٣٧-١٣٣٨-١٣٣٩-١٣٤٠-١٣٤١-١٣٤٢-١٣٤٣-١٣٤٤-١٣٤٥-١٣٤٦-١٣٤٧-١٣٤٨-١٣٤٩-١٣٥٠-١٣٥١-١٣٥٢-١٣٥٣-١٣٥٤-١٣٥٥-١٣٥٦-١٣٥٧-١٣٥٨-١٣٥٩-١٣٦٠-١٣٦١-١٣٦٢-١٣٦٣-١٣٦٤-١٣٦٥-١٣٦٦-١٣٦٧-١٣٦٨-١٣٦٩-١٣٧٠-١٣٧١-١٣٧٢-١٣٧٣-١٣٧٤-١٣٧٥-١٣٧٦-١٣٧٧-١٣٧٨-١٣٧٩-١٣٨٠-١٣٨١-١٣٨٢-١٣٨٣-١٣٨٤-١٣٨٥-١٣٨٦-١٣٨٧-١٣٨٨-١٣٨٩-١٣٩٠-١٣٩١-١٣٩٢-١٣٩٣-١٣٩٤-١٣٩٥-١٣٩٦-١٣٩٧-١٣٩٨-١٣٩٩-١٤٠٠-١٤٠١-١٤٠٢-١٤٠٣-١٤٠٤-١٤٠٥-١٤٠٦-١٤٠٧-١٤٠٨-١٤٠٩-١٤١٠-١٤١١-١٤١٢-١٤١٣-١٤١٤-١٤١٥-١٤١٦-١٤١٧-١٤١٨-١٤١٩-١٤٢٠-١٤٢١-١٤٢٢-١٤٢٣-١٤٢٤-١٤٢٥-١٤٢٦-١٤٢٧-١٤٢٨-١٤٢٩-١٤٣٠-١٤٣١-١٤٣٢-١٤٣٣-١٤٣٤-١٤٣٥-١٤٣٦-١٤٣٧-١٤٣٨-١٤٣٩-١٤٤٠-١٤٤١-١٤٤٢-١٤٤٣-١٤٤٤-١٤٤٥-١٤٤٦-١٤٤٧-١٤٤٨-١٤٤٩-١٤٥٠-١٤٥١-١٤٥٢-١٤٥٣-١٤٥٤-١٤٥٥-١٤٥٦-١٤٥٧-١٤٥٨-١٤٥٩-١٤٦٠-١٤٦١-١٤٦٢-١٤٦٣-١٤٦٤-١٤٦٥-١٤٦٦-١٤٦٧-١٤٦٨-١٤٦٩-١٤٧٠-١٤٧١-١٤٧٢-١٤٧٣-١٤٧٤-١٤٧٥-١٤٧٦-١٤٧٧-١٤٧٨-١٤٧٩-١٤٨٠-١٤٨١-١٤٨٢-١٤٨٣-١٤٨٤-١٤٨٥-١٤٨٦-١٤٨٧-١٤٨٨-١٤٨٩-١٤٩٠-١٤٩١-١٤٩٢-١٤٩٣-١٤٩٤-١٤٩٥-١٤٩٦-١٤٩٧-١٤٩٨-١٤٩٩-١٥٠٠-١٥٠١-١٥٠٢-١٥٠٣-١٥٠٤-١٥٠٥-١٥٠٦-١٥٠٧-١٥٠٨-١٥٠٩-١٥١٠-١٥١١-١٥١٢-١٥١٣-١٥١٤-١٥١٥-١٥١٦-١٥١٧-١٥١٨-١٥١٩-١٥٢٠-١٥٢١-١٥٢٢-١٥٢٣-١٥٢٤-١٥٢٥-١٥٢٦-١٥٢٧-١٥٢٨-١٥٢٩-١٥٣٠-١٥٣١-١٥٣٢-١٥٣٣-١٥٣٤-١٥٣٥-١٥٣٦-١٥٣٧-١٥٣٨-١٥٣٩-١٥٤٠-١٥٤١-١٥٤٢-١٥٤٣-١٥٤٤-١٥٤٥-١٥٤٦-١٥٤٧-١٥٤٨-١٥٤٩-١٥٥٠-١٥٥١-١٥٥٢-١٥٥٣-١٥٥٤-١٥٥٥-١٥٥٦-١٥٥٧-١٥٥٨-١٥٥٩-١٥٦

السبب أن سجل من ذلك العهد فيشأ أولى الحصارات الناصجة ولا سيما في وادي الرافدين ووادي النيل . ويحدثنا كذلك عن الحصارات الأخرى التي أحدث معظمها من هابس الحصارين ولا سيما حصارات العراق القديم ، ويدلنا على تراث هذه الحصارات في حصاره الاسان الراهه .

وحلاصه القول نبيها التاريخ القديم على فهم حاصر الاسان وكيف وصل الى ما هو عليه وكشف لنا عن الأصول الأساسية لثقافة البشرية منذ أقدم العصور وبذلك تكون دراسة التاريخ القديم ضرورية لازمة لفهم التاريخ الحديث وفهم حاصر الاسان وسيوضح لنا من الكلام على حصارات الشرق القديم ان أسس حصار الاسان المحاصرة تمتد الى تلك الحضارات .

وبوسعنا أن نمرق الى مداركنا القوية التي تحبسها البشرية من معرفة ما فيها (أي تاريخها) ، واما ان التاريخ بمثابة انداكركه للحسن الشرى . أو كما قال «دروسى» «التاريخ» (اعرف نفسك) مصافا الى البشرية وهو ذاكرتها وشعورها^(١) فكما ان ماضي الفرد ما يحاربها واحساتها تؤثر في سيره في حاضره ، كذلك يؤثر ماضي البشرية في حاضرها . واما لم تكن للبشرية ذاكره كما للفرد فان التاريخ هو «ذاكرتها ومسيرها» .

وعندما كثرت معلومات الباحثين ، ومعرفتهم بحصارات البشر الغابرة ، ان كشفت التنقيبات الأثرية عن عدد كبير منها ، تمكن هؤلاء الباحثون من انهم ان البشر ، مصافا الى التاريخ ، من البحث في سبب نشوء الحصارات وعلى نموها وأساس توفيقها عن النمو وتوحدتها ثم عوامل انحلالها ودوالها . فبدأ فرع من فروع المعرفة على قدر عظيم من الأهمية ، هو فلسفة التاريخ ، أو علم الحصارات والعمران يدرس الحضارات دراسا مقارنا . وقد تكوّن من الباحثين مدارس فكرية مختلفة احصت كل منها فلسفة خاصة

أو بظرفية وآراء لتعليل شوء الحصارات والعمران الشرى وحياة ذلك العمران وأحواله . ومن الديرهى أن يكون التاريخ المدم المصدى الاساسى، تسمد مه هذه البحوث والدراسات ماديها الاوليه . وبوسعا أن يؤكد القول أن المادة المتكاثرة عن الحصارات الشريه الدارسه قد مكنت فلاسفه التاريخ والباحثين فى العمران من أن يصلوا الى نتائج حظيره ، وذلك بما أمدهم هذه المادة المحدده من كثر . الامثله للموانة والمعاريه ، مما جعل هذا الفرع من المعرفة موم على أساس جديد من الدقه واشمول ومعاريه التصواب فى الاساس . ومما لا شك أن الفارق بين الاوائل من فلاسفه التاريخ وأولهم المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون ، والمأخرين منهم ينحصر ، فى النظر عن الفاتوت فى التعاملات والمذكر ، فى كثره المادة التى صارت فى مساول أئدى المأخرين منهم وقلها عند الاوائل منهم . فعندما بحث المؤرخ العربى ابن خلدون فى سس العمران لم يكن فى مساول يده غير مادة قليلة ، لأن الحصارات التى استعملها ماديها لبحته كات مضمرة على الحصاره العربيه الاسلاميه وحصارات أمم أخرى قليلة لم تكن على معرفة تامه بها . ولكن عندما بحث المأخرون أمثال «شككر» و «بوسى» فى الموضوع نفسه كان لديهم قدر كبير من المادة التاريخيه لا يصح مقارنتها مع ما كان موفرا لاس خلدون . فقد استعمل «بوسى» مثلاً فى ماديها بحثه بواريج أمم وشعوب كثره صفها الى حصارات أو مجتمعات عددها سب وعشرون حصاره من حصارات الشر وكان الفصل فى ممر . انقسم الاعظم من هذه الحصارات يرجع الى السباب الأبريه التى بدأها العلماء منذ القرن الماصى أى يرجع الفصل بعبير آخر الى التاريخ المدم .

٣ - مصادر التاريخ المدم

ماديها التاريخ بوجه عام ، والتاريخ المدم بوجه خاص مسمد من كل ما خلقه الاسان . وهذا كثر مسوع اد شمل جميع آثار الماضى وقامه

مما يساعدنا على فهم ذلك، الماصي لوصح الحاضر وفهمه . وقبل ان يهتدى
الإنسان في العراق ومصر الى احتراف الكتابة ، تقصر مصادرنا على آثار
الإنسان المادية ، وهي التي حلفها لنا في المواضع التي حل وسكن فيها
آدواؤه المصنوعة من الحجارة والحشب ، وبيوته وحلاه والقبوش والبصاوير
التي يمشيها في سموف الكهوف التي عاش فيها في العصور الحجرية القديمة
وكذلك عظامه وعظام الحيوانات التي اصطادها ، وبنايات البناات والمعلومات
الحوالوحيمة مما يتعلق بأحوال المناخ والنسبة التي عاش فيها . وعندما اهتدى
الإنسان الى اسساط الكتابة أصيب مصدر حديد الى الآثار المادية ونسى
ذلك السجلات والوثائق المدونة كسجلات الملوك والأمراء التي حلفها لنا
العراقيون والمصريون الآفامون وكذلك المعاملات وشؤون الحياة المحلصة
التي دونها الناس على أنواع الطين والحجر وورق الردي وعلى الجلود
والمعادن . وقد حاءنا من هذه الوثائق بمادح كثيرة من محلف اليهود .
وأكثر المصادر المادية في العصور الأرخية وتنوع فشملت فن العمارة
كالبناء العامة من قصور ومعاد وبوت وكذلك الآثار الفنية كالمسحوتات
والصور الى ما هنالك من آثار الفن التي يحددها المنصون في مدن العراق
المدنية اندازية وعيره من افطار الشرق الادبي .

ولكن لم استطع الباحثون أن يقفوا على هذه الآثار والعايا يسر
وهو انه . كما . دادر الى الدهن ، لأن جمعها تقرسا كان مطمورا تحت
الراب في السلي النلول والاطلال الكثر، التي شاهدها الآن منه في جميع
أحاء العراق والتي آات مدنا اردهرت في الازمان الخوالي ، وفي باطن
الكهوف ووديان الانهار في حالة العصور الحجرية القديمة . وقد بطلب
استخراج هذه الآثار جهودا مادية وعلمية كبيرة . وتطلب فهمها ودرسها
جهودا علمية أخرى . وصارت كيفية استخراج الآثار بالطرق العلمية
علما خاصا هو السقيب توفر على الاختصاص به جماعة مخصوصة من
العلماء .

٤ - التنقيبات

وادن فالسقيات هي البحث عن مادة التآريخ الاولى أى عن أصوله ومصادره وهذه هي أولى وحائب المؤرخ الباحث اذ كما قلنا سابقا «لا تأريخ بلا وثائق» . والسقيات من الامور الحديثة فى تأريخ الحضارة الراهمة حيث بدأت اول أطوارها منذ منتصف القرن التاسع عشر . والواقع من الامر اما لم يكن لعرف شيئا بعد به عن مديات العراق القديم ومديات الشرق بوجه عام قبل نحو قرن من الزمان ، وكان حل ما نعرفه بها وأحارا موحرة ورد بعضها فى الكتب المقدسة ، مثل البوراة وأحارا يسيرة من بعض مؤرخى الاعربي والرومان أمثال هيرودوتس وريفيون وبطلسموس ولسى الرومانيون وغيرهم . وذلك لأنه بعد أن تدهورت حضارة العراق القديم فى أواخر أيامها قصب عليها أقوام أخرى كانت تعيش فى أطرافها ودمرت مدينتها العامرة واندس بعضها مثل بابل وغيرها واندثرت مآثرها وكتاباتنا وحلاصة القول آل المدن والمسوطات القديمة الى الانقاض المحترقة الى شاهدها الآن مشرقة فى جميع أنحاء العراق ، وكاد لا يحلو منها بقعة مما يشير الى اردهار العمران واتساعه . وانطمرت معارف القوم ومآثرهم تحب هذه الاطلال ، وعفى عليها وعلى أهلها الزمان فلم يبق منها الا صدى فى ذاكرة الاجيال .

وطل الامر كذاك حتى منتصف القرن الماصى (القرن التاسع عشر) حيث ولد منذ ذلك الحين علم السقيى عن الماصى والمعروف على آثاره ، أى الحفر فى الاطلال القديمة لاسحراج ما فيها من آثار ، هي مادة التآريخ الاولى ولا شك فى ان هذا العلم كان فى بدايته فى طور الطفولة . وقد بدأ السقيى فى العراق فى العواصم الآشورية القديمة قرب الموصل مثل بمرود وسوى وحرساد الا انه سبق مرحلة السقيى الفعلى طور يصح أن ندعوه بطور الاسكشاف والرحلات تعرف فى خلاله الرحالة الاوربيون على بلدان الشرق الادبى وسكانها ولعل أول رحلة أوربى جاء الى الشرق الى

العراق «سيامين» الاله لسي الطيلي في القرن الثاني عشر للميلاد فوصف بعض مدن الشرق الادنى وأهلها وعاداتهم وصفا موجزا ، وجاء من بعده عدد من الرواد والساح شعفوا آثار الشرق ومنايه القديمة . ونقل بعضهم الى بادانهم بمادح من آثار العراق القديمة ، بعضها مفوش بالحط المسماري ، فاردت رغبة القوم في معرفة الشرق دى الماصى المحدث . ولا سيما ان كثيرا من مدنه القديمة داب علاقة ومى بأحجار العهد القديم (الوراة) وبالديانة العرامة والمسححة . فبدأ العربون بالدهيب الفعلى في أطلال العراق منذ منتصف القرن التاسع عشر . وقد احصرهم المقنن الاوائل في جمع الآثار الكثيره النازره كالماسل ونحوها وتساقب الدول الغربية وتنافست في الشار . وابدأ السقب نهضة شش صاعب بسسه دلائل تاريخية مهمه ، ولكن الرمن والممارسه وبعدم النحوث ، وحل الحطوط المسماريه ، الى عمل على بطور طرق السقب وتقدمها ، فأصبح الآن علما خاصا له منهجه وأساليه ويوفر على الاحصاص به جماعة من الباحثين وصار يدعى في مباحث الجامعات في أوربة وأمريكا .

ميجز بطور المنقبسات :-

ولعله من المفيد لمعرفة هذه الاساليب الى تم بها أحياء ماضى العراق والسرق أن يقسم الاطوار الى مر فيها السقب الى ثلاث مراحل :-

فأول هذه الاطوار ، وقد سقى أن ذكرنا عنه شئنا . بحور أن سميته بمرحلة الحمر والشش لاستخراج الآثار الكيرة بدون الالقات الى طرق السقب الصحيحة والعناية بالآثار الدقيقة . ولم بهم المقنن الاوائل بضبط طبقات الساء المشيدة بعضها فوق اقاص البعض الآخر والادوار المخلقة الى تسجرح منها الآثار لمعرفة رمها السسى ، وأهملوا تخطيط المانى بل أزالوا أنية نرمنها لاهم لم يكونوا يميرون الحدراى المسية باللن من الاقاض والراب المظموه . فيها ولم يعرفوا كذلك أصول حفظ الآثار

الدقيقة واستخراجها سالمة . فكان همهم محصورا بالدرجة الاولى فى استخراج المنايل والالواح الحجرية المنحوتة ونقلها الى المتاحف الشهيرة فى أوربه . واشتدت الحملة فى هذا العهد على مدن العراق الشمالية مثل نيسوى وحرساد ورمروء . وكان أغلب المقيمين من قناصل الدول الاجبية والممثلين السياسيين . وكانت حصص المسحف البريطانى عظيمه جدا . وحرص الفرنسيون والامسا والامريكيون كذلك فى المدن الجنوبية مثل «لجش» و «بابل» و «نهر» .

وعندما قارب القرن التاسع عشر من الاسهاء بدأت المرحلة الثانية من أطوار السقب ، ولسمها طور السقبات المتظمة وابتدأ هذا العهد بتقنيات الالمان فى بابل (١٨٩٩-١٩١٧) وفى «آنتور» (١٩٠٤-١٩١٤) والتقيسات الامريكة فى نهر (١٨٨٨-١٩٠٦) . وأكثر ما يمتاز به هذا الطور ان السقبات فيه لم تقتصر على مجرد استخراج الآثار بل اعتنى المقنون بسجل طعامها السائبة أى أدوارها الأبرجحة . وكذلك أخذوا تحطيط المائى واعينوا باستخراج الآثار . واقتضى ذلك توزيع أعمال الحفر بين دوى الاحصاص ، وأصبحت بعثات السقب تتألف من أكثر من محص واحد . منهم قارئ الخطوط المسمارية والمهندس المعمارى والمصور والرسام والمسجل والمؤرخ . وفضل ذلك صرنا نعرف ما يماز به كل عصر من عصور العراق الأبرجحة ، وعرفوا أشياء نمته عن فن العمارة وحطط المدن والمعابد والقصور والدور مما أعفله المقنون الاوائل . ولكن نمت السقبات فى هذا الطور مقتصرة على المدن الكبيرة والعواصم وعلى الادوار الأبرجحة المأخرة .

وبوسعا أن نضع حاتمة هذا الطور فى انتهاء الحرب العالمية الاولى حيث ابدأ من بعدها الطور الثالث الذى أمتعت فيه أعمال السقب واسطمت أسالسا وطرقها أكثر من ذى قبل ، وشملت عدا المدن الكبيرة مواضع قديمة أخرى توصح الادوار القديمة فى نأريخ العراق ولا سيما عصور ما قبل

النأريخ والمراحل الاولى الى سقت شوء الحضارة الراقية في العراق وكان من سائج ذلك أن أصبحا الآن نعرف أقدم العصور التاريخية وفجر الحضارة واسطعنا أن تسع أصول العمران الى جذوره الاولى وتسج من تنقيات هذا الطور الآثار الفيسة التي وحت في أور ، ولا سيما من مقبرة الملوك والامراء فيها ، وهي الآن برين ثلاثة ماحف من متاحف العالم المشهورة ، وهي الماحف العراقي والماحف البريطاني ومتحف جامعة بسلامة في أمريكا . وكان هذا الدور بوجه خاص أحمل عهود النقيات بمعرفة الحضارة السومرية وشوئها في العراق وعهد نضجها في الالف الثالث و = م = . وهي الحضارة التي تعد أقدم الحضارات البشرية وأول حضارة أصله لم تشق من حضارة سابقة لها . وانما نمت من الاطوار الدائية في عصور ما قبل التأريخ في العراق مما سيمر بحثه في الفصول الآتية .

وقد ساهم العراق الحديث في هذا الطور بالمجهودات العلمية الاثرية . فالى اشراف مدرسه الآثار فيه على هئات النقيات الاحسة وسن القوايين لحفظ رات اللد ، قامت هذه المدرية بنفسها منذ عام ١٩٣٦ في السقي في مواضع قدسة مهمة اسلامية وبابلية ، وفي مواضع يرجع عهدها الى عصور ما قبل النأريخ ، فسج عن أعمالها صورة مفصلة عن حضارة العراق منذ أول نشوئها الى آخر عهودها ومما يقر به ان مجهودات العراق العلمي هذه قد نال ثناء العلماء الاحات واستحسانهم^(١) .

٥ - ضبط ادوار النأريخ القديم

لقد مر بنا في الكلام على مصادر النأريخ القديم والسميات الاثرية اننا أصبحنا نعرف من هذه النقيات الحضارات التي نشأت في العراق القدم ،

(١) حول السعباب في العراق وايجاز نائجها انظر المرجع الحديث

الآتي -

وأطوار هذه الحضارات وذلك بدرس ما خلفه لنا سكان العراق ومصر
 الأقدمون من وثائق مدونة عرفنا بحماهم السياسية والاجتماعية وأسماء
 سلال ملوكهم وعلومهم ومعارفهم وكذلك بدرس الآثار المادية التي تمثل
 حياتهم الفنية وأساليب عيشهم والآلات والأدوات التي استخدموها واستعملوها
 للسيطرة على بيئتهم الطبيعية وسحيرها واستثمار خيراتها ، إلى ما هاتك من
 الآثار المحلفة التي يعيها على معرفة النواحي الموسعة . ولكن إذا كان
 بإمكاننا بعد عدم أساليب السيف وطرق البحث في الآثار المسحرفة من
 تلك السيفيات ولا سيما بعد انقراض الخطوط واللغات القديمة التي دون بها
 الأقدمون تواريحهم وعلومهم ومعارفهم - نقول إذا كان بإمكاننا أن نصف على
 كل ذلك فكيف استطعنا أن نوضح هذه الحضارات ونصطاد أدوارها
 وسهوها ؟ وأنت عرفنا مثلا أن السلاسل الفلانية أو الملك الفلاني قد حكم
 في سنة معينة قبل الميلاد ؟ ومحمل الأموال كيف استطاع العلماء من ضبط
 أدوار التاريخ القديم بالنسبة إلى عهد ثابت محدد في تاريخ الحوادث مثل ميلاد
 المسيح أو الهجره السوية مثلا ؟ وهو ما يصطلح عليه بالقوم أي بقوم
 الحوادث وسلسلتها وتاريخها بالنسبة إلى عهد ثابت

وإذا تأملنا الإحاطة على هذا الموضوع فإننا نواجه في مطلب التفصيل
 والتدقيق في موضوع في معقد فاما سيجادل بسط هذا الأمر واستحار
 الجواب عنه . فقول أن معرفة عهود التاريخ القديم وتسلسلها الرمي
 بعضها بالنسبة إلى بعض ذلك منها الآثار التي وجدت في مواقع العراق
 ومصر القديمة ، إذا ما تابع أساليب السيف العلمي أمكن تمييز الأدوار
 التاريخية وتسلسلها الزمنية بوجه مرتب من التسلسل . فاما وحدها مثلا أن
 آثار دور تحت آثار دور آخر من حيث وحدانها في باطن اللول فبعض أن
 الدور الأسفل أقدم ربما من الثاني . ثم أن أدوار التاريخ المحلفة تميز
 بعضها عن بعض بآثاره فبونها وأشكال آلاتها وأدواتها وأوابها الفخارية
 وأشكال الخطوط المسجلة فيها ، مما سهل على العلماء تمييز كل دور بمحرد

الحصول على بضعة آثار مميزة منه . والقاعدة في مواضع السكنى في قرى العراق القديمة ومدنه ان الساس كانوا يعيشون في الموضع الواحد عدة أحيال ، وسواء كانت دور السكنى مبنية بالطين أو اللبن أو الآخر ، فانها تنهار بمرور الارمان بعد استنفاد ترميمها في أوقات محزنة، وعند ذلك تبنى بيوت جديدة فوق بيوت حدران البيوت القديمة بعد تسويتها ، وهكذا بمرور الارمان يرفع مواضع السكنى وتكون تلا اصطاعيا يمثل عدة أدوار من سكنى متعاقبة . وأحس مثال على ذلك قلعة كركوك القديمة التى هى فى الواقع تل اصطاعى شأ من تراكم طبقات أدوار السكنى لعله منذ مئتي ألف الثالث و . م . الى الزمن الحاضر حيث بيوت السكنى الحديثة وتحتها مباشرة أسس وحدران بيوت من العهد التركى وهكذا ، وكذلك شاهده الحال بصفه فى قلعه أربل القديمة . والقاعدة ان موضع السكنى اذا ارتفع ارتفاعا كبيرا تركه السكان واخاروا موضعا غيره لئلا بيوتهم . وهناك عوامل أخرى لهجران مواضع السكنى منها تعبير موارد المياه أو الطرق التجارية المارة بها (مثل تدمير وسراء والحضر) أو الحروب والغزوات المدمرة . وعلى هذا الوجه شأن الاطلال المشرى الآتى جميع أنحاء العراق . والمقنن المحققون حين يحفرون فى مثل هذه الاطلال انما شرحون هذه اللول فيكشفون عن طبقات الموضع وأدواره اسداء من قمة الل ، فيريجون السار عن أدوار الموضع بصفحة فصفحة وفصلا فصلا حتى يصلوا الى أعماق طبقاته حيث تشمل أول دور للسكنى تقوم فوق الارض الخالية الكر .

(Frankfort in Town Planning Review, XXI (1950), 100 ff)

وهناك عدة مواضع مهمة فى العراق مثل الوركاء وسمر وغيرهما ، استطاع المقنن أن يكشفوا فيها عن أدوار تأريخ العراق منذ العهود الإسلامية المأخرة الكاثية فى أعلى نقاط الل ثم تليها الى الأسفل الادوار الأخرى كالعهد الساسانى والعربى والعهد البابلى المأخر وهكذا بالتسلسل الى أقدم عصور ما قبل التاريخ فى الجنوب ، وهو طور العبيد .

والقاعدة ان كل دور حضارى أو تأريخى يمثل فى الموضع بعد طلاقات أو أدوار من السكى (أو كما سسمى بأدوار نائية) (building level) والى هذا كله فان انقدماء أنفسهم ، المؤرحدون مهمم ، قد كسوا فى تأريخ أرمانيهم ، ودوبوا السلالات الحاكمة وملوكها وعدد السنين التى حكموها وأسماء المدن التى حكموا فيها . وخلفوا لنا من ذلك انانا (حداول) بأسماء سلالات الملوك وعلاقاتها الرمية بعضها بعض ودوبوا كذلك طرفا من تواريحهم وحوادث عصورهم الماضية . مما حطنا بلم بأسماء سلالات الملوك وعدد السنين التى حكموها وكذلك الايمان السسة لهذه السلالات . ولكن بقى علينا أن نحد بقطه ثابة من هذه العهود بيسها بالسسة الى عهد تام كميلاد المسيح .

ولحسن الحظ لدينا بعض هذه النقاط اثابة الى مكسا من أن تـؤـرح أدوار التـأريخ القديم بالسسة الى عهد الميلاد . فمن ذلك حادة دآرها حامعو حداول الملوك الآشوريين . وهى كسوف الشمس الذى حدث فى عهد الملك الآشورى «آشوردان الثالث» وقد بين بالحساب الهلكى الدقيق ان ذلك حدث فى ١٥ حريران عام ٧٦٣ ق . م . وبلاستعانة بهذه البقطه الثابة أمكن حساب تواريح الملوك الدس حكموا قبله والدين حكموا بعده بحيث استطعنا أن نعين ملوك الآشوريين وأرمانيهم الى عهد الملك «شمسى-داد» الاول . وبما ان هذا الملك كان معاصرا الملك انابلى حمورابى فسطيع بالحساب أن نعين أرماني ملوك السلالة البابلية الاولى وكذلك السلالات البابلية الاخرى الى حكم فلها وبعدها . ومن الكتابات التـأريخية الى حلفها الكسة الاقدمون نوع من حداول الملوك تذكر فى حاب الملوك البابليين ومن الحاب الثانى من كان معاصرهم من الملوك الآشوريين وبذلك أمكن بسط بعض العهود البابلية بالسسة الى الملوك الآشوريين المعروفه عهودهم . وكذلك اسعان الناحتون بالمعاصر الرسمى بين ملوك مصر فى بعض العهود (فى العهد المسمى بعهد «العمارة» من القرن الرابع عشر ق . م) من بسط أرماني ملوك

آخرين • واسعى كذلك مؤحرا من الاكتشافات الكيافية التي وجدت حديثا في «ماري» • ومن معاصر بعض ملوكهم مع حمورابي ومع بعض الملوك الآشوريين • ومن الحسابات الفلكية التي استعان بها العلماء في حساب أدوار تاريخ العراق القديم رصد لكوكب الزهرة ورد اليها من زمن سلالة بابل الاولى (سلالة حمورابي) إذ أمكن تحديد أزمان ملوك هذه السلالة بعد الحساب الفلكي الدقيق • ومن الجهة الأخرى بوسعنا أن نحسب من آخر العهود النابله من زمن معلوم مثل عهد الاسكندر في العراق • ثم منه نستخرج تواريخ الملوك النابلهين المتأخرين بالنسبة الى ملوك الفرس الاحمبسين خلافة دارا الثالث بالاسكندر وعلاقه ملكهم كورش بقصائه على آخر ملك من ملوك الدولة الكلدانية • وقد مكنا اثبات الملوك التي وجدت في خورساد من حساب تاريخ الملوك الآشوريين الى عهد الملك الآشوري المسمى «شمسي أدده» الاول الذي قلنا انه كان معاصر حمورابي انما الى ومن ذلك استدلنا أن تؤرخ العهود النابله من ذلك القوم الآشوري^(١) •

ومحمل القول انه باستثناء بعض الضراب سب فقدان أسماء بعض الملوك من جداول الملوك • أمكنا أن نرى بوجه الصط هربا تاريخ كل ملك وكل سلالة الى أول العصور التاريخية في بدايه الألف الثالث • أما عصور ما قبل التاريخ فقد فررت أطوال أزمانها بالسنين بصور هربه •

(١) ومع ذلك فلا نزال الباحثون غير مجمعين على السنين المخصصة للسلالات ولا سيما سلالة بابل الاولى وعهد حمورابي ، وهو عهد يعتبر أساس تاريخ القوم في العراق القديم • ومما يقال بوجه الاحمال ان الباحثين على اختلافهم أوسكوا أن يعاربوا التاريخ الصحيح ويميل معظمهم الى خفض السنين العاليه التي كان تخصصها الباحثون القدماء فمثلا خفض تاريخ حمورابي الى ١٧٢٨-١٦٨٦ ق م ، ولكن باحثين محددين آخرين يخصصون تاريخا أعلى الى حمورابي •

أنظر أحدث البحوث في مساله تاريخ أدوار العراق في المرحع الآتي -

Toynbee, A Study of History, Vol X (1954)

ولكنها لا تعد عن الحقيفة كثيرا فالاسناد الى عدد أدوار السكى أو ما
بصطلح علمه بالعلماء الأثرية التى تحوى كل طور من أطوار ما قبل
التأريخ وأطوار العصور الأثرية أيضا على عدد من هذه الطبقات يحلف
عدها وثبها باختلاف هذه الأطوار واختلاف مواد البناء المستعملة .

وسمى العلماء فى صسط أرمان أدوار ما قبل التأريخ الأولى ولا سيما
العصور الحجرية والعصور الحجرية المعدنية بطرق الجولوجيا من معرفة عمر
الصخور وطبقاتها الموحودة فى الكهوف الى أسوطها الاسار، وكذلك من
درس بقايا عظام الحيوانات التى عثر عليها فى تلك الطبقات . واسسط
الناحتون فى الدرء حديثا طريقة لسط أدوار التأريخ القديم بتحليل المواد
العصوية الكربونية بأسلوب فقدانها اشعاعها ، مما عرفت : 14 - ولا تزال
هذه الطريقة تحت التجربة والبحث (انظر المراجع ٠) .

وفىما يأتى الأدوار الأساسية فى تأريخ العراق ووسط أرمانها
بالسنة الى ميلاد المسيح ، وسجد أسماء الأدوار فى تأريخ مصر فى القسم
الخاص بمصر .

(١) العصور الحجرية القديمة ٥٠٠٠ - ٢٥٠٠٠ قبل الآن

(٢) العصر الحجرى المتأخر ١٠٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق م .

(٣) العصور الحجرية - المعدسة أو

عصور ما قبل السلالات ، أو ٦٠٠٠ - ٣٠٠٠ .
فجر الحضارة

(٤) عصور فجر السلالات ٣٠٠٠ - ٢٣٥٠

(٥) عهد «سومر واك» ٢٣٥٠ - ٢٠٠٠

أ - السلالة الأكادية ٢٣٥٠ - ٢١٨٠

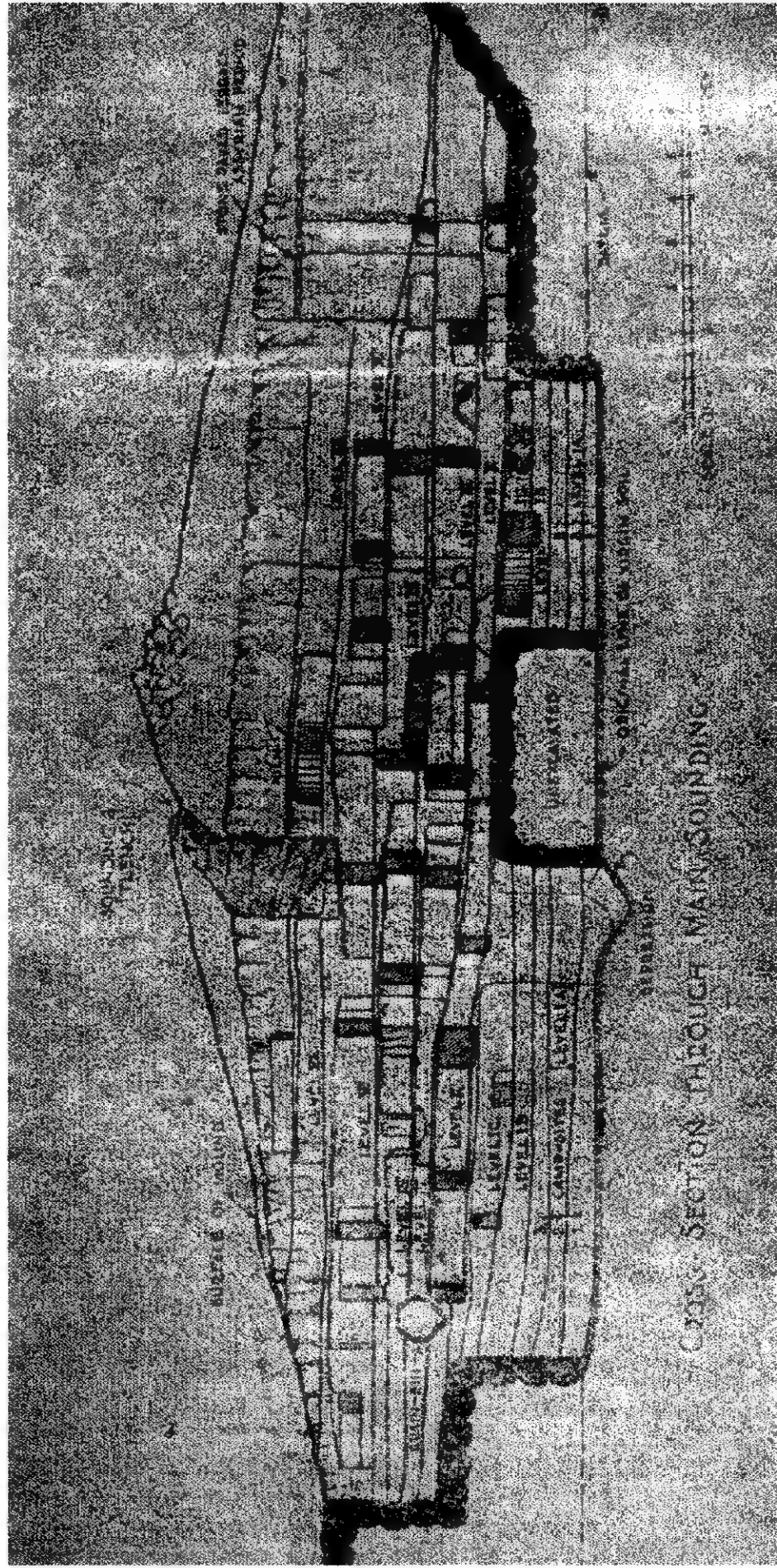
ب - العهد الكوتى وسلالة الخش الحيرة ٢١٨٠ - ٢٠٨٠

ج - سلالة أور الثالثة ٢٠٨٠ - ١٩٩٨

| | | |
|-----------------------------------|-----------------|--------------------------------------|
| ١٩٩٨ | ١٦٠٠ - ١٦٠٠ ق م | (٦) العهد البابلي القديم |
| ١٩٩٨ | ١٧٧٣ - | أ - سلالة اسس |
| ١٩٩٨ | ١٧٣٨ - | ب - سلالة لارسه |
| ١٨٨٠ | ١٥٨٠ - | ج - سلالة بابل الاولى |
| ١٧٢٨ | ١٦٨٦ - | (- وراش) |
| ١٦٠٠ | ١١٠٠ - | (٧) العهد الكشي (سلالة بابل الثالثه) |
| ١١٠٠ | ٧٠٠ - | (٨) العهد البابلي الوسطى |
| ٧٠٠ | ٥٣٨ - | (٩) العهد البابلي المأخر |
| (الدويه الكلاسيك ٦٢٦ - ٥٣٨ ق م ٠) | | |
| ٥٣٨ ق م - ٦٣٦ ب م | | (١٠) العهود الاحمسيه في العراق |
| ٥٣٨ - ٣٣٠ ق م | | أ - الفرس الاحمسيون |
| ٣٣١ - ١٢٩ | | ب - الاسكندر والعهد السلوقي |
| ٢٤٧ ق م - ٢٢٦ ب م | | ج - الفرس المرتشون |
| ٢٢٦ - ٦٣٧ | | د - الفرس الساسانيون |

الاشوريون

| | |
|---|-----------------|
| (١) تواريخ عصور ما قبل التاريخ كما مر في الحدود الاول | |
| (٢) العهد الاشوري القديم | |
| أ - القسم الاول منه شمل أطوار ما قبل التاريخ الى نهايه سلالة أورالثالثه | |
| ب - القسم الثاني - شواء المسفكه الاشوريه | ٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق م |
| (٣) العهد الاسوري الوسطى | ١٦٠٠ - ٩١١ |
| (٤) العهد الاشوري الحديث | ٩١١ - ٦١٢ |
| أ - الامراطوريه الاسوريه الاولى | ٩١١ - ٧٤٥ |
| ب - الامراطوريه الاشوريه الثانيه | ٧٤٥ - ٦١٢ |
| ج - سقوط سوى | ٦١٢ |



رہ ہیں سالیب المصنوب احصیہ الحدیث ، حسب رسم مقطع توصف السف من الطمب البائنة المحصہ من سطح الیل الی اول دور
 سبطان البشر فیہ (تل حصوہ ، عن مدیریۃ الآثار العرفیہ) .

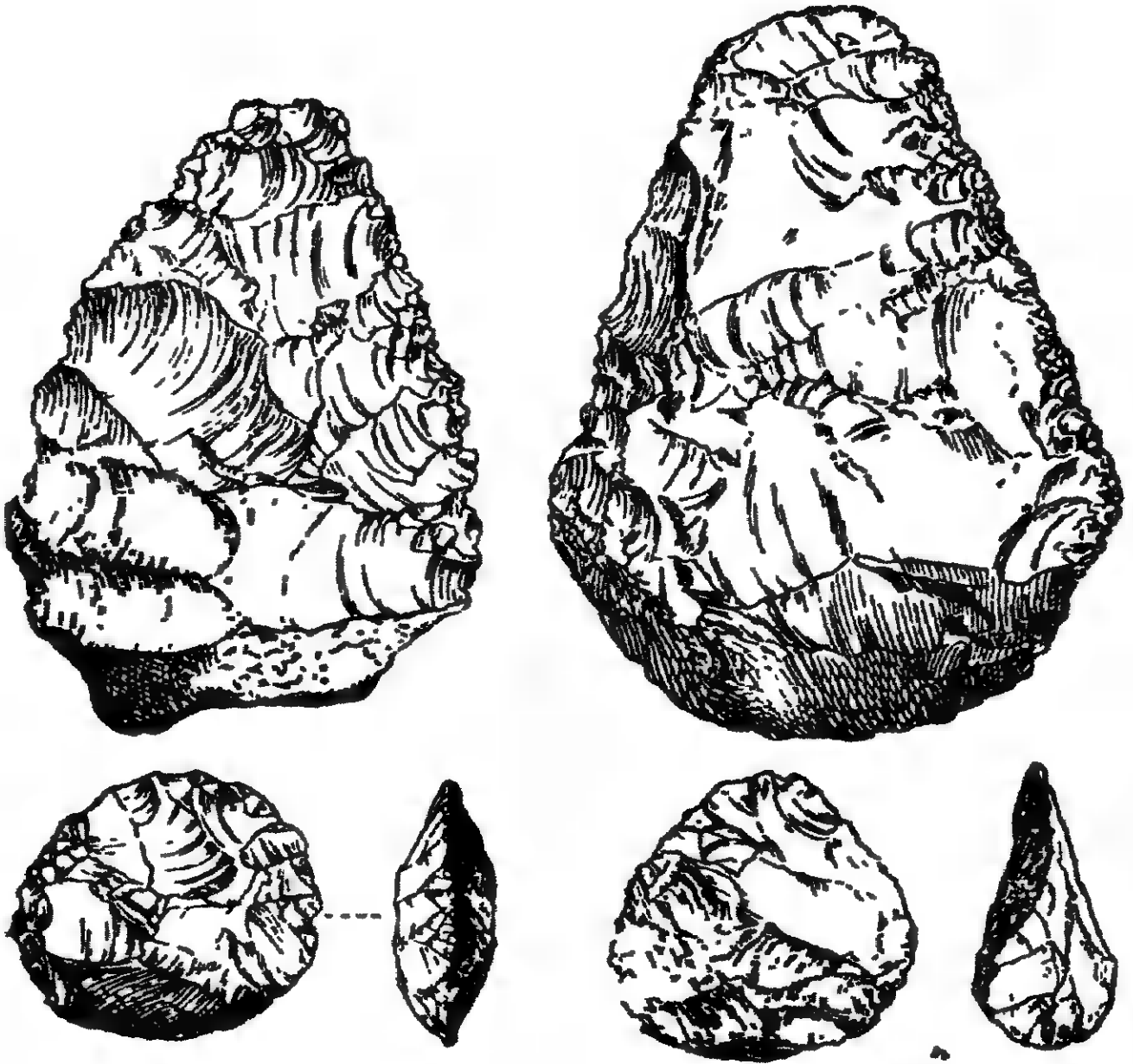
الفصل الثانى

أقدم عصور ما قبل التاريخ

العصور الحجرية

أقد سبق أن نوهنا بالمقصود من عصور ما قبل التاريخ ، إذ قلنا إنها العصور التى سبقت شوء الكنبه . وقالا ان هذه العصور قد شملت الجراء الأعظم من حياه الاسنان ، إذ ان العصور الحجرية القديمة وحدها شملت زهاء الـ ٩٨ ٠/٠ من حياه البشر . فى حين ان عمر الحصاره الناصجة ٧ سحاوور الـ ٥٠٠٠ أو ٦٠٠ عام . وشملت عصور ما قبل التاريخ أكثر من ٩٩ ٠/٠ من حياه البشر ، ومع ذلك وان ما يكشفه لنا الباحثون عن حياه البشر فى تلك العصور ونوحه خاص من العصور الحجرية ان هوحراء ضئيل النسبة الى أقصر دور من العصور الأريخية ، والسبب فى ذلك ان ما بقى من عصور ما قبل التاريخ شئ ضئيل من أدوات الحجر وانه وليد صدفة الأكتشاف على الأكثر .

وقد سمينا أقدم أزمان ما قبل التاريخ بالعصور الحجرية ، ذلك لان الأول ان أقصر منها فى . مع أدواته على الحجارة بالدرجة الأولى واستعمل العظام ولكنه لم يعرف المعادن . وقد أمكن تقسيم العصور الحجرية الى طورين سمر كل منهما بأساليب خاصه من العيش وكذلك نوع الآلات والأدوات التى استعملها الاسنان فى كل منهما . ويدعى أقدم هذين الطورين بالعصر الحجرى المدم (Palaeolithic) والثانى بالعصر الحجرى الحديث (Neolithic) . وقد كان الانسان فى القديم منهما يعتمد فى



نماذج من آلات الصوان التي صنعها الإنسان
في العصر الحجري القديم

عيشه على جمع فوه ولم سحبه يده = اذ لم يتعلم الزراعة ولا عرف تدجين
الحيوان . فكان يعيش على الاعشاب والحشائش البرية ويسخر جذور
النبات ويحشى أنمارها ويصطاد الحيوان مآلاته الساذجة البليدة = ولذلك
يصح أن نطلق على هذا الطور من العصور الحجرية اسم «طور جمع القوت»
(Food Gathering Stage) أما في العصر الحجري الحديث فقد تبدلت
حياة الإنسان الاقتصادية تدلاً حوهرياً إذ أنه تعلم الزراعة ودجن الحيوانات
وشيد أولى المساكن الدائرية وصنع أواني الفخار وأحرق القوس والسهم =
وبعد هذه الأشياء في الواقع انقلاباً حقيقياً في حياة الإنسان مهد له السبيل
للاسهال إلى طور الحضارة الناصحة = وملخص القول أن الإنسان انتقل من
طور جمع القوت السابق إلى طور إنتاج القوت يده ولذلك فيسمى العصر
الحجري المتأخر بـ «إنتاج القوت» (Food Producing Stage)
وقد قدر بداية هذا العصر بحوالي ١٠.٠٠٠ ق . م . وقد بدأ
في الشرق الأدنى ولا سيما في العراق وفي مصر قبل غمره من بقاع
الأرض =

دام العصر الحجري القديم كما ذكرنا دهوراً طويلة = ولعله بدأ قبل
حوالي ٢٠٠.٠٠٠ سنة = وقد قسم هذه الأزمان الطويلة إلى
أدوار وعصور سمير بنوع الآلات والأدوات الحجرية التي صنعها الإنسان =
ومما يقال في هذا الصدد بوجه الاحتمال أن آلات الإنسان بدأت ساذجة
محدودة النوع = ولا شك في أن دور استعمال الآلات المصنوعة قد سبق
بدور طويل استعمال فيه الإنسان الأحجار الطبيعية والعصى وغير ذلك =
وأحدث الآلات الساذجة التي صنعها الإنسان تحسناً وتنوعاً بمرور
الأزمان = وفي زمن ما من العصر الحجري القديم أهدى الإنسان إلى
اكتشاف النار واستعمالها ثم كسبها أصراً بوسائل صناعية = وقد أفاده ذلك
مواتد حلي في تدفئه وطبخ طعامه وحمايته من الحيوانات الضارية التي
تأذيها = ساعدته كذلك في إنشاء الحياة الاجتماعية إذ كان

يجمع حولها بهيئة جماعات أو عائلات ولا شك في ان ذلك قد حس من
لغة السسطة^(١) .

وكانت حياة الانسان في العصر الحجري القديم شاقة صعبة وقد كافح
كفاحا شديدا من أجل البقاء فالى شبه الطبيعية الفاسية كانت تهدد حياته
الحيوانات الوحشية الضاربة . وكان الانسان يدو في هذه البيئة صعبا أعزل
ولكنه كان مرودا بمالاب حسيه جعلت له سد الحلائق . أبررها دماغه
المحب وفدريه على الكلام ويداه الماهرتان وقابلية اصمام الانهام الى أصابع
اليده واصصاب قامه ورؤيه المحسمة وانعدام وسائل الدفاع الطبيعية والصانة المطلوبة
بصغاره الى أول ما علمه أن يكون اجتماعا يعيش ويتعاون مع غيره . وكل

(١) ظهرت هذه آراء لتفسير نشوء لغة الانسان التي كانت قدمه كقدمه
بجلاف الكناية . ولعل الفرصة الآتية اقربها الى الواقع . من الممكن ارجاع
مفردات اللغة السسرية الى ثلاثة أصول بعنده . أولا محاكاة الاصوات
الطبيعية (Onomatopoeia) ثانيا - أصوات مصحوبة بالاشارة أو اشارات
مصحوبة بالاصوات (Gesture and Sound) ويهدس الاسلوبيس
نسب المفردات المادية (Concrete) . ثانيا - أما المعاني والمفردات المحردة
فيمكن ارجاع اصلها البعده الى المفردات المادية . أى انها مسبعة في الاصل
من هذه . فمثلا . ان الكلمة الانسية للامل (Spece) ذات علاقة استيعافية
بكلمة (Space) المادية وكلمة (Anima) النفس من السسكريبية
(Aniti) (نفس) و (Anias) (ريح) . ومثل كلمة النفس والروح في
العربية . من النفس (أى الهواء والنفس) والريح . وكلمة اشراج واصناف
مثلا من اشراج الصدر واصنافه وهكذا .

وقد سنال البعض كيف ظهرت هذه اللغات السسرية المتنوعة . وهل
كانت لغة واحدة دهرعت الى هذه لغات ؟ او ان لغات السس ظهرت منذ البد
مجماعة ؟ ومع انه لا سبيل للحرم باحدى الفرضين الا ان نأخذ من عرفائنا
نرون انه سنأب هذه لغات محيطة سنأب عند الجماعات السسرية الاولى
المعزلة المتعزلة بعضها عن بعض منذ ظهور اللغة عند الانسان في العصر
الحجري القديم، ومما يؤيد هذا الرأي اختلاف لغات السس الآن ووجود ما يسمى
بالعائلات اللغوية وكثيرها كثره مستقصية من جماعات البشر المتأخرين .
فمثلا وجد ان سكان أوستراليه الاصليين يتكلمون بما لا يقل عن خمسمائة
لغة محيطة ، وقدر عدد العائلات اللغوية من الهنود الحمر الساكنين في
كلفورنيا فقط نحو ٣١ عائلة لغوية ونحو ١٣٥ لهجة .

هذه القابليات جعلت من الانسان الكائن الوحيد الذى يعرف صنع الآلات .
ولعل قدرته على صنع الآلة أهم خاصية تميزه عن الحيوان . اذ تمكن
«الاسان صانع الآلات» أن يتعلب بآلاته وعدته (أى حضارته) على بيئته
الطبيعية ويسجرها له . فى حين انه لا توجد واسطة بين الحيوان وبين بيئته
سوى أعضاء جسمه . ولذلك أطلق على الآلات والادوات «أعضاء الانسان
الاصافة» .

العصور الجليدية :-

ومما راد فى صعوبة العيش فى العصور الحجرية القديمة حدوث
أزمات جليدية قاسية أشد فيها الرد وغطت طبقات الحليد الراححة شمالى
أوربة الى ما بعد حال الالب . فانهزم الاسان الى البقاع الجنوبية من الارض
والجأ الى الكهوف اتقاء الرمهير القاسى . وكان يفصل بين عصر حليدى
وآخر فترة يعدل فيها المناخ ويتراجع الحليد الى الشمال . وكان كلما حل
عصر حليدى فى أوربه وامريكة طهر فى الشرق الادبى وفى افريقية وغيرها
من البقاع الأنسوبة الحبوبية رمن تكثر فيه الامطار والرطوبة وقد سميت
مثل هذه الأزمان بالعصور الممطرة (Pluvial Period) . وقد كثر
الامطار وعمت حتى حريرة العرب ومطقة الصحارى فى افريقية ، مما
مكن الاسان والحيوان من أن يعيشا فيها . أما القترات بين العصور الجليدية
فى أوربة فكان يعاقلها فى أنحاء الشرق الادبى عصور جفاف . ونحن نعيش
الآن فى آخر فتره جليدية .

لقد قسم العصر الحجرى القديم الى أطوار وأدوار^(١) فأولا نقسم

(١) سميت هذه الادوار بالدرجه الاولى بالنسبه الى مواضع فى فرنسا

وحدد فيها تقابله لاول مره وهى :-

١ - السطر الاول من العصر الحجرى القديم (Lower Palaeolithic)

١ - الدور الشبلى (Chellean)

٢ - الدور الاشولى (Acheulean)

٣ - الدور المسيرى (Mousterian)

العصر الحجري القديم الى شطرين كبيرين . ففي الشطر الاول، وهو أقدم جزء من هذا العصر ، كانت آلات الاسنان المصنوعة من حجر الصوان سادجة محدودة الاشكال والانواع وقد استعمل نوعين من صناعة أدوات الحجر أحدهما استعمال لب حجر الصوان (Core) بعد نشيطته وهدمته والنوع الثاني صنع الشطانا دون اللب على هيئة آلات وأدوات محلقة . وقد عاشت في هذا الطور القديم من العصر الحجري القديم أحاس من البشر نادت جميعها ووحدت معها هياكل عظمية في محلف بقاع الارض مثل «حاوة» وفي «البيادر تال» في ألمانيا وفي فلسطين . وتدل صفات هذه الاحاس الحسدية على انها لا تنتمي الى نوع الاسنان الحاصر^(١) بصله وان

ب - الشطر الثاني من العصر الحجري القديم (Upper Palaeolithic)

٤ - الدور الاورغيسي (Aurignacian)

٥ - الدور السلوتري (Solutrean)

٦ - الدور المكدلسي (Magdalenian)

ويسمى هذه الادوار أيضا بأسماء أخرى ، ويسمى الى مواضع أخرى من العالم وحدث فيها آثار العصور الحجرية القديمة .

ومن الاحاس من بعض دورا حجرياً من نهاية العصر القديم وبداية الحجري الحديث . يسميه بالدور الحجري الوسيط (Mesolithic) . وقد وحد ممبلا في بعض جهاب سوربه ولا سيما فلسطين حيث يعرف بالدور البطوفي كما وحدث بعض بماناه في شمالي العراق في موضع يسمى «الي كوره» (محلة «سومر» ١٩٥١)

(١) ويسمى نوع الاسنان الحديث بالاسنان العاقل (Homo Sapiens)

أما الانواع العنيفة التي ظهرت في الشطر الاول من العصر الحجري القديم فهي أحاس أو أنواع خاصة ، وانها من «الانسان» (Homo) وليس من نوع الانسان الحديث وأشهر هذه الانواع الحديثة الانسان المسمى بالكرومايون (Cro-Magnon) . ويرجح البعض ان هذا أصل العرق الانساني أي العرق الفوقاري ومن أنواعه أيضا انسان الكراملدي من جنوبي إيطاليا . وبنيته شبه عظيم بالعرق الاسود ولعله أصل هذا العرق . أما العرق في موضع في «حاو» ما يرجح أن يكون أصل العرق الاوسترالي . أما العرق الاصغر أي العرق المعولي فيرجح أنه ينحدر من انسان يكن الذي ظهر في النصف الاول من العصر الحجري القديم كما ذكرنا (Braidwood, Prehistoric Men)

فيها شها بالفروء • ولداء سمى العلماء الشطر الاول من العصر الحجري المدم عصر الاسان العيق أو الباند^(١) .

فقل نحو نصف مليون عام ، بعد نهاية أول عصر حليدي • ظهرت أنواع من حسن الاسان (Homo) وهي بصع أدوات الحجر ، ولا عرف مندد الاسان الاصلى وهل كان هناك مهد واحد أو عدة أماكن ظهرت فيها أنواع الاسان المبرصة ؟ ولعل الرأى الثانى هو الراجع •

ونذار أشهر هذه الأنواع :-

١ - اسان بكين (Sinanthropus Pekinensis) قل نحو نصف مليون • وقد ودد مع بقايا هذا الاسان أدوات حجر صعبها •
٢ - اسان جاوه (Pithecanthropus erectus) أى «الاسان الوردى المصب» وهو دو حمجمة صغيره حية ، ويقدر طوله نحو ٥ أقدام وسب عقد • وسعة حمجمه بقدر بنحو ٣ سعة حمجمة الاسان الحديث • ولم يذ الباحون مع هذا النوع من الاسان أدوات حتى الآن • وقد ودد نوع • فى قبل الحرب المالمه الماصة وهو دو أسان عرمة بقدر مساحه العصر من بها سب مرات من مساحه الاصراس الحديثة • وقد استنتج بعض العلماء ان هؤلاء البشر كانوا من حسن العمالقة ؟ ! فهل انقرصوا كما انقرص الوحوش الحنولوجية ؟

٣ - اسان بلدون (Piltdown, Eoanthropus) وجدت بقايا من المالمه فى انكلترا ، ولكن هذه مشكوك فيها •

٤ - اسان البادرال (Neanderthal Man) سعى نسبة الى موضع فى المالمه قرب دسلدورف ، وقد ودد منه بمادج كثيرة فى بقاع أخرى من العالم • ويرجع بأرجحه الى العصر الحليدي التاسى (حوالى ٤٥٠٠٠٠ - ١٠٠٠٠٠) •

٥ - ووجدت أنواع أخرى من الاسان سبقت ظهور نوع الانسان الحديث وحامت بعد اسان النياندرمال مثل اسان فلسطين الذي وجد في أحد كهوف حل الكرمل (Braidwood, Prehistoric Men)

ولعل طفل الاسان الذي عثرت عليه مديره الآثار العراقية حديثا في كهف شاندر من هذا النوع ، ولكنه وجد مع آلات وأدوات من الدور المسيري (انظر مجلة سومر ١٩٥١) .

أما في الطور الثاني من العصر الحجري القديم فقد تقدم الانسان في حسمه وعمله وفي الآلات التي صنعها من الحجارة = اد نشأ نوع الاسان الحديث الذي كان أقرب ما يكون الى نوع الاسان الحاصر مل انه حد له = ولذلك سمي العلماء هذا الشطر من العصر الحجري القديم برمن الاسان الحديث^(١) وقد حس هذا الاسان الحديث في صنع آلاته وأصاف الى عدته آلات أخرى صنعها من العظام والخشب كالابر والمثاق ومقاضى القووس . وقد كان هذا الاسان «فنانا» اذ انه تعلم الرسم والنحت وقد وجدت في حدران الكهوف الى التحا إليها صور ورسوم ملونة تعد على مصيب كبير من دقة التعبير والحيوية ، وكان أغلب هذه الصور تمثل الحيوانات الى كان الاسان يصطادها لاكلها لانه كان مدفوعا في فيه بدوافع السحر ، حيث اعتقد انه يرسم الحيوانات على سقف الكهف الذي يعيش فيه تمكن من السيطرة عليها وهي حية . وشأت عد الاسان في هذا العصر بعض الافكار عن الحياة والموت وطهرت أولى بذور الدس على هيئة اعتقادات ورسوم بدائية وممارسة للسحر كما يظهر ذلك في الدافع الذي دفع الاسان على عمل الرسوم والنقوش في داخل الكهوف التي عاش فيها ، وكما يظهر في طرق دفن الموتى . وبمكنا اعتار السحر أول محاولة فاشلة للانسان للسيطرة على الطبيعة بأعمال السحر .



نماذج من النقوش والرسوم التي تركها أسلاف العصر الحجري القديم
(من شطره الثاني) في الكهوف التي عاش فيها

وحدث آثار العصر الحجري القديم بجميع أدواره في بقاع مخرله من العالم لا سيما في نصف الكرة الشرقي . وحدث كذلك في الشرق الأدنى ، في مصر وفي فلسطين وشمالي أفريقيا وفي حريه العرب وفي سورية وحدث نموذج من الاسان العيق أو النائد في فلسطين . وقد وحدث آثار من العصر الحجري القديم في القسم الشمالي من العراق وذلك في كهف قرب السليمانه يسمى كهف «ررري» وأقدم دور فيه الدور الأورعشي وكهف «هرارمرد» . وحدث حدثا آثار من العصر الحجري القديم من نصفه الأول في «مردالمكنا» قرب حسمال ، ولكن آثار العصر الحجري القديم في العراق مثيله بالنسبة إلى أنظار الشرق الأدنى الأخرى . نقلة لاستكشافات والبحوث التي تمت في هذا الموضوع^(١) .

ومع ذلك فقد أظهرت بحريات السنوات الأخيرة إلى قام بها مديرية الآثار العراقية وبعض المعاهد الأمريكية في القسم الشمالي من

(١) لا يمكن أن نجد آثار العصر الحجري القديم في القسم الجنوبي من العراق لأن هذا القسم من القطر كان يعمره الماء حتى العصر الحجري الحديث وكانت هذه الماء على ما يرجح يصل حتى موضع بيت بغداد في العصور الحولوية البعده لعله في العهد المسمى بالملاسوسين . وكان الرافدان العدمان يحد والعراق يحدلان إلىكميات الكبر من الطمي والعرب . وفي حريه الدهر على يكون القسم الجنوبي من العراق . مساعدا . نوري الكرخا . المارون انصا . وان كمنه الارض التي يكون مديونا من انطلي المحلوب . المورين حري معلومه نوحه التأكيد ولكنه سكا ان يحد ذلك من الامارات الماربعه صلا يعرف أن بعض المدن القديمة التي كانت فيما مضى واقع على ساحل البحر هي الآن بعيدة عنه في داخل البر وهذه الاعمارات يحد سفل يكون الناسه نحو ١١٥ قدما في النسه أو نحو النيل ونصف النيل في القرن الواحد . وان أقدم دور يمكن أن نجد المديون في القسم الجنوبي من العراق لا يحدى أواخر الألف الخامس ق . م . أي العهد المسمى بعهد العبد وما قبل ذلك بقليل .

والحديث بالذكر عن طريقه يكون الناسه وبعدها في البحر أن بعض الباحثين الحولوحين من أهل البعث حدثا أحدا يسكون فيها ويحدونها .
(أنظر محله)

العراى مراحل مهمة من تاريخ الاسنان فى العصور الحجرية القديمة والحديثة ايضا . وفى موضع برذا بلكا السالف الذكر (ويبعد نحو ٣ كم شرق حمحمال) ، وحدث بهايا الدور الشيلي وربما الاسولى . وفى كهف يسمى «شادر» وحدث فيه آثارالدورالمسيرى الشيهةبما وحدث فى كهف«هرار مرد» . وحدث فى هذا الدور هيكل طفل لعله فى عامه الثانى فيه شه بالاسان الحديث . كما وحدث فى موضع سسمى «بالي كورا» آثار من نوع أدوات العصر الحجري الوسيط (Mesolithic) (انظر بحثه سومر المجلد ١٩٥١)

وبوسمان أن بوحرا أهم الانقلابات التى حدثت فى تاريخ تطور الاسان فى العصور الحجرية القديمة بانه أولا كان حاصصا الى تطورات بيولوجية عظمى . منها اسفاله من أنواع الاسان العسفة البائدة الى الانواع الحديثة من نوع الاسان العافل وذلك فى النصف الثانى من العصر الحجري القديم وهو النوع الذى أشربا اليه فيما سبق على أنه نوع الانسان الحديث أو انه حده ومن التطورات الخطيرة التى وقعت للاسان شوء اللعة التى ظهرت عند الاسان فى زمن ما من العصور الحجرية القديمة . والامر الثالث فى تقدم شياء الاسان ما سبق ان أشربا اليه من تعلم الاسان صنع الآلات والأدواب . واللعة وصنع الآلات ركان أساسيان من أركان الحضارة البشرية . أما الركن الثالث وهو الكمانه أو الدون فقد تأخر اختراعه الى زمن شوء الحضارة البشرية الاولى فى وادى الرافدين ووادى النيل .

العصر الحجري الحديث

بعد أن طلل الانسان طوال العصر الحجري القديم بعمد فى عيشه على جمع القوب ، أخذ ينهل فى أواخر هذا العصر الى طور جديد من الحياة تبدلت فيه أساليب عيشه تدلا أساسيا باهتدائه الى طور الزراعة وتدجين الحوان وسسمى هذا الطور الجديد بالعصر الحجري الجديد أو طور انتاج

القوت الذى تعلم فيه الانسان اناج قوته بيده بحرث الارض وزرعها بالحبوب البرية التى اعتاد أن يجمعها فى العصر السابق . والذى عليه العلماء الآن ان فن الزراعة وتدجين الحيوان قد بدأ فى الشرق الادنى (ولا سيما فى العراق ومصر) قبل بقاع الارض الاخرى وقد أثر هذا التبدل فى حياة الانسان تأثيرا بالغا ، ومهد له السيل للاتصال الى طور الحضارة الناصحة فبعد أن اتسعت الزراعة استعصى الانسان عن التجول لمطاردة الحيوان وبدأ يعيش حياء مسقرة بهيئة جماعات بالقرب من الحقول . وتحملت عائلات منه فى نفقة واحدة وابست لها مقار ثالثة فشأت القرى ومعها دور الحياة الاجتماعية والمجتمع والعائلة بأسطبطمه الاجتماعية والسياسية . ومما لاشك فيه ساعد هذا الانقلاب الحديد الانسان على تكاثر السكان وتكاثر المسوطنات الشرية ، كما يستان من قلة الشر وصالة مستوطناتهم فى العصور الحجرية القديمة بالمقارنة مع تكاثرها واششارها فى جميع بقاع الارض تقريبا ابتداء من العصر الحجرى الحديث .

وكاتب الزراعة الى تعلمها الانسان فى العصر الحجرى الحديث تمتاز بحملة أمور تميزها عن الزراعة فى الادوار التى تلت العصر الحجرى الحديث أهمها :-

١ - انها كانت زراعة محدودة أى فى مساحات صغيرة من الارض بحيث يصح أن يطلق عليها اسم زراعة الحدائق (Garden Culture) او (Hoe-Culture) فكانت حاد الانسان تنصف بالاكفاء الداتى فى الانتاج أى ان العائلة الواحدة تنجح حاجتها من القوت وتصنع أدواتها السيطه السادحة فلم يبدأ الحصص .

٢ - كانت زراعته مسقلة ولا سيما فى مبدأ أمرها أى أشه ما تكون برزاعة الفلاحين الدو . فلم يبدأ الانسان بحياة الاسقرار الدائم فى أول العصر الحجرى الحديث ، ومن أسباب ذلك استبعاد خصب الارض وعدم معرفة الانسان بالاسمدة ولعله ايضا لم يعرف طريقة زرع حرء من الارض

وتركه بورا في السة الآية على نحو ما عمل فلاحو العراق الآن • ولا يرال المرء يحد في الوقت الحاضر في مناطق في أفريقيا زراعة مثل زراعة العصر الحجري الحديث أي زراعة متقلة محدودة •

(Childe, **What Happened in History**, P 24)

وحدث آثار العصر الحجري الحديث في مواضع عديدة من الشرق الأدنى ففي مصر وحدث مواضع وقرى من هذا العصر في «طاسه» و«الفيوم» و«مرمده» • وحدث كذلك في سورية في مواضع مثل «الحدادة» و«رأس سسر» قرب حلبج الاسكندرونة • وكشف عن آثاره في العراق في العلبقات السفلى من أماكن كثيرة في شمالي العراق ونقت مدبريه الآثار العراقية موصفا قرب الموصل مدعى «حسنه»، وحدث فيه آثار قرية قديمة يعود رملها الى العصر الحجري المأخر ولا سما أواخره • ووجدت بقعة أميركية لحامعة شيكاغو موصفا اسمه «حرمو» قرب «حمحمال» (لواء كركوك) (قوى وادى طوى جاي • وهو احد روافد دجلة ، حوالى ٣٥ كم شرق كركوك) مثل آثاره العصر الحجري الحديث من أطواره القديمة ولعلها مرحلة الانتقال من العصر الحجري القديم الى العصر الحجري الحديث حيث تعلم الاسان الزراعة لأول مرة •

ولسحاول وصف قرية حرمو السالفة الذكر الى يرى فيها الذى حصر فيها^(١) انها تمثل أقدم قرية زراعية • أى تمثل أول عهد الاسان بتعلم الزراعة • (انظر نتائج السفيات في مجلة سومر المجلد ١٩٥١) •

(١) وهو الاسناد بريندوود بالسبانه عن حامعه شيكاغو مند ١٩٥٠ أنظر •
(Braidwood, in *Antiquity* XXIV, 1950, 190 ff,
Amer Journal of Archaeology (1949) 50 ff

فقد داب هدد فيه صغيره متوسطه الحجم . بقدر مساحتها برهاء
ثلاثه دومان (الكواب) . ويرجح ان عدد بيوتها في الاصل نحو ٥٠ بيتا
وموسها رهاء ٣٠٠ بيت . وشغل أبناس القرية الآن ٧ أبناس عما اعبار من
أقدم دور سكني في بلاد النبل ، وقد وجد في هذا السلك من الأبناس
١٥ طقه بناه اي دور سكني ، وهي مبيه من الطين ، وصغيره ، داب عرف مسطيله ،
مع مطبخ محفور في الأرض . ووجد في أبناس القرية مجموعات كبيرة
من عظام الحيوانات ، وقد قدر نحو ٩٠ ٪ منها من العنم والسحول
والخناير والقر وأنواع صغيره من السحول . وكان نحو ٥ ٪ من هذه
الحيوانات وحشيه غير مدحه . كما وجد فيها نوعان من القمح . والحدير
مذكرا انه لم يوجد في أبناس القرية آثار فخاريه في الطبقات السطحية .

وهناك من شك في ان حرمو تمثل أول رراعة ويحتمل كونها موضعا
مأخرا من الناحية النصارية من عهود ما بعد العصر الحجري المتأخر
(Childe, *The Most Ancient East*, 1952, 105) . يرى ان حرمو
تمثل في أولى طمورها السلي أول رراعة في شمالي العراق وسيف
هذا الموضع في الفصول الآتية .

وقبل أن ننهي بحثنا عن العصر الحجري الحديث نذكر بعض الأمور
المصدة عن هذا العهد المهم في حياة الإنسان .

كان عدد الإنسان وحياته الاقتصادية في العصر الحجري الحديث
محدوده . في الآلات السووجه الرحي السطه التي قوامها حجار
سبطان والأطباق الفخاريه تفرك الحبوب واسعمل بعضها للعجن .
وكذلك الفخاريه السطه (bowl) والمناحل المكونه من أسان الصوان والأدواب
الصوانيه كما كان الحال عليه في العصر الحجري القديم ، والمرجح ان
الأسان عرف العزل والحقاكه كما يدل على ذلك اقراص المعازل الفخاريه .
ومما يقال في آواي الفجار من العصر الحجري الحديث أنها سمحة سادحة

حاليه من النفوش والاصابع ومصوغة مالىد اد لم يهد الاسان الى دولاب
الخراف •

ومع أن الحصص الصحيح لم بدأ الا انه من المحمل حداً أن نوعاً
من قسم العمل الدائى كان موحوداً فى حياه اسنان العصر الحجرى
الحدث ولا سيما بين الرجل والمرأه • وادا كانت المرأة • كما يظن بعض
الباحثين • هى التى اكتشف رراعه الحبوب البريه (Childe, Op Cit, 51 ff)
فان أعمالها كانت مبنية على المجمعات الدائيه الدر • والطنج والطنج •
والعرل وسع الملاص • أما أعمال الرجل فكانت على ما يرجح تهيئة الحمل
للحراث • وماء السور والعابه بالحيوانات ورعها • والصيد وصاعسة
الادوات الضرورية وحمايه السب وصنع الاسلحة (دات المصدر) •

واد كما قد تطرقت الى المرأه والرجل فان ذلك يفضى أن نذكر
شيئاً عن المجتمع وشوئه العائله • والرأى الراجح عن شوء المجتمع ان
معامله الواسته يمكن سعيها أصولها الى العصر الحجرى الحدث بعد شوء
الرراعه والمسطوطات المسقرة أما فى العصر الحجرى القدم فالراجح انه
لم يكن هناك مجتمع بالمعنى الصحيح وانما كان نوع من • الجمع • • وكذلك يقال
فى • شأ العائله • مفهومها الاجتماعى الحدث • حيث انهم لم يكن معروفه بهذا المفهوم
فى العصر الحجرى القدم الذى يرجح ان الاسان لم يعرف فيه سوى المشاعه
الحسيه^(١) كما انه شك فى ان الاسان كان يدرك العلاقه بين العمليه
الحسيه وعمله الاسال • فالمحمل ان العائله شأت بيهجه لظهور التجمع
فى العصر الحجرى الحدث • وانه حين أدرك هذه العلاقه فى العصر

(١) لا يرال فى العصور الحديثه بعض الافوام الهمجيه وهى لا تعرف
بنظام العائله الاجتماعى •

الحجرى الحديث بدأت الدمانه عنده بوحه واضح وان أول اله تصور
وعده «اله الرراعه» ورمز الحصب ، وهى عاده «الام الارض» أو «الاله
الام» كما تدل على ذلك دمي الطين التى وجدت فى حرمو وحسونه وكثير
من مسوطات العصر الحجرى الحديث وهى تمثل امرأه بدنه مبالغ فى
حجم نديها . والمرجح كثيرا ان عاده الشمس سب أبرها فى الرراعه
قد بدأت عد عاده الارض على هيئة الهة . ومن الصور العربيه التى وجدت
فى العصر الحجرى الحديث (فى حرمو مثلا واللقان والاناصول) أشياء
مصنوعة من الطين والفخار برمر الى عضو الرجل (Phallus) ، واعلمها
ابحد للمسادت باعدادها ترمز الى الحصب والحياه ايضا
(Chiled, ibid), 57) ومع اساج القوب فان الاسان لم سد السحر كساتدل
على ذلك العاويد المصنوعه من الحجر . والواقع ان الاسان ظل يمارس
السحر حتى فى عهوده التاريخيه من = شوء الحضارة فانه اذا كان يحاحه اليه
لصان جمع قوته بالحد فى طور جمع القوب فانه وحدد ضرورا ايضا
لصان اساج قوبه بأسر صماء القوى الطسعة والعلوية التى صار الاسان
يحسمها على هيئة آلهة .

ومن الانظمة المهمة التى ظهرت فى حواء الاسان فى هذا العصر
الملكيه الفرديّة . ولعل شوء هذا النظام أثر فى شوء العائله . كما ان رراعه
الاسان المسطه كان تصطر الاسان الى التوسع والاسطدام بالجماعات
الشربيه التى ام برل فى طور جمع القوب وكذلك الاتصال بالجماعات
الأخرى المسحه للقوب . مما أدى الى الرراع على الارض وظهور نظام الحرب
بأسط أوحها .

ومن المسائل المهمه التى يحدر التسويه بها قبل انهاء كلامنا على العصر
الحجرى الحديث مسألة مدحين الحوان ، وهل طهر عند الاسان قبل
الرراعه أو بعدها ، أو مع الرراعه ؟ فهناك طائفة من الاشروبولوجيين ترى

ان تدجين الحيوان شأ بصورة مباشرة من الصيد بدون الرراعة ، وان الرراعه الحذله أى الررع وتدجين الحيوان طهر سبحة لعرو جماعات الرعاه للمجمعات الرراعيه • ولكن أقدم مجمعات العصر الحجري الحديث الى أنظهر آثارها المصنات مجمعات تعرف الرراعة وتدجين الحيوان • ولعل الرأى الصحيح فى الموضوع ان تدجين الحيوان طهر بسب الرراعة لاجابات قطع الحيوان الى مرازع الاسنان المصمون فيها القوت (Childe ibid, 12) والمرجح كثيراً أنها ان نظام الداوة (Nomadism) شأ أما فى العصر الحديث أو بعده عند حلول الجفاف فى المنوطبات اتى بصمد رراعتها على الامطار • وحين كانت بعض الجماعات بهاجر الى أراضى كثره يوفر فيها الارواء كانت بعض الجماعات الأخرى قد طلت فى مواطنها مجمعاته شتى واحد من هذه العصر الحجري الحديث الا وهو تدجين الحيوانات ورعاها •

واد كان العصر الحجري الحديث يمتاز على العصر السابق باقلابه العظيم الذى اجتصاه ، الا انه كان يعبق بعده الاسنان فه اتصاف امتاحه بالأكماء الذانى • وهى صفة لا تعمل على ظهور التخصص ولا تكاثر المكان • كما ان ما سجد المهر به الواحد اعاشها السوى كان أمرا غير مضمون لصمان حبانها عند الطوارىء فى المسفل • ولكن مع هذه النقائص فان الأكماء الذانى ومحدودية اساح القوت المصنف بهما هذا العصر كانا فى الواقع يحملان امكانيات المسفل • امكانية توسع الاساح الرراعى و ظهور طبقات من المجتمع القروى بخصص سواح أخرى من الاساح • ولما تم تحقيق هذه الامكانيات بالفعل اسفل الاسنان الى الاطوار التالية الى مهدت له الاتصال دورها الى طور الحصار ، وهو ما سدرسه فى العصول الآتية •

وكانت ودان الانهار الكرى فى الشرق الادنى حير ملجأ للاسنان عندما أخذ الجفاف يحل فى الاماكن الأخرى من الشرق الادنى فى

آخر فره حلدنة فى أواخر العصر الحجري القديم فالحأ الاسان أولا الى الواحات ثم الى وديان الانهار ، وهما تم أعظم انقلاب فى حياة البشر وهو انتقاله الى عهد الزراعة فى العصر الحجري الحديث ولا سيما فى الواحات والمناطق التى تعتمد زراعتها على المطر فى سهوح الحبال الشمالية ثم الى طور المدسه والحصاره من بعد ذلك . عندما أحدث فرى العصر الحجري الحديث الصعير . سيع وتوسع زراعه كذاك حيث بدأ يحل فى وديان الانهار انكرى فى الشرق الادبى . وسقف قصه هذا الانقلاب الحطير فى المقبول الآسة .

ويعرف بعض المؤرخين أهمية الانقلاب الذى طرأ على حياه الاسان فى العصر الحجري المتأخر بأهمسه الانقلاب الصناعى الذى حدث فى الحصاره الغربيه مد القرن الثامن عشر للميلاد .

والرأى السائد ان أساليب هذا الانقلاب العظيم وبعض آله وأدواته انقلب من الشرق الادبى الى أوربة ، وهكذا كان الحال بالسسة الى الببانات والحيوانات المدحه . ولكن عمله الاسال اسعوف وقا طوللا وانتقات فى مراحل محله من حماعه الى أخرى . وقد انقلب الى أوربه باتحاهين وطرفين : (١) عن طريق تركية الى اليونان أو الى حوبى روسية ومن ثم الى وادى نهر الدايوب . (٢) من شمالى أفريقيا ، وطريق البحر الى ايطاليا واساييه وفرنسه ومن ثم الى بريطانيا وأفطار شمالى أوربة . ومع هذا الاشبار فان مجموعات شرية عديدة طلب فى طور جمع الفوت مد مرور ألوف كثيره على ظهور الزراعة فى الشرق الادبى .

والثاب الآ ان الزراعة وتدحين الحيوان قد شأنا بوجه مستقل فى مركزين من العالم وهما الصين حيث بدأت زراعة الرز فى حدود ٣٠٠٠ ق . م وفى أمريكة فى حدود ١٠٠٠ ق . م (زراعة الداء الأمريكية بالدرجة الاولى) .

(حول العصور الحجرية فى أجراء الشرق الادبى بصوره خاصة ومفصلة أنظر الكلام على هذه الأجراء فى الجزء الثانى من الكتاب) .

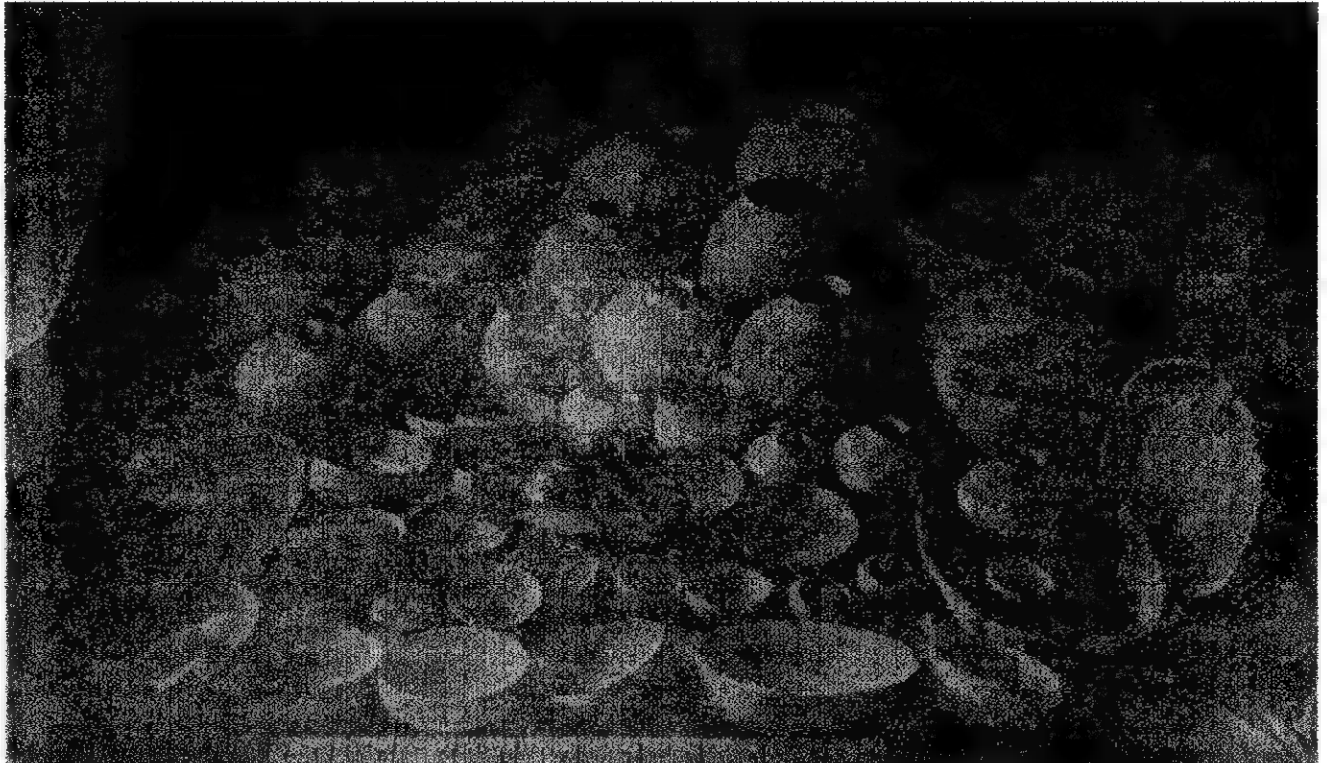
وبالامكان تقسيم تاريخ البشر بوجه عام الى ثلاثة عهود كبرى عامة :-

(١) عهد الهمجية (Savagary) وهو عهد العصر الحجري القديم الذي قلنا انه شغل نحو ٩٨ ٪ من عمر الانسان .

(٢) عهد البربرية (Barbarism) وهو طور العصر الحجري الحديث أو كما سمياه ، طور انتاج القوت .

(٣) عهد الحضارة أو المدنية (Civilization) وينتدأ في الشرق الأدنى ولا سيما العراق ومصر في أواخر الالف الرابع .

(Childe, What Happened in History, 17—18)



مجموعه من أواني الفخار المسبوغة ، وجدت في حسونه بصل فخار العصر الحجري المعدني وبعضها من فخار العصر الحجري الحديث

الفصل الثالث

فجر الحضارة او عصور ما قبل السلالات

ذكرنا في الفصل السابق شيئا عن حياة الاسان في الشرق الادنى في الارمان التي سميها بالعصر الحجري الحديث ، وقلنا ان انقلابا خطيرا حدث في ذلك العصر في حياة الاسان باهدائه الى الزراعة وتدجين الحيوان وقد تم هذا الانقلاب في الشرق الادنى ، في مصر والعراق بالدرجة الاولى . والحقيقة ان هذا الحادث الخطير وما قد سبج عنه من تطور في الحياة الاحماة قد مهد السيل لشوء الحضارة الناصحة في الاطوار التي عقت العصر الحجري الحديث . ولكن شوء الحضارة الناصحة لم يحصل طمرة واحدة في نهاية العصر الحديث . واما حدث خطوات تدريجية منسذ أواخر ذلك العصر . فكانت هذه الخطوات أطوارا تمهيدية للوغي الانسان عهد الحضارة الناصحة . يصح أن نعدا فجر الحضارة في الشرق الادنى ، ونوسعا حصر هذه الاطوار التمهيدية بالارمان الواقعة بين نهاية العصر الحجري المسأحر في حدود ٦٠٠٠ ق . م أو ٥٠٠٠ ق . م وبين بداية العهد التارحي وبداية الحضارة الناصحة في بداية الالف الثالث ق . م أي تحدد هذه الاطوار التمهيدية أو الانتالية بحوالى ٢٠٠٠ سنة . ومما يمار به هذا العهد بوجه عام أن معرفة الانسان بالمعادن كانت فيه في بداية أمرها ، اد استعمل الاسان كميات قليلة جدا في أول الامر لجهله بمن المعدين وطل يستعمل الحجر والمواد الأخرى في صنع أكثر آلاته وأدواته . ولكن كثر استعمال المعادن بالتدريج وتعلم الاسان فن التعدين في الاطوار

الاحيرة من هذه الارمان وبوجه خاص في العهد المسمى بطور «العبد» في حدود ٤٠٠٠ ق . . ، ولهذه الاسباب يسمى المؤرخون هذه الاطوار ، ولا سيما الادوار الاولى منها بالعهد «الحجرى المعدنى» (Chalcolithic) وتسمى أيضا بمصور ما قبل السلالات أى الارمان الى سقت شيوخ السلالات الحاكمة بهيته أمراء وملوك في كل من العراق ومصر . ولما كانت هذه الاطوار هي التي مهدت اشواق الحضارة العراقية والحضارة المصرية فيصح أن سميها أيضا بحجر الحضارة ، فلأحد أورد : وصل اليه الاسان من احراعات ولا سيما في العراق ومصر :

١ - أهم شيء حدث في هذه الارمان اتساع الاساح في الزراعة الى تمامها الاسان في العصر الحجرى الحديث ، وادتقال المسوطنات والمقار الصغيرة التي كانت في ذلك العهد الى قرى كبيرة ومدن صغيرة كانت بواة المدن التي اسست فيما بعد في العهود التاريخية . وقد وجد المقبون من هذه القرى بمادح كثيرة في العراق وفي مصر وفي سورية وسائر أنحاء الشرق الادنى . وقد رأينا فيما مر من ان الناس كانوا في العصر الحجرى الحديث فلاحين بدرجة الاولى ، ولا يسحون الا مقادير محدودة من الحبوب لنسبتهم ، أى انهم كانوا يصنعون «بالاكتفاء الذاتى» من ناحية الاقتصاد والارواح وهو بعض حطرت في حياة اسان العصر الحجرى الحديث ولكن شأب في عصور ما قبل السلالات أولى طلائع تقسيم العمل والتخصص . شأب طاقفة جديدة من الناس عاشت في القرى المتسعة حياة حضرية وخصصت بالصناعات الامدائية فكانت طلائع الاحصاص وبداية العمران الشرس ، واقصر أمر الفلاحين على الاساح الرائد لمبادلتهم بالصناعات الجديدة ومن هؤلاء الحصر شأب طلقات الصناع والتجار والموظفين والحكام وغير ذلك من الطلقات التي تكسائر وتوضح نوع اختصاصها في زمن الحضارة الناصحة . ومن الامور المهمة التي يحدر ذكرها عن الزراعة في

منذ مصنف هذا العهد قريبا مما راد في امكانياته الاقتصادية ويمكن حياته
المستقرة حوار حقله وبستانه .

٢ - لقد أظهرت السقييات التي أحريت حديثا في مواضع مخلفة من
الشرق الادبي آثار هذا العهد بكثرة . وقد وجد ان هذه الآثار مشابهة
بوجه عام في جميع أنحاء الشرق الادبي وأبرز ما فيها نوع حميل من أوابى
المحار المصنوع بالالوان والاشكال الراهية . وتتشبه هذه الاوابى عادة اما
بلون واحد أو بألوان معددة بنقوش هندسية ونباتية وبصور حيوانات ومناظر
طبيعية وقد عمت صناعة المخار هذه جميع أقطار الشرق الادنى حتى بداية
العهد التاريخي في أواخر الألف الرابع ق . م . ولعل هذا الطور (أى
عصور ما قبل السلالات أو العهد الحجري - المعدني) كان المرحلة المشتركة
التي بدأت منها حضارات الشرق الادبي ، ولكن سارت كل منها بعدد بالطرق
الخاصة بها في العصور السارحية . وقد وجدت تلك الآثار في قرى
لا تعرف أسماؤها القديمة ، فسميت الاطوار الحصارية التي جاثا منها
آثارها بأسماء هذه القرى في الوقت الحاضر . وقد وجد بعض هذه الآثار
في الطبقات السفلى من المواقع القديمة النأريحية التي قامت في الأصل فوق
قرى هذه الاطوار القديمة . ففي العراق تعرف تلك الاطوار بأطوار
«حسوة» و «سامراء» و «حلف» و «العبد» و «الوركاء» و «جمدة نصر» .
ويمثلها في مصر الطور «الداري» و «الاماري» و «الحري» و «قادة»
و وجدت آثار هذا العهد في سورية والبلاد الشامية الأخرى مثل وادي
«العمق» وفي منطقة الحانور وفي الحديد ورأس شمرة «أوغاريت القديمة»
وفي تل حلف وفي «أريحا» في فلسطين وغيرها . ووجد ما يضاهي هذه
الآثار كذلك في ايران في (سلياك) وفي مواضع في تركيا مثل «مرسين»
و «سكجي كوزي» (١) .

(١) حول وصف هذه الاطوار ولا سيما في مصر وفي بلاد الشام انظر
المبحث الخاص لكل منهما في الجزء الثاني .

٣ - ومما يحدّر ذكره عن هذه العصور ان آثار الاطوار الاولى منها قد شأت ووحدت في مناطق الواحات ، وفي السجاد والمرتفعات في شمالي العراق حيث الري والريادة بالاعتماد على الامطار بالدرجة الاولى ، وعلى الرغم من عدم الاطمئنان بتمامها الى هذا النوع من الري ، الا ان صسط الريادة في الواحات أسهل منه في وديان الانهار التي تتطلب جهودا وفنا في صسط الفيضان وتنظيم شؤون الارواء واحكام السدود . ولعل الاسان قد نعام مادي الري في مثل هذه المسوطات أي في مناطق الواحات والمناطق النحيلة ، كما في موقع «حرمو» وتل حسونة ، والاربجية في شمالي العراق وذلك ول ان سقل الى وديان الانهار انكرى الى اشأ فيها الحضارة الراقية في وادي الرافدين ووادي النيل ، وقد حدث هذا الانتقال عندما أحدث الياسه سكون في القسم الجنوبي من العراق ، وصار صالحا لسكنى الاسان ، وكذلك الحال في دلتا النيل . ومما تمار به كل من القمين انها غيبة الامكانات ولكنها صعبة سسلم السكى فيها واسغلالها والاستفادة منها جهوا . ونظما ، ولا سيما تنظيم شؤون الارواء والسيطرة على مياه الانهار والا املت امكاناتها ونعمها شرا وبلا كما حدث ذلك مرارا وتكرارا في فترات مظلمة من تاريخ العراق أهملت فيها شؤون الارواء ، مثل المرة الاولى الى عقب سقوط الخلافة العباسية ، والمرة التي عقب اضمحلال الحضارة الدالية مد القرن الخامس ق . م . وكما يحدث في العصر الحاضر عندما يهمل السيطرة على الانهار وشؤون الارواء فيها . وان ما نشاهده من أوف الاطلال المشيرة في جميع سهول العراق المقفرة الان وقيعان الانهر الجوف وما نشاهده من الاهوار والمسقعات في منطقة الطائح بين الباصرية والبصرة ، كل ذلك من مائج اقراض الحضارات القديمة التي اشأت وسائل العمران مسطر بها على العنسة بالعمل والعلم والفن .

ولعل أهم سبب لانتقال الانسان الى وديان الانهار في وادي الرافدين بكثرة الحفاف الذي بدأ منذ أواخر العصر الحجري القديم في أنحاء الشرق

الادبي ، وبدأ يحل حصى في مناطق الواحات ، فالتجأ الاسان في الارمان المتأخرة من عصور ما قبل السلالات الى وديان الانهار في وادي الرافدين في القسم الجنوبي وفي دلتا النيل في مصر ولقد جاء الاسان الى هاتين المظقتين وهو مرود بمادى سطة من الاحتراعات التي انتجها في تلك العصور ، مثل المعرفة الابتدائية بالتعدين ومادى الرى البسيطة والفخار وكذلك أبسط أنواع المعجلة فمادا وجد في بيته الحديدية ؟ لقد وجد أرضا حصنة تتكون وهي ملائى بالحيوان والسات ، ووحد مياهها دائمة ، ولكنها كانت بيئة صعبة تخناج الى السيطرة والسطيم . فكان نوع من السحى أو امحان فرضته البيئة الطبيعية على الاسان وهو في بداية مراحل الحضارة . فتفاعلت هذه البيئة الصعبة مع قابليات الاسان فعمل هذا التفاعل بينه وبين البيئة على ان حفره لايحاد حلول لما حابه من مشاكل ، فكانت هذه الحلول والاسحاة الى ذلك الامحان العسير ما أشاء الاسان الاول من حضارة رافيه في العراق وفي مصر ، سآخذ عنها شئنا في الفصول الآتية .

٤ - لقد توحب الاحتراعات التي اهتدى اليها سكان وادي الرافدين في عصور ما قبل السلالات بانقلابات حليرة في الاطوار الاخيرة منها ولا سيما بعد ان حل قرب الانهار في العراق وفي مصر ، ومن ذلك ما « كرماء من اتساع الزراعة وبداية الحياة الحضرية وشيئ أولى المدن والاختصاص وعرف بناء الحضارة الاوائل في العراق ومصر من العدين أى صناعة النحاس والبروير . فعرف العراقيون القدماء صنع النحاس في العهد المسمى « بطور العبد » (في حدود ٤٠٠٠ ق . م) وعرفوا صنع البروير في عهد « حمدة مصر » (في حدود ٣٢٠٠ ق . م) واسدعوا دولاب الحراف وصنعوا الآحر والاحتام الاسطواسه والعربة ذات العجلة والمحراث الذي حل محل قطعة الحجر التي كانت تستعمل لسش الارض في العصور الحجرية الحديثة . واهدى سكان العراق القدماء الى صنع السفن الشراعية في عهد قديم جدا في عهد العبد السالف الذكر ، بدلالة ما وجد من النماذج في أور المقيمر من

ذلك العهد وفي اريدو . ونوحت كل هذه الوسائل بإبداع وسيلة للتدوين
 أى النكبة . وقد تم ذلك في العراق قبل غيره من أقطار الدنيا كما عرف
 دولاب الخراف ومن المعدس والمجمله فيه كذلك قبل الحصاراب الأخرى .
 ودرجات في الأقطار الأخرى من عصور ما قبل السلالات الصور الراقية كانت تحت
 والصور والنعيم (بطليم أو مكيت الأحجار بأحجار أخرى ثمينة) . وقد
 بدأ من السحب منذ عصر الوركاء ولا سيما منذ نصفه الثاني (في حدود
 ٣٥٠٠ ق م . م .) . وظهرت كذلك المسابى العامة المهمة كالمعابد ، مسد
 عصر «العبد» . وكثرت المعابد وازدادت أهميتها منذ عصر العبد ، وظهرت في
 سور الوركاء الأسبحة الدكارية الدسية ومن بين ذلك أولى الأسبحة الشاهقة إلى
 سماها السالمون «زقورة» وهي الصرح أو الرمح المدرج .

وقبل أن نذكر أطوار ما قبل السلالات في العراق نؤكد هنا ما أشرنا
 إليه سابقا حول استنار الحصاره في هذه الأطوار في جميع أنحاء الشرق
 الأدنى فوجد ما يصاهي آثار العراق من حسونة وطور سامراء وطور حلف
 والعبد والوركاء وحمده نصر (وهي أسماء أطوار ما قبل السلالات في
 العراق كما مر بنا سابقا) في أنحاء سوربه ولا سيما تل حلف (على رأس
 الحانور) وفي موضعين قريبين منه وهما تل «نراك» و «شعربار» مما يشير
 إلى انتشار الحصاره وتشابهها في هذه الأماكن القديمة . وقد كشف البحث
 الحديث في الموارد بين حصارات الشرق الأدنى عن وجود صلات حصارية
 قوية بين العراق ومصر في أواخر الطور الحجري - المعدني (أى عهد ما قبل
 السلالات) وكذلك في بداية عهد السلالات أى في المراحل الأولى من شوء
 الحصاره الراقية في كل من القطرين . وتتضمن هذه الصلات نواحي مهمة
 من مظاهر الحصاره كالأثار المادية والصاعات والاحراعات وبعض الأساليب
 والاطرير . المسه وهي كلها خاصة بحضارة العراق واستمرت فيها ، ولكنها
 عريرة عن الحصاره المصرية اقتصر وجودها فيها زمنا محدودا ثم انقطعت .
 وهذه اعتبارات مهمة لا تدع مجالا للشك في أصلها من حضارة العراق

القديم • وقد بدأت أولى هذه التأثيرات في الحصاره المصرية في حدود منتصف الألف الرابع ق • م • من عهد «الوركاء» في العراق وفي نهانه طور «عادة» الثالث في مصر • فمنها الآثار التي وجدت في جبل «العرو» وفي مقبرة «هيراكوبوليس» (أي مدنة الحسكر) في مصر واستمرت هذه التأثيرات من حصاره العراق القديم في بداية السلالات المصرية الأولى مما يعادل عهد «حمده مصر» وعهد فجر السلالات في العراق وأبرزها رؤوس الدبابيس الحجر وأواني الحجر المرية بالبحث السائر وبعض الأضرحة الخاصة بالأسرة السومرية التي وجد ما يضاهاها في المقابر الملكية المصرية وفي المصاطب القديمة وفي تحطيط المحود الملكة الأولى ولا سيما لحود ملوك السلالة الأولى وكذلك أعمال الأحكام الأسطورية الخاصة بحصاره العراق القديم^(١) •

وأول ما تشير إليه هذه الأشياء وحود علاقات ثقافية وتجاربه بين العراق ومصر بوجه خاص وبين أقطار الشرق الأدنى بوجه عام وذلك منذ فجر التاريخ • وقد ذهب كثير من تناب الباحثين في أصول الحصاره إلى استنتاج أمور هامة تتعلق بصول الحضارة المصرية في أطوارها الأولى وأقسامها التأثيرات والحوافز الأولى من حصاره العراق القديم • فبالنسبة إلى الكتابة أو الحافز عليها كما أظهرت التحوت حديثاً^(٢) • ومهما كان تأثر الحصاره المصرية في أول أطوارها بحصاره العراق القديم إلا أنها أحدث فيما بعد مد أو آخر عصور ما قبل التاريخ نمو مستقلة وتصف بظاهرها الخاص •

(١) حول هذه العلاقات الثقافية وبعبرها انظر —
(Childe, **New Light on the Most Ancient East** (1952) 77 ff)

(2) J A Wilson, **The Burden of Egypt** (1950)

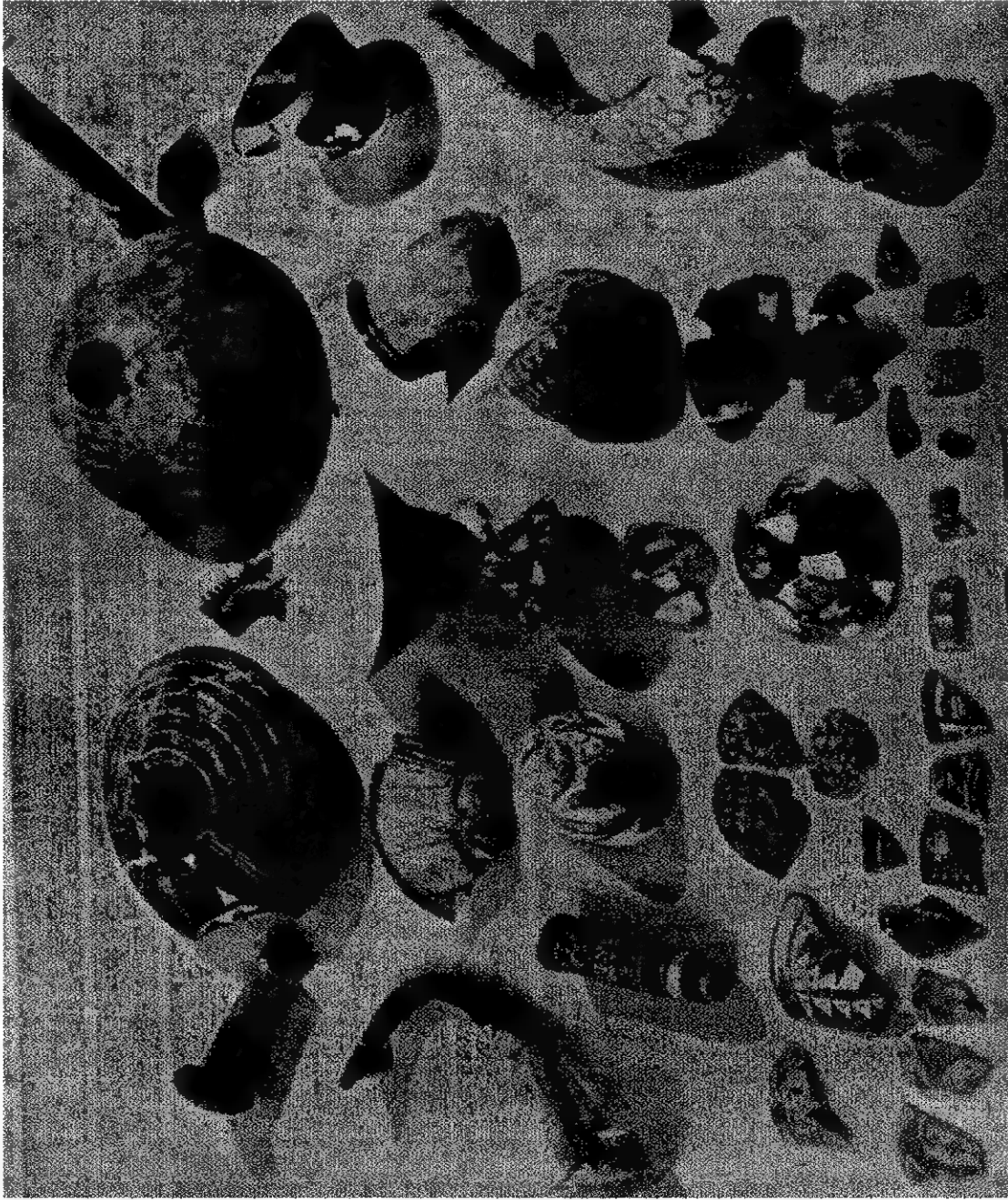
(3) H Frankfort, **The Birth of Civilization** (looff).

(٢) انظر كذلك المراجع المذكوره في حاشيته رقم ١ والمرجع الآتي
The Legacy of Egypt (1942).

ومن الامارات القوية على وعود الاتصال الثقافي والتجاري بين العراق وسائر أقطار الشرق الأدنى في هذه المهود السحيقة ان سكان العراق الأقدمين اسعملوا في حضاراتهم بعض أنواع الحجر والمعادن وأشياء أخرى لا يوجد في العراق بكثرة وبعضها لا يوجد بالمرّة ولكنها اسوردت من الأقطار المجاورة . وكان الجزء الجنوبي الشرقي من جزيرة العرب من أقدم المصادر التي جلب منها العراقيون القدماء معدن النحاس وقد بقي الحال كذلك في المهود الأربعة القديمة كما تشير الى ذلك أخبار الملوك الأوائل مثل «رام - سين» الأكدي و «جودية» حيث ذكرنا أمكنة في الجزء الشرقي الجنوبي من جزيرة العرب جلتا منها النحاس .

وقد وحدث آثار خاصة بحضارة العراق القديم من طور «جمدة نصر» وعصر فجر السلاسل والعهد الأكدي في سورية الشمالية في منطقة الحلب والبالح . وشأت مراكز حضارية في سورية ازدهرت فيها الحضارة السومرية مثل منطقة مدسه «ماري» (بل الحريري الآن على العرات قرب الحدود السورية العراقية) .

واشرت احراعات العصر «الحجرى - المعدنى» من مراكز الحضارات في العراق ومصر الى مناطق أخرى من العالم مثل جرر بحر «ابحة» والركستان والهد . وانتشر تأثيرها فيما - الى أقطار أخرى بعيدة .



سادج من آواى العمار الجميله من عهد العبيد (من «اڤيدو» — ابو شهرين)

الفصل الرابع

أقدم القرى من فجر الحضارة في العراق

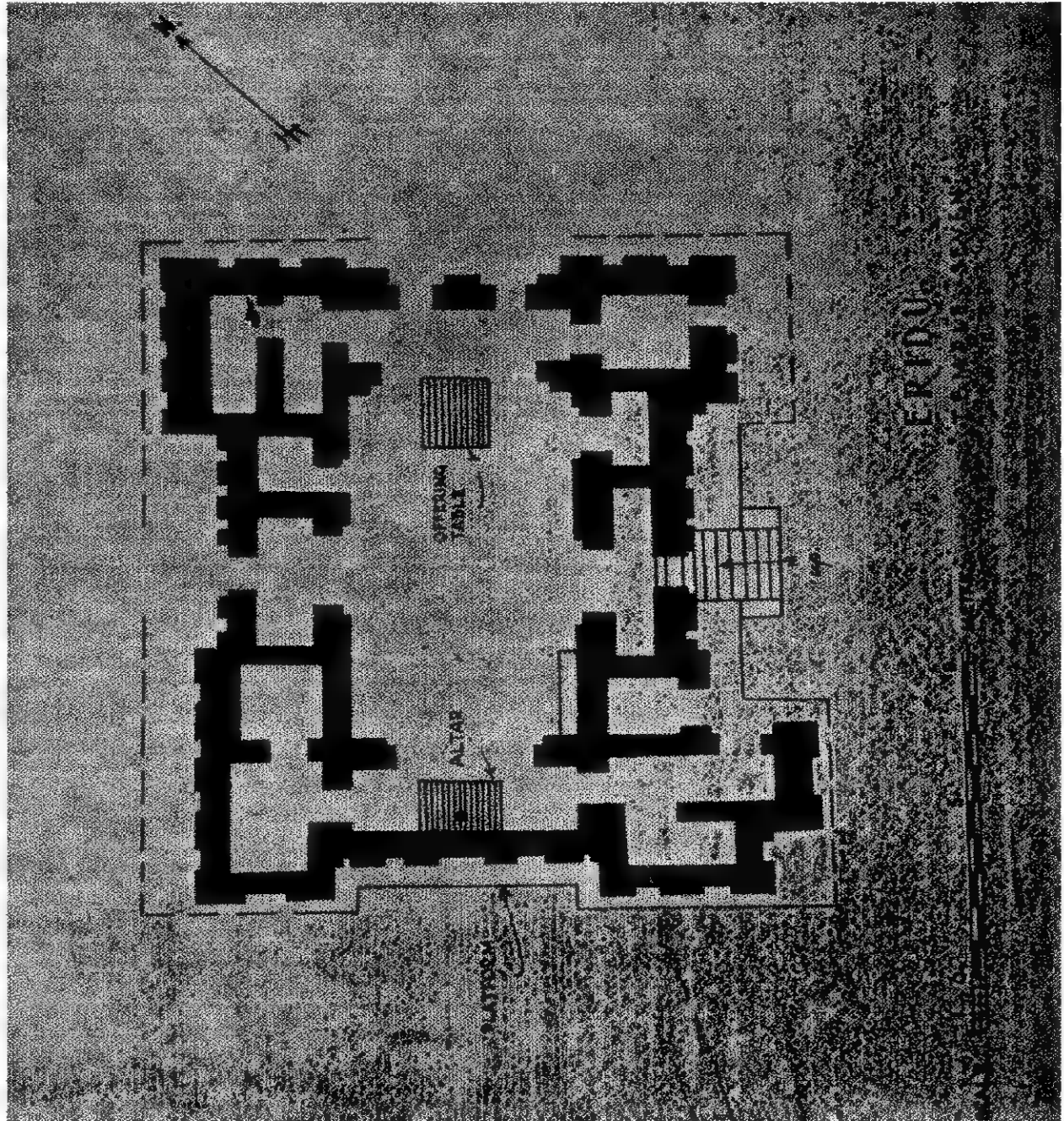
لحصن فيما سوا الحصائن العامة للاطوار المهيمنة لشوء الحضارة وهي الاطوار التي سميها مصور ما قبل السلالات أو فجر الحضارة .
وسمى بحثنا في هذه الاطوار بوصف أقدم القرى التي ظهرت في العراق في هذا العهد وكشف فيها عن آثار عصور ما قبل السلالات . وقد نوها فيما سلف بأنه سر الناحية هذه الاطوار في العراق وكذلك في أقطار الشرق الأدنى نوعاً ما في الفجار وبالألابل والادوات الخاصة بكل طور . وقد وُجدت هذه الآثار في قرى قديمة لا يعرف اسمائها الأثرية ولكن سمي الاطوار المحلقة التي وجدت آثارها فيها بأسماء هذه المواضع الحديثة ، وقد أطلق اسم الموضع التي وجدت فيه آثار الطور الخاص أول مرة (نقبت قبل غيره من المواضع) على ذلك الطور . وبذلك حصلنا على الاطوار التي تسمى بحسب السلسلة الرمي الآتية : حسونة ، وسامراء ، وحلف ، والعبيد ، والوركاء ، وحمدة نصر .

وقد عثر على بعض المواضع القديمة وهي بحسب على آثار تلك الاطوار كلها أو بعضها وسلسلة فيها من حيث القدم بحسب الطبقات فالآثار طور حسونة مثلاً في أسفل هذه الطبقات ثم يلي ذلك آثار طور سامراء ، هكذا إلى سطح الل حيث توجد أحدث الادوار . ومما يلاحظ في آثار هذه الادوار بوجه عام انها تستطيع أن تلمس من دراستها الخطوات التدريجية في تقدم الحضارة حتى يصل إلى آخر هذه الاطوار وهي طور الوركاء وحمدة نصر فنشاهد ان التقدم الذي أحرزه سكان العراق قد بلغ

مرحلة تصبح فيها ان بعد هذين الطورين ضمن عهد الحصاره انماضحة لولا
اعمارات منها اعناد امؤرخين على حصرهما في عصور ما قبل السلالات لعدم
صحة الآراء فيها وتلك وقد يدعى هذان الطوران بالعهد «التشبهة بالعهد
الآريسي أو الكاشي»^(١) ولا يقصر هذا المقدم المحسوس الذي شاهده
بأما من آثار هذه العصور الى احدها على الادوات والآلات الخاصة واسا
يشمل عناصر هامة من حصاره العراق القديم « كفن العمارة والاحت وبعض
العمول الأخرى مما يشير اليه في فصول خاصة . ومما يحلب اساء الباحث
في أصول حصاره العراق القديم بوجه خاص ان أسس الحضارة الباضحة
التي سشاهد آثارها بما بعد وهي الحضارة السومرية ترجع الى هذه
الاموار سهدنة أي ان أصولها وحذورها سب في بره وادي الرافدين
ولاب هذه الحدود . سو حتى سب أشجارا وامسحة المعالم في عهد الحصاره
السومرية أي عصور فجر السلالات . مهما كان أصل أول الاقوام الدين
بصرر باسمهم هذه الحصاره الأولى (وهم السومريون) . وهذه في الواقع
حقيقه على قدر عظيم من الاهمية بالنسبة الى أصل الحصاره السومرية وما
دار حولها من افراساب لا يسد الى الحقائق الثاتة .

امد سق أن ذكرنا ان أولى علائم الانتقال الى فجر الحضارة اتساع
القرى والزراعة في حسم ابحاء الشرق الأدنى . وقد فام أغلب هذه القرى
فوق اناس قرى قديمة عاشت في أواخر العصر الحجري المأخر وقد وحدث
سادح . ن هـ هـ القرى في العراق وفي مصر وفي سورية
وفلسطين وبران . وهي العراق عثرب مدرسه الآثار العراقية

(١) (Proto-Literate) وقد أطلق حديثا على طور حمده بصر
والنصف الثاني من طور الوركاء حسب طهرت الكتابه لأول مره في تاريخ
الاسان .



أعدم معبد واحد في العراق ، من عهد العبيد (في اربدو) (٤٠٠٠ ق م) ،
وبذلك يكون أعدم بيايه دنسه في تاريخ العالم

عام ١٩٤٢^(١) على آثار قرية يسمى موضعها الآن «حسونة» جنوبى الموصل بحوالى ٣٥ كيلو وحو ٨ كم شمال شرقى قرية الشوره وقد عثر فيها على آثار أقدم فلاحين عاشوا فى منطقة الموصل فى حدود الألف السادس ق . م . وقد عاش أحداد هؤلاء فى بيوت الشعر اد لم يعرفوا بناء البيوت . ولكن أحقادهم تقدموا بعد أحيال فسوا بيوتهم من الطين (الطوف) وصنعوا أوانى الفخار المربعة بالأصابع . وصنعوا أدواتهم وآلاتهم من الحجارة والمطام لانهم لم يهدوا بعد الى استعمال المعادن . ويعد هذا الطور (٥٢٠٠-٥٠٠٠ ق . م) أول أطوار العصر الحجري - المعدنى . وقد وجد ما يصاهى آثار حسونة فى مواضع أخرى فى شمالى العراق ، لأن السهم الحوى منه كان غير صالح للسكنى وكان أحدا فى التكوين، وكذلك وجد فى

(١) قامت بالخير فيه فى مرسدين ١٦٠٣ وعام ١٩٤٤ . ريل حمير . موضع صعر (٢٠٠ × ١٥٠ م) يرتفع نحو ٧ أمتار عن السهل المحاور ويند أظهرت الطبقات فيه ستة عشر دورا أو ضعة بنائىة تمثل خمس أدوار حصارته فالطبقة الأولى من الأسفل تمثل الواحر العصر الحجري الحديث . والطبقات (III-IIIa) تمثل دور حسونة الذى يمتاز بنوع من الفخار المنوش بحرور وبحرور والوان . والطبقات (VI - VII) تمثل دور سامراء والطبقات (X - VI) دور حلف . والطبقات (XII - XI) عهد العبد . والطبقات العليا من الأدوار المأخرة .

انظر المراجع الآتية (Sumer, I 19٤5), No 2,59 ff ١, ILN, 11 August (1945), Journal of the Near Eastern Studies, IV, ٤ (1945), 255 ff , Sumer, III 1 (1947), 26 ff , Sumer VI (1950), 93 ff , André Parrot, Archéologie Mesopotamienne 11 (1953) 8 ff

وفى موضع يسمى فيه بعد من جامعة شتكاكو بدى مطار واحد أدوار يصاهى أدوار حسونة ما عدا بقايا العصر الحجري الحديث . وبعد الموضع جنوب كركوك نحو ٣٥ كيلو مترا .

(انظر بريدو سائح الحفريات فى (Braidwood et al, "Mattarah" in Journal of the Near Eastern Studies, XI (1952), 1 ff)

مواقع أخرى في عصر مثل (السدارة) وفي (العمق) ورأس شمرة
و «الحديدة» في بلاد الشام .

طور سامراء :-

وعقب زمن الملاحين القدامى في «حسونة» طور آخر من أطوار
١٠ قبل السلالات في العراق سمي بطور «سامراء» لانه اكتشفت آثاره
أول مرة في منطقة مدينة سامراء^(١) . وقد قدر رمنها في أواخر الألف
السادس ق . م . ومع قلة الآثار التي وجدت من هذا الطور في سامراء
وفي موضع حسونة ويسوى وغيرها من المواقع في شمالي العراق فإنها
تشير الى تقدم ملحوظ بالنسبة الى ما سبقها ، وفي المتحف العراقي نماذج
من آثار هذا الطور ولا سيما أواني الفخار الحميلة التي تمتاز بنقوشها
الهندسية وأشكال حيوانات وشر رسمت بصورة تقرينة . وتدل السكاكين
الحجرية والأواني المصنوعة من حجر الرخام الركابي (الحجر الأوبريدي)
التي حثنا من هذا الطور على تقدم في الصناعة واتساع التجارة والمواصلات
وذلك لحلب هذا الحجر الموجود عادة في منطقة أرمينية وبعض بلاد العرب .

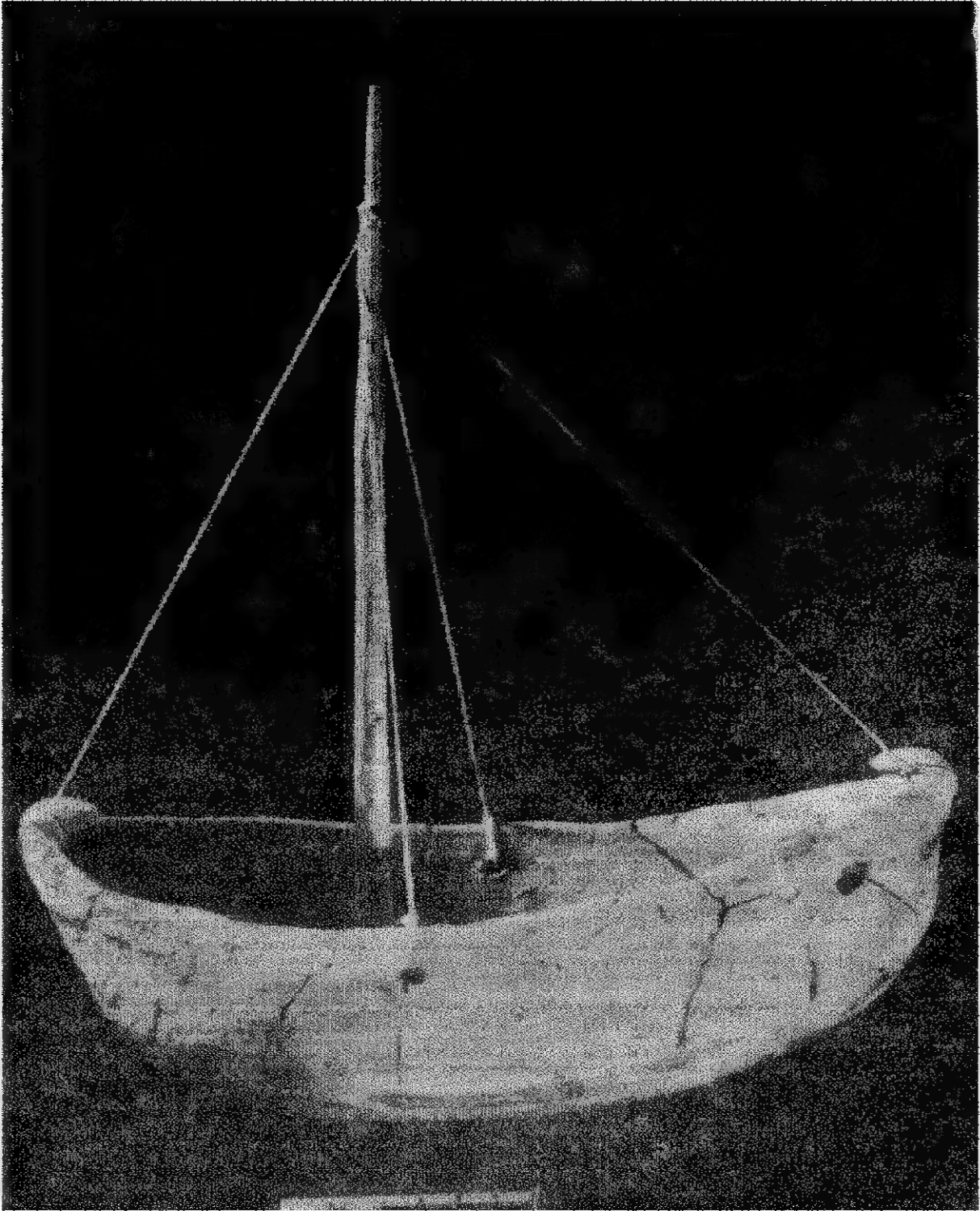
٢٠٠٠ قبل الميلاد :-

وعقب طور سامراء عصر من عصور ما قبل السلالات سمي باسم
«حلب» نسبة الى تل حلب الواقع في أعلى نهر الخابور بمسافة
١٤٠ . لا شمال عري سوى ثم اكتشفت آثار هذا الطور من بعد ذلك في
مواقع متعددة في شمال العراق ويرجع زمن طور حلب الى حدود

(١) انظر على «ما قبل طور سامراء» في موضع سامراء العاصمة في أسيا
البحر في وصف الحلفاء وما قبل المدد العاصمة» منذ عام ١٩١٤-١٩١٤
برأسه الاسناد هرزفيلد .

E. Herzfeld, Die Ausgrabungen von
Samarra. V Die Vorgeschichtlichen Topferereien (Berlin 1930) ,
André Parrot, Op Cit , II, 126 ff)

ثم وجدت آثار هذا الطور في مواقع أخرى في شمالي العراق .
منها الموضع السابق حسونة ومطارة ، و«كورا» والاربعية .



نموذج مصغر من الفخار تمثل أقدام قارب استعمله الإنسان في الملاحة
(من عهد العبد في أريدو)

(٤٥٠٠-٢٠٠٠ ق . . .) = ومما يمتاز به هذه الآثار بوجه خاص أواني
 الفخار الفيسية الجميلة ذات النقوش المصنوعة بألوان متعددة في الألوان
 الواحد = وتأت من ألوان زاهية من الأصفر والأحمر والبرتقالي والأسود
 على زججه من الفخار مصفواة رفيعة = وقد زينت هذه الأواني بنقوش تعد
 أحسن ما صنع الإنسان القديم من الفخار = وشيخ إحدى القرى التي
 كشف فيها عن آثار هذا الطور في شمال العراق (في موضع يسمى الأريحية
 قرب الموصل) إلى قدم القرى في هذا النمر في العراق ثم ما محسوسا حيث
 أحدث هرب من المدن المظلمة = فقد كشف في القرية المذكورة = أي قرية
 الأريحية = عن شوارع ملطقة بالحجارة واحتطب القرية بأسوار وشبكات
 فيها مبان عامة كانت بمثابة المعابد الدينية مما يدل على تقدم في أحياء
 الاجتماع = واستمر سكان القرى في العراق الشمالي في اتصالهم
 الحضارية كما تشير إلى ذلك بعض المواد التي لا توجد في العراق ولا سيما
 حجر الرخام البركاني ووجدت آثار طوبى حلف في سورته في رأس نمر =
 «وعازت القدم» وفي غيرها من المواضع كما أن اسم هذا الطور يسمى
 بالنسبة إلى موضع حلف في سورته = ومما يجدر ذكره أن آثار الأنوار
 السائقة الذكر (أي حسونة وسامراء وحلف) أقصر وجودها في مواضع
 كلها في شمال العراق ولما عثر عليها في القسم الجنوبي منه =

ولكن الناحية كانت تكون في القسم الجنوبي من العراق منذ العصور
 الحجرية بما كان يحمله النهران العظيمان نهر الفرات من الطمي والعرب
 ومظهر في نادي، الأمر حرر وسعت أهوار تحولت بالمدرج إلى سهول

(١) حول نهر الفرات حلف والمواضع التي كانت فيها من آثاره العثر

المراجع الآتية

(1) Van Oppenheim, *Tell Halaf*, I, (Berlin, 1943)

(أنظر)

(2) M E L Mallowan & C Rose, *Prehistoric Assyria. the Excavations at Tell Arpachiyah* (1933, Iraq, II, 1935, 1 ff)

(3) André Parrot, *Op Cit*, II, 136 ff

(4) G Childe, *New Light*, 110, 217 ff

حصنة صالحة لسكنى الاسنان . وقد أظهرت السقيسات التي أحرثت في مواضع قديمة في حوى العراق ان أول من أسوطن هذه السهول الحديثة النكوس هم أصحاب حصار . عقب حضارة حلف في الرمن في أواخر الألف الخامس ق . م . وقد حلف لنا أقدم هؤلاء بمادح من أوابى الفخار الجميله الصنع عثر عليها في «اردو» (أو شهرس) وهي تمثل أقدم مرحلة^(١) من طور حديد عقب طور حلف في الحوب وسمى بطور «العبد» .

طور العبد :-

وبذلك يكون طور «العبد» أقدم أطوار فجر الحصاره في التسمم الحوبى من العراق . لانه لم يثر على آثار أطوار أقدم منه في جميع هذا القسم ، مما يدل على انه لم يكن صالحا لسكنى البشر الا في أواخر عصر حلف أو في حدود ذلك الرمن وقد سمي هذا الطور بطور العبد سبه الى تل على صفة كيلو مترات من الناصرية قرب مدينة اردو «أو شهرس» . ومما يميز آثار هذا الطور انها مشيرة في جميع أنحاء العراق ووحيد ما يصاهى أوابى الفخار المقوشة في علام وتنصف أوابى الفخار بأنها مربية بلون واحد قوامه خطوط سود أو سمر أو حمر راححة على سطح الاء دى اللون الاحمر . ووحدت من هذا العصر بمادح مهمة من المعاد في القسم الشمالي والحبوبى من العراق وهي تنصف بالخصائص الأساسية لمعاد العراق القديمة في العهود الأثرية . وقد وحدت كذلك بمادح من أسنة اللس بدلا من «الطوف» في العهود السابقة . وبحسب الزراعة وكانت أساس

(٢) وحدت آثار هذا الطور أول مرة في أقدم طبقات السكى في مدينة «اردو» أو شهرس الحالية ، أقدم المدن السومرية وأقدمها وقد دامت هذه السقيسات مدبره الآثار العراقية حديثا (١٩٤٧-١٩٤٩) والرجح كثيرا ان بمادح الفخار المكشوفة في أقدم أدوار السكى في «اردو» لا تمثل طورا حديثا تقع بين حلف والعبد وانما ذلك ، كما ذكرنا في المن ، المرحلة الأولى من طور العبد ، ويشبه تلك المادح الفخار الذى وحدهم سمو الوركاء في الموضع المسمى «قلعة حاج محمد» .

(A L Perkins, The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia (1949)

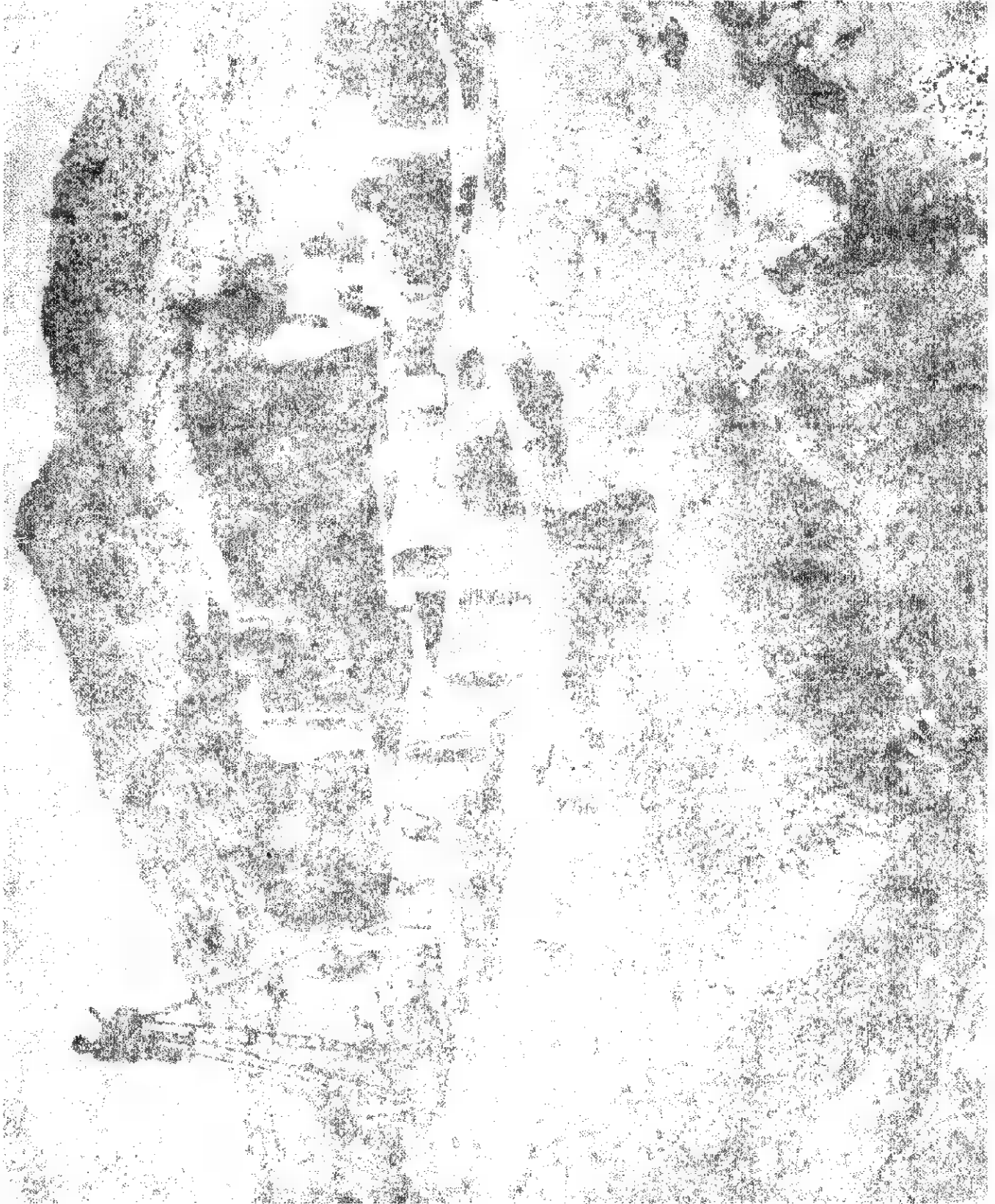
انجياء الاقصادية = واشتر استعمال المعدن ولا سيما النحاس في
 الشطر الثاني من عهد العبد = فكان ذلك خطوة مهمة في تقدم الحضارة .
 وحائسا من هذا العصر نصادح من وسائل المواصلات التي استعملها سكان
 العراق الاقدمون أهمها العرب داب العجلة ، وصادح من سفن شراعية^(١) لا ترال
 شاهد ما يصاحبها في العراق الحديث = وقد وجدت قرية من قرى العبد
 في موضع سمي العفر وجدت فيها نصادح مهمة من بيوت هذا العهد وهي
 تقوم على حاسي شوارع صغيرة . ويدخل الى السوت من أبواب من الخشب
 أو المصبت تدور أعماها على حجارة محوفة = وكانت سطوح الدور مسوية =
 وهي ذات ميارب من الفخار تشبه شها تماما ميارب المصدر المستعملة اليوم
 في العراق . ويحوى كل بيت على أربع أو ست حجرات مسقاة بالحطب
 ويرقى الى السطوح بواسطة درج وقد عرلت إحدى الحجرات لتكون
 مطبخا ويضع فيها السور ووجدت منه نصادح لا ترال شائعة الاستعمال في
 الشرق ولا سيما في العراق ، وقد حرث السلاخون الارض بمحارث ذات
 رؤوس من النصال = وبدوا ان المحارث الكبر لم يهد الى صمعه = وكانوا
 يحصدون العله بمناحل من الفخار مطبوخة طبخا شديدا قل أن يشتر في
 ذلك العهد استعمال الحديد بكثرة ووجدت من هذا العهد اثر من العظم
 والاعمال يدل على وجود الحماكة = والمرجح كثيرا ان أهل طور العبد هم
 الذين قاموا بحصيف الأهوار في الجنوب = ان اشار فخار العبد الى
 الشمال يشير الى اشار طور العبد أو تعامل أهله في أكثر جهات العراق . وبدلالة
 أدوار المعادن التي وجدت في أريدو يمكن تقدير مدة هذا الطور نحو = ٤٠٠٠ عام =

(١) وجد هذا النموذج في أبناء سميات مدبرته الآثار العراقية في تل
 «أبو سهرين» (أريدو) (حول نتائج التنقيبات في أريدو انظر المراجع
 السابقة) . وقد سبق ان ارجعنا عهد العبد في حدود ٤٠٠٠ ق . م .
 وبالإمكان تاريخه أيضا نحو ٤٥٠٠ ق . م . ولا سيما في القسم الجنوبي
 من العراق . وهذا رصيصا في طور «القصوم» أي العصر الحجري الحديث
 في مصر بحسب نتائج طريقة بعض أدوار التاريج بالاستعاع الكربوني (C14)
 في مصر بحسب نتائج طريقة بعض أدوار التاريج بالاستعاع الكربوني (C14)
 (Childe, New Light (1952), 171)

و. مكاناً أن سمي أهل طور العبد في القسم الجنوبي من العراق بالسومريين
 ١. ١. ١. السومريين ، كما انه يوسمنا أن نستدل على كثرة السكان في هذا
 التطور من عدد المقابر التي وجدت في «اردو» من أواخر عهد العبد (حوالي
 ١٠٠٠ م. في موضع واحد أي في اردو وحدها) . ونؤكد ما سبق ان
 يكره من اشارة طور العبد في جميع أنحاء العراق تقريباً ، حيث وجدت
 مواضع كثيرة تنتشر فيها آثاره .

٢. ١. ١. بالكلمة (أو السأريخي) :-

وعلى الرغم مما لا حطاه من علامات التقدم في طور العبد السام
 الذكر فان سكان العراق الاقدمين لم يهدوا في هذا التطور ولا في الايام
 التي سبقت الى طريقة للدوس - أي بعذرة أخرى لم يعرفوا الكتابة .
 ولكن هذا النقص لم يسم طويلاً اذ اهتدى فيما بعد الى احراع الكتابة .
 وقد بدأ هذا الاهلاب في تاريخ الحضارة البشرية أول مرة في العراق في
 منتصف العهد الذي أعقب طور العبد ، ذلك العهد الذي أطلق عليه اسم
 «عصر الوركاء» (٣٥٠٠-٣٢٠٠) وقد سبق أن اصطفينا على العهد السام
 الى اسبق الثاني من عهد الوركاء وعلى طور جمده نصر اسم «العهد الثاني»
 «الكلمية» . وبدأت الكتابة في أول أمرها بسيطة مدوّها بدوس الأشياء اذ
 المألوفة برسم صورها وهذا ما يدعى بالكتابة الصورية . وقد اتحدوا أواخر
 العهد ، كصور عليها وهي طرية بقلم من النصب أو الخشب . وطل الطين
 أه. مواد الكتابة في جميع تاريخ العراق القديم . ولكنهم اتحدوا مواداً أخرى
 للكتابة كالحجر والمعادن . وبعد مرور أحيان على ظهور الكتابة الصورية ،
 أخذ . تطوّر وبعد عن الشكل الصوري . واستعمل مجموعة من العلامات للتعير
 عن المعاني المتحددة . وتطورت الصور شيئاً فشيئاً وبعد الشبه بين أشكالها
 وأشكال الأشياء التي كانت تمثلها في الأصل وصارت علامات مختصرة . وهي
 ما شبه النذر . أو المسامر ولذلك سميت بالكتابة المسماة . وصارت
 تستعمل . هيته متطوع بدوته لكتابة الكلمات والحمل بعد قطعها الى «مقاطع» .
 وسأحد أشياء أخرى مفصلة عن الكتابة وتطورها في القسم الثاني من هذا



منسهد عام بين السقيبات الحاربه فى اربدو (ابو شهرين) فى الجزء الحاص
معاند المدينه حيب كنىف عن اقدم معاند فى باربع الاسنان

الكتابة ، فكفى ها بأن نذكر ان ^١ . من بدايه الطور الصوبى فى
أواخر عهد الوركاء (فى الطبقة الرابعة من طبقات الوركاء) . ووجدت ايضا
فى الموضع نفسه ألواح من الطين بهيئة جداول بالعلامات المسماة لعلم
الكتابة فهذه ادن أقدم أنواع المعاجم .

الوركاء :-

سمى هذا العصر الحديد «بالوركاء» نسبة الى مدنة «الوركاء» فى شرق
العراق بالقرب من مركز ناحية الحضر (السماوة) . والوركاء من أقدم
المدن السومرية . وورد ذكرها فى البوراة باسم «ارك» واسمها السومرى
«اوروك» فاحير هذا الاسم ليطلق على هذا الطور من أطوار عصر ما قبل
السلالات ، الذى يرتقى الى حدود ٣٥٠٠ قبل الميلاد .

والإضافة الى احراج الكتابة فى منتصف هذا الطور حدثت تطورات
مهمة فى حصاره العراق فى هذا العصر . بحيث يصح أن نعتبر اسداء
الحصارة الناصحة من منتصف هذا العهد ، فقد تقدم فى البناء ولا سيما المباني
العامّة كالمعابد وقد وجدت فى هذا العصر معابد مشددة على مصاطب متداعية
مكونة من عدة طبقات هى أصل (الرقورة) أو الصرح المدرج الذى امتاز
به حصاره العراق القديم . والرقورة برج شاهق (كبرج بابل المشهور وبرج
أور المميز وبرج بورسا المسمى الآن برس مروود وبرج عرقوف) كان شديد
حوار معد المدنة وسى بهيئة طبقات يتراوح عددها بين الثلاث واسبع
طبقات تتدرج فى السعة بالساقص حيث تكون أسفل الطبقات أكبرها ثم
تليها الطبقات الأخرى . وكانوا يشيدون فوق القمة معدا لعباده اله المدييه
المحاص . ويرقى الى قمة البرج سلالم ، سلم لكل طبقة ، وكان يقوم بحوار
الرقورة معد المدنة الكبير الارصى . وقد وجدت أوائل هذه الرقورات حيث
شيدت لعباده الآله «آب» وقد سمي بالمعد الابيض . وكذلك وجد نموذج
للرقورة ^(١) فى موضع يسمى العفير نقت فيه مديرية الآثار العراقية ويرجع

(١) (حول الآراء المختلفة عن الزقورة انظر

عهده الى طور الوركاء ، وقد زينت جدران المبد المشيد فوق قمة الزقورة
بصور ملونة تمثل بعض الحيوانات مثل السر والعهد تعد أقدم صور
حدارية .

٢- النحت والاختام الاسطوانية :-

وحلف لنا فابو هذا العهد نماذج جملة من المحتات الحجرية تعد
أقدم أنواع فن النحت في تأريخ الفن . واخترع المرافيون القدماء في هذا
العصر أيضا شيئاً مهماً راد في فائدة الكتابة بشيب صحة الرسائل والسجلات
المكونة وعلى بذلك الحتم الاسطوانى الذى اخضت به حضارات العراق
القدم . وكان أداءه لارمه من المقتيات الشخصية . والحتم الاسطوانى حرزة
أو حجرة اسطوانية مقوشة بصور ورسوم مختلفة بهيئة معكوسة (تصوره
المرأة) . فاذا دحرج على لوح الطين المنكوب وهو طرى يترك فيه طعة الصور
الاصلة . وكان بمثابة توقيع صاحب الحتم وقد يقش باسم صاحبه كما هي
العادة في العصور الى عقت طور الوركاء . وقد سبق الحتم الاسطوانى
في الاطوار السابقة نوع من الحوم المسطحة على هيئة الحوم (الطيمات)
المسجلة الا . وسجد المقون في أطلال العراق القديمة ألوماً من
الاحياء الاسطوانية وتعد هذه من المصادر والمآخذ المهمة لمعرفة أحوال
العراق في أدواره المختلفة التى يمتاز كل منها بنوع من الاختام المقوشة
صور مختلفة تمثل مشاهد وماطر من الحياه اليومية والعقائد الدينية
والاساطير والحوادث الخلة بالآداب .

جملة نص :-

وأعقب طور الوركاء الطور الاخير من العهود الى اصطلاحنا على



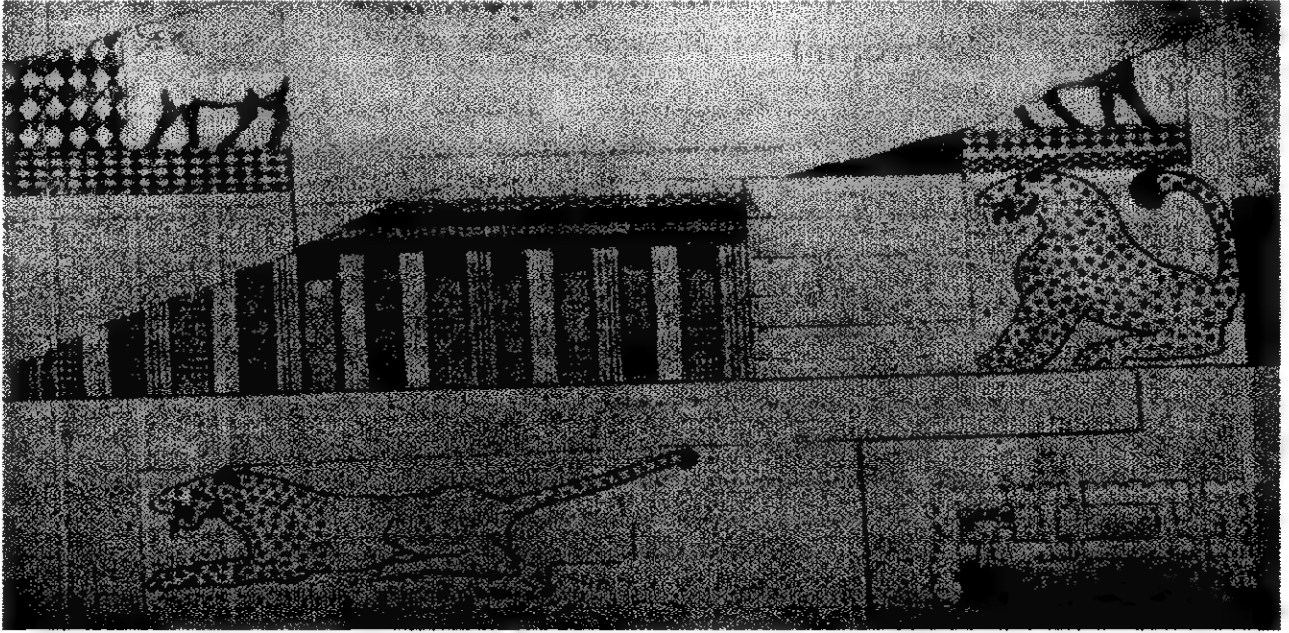
نموذج من ألواح الطين المكتوبة بأقدم أنواع الحظ المسماة حسب كان في طوره الصوري في العهد السيبه بالكاتبى

تسميها بعصور ما قبل السلالات • وقد أطلق عليه اسم حمدة مصر • (٣٢٠٠-٣٠٠٠ ق م) سبه الى بل صغير يعرف بهذا الاسم قرب مدسه كبش القديمة • كما وجدت في أماكن أخرى مثل كيس وانوركاء والغفر وتل اسمر وفي مواضع أخرى • وقد تقدمت الأشياء الى اسمر الى احراءها العرايون القدماء وتوعدت في هذا العهد • ولا سيما الكتابة وفق انحت ، والماني نوحه عام • وقد سبق أن أشرنا الى ان التشطير الثاني من طور الوركاء وهذا الطور الحديد أي • حمدة مصر • يؤلفان حصة خاصة هي أقرب الى العهد الأريحي وعهد الحضارة الناضجة منها الى عصور ما قبل السلالات لا سيما وان الكتابة قد ظهرت في عصر الوركاء وتقدمت بها ما في عهد حمدة مصر • ولكن مع ذلك كانت الكتابة لا تزال في مراحل تطورها الأولى ولم تشمل لتدوين الحوادث والتسويرو المهمة وسجلات الملوك بل انصرفت على تدوين أمور بسيطة كإيرادات المباد وتدوين المعاملات

السيطة ولذلك حشرا هذين العهدين في عصور قبل السلالات. وتمازج الألوان
المحارية. من عهد حمدة نصر نابها مقوشة بمدة ألوان (polychrome) ويعلب على
ألوانها اللون الأحمر القرمري، وأشكال الألوان شبه كروية مملطحة بمصرة
الرفعة، عريضه الحافات ولعضها أربع عرى صغيرة عند الكف.
كما أن أبيعة طور حمدة نصر تميز بنوع عريب من « اللس » طويل
ومقلعه تكاد يكون مرسا (بدعى بالالمابه Kiemchen).

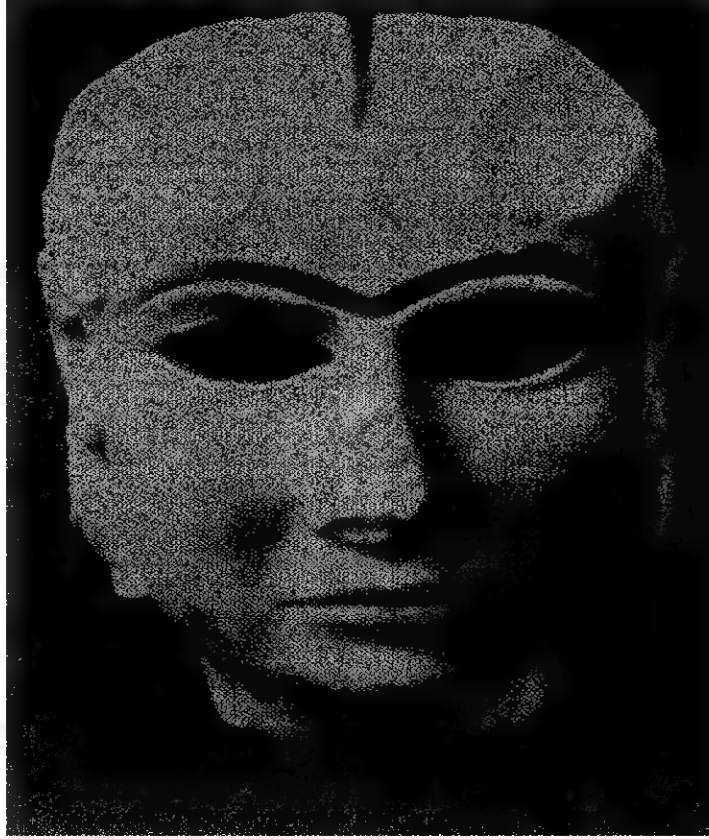
وبرجع الى طقه تعود الى عهد حمدة نصر في الوركاء قطع فيه من
المحتوات شير الى درجة رافية وصل اليها من السحت ويمكن من يرور
المتحف العراقي التأكد من ذلك اد سيشاهد بعض هذه القطع العبية ولا سيما
اماء كبير قديم من المرمر نقش من الخارج بأرصة حقول محلفة من محتوات
بالسحت النار تمثل موكب أشخاص وكهنة عراة يحملون القرايين الى سورة
- حونة يرحح اليها الهة - ويوسع الرائر أن يكون فكرة عن صور
السومريين الأوائل الذين أوجدوا أقدم حضارة في العراق - وساهر -
في المتحف العراقي بصا من الحجر الاسود (حجر البازلت) مسحوما بالسحت
النار مشهد مثل صيد الاسود - ومع ان هذين الأبرس وحدا في الوركاء
في طقه بانه تعود الى طور حمده نصر الا ان المرحح اليهما من بقايا النصور
السابق أي طور الوركاء - ووجد مد مصعة أعوام في مدسه الوركاء (وقد
وجد فيها الاثران السابقان) رأس فاء بالحجم الطبيعي مسحوت بحا دققا
حملا، ويعد من أنفس الآثار الفسة - وقد تنس الناس في هذا العهد بسبع
أواني الحجر الحميلة حيث كانوا يرسمون خارجها تطعيمها وبرسيمها بالحجار
حميله وأطرره بديعة.

ومما يقال في عهد حمدة نصر ظهور مدن جديدة مثل «حمدة نصر»



نماذج من النصور المنقوشة في حدران معبد العقير (من طور الوركاء)

«وفارم» (شروناك القدمية) وماري (تل الحريري) ^(١) وصارت مستوطنات أخرى مداما مهمة مثل كيش وحفاحي • ويمار طور حمدة نصر من الناحية الأثرية. بوع حاص من أواسي الفخار الملونة بعدة ألوان وهي ذوات أشكال وألوان جميلة تذكرنا بأواسي الفخار من عهد حلب كما ذكرنا ذلك سابقا • ويتمر كذلك بأنواع خاصة من الخواتم الأسطوانية المنقوشة بصفوف من الحيوانات والأسماك والطيور ، وقد نقشت هذه المشاهد بطريقة تدو فيها مختصرة جامدة على خلاف نقوش الخواتم الأسطوانية من عهد الوركاء التي تمتاز بنقشها الدقيق الصير • وفي الكتابة اخزل في عدد العلامات المسماة التي اخترعت في الصف الثاني من طور الوركاء من ٢٠٠٠ علامة إلى نحو ٨٠٠ علامة م إلى ٦٠٠ علامة في الأطوار التالية • وكذلك وضع استعمال الطريقة الصوتية • وكثر استعمال أدوات



نحت من المرمر يمثل رأس فناء بالحجم الطبيعي ، وخذ في الوركاء
وبرجح أنه يعود الى طور حمدة مصر

النحاس ، والمرجح انهم عرفوا الروتز ، وتقدم فن العبدس
حتى انهم عرفوا طريفة فصل البضعة من الرصاص^(١)
ووجد في حمدة مصر عسها دكة اصطناعه (٣٠٠ × ٢٠٠ م) أقيم فوقها
بناء معقد (٩٢ × ٤٨ م) دعى بالقصر ، واذا صح ذلك فيكون هذا أقدم قصر
من نوعه قبل ظهور قصور الامراء والحاكمين بكثره في عصر فجر
السلالات (Langdon in *Der Alte Orient*, 26 (1928), 67)

ولكن الذي لا شك فيه ان نوعا من الحكم كان معروفا في العراق في
العهد الشبه بالكسائي ، كما ان ضغط الري واقامة السدود قد سار
شوطا مهما =

(١) (Forbes, *Metalurgy in Antiquity* 1950, 210)

وملخص القول كان هذا العهد (العهد النشيبه ماكناسي) ذا أهمية خاصة في ظهور الحضارة الناصحة في القسم الجنوبي من العراق بحيث يمكن تسميته بطور تكون الحضارة السومرية^(١) وإن عصر فجر السلالات عهد تلور هذه الحضارة ، كما يصح من الأمور الهامة ألا يه أنى أحرها سكان القدماء :- (١) رى منظم واسع (بمقياس كبير) ، واتسع ذلك تكرار السكان . (٢) تطور القرى الكثيرة إلى المدن وظهر نظام المدينة ودول المدن (City - States) إلى إمارتها العصر التالي (عصر فجر السلالات) . (٣) شوء نوع من نظام الحكم أهم ما يمار به الحكم الديمقراطي البدائي (الشورى) حيث يصرف شؤون مجتمع الدولة مجالس المشيخة وأهل المدينة (أنظر البحث الخاص بنظام الحكم في العراق) . (٤) ظهور الزكاة وتطورها . (٥) انتشار أعمال المعادن ولا سيما (النحاس) وبداهة الفان في المدن . (٦) ظهور الأبنية الدكارية (الفن السدكاري Monumental Architecture) المعابد والرفوراب^(٢) .

(1) Formative Period انظر

[H Frankfort, **The Birth of Civilization**, 49 ff]

(1) H Frankfort, *ibid*

(٢) حول أبحار هذه الأمور انظر

(2) Braidwood, **The Near East and the Foundations of Civilization**.

الفصل الخامس

الحضارة السومرية

وعصور فجر السالات

١ - نسبه لى أبرز مميزات العراق الجغرافيه :-

قل ان بدأ بالكلام على مظاهر الجغرافيه السومريه التى شأت فى انتمى
الحيوى من العراق من الاطوار التى بها فيها ساهما بدرجة علميا أن سهر ذلك
تدريجيا من ارضها الى رادى الاراضى من الخصائص الجغرافيه مما كان أثر
فى سير تاريخه وتطور حضارته ، وسوف لا نطرق الى التفاصيل الجغرافيه
الاعرى ، مبدئين فى ذلك على معرفه الشان بهذه التفاصيل .

ومع اننا لسنا من الذين يحفلون بالشئ الجغرافيه العامل الاول فى
تطور الحضارات وتطورها وطبعها نطاق خاص ، الا انه لا سغنا اهمال أثر
الامتداد الجغرافيه فى سير الحضارات والتجمعات وأثر امكانيات السه
الطبيعه اذا استعملها الانسان وسيطر عليها . كما انه لا يحور اعمال حقيقه
حضارته مهمه وهى ان أثر الشئ الطبيعه فى حياه الانسان كان فى الارمان
القديمه أشد منه فى الارمان الحديثه التى تقدم فيها الانسان فى أساليه العلميه
لصه بحيث يستطيع أن يصنع لذلك قاعده وهى ان أثر الشئ الطبيعه فى حياه
الانسان سار على أساس العناؤل بالنسبه الى تقدم الانسان الحضارى . فحين
كانت محكم فى الانسان فى عصوره الحجرية القديمه ، وكان طميليأ عليها
وحاصها لأعظم الأيثار صار مشاركا لها فى الامساح فى العصر الحجري
الحديث بأخذ المادئة بده حيث صار مثلها يسبح القوت والزراعه بده ، وأخذ
يقبل أثر الشئ المطلق باسقاله الى الحضاره حيث بدأ يسيطر عليها منقلا

بذلك الى السيطرة على يثه الاحماعة بايجاد الحلول لمشاكل المجتمع الناني .
بعد تعقد الحياه الاحماعة مظهر الحضارة .

١ - ولعل أول ما يحلب الاساء في جرافيه وادي الرافدس ان هده البلاد اقليم نهري عظيم فسه بهران عظيمان يسعهما عدد مهم من الروافد مما يحلب العراق^(١) من الافطار انقلاثل في الكره الارصه انى يحور على مثل هذه الانهار بهذا المماس الكبير^(٢) . ولما كان أكثر من نصف أراضي هذه البلاد تعتمد حاتها بالدرجه الاولى على زراعة الارواء لذلك صار تنظم الري والسيطره على الانهار من أثرر مقومات الحضارات القديسه في العراق .

٢ - يحلب العراق عن الاوايم القليلة الى نشأت فيها الحصاراب الاصله الاولى مثل مصر . انه دو امكانيات اساحيه عظمى وانه من الممكن ان تشأ فيه جماعات بشرية ودول مفصله بعضها عن بعض ولها امكانيات

(١) لا نعلم بالسطر اصل اسم العراق . والمرجح كثيرا انه ذلعه فارسيه (ولعلها الفارسيه الهلونه) التي يعنى السهل او السواد او البلاد المنبسط . ولعلها كما ذهب الباحث هررولد (انظر لعه العرب ٢ : ٢٥١ فما بعد) معرفه من «ابراك» (مثل ايران) ويوجد احتمال اخر هو ان لفظ العراق من الكلمات السومريه النائده التي يعنى «المسوط» . وهناك حمله مدن سومريه أشهرها «الوركاء» تكب سمارها بعلامه يعنى المسوط . وذهب أكثر المفسرين العرب الى ان العراق يعنى «الحرف» او الساحل (انظر باح العروس وناقوس) . وكان العرب يظنون على اسم الحنوبى من العراق اسم ارض السواد او العراق . والعسم النشالى اسم الحريرد وهو بلاق اسم ما من النهرين اليوناني Mesopotamia . وهو اسم صار يطلق ايضا على كل العراق . وصار اسم السواد والعراق مرادف . والحدود بالذكر عن تاريخ استعمال اسم العراق أنه ورد في اواخر العهد الكسى (في حدود القرن الناني عسرى - م) باسم فطر على هينه «اربا» . ووطن الاسناد «أومسند» ان هذه أول اسما الى اسم العراق الذى صار الاسم العربى لبلادنا .

(Olmstead, History of Assyria, P ٤0)

حول الاسما الجغرافيه الامرى العاصه بالعراق القديم انظر العاده رقم (١) الص ٩٠ .

(٢) حول وصف دخله والفراب والانهار التي شتعا مهمما ومن روافدهما سكان العراق راجع المحب الحاص تاريخ الري في هذا الحرف وكذلك المحب الحاص بالزراعه .

اقتصاديه تكفيها ، ولذلك امار وادي دجلة والفرات ناه أقل وحدة من وادي
 النيل من الناحية السياسية = فلاد نابل مثلاً أى من بغداد الى الحبوب = يمكن
 أن يكون وحدة سياسيه اقتصاديه حيث يعتمد هذه المنطقة على الارواء النهري .
 وحتى في هذا الجزء امكن لعدة دول مدن (City-states) أن يردهر فيه
 حسب الى حسب في عهد اردهار الحصار = السومرية (٣٠٠٠-٢٤٠٠ ق م) .
 أى أنه أمكن أن تقوم فيه وحدات اقتصادية وسياسيه = ولكن بعض العوامل
 الاخرى الى سذكرها عملت على اتحاد هذه الوحدات ودمجها في مملكة
 من عهد دول المدن = واداً ما سرراً شمالاً من بغداد نجد العراق
 مقلعه أنهار أخرى مهمة - دالى وانرابان والخابور والناليج عدا
 امكان الارواء بالمطر - بحيث يمكن أن ششاً وحدات اقتصاديه وسياسيه
 أخرى مستقله ، والمثال على ذلك قيام الدولة الاشورية كدولة عظمى حسباً
 الى حسب مع دوله بلاد نابل في الحبوب = واداً فاربا العراق من هذه الناحية
 بمصر وحدنا فارفا عطيماً ، فان وادي النيل المعتمدة حياته على نهر واحد
 شق الوادئ من الحبوب الى الشمال كان أمل الى الوحدة السياسية ، وفي
 الواقع بدأت هذه الوحدة فيه بمقاس مملكة المطر الموحد في عهد أقدم من
 الـ-عراق .

٣ - أما العوامل التي نوهنا بها من انها عملت على توحيد دول المدن
 السومرية في مملكه واحده مؤلف ميره أخرى من مرات حرافية العراق
 الى أثرت في تاريخه تلك هي ان القسم الجنوبي من العراق والوسطى
 أيضاً حديث النكون من الناحية الجولوجية^(١) وتقصه المواد اللارمة لساء
 الحصاراة النرافة كالحشب والحجر والمعادن الخ = فعمدت دول المدن
 السومرية الى جلب هذه المواد بالتجارة الخارجيه = ولكن مضارب مصالحها
 وحاجة التجارة الخارجيه الى تنظيم اجتماعي وسياسي أوسع والى سيطرته
 مركزيه قد دعى الى جمع هذه الدول بوحده فسرته بالحرب . وقد تم ذلك
 على يد سرحون الاكدي مؤسس السلالة الاكدية = كما ان تنظيم شؤون

(١) انظر الكلام على آثار العصور الحجرية .

الرى بمقاس واسع استلزم أيضا قيام هذه الوحدة السياسية تعبيراً عن الوحدة الاقتصادية . والمعارضة مع وادى النيل تحدد هذا القطر ستمتع بالاكتماء الذاتى من ناحية الموارد أكثر من وادى الرافدين .

٤ - نمار السنة انى شأنا فيها حصاره وادى الرافدين بالعصف وانشدته من ناحية مدلات مواسمها ودمار أنهارها . واحلاف ماحها وستانها باحلاف المناطق ، فالشقاء فى بلاد سومر معدل وتكون ادنى قليلاً فى بلاد أكد (بين بغداد والحلة هرباً) ، وسقط الضيع فى شمال عراق . فادا قاربنا مثلاً النيل ندخله أو انهراب وحدا ان النيل نمار باطراد الضمان والعودة عوده غير مصحوبه بالعصف والدمر ، كما ان فيضان النيل (مد حريران هرباً) يحدث فى وقت يستعد منه الناس للزرع . والواقع ان زراعة النجوم بدأ من بعد الفيضان . أما الحبال فى دحله وانهرات فان فيضانها مع فى الوقت الذى بهياً فيه الشر الى احصاد وحى العلة . هذا الى عصف وضاهاها والحاخه لنسفر . ناهما الى قوى وجهود شرية عظمى بحيث لا سيع النبع لحصاره انعراق القدمم الا أن يعجب سكان العراق القدمم وبحر . ما ندوود من الجهود المسفر . على هرين من أعظم وأعصف انهار الدنيا .

نقد أدى هذا الحال الى أن وصف الحصاره المصرية بالاعتداد والثقة بالنفس ، الاعتداد باحاراتها وشعورها وسيطرتها على القوى الطبيعية بحيث انها جعلت راس المجتمع الذى انجر هذه النسفره الاها ، أى انها الهب ملوكها انعراعه (أنظر ولسون فى Before Philosophy) . أما الملك فى حصاره وادى الرافدين فلم نصر الها بل كان شراً عساداً نمار عن الشر الآخرين بان الآلهه التى بدما كل شىء فوصه لتحكم الشر السامه عنها . وسجد انعكاس عصف الطبيعة فى حصاره العراق القدمم بصور . منصلة أكثر فى نظمها السياسية وشعائرها ومعهداتها الدسة . فالاسان فى العراق القديم لم بعد باحاراته ، وشغلته هذه الحياة بما تتطلبه من جهود عن الفكر

في الحياة الأخرى والحلود فيها على نحو ما فعلت حضارة وادي النيل .
 كانت حضارة وادي الرافدين تمتاز بالحدة والتوتر وتوقع المفاجئات والفواجع .
 أما حضارة وادي النيل فكانت تنصف بالثقة والاطمئنان . وفي درسنا لاساطير
 الحليفة في كل من الحضارتين نجد نظام الخلق في حضارة وادي النيل
 وقد وجد منذ الأزل من حاب الآلهة بدون كفاح ، أما الخلق في حضارة
 وادي الرافدين فلم سم إلا بعد صراع واحتراب بين الآلهة التي تمثل قوى
 الكون المحلفة ، وعمار الكثير من هذه الآلهة بالعنف والفسوة والبطش
 مثل الآلهة الليل (اله النحر والهواء) ، على ما سيوضح لكم ذلك من دراسة
 حضارة وادي الرافدين في الفصول الآتية .

٥ - ومن الطواهر البارزة في جغرافية العراق مما كان لها أثر في
 تأريخه ظاهرة تغير الأنهار مجاريها بمرور الأزمان . كما فعل الفرات ودجلة
 في عصور مختلفة (انظر البحث الخاص في تأريخ الري) . وكان هذا عاملاً
 في اندراس المدن وتحول المستوطنات وهجرانها بسبب تغير مجاري الأنهار .
 فهناك حملة مدن مهمة كانت تقع على الفرات في مجراه القديم وهي الآن
 في نادية حرداء تعدر فيها الحياة . وكان واسط إلى عهد قريب تقع على
 الدجلة^(١) ولكنها الآن مهجورة ارجوع مجرى دجلة إلى مجراه الأصلي ،
 إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة .

ونحسم كلاماً على خصائص العراق الجغرافية بذكر ميرة أخرى
 مهمة أثرت في تأريخه وهي تعرض بلاد وادي الرافدين إلى الخارج
 بالمقارنة مع مصر التي يمكن عدّها أقليماً مقفولاً تقرّبنا من هذه الناحية . وقد
 جعلت هذه الميزة العراق معرضاً إلى هجرات الأقوام العبيدة وإلى غزواتها
 المتكررة واحتلال أسكان وانحصرات منه إلى درجة كبيرة . ففي الغرب
 لا يوجد فيه وبين حرمته العرب حاجز مانع مما جعله محطاً لهجرات البدو

(١) حول تفسير النهر المدرس المسمى دجيله وبسبببته بأحد الأنهار
 العظمى التي شقها أحد الملوك السومريين راجع الكلام على ملوك سلالة لجش
 في عصور فجر السلالات .

الساميين من اقدم العهود « وعرض من الشرق والشمال الشرقي الى هجرات
الاقوام الهندية الاوربية أيضاً .

٢ - عصور فجر السلالات :-

عرفنا في الفصلين السابقين شيئاً عن الاطوار التي سميها بعصور
ما قبل السلالات . وسنستكمل كذلك لانها سبقت ظهور السلالات الحاكمة .
وقد سميها أيضاً بانطور «الحجرى-المعدني» حيث بدأ الانسان في انغراق
القدم للعمل المعدن الى جانب الحجر . وقد اعترىها كذلك
فجر الحصاره لان الانسان اهدى فيها الى احراعات وصناعات مهمه مكسبه
من الانتقال الى طور الحصاره الرافقه . وقلنا ان أبرز هذه الاحراعات
هي : (١) التعدين . (٢) وسائل المواصلات سريعة مثل العربيه ذات العجلة
والسقيه انشراعه . (٣) دولاب الحراف . (٤) اسراع الزراعة واسفال
القرى الى أوائل المدن الكبيره . (٥) وقد تم في الاطوار الاحمره من هذا
العهد احراعات مهمه لا حصاره بدونها مثل الكنايه والياشي العامه والتمون
الحمله كالتحج والصور . فعمل كل ذلك على شوء الحصاره السومريه
الرافقه أو حصاره وادي الرافدين الاول في حوض العراق في نهايه الالف
الرابع قبل الميلاد فلأخذ شيئاً من هذه الحصاره في هذا الفصل من بحثنا .

تسمى الأزمان التي عمت آخر عهد من عصور ما قبل السلالات
بعصور فجر السلالات^(١) ونوسعا أن نجد هذه العهود من نهايه «حمده
نصر» وهو آخر طور من أطوار ما قبل السلالات في بدايه الالف الثالث
ونهايتها في فتره السلالة الأكديّة في منتصف الالف الثالث (في حدود

(١) (Early Dynastic Periods) وهذه هي التسميه الشائعه لهذه
العهود وقد سمي في بعض الكتب القديمه باسم عصر ما قبل سرجون
(Pre-Sargonic) . وفي بعض المؤلفات الالمانيه باسم عصر لحسن الاول
والثاني والثالث . كما نجد اسما آخر هو عصر «اللين المنسوى المحدث» اشارة
الى سنوع هذه النوع من اللين في الالبسه ولا سيما في الطور الثاني من
عصور فجر السلالات على ما سندر في من الكتاب .

٢٤٠٠ ق = م) وهي السلالة التي اشتهرت بمؤسسها سرحون الاكدي الذي وحد البلاد في مملكته واحدة كبيرة = وعلى هذا دامت عصور فجر السلالات زهاء سبعة قرون ، تمت فيها حصاره العراق القديم وصحبت واردهمب وهذه هي الحصاره التي اصطلح المؤرخون على سمنها بالحصاره السومريه =

لما سمنه هذه الحصاره عصور فجر السلالات فلأن العراق في فجر حياته السمنيه ، فلم يشأ بعد الممالك الكثيره والامراطوريات المعظمه التي قامت فيما بعد هذه العصور = وان انبلاد بوجه عام لم تتوحد بهاأنا تحت مملكه كبره واحده الا في أواخر عصر فجر السلالات بظهور سلاله سرحون الاكدي = فاقبل العراق من عهد دولات المدن التي امتدت لها عصور فجر السلالات الى طور المملكه الكثيره والامراطوريه = وعلى الرغم من عداها هذه العصور بدء تكوين الممالك الا انها كدت عهد نمو الحصاره السومريه وازدهارها التي كانت أولى الحصارات الشرقيه الاصلية = وأساسا تجمع حصارات العراق القديم فيما بعد واحصارات أخرى شأنت في أنحاء السمرى الأدنى = فمن الحصارات التي اشتهت من حصاره السومريين حصاران شأنتا في العراق ، وهما الحصاره النابله والحصاره الآسوريه = والآسوريه السمرى حصاره الخيين التي اعتمدت في أصولها على الحصاره السومريه بحيث أصبح اننعدها حصاره فرعه من حصاره العراق القديم الاولى = وشأنت في بلاد عيلام الى الشرق من دجلة حصاره قديمه اعتمدت كذلك في أسسها وموماتها على الحصاره السومريه = وإلى هذه الحصارات الفرعه التي اسمنت من حصاره العراق القديم الاولى تأثرت حصارات الشرق الاخرى بالعراق كما أثبت نتائج السمنات الحديثه =

وقد تمكن الباحثون بدرسههم آثار عصر فجر السلالات التي عثر عليها في مواضع متعدده من العراق من تقسيم سته القرون التي يعدر بها زمن

تلك المهود الى ثلاثة أطوار أو ثلاث مراحل حضارية^(١) تميز كل منها بخصائص حضارية بارزة ويطلق عليها اسم عصر فجر السلالات الاول والثاني والثالث بحسب تسلسلها الرسمى = وبد عقب الطور الاول منها عصر «جمدة نصر» ويعد بعض الباحثين بمثابة طور انتقال من الطور السابق له ومع ذلك فقد جائتنا من هذا الطور آثار مميزة مثل الختم الاسطوانية الخاصة به الموشاة برحارف تشبه زخرفة السيج = ووحدت معابد مهمة في منطقة دىالى مثل (تل أسمر) (اشنونا القديمة) وخفاحى شيدت لبعض الآلهة السومرية في هذا العهد • كما تميز هذا الطور بنوع من الاواني الخزارية مصبوغة بلون أحمر قرمزي (Scarlet-ware)

ولعل أبرز ما جاءنا من طور فجر السلالات الثاني (٢٨٠٠-٢٦٠٠ ق م •) المحتويات النحيلة المنحسمة التي وجدت في المواضع القديمة في منطقة دىالى (تل أسمر وتل احرب وخفاحى) = وهذه أصنام أو أوثان وتمائيل أشخاص منحوتة نحتا محسما يشير الى ازدهار الحضارة والفن وبلوعهما اندرودة = وتزين هذه التماثيل الآن احدى قاعات المتحف العراقي^(٢) • وكذلك منحوت «المعهد الشرقي» في شيكاغو وهو المعهد الذى نقب في منطقة دىالى منذ ١٩٣٠ • ويمتاز فن النحت السومري في هذا العهد باننا نجد في التماثيل التي تصور البشر المسحة الهندسية الكمية (Geometric) ولاحظ فيها اهتمام الفنان بالتناظر ما بين أجزاء التماثل الآدمي ولكنه حامد نوعا ما باستثناء ملامح الوجه الحية والسبب في ذلك ان معظم هذه التماثيل قد صنع لأغراض دينية مما قيد حرية الفنان بعرف خاص = ويشذ عن ذلك

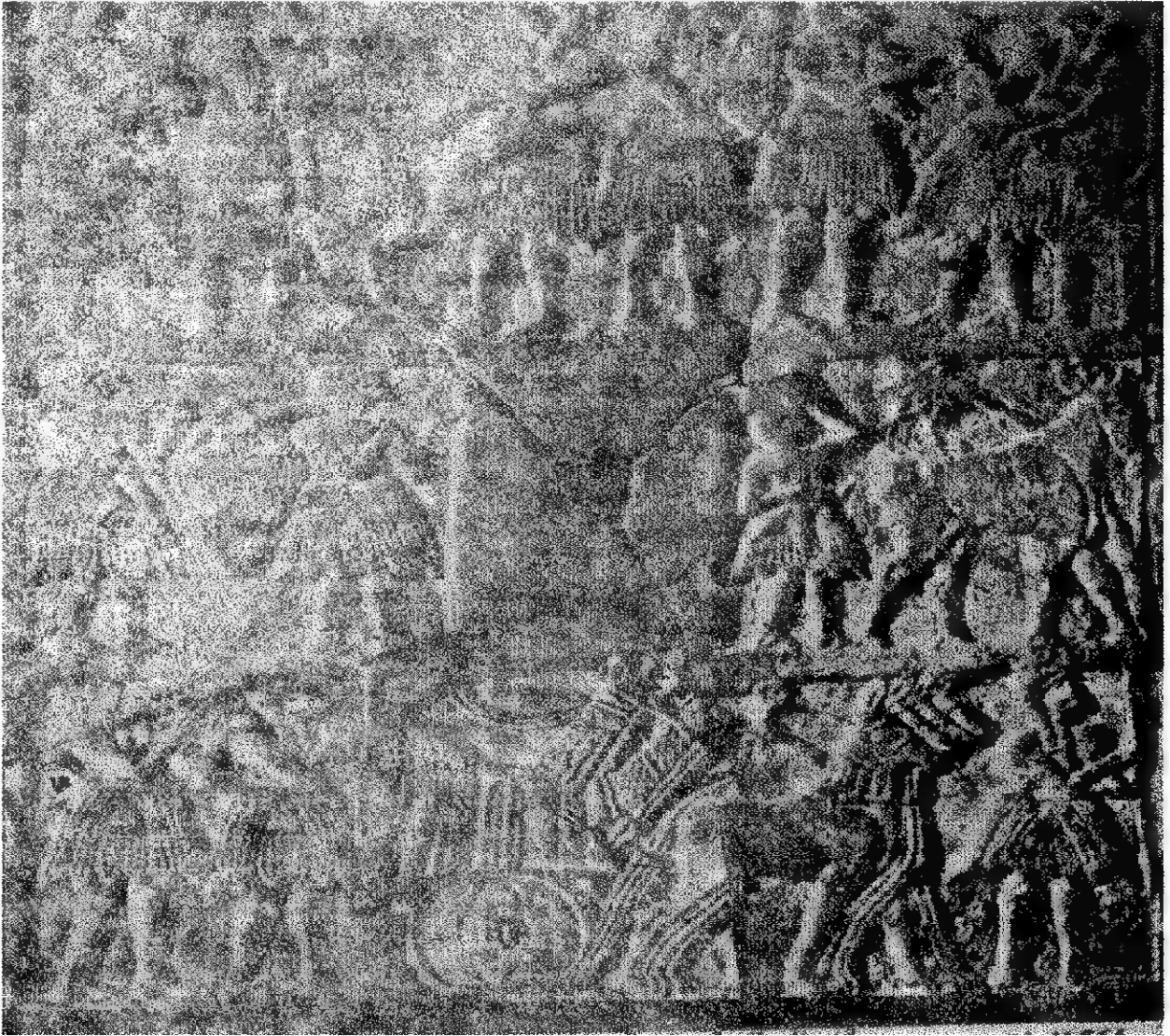
(١) ان السسمه التي اقترحها الاستاد «هرى فريكمورت» لهذه المهود (تسمى عصر فجر السلالات) في عام ١٩٣٦ وكذلك التقسيمات التي اقترحها مستندة بالدرجة الاولى الى نتائج التقييات التي قام بها نحت وثائسه جامعة شيكاغو في مواضع دىالى مثل تل أسمر وتل احرب وخفاحى •

(٢) أنظر (H. Frankfort, Sculpture from the Diyala Region).

حرية العنان التي أبدع بها في نحت الحيوانات حيث وفق العنان الى اظهار اسامي العاطيف والسميل النواعي ، كما يشهد على ذلك قطع فيه نادره جاءتنا من هذا العهد (انظر بعضهما في هذا الكتاب) ووجدت من هذا العهد نماذج من أولى التماثيل الموكية كالمصر الذي وجد في كيش^(١) وهو ذو صفوف من الأعمدة ووجد مصر من هذا العهد ايضا في «اريدو» (مجلة سومر ١٩٥٠ ، ٣١) .

وقد بلغت الحضارة السومرية في التطور الثالث من فجر السلالات نهاية ضحها كما تثبت ذلك الآثار النفيسة التي وجدها المنقبون في مدن العراق القديمة ، ولا سيما آثار المقبرة الملوكية التي وجدت في أور والتي تزين الآن ثلاثة متاحف من متاحف العالم الشهيرة . وهي المتحف العراقي والمتحف البريطاني ومتحف جامعة بسلانة فقد زودتنا السقسات في أور بمادح عية عيسه لحضارة السومريين في آخر أدوارها ومن بين ذلك أدوات الذهب الكثيره كالخاجر والقيثارات ومن بين ذلك قيثاره تعود الى «شعاده» داب ١١ مفاحا من الذهب لاتصال الاوتار ، والاكواب والحوذ وتمائل الحيوانات وكثير منها من الذهب الخالص المسبوك والمصنوع صنعا دوما تشير الى فن رائع جميل ويمكن مشاهدته نماذج من هذه الآثار في المتحف العراقي من المقابر والحدر بالملاحظة بصد ذكر هذه المقبرة الملوكية انه تم العثور على مجموعات من المقابر من أطوار فجر السلالات مما يصح تسميتها بالقبور الملوكة عدا المقبرة الملكة المشهورة التي وجدت في أور، ونعني بهذه المقابر انها بخلاف عن القبور الاعيادية بل تعود الى حكام وأمراء بما تحويه من أثاث نفيسة . وان وعود مثل هذه المقابر هو الذي يبرر لنا تسمية هذا العهد بمصر فجر السلالات بالرغم من جهلنا بأخبار السلالات الحاكمة من أطواره الأولى واقتصر ذلك على التطور الثالث . وقد سرت عادة هذه القبور الملوكية الى

شمال العراق فقد وجدت تماذج منها في مدينة «ماري» (بل الحبري
 الآن . انظر محله (Syria XVIII, 1937, 60) . والمادة في مثل
 هذه القصور ايها تكون معموده اما بالآجر أو الحجر أو اللس ايضا . وقد
 وجدت تماذج منها في كيش من انطور الاول من عصر فجر السلالات
 (Kish, IV (1924), 29, 30) . جيب وجدت في بعضها أمانات
 وأدوات ومن بين ذلك عربات داب عجلات صلبه . وهذا يؤيد استعمال



الشكل - ١٠

لوحة من النحت البارز (من عصر فجر السلالات)

العربات كما وحدث بمادج نها في اور أيضا . ويوجد في المتحف العراقي
 نموذج أخرى من البرونز بمرهب البحر الوحشي (انظر مجلته
 133 (1935) *Antiquity, IX*) وقد استعملوا نوعين من العربات . نوع
 للمواصلات ونوع للحرب . ر ساسه ذكر العربات تقول ان استعمالها في
 ذلك العهد الواحد من القدم كان يأسه الى الاغواء المتجاوز . حابه استعمال
 المصنحات والدباب . وقد نجر استعمال العربات في حصاره مصر الى عهد
 الهكسوس (١٧٠٠ ق . .) .

ومع وجود المقابر الملوانه في الطورين الاولين من عصر حجر
 السلاط الا انه هناك على يد المقابر المبر . الملكة الشهيرة التي وجدت
 في اور . يرجع عهدا الى الطور الثاني من عصر حجر السلاط
 (Woolley, *Ur Excavations, II, The Royal Cemetery*) . وكانت هذه
 المقابر كما وجدت في اور عازده عن اسه . تحت الارض على عراز فوق الفراعه في
 « سدوس » بعضها مؤلف من ثلاث حجرات مواريه ، مسقفه بمقاده تكون في
 منها عمده غير مستحقة من النوع المعروف بـ (Corbelled) وقد وجد
 ان بعضها مسقف بمه من اللبن . استخرجت من حجر الرحاء
 (Childe, *New Light, 151*) في بعض هذه المقابر مقابر الامراء
 والنبلاء وهم مدفونون بكامل جسمهم ووجوههم جميعه من حجاجون الله من أثاث
 بقية حتى الحيوانات وسواى العربات واباعهم المسلحين وموسيقيهم وسائهم
 وحواريهم . وقد وجد في أحد الصور الملكية في اور ما لا يقل عن ٥٩
 شخصا منهم سبه من العسكريين و٩ سباء مرسات بخس الحواهر
 والحلى . والبرج في هذه المقابر انهم كانوا مدفونون في انصر معدا صبرا
 يصل فالصر الى الاسفل باناس من المحار ، ولكن لم يعثر على بناء كامل
 من هذه المقابر .

وقد اختلف الباحثون في تفسير هذه المقابر والرأى القديم الشائع ان

الحكام السومريين كانوا يسرون على عادة تضحية اتباعهم عند موتهم ويدفون معهم أثاثهم لما لذلك من علاقة بالعالم الأسفل أو عالم الأموات = ومن الباحثين من يرى أن الملحودين في هذه المقابر لا يمثلون أمراء أو حكاما بل أن هذا النوع من الدفن له علاقة بطقوس وشعائر ديبية أو «دراما» ديبية تجري في السنة الجديدة للآلهة ولحلب الخصب ولا سيما ما يطرأ عليه كان هناك نوع من الرواح الالهى امقدس يحرق بين كاهن وكاهنة بقلل من بعد ذلك (١) ولكن الرأى انشائع المحتمل هو الرأى الاول الذى ذهب اليه «وولى» الذى كشف عن المقابر الملوكة في أور وقد وجدت مثل هذه المعابد من الدفن في الصين القديمة وبين الاموام الهندية الاوربية (٢) .

وحائنا آثار أخرى مهمة من مواضع في حوى السراق مثل «بلو» (نجش القديمة) وتل العيد قرب أور المقيرومن كيش وهى مسوعة تشمل مختلف الآلات والادوات وتاج الفنون كالسحت والتطعيم بالحجر = وكلها تشير الى تنوع الحضارة وارتقائها في جميع مطاهر الحياة = والى الآثار المقولة خلف لنا سكان العراق الالدمون نماذج مهمة من أسسة هذا العهد كالقصور والمعابد وكلها تدل على تقدم فن العمارة ودور راق منه = ووجدت بعض الانشاء العمارية مثل القوس الصحيح والقبعة (أى العقادة) في مدينة أور وكانت العقادة تعزى الى الادوار المتأخرة والى أسسل خارجى ولكن نت الآن أصلها السومرى الاول فقد جائنا نموذج من القوس الصحيح من عصر الوركاء في «اريدو» = وتقدم فن التعدين وسن المعادن والصاغة تقدما باهرا كما يلاحظ في الآثار التى حائنا من الاطوار الأخيرة من عصر

(١) انظر

F. Bohl in *ZA*, XXXIX (1930) 83 ff. , S. Smith
in *Jour of the Royal Asiatic Soc.* (1928) 849 ff

(٢) انظر

L.B. Paton, *Spiritism and the Call of the Dead in Antiquity*
(New York, 1921), 47, ff.

فجر السلالات ويمكنكم رؤية نماذج منها في المتحف العراقي . ولعل أهم الإضافات التي أسجزها العراقيون في عصور فجر السلالات لتقدم الحضارة اتقانهم لفن التعدين وإيجادهم أولى الأجهزة الصناعية واستغلال فن التعدين في الحروب والصور العسكرية . وكذلك تقدم فن الكتابة بحيث صارت واسطة نكبة مختلف شؤون الحياة وأثرت في شعوب الشرق الأدنى القديم حيث اقتبسها الكثير منهم . وقد استعملوا نوعا من النحاس المخلوط بالقصدير بنسبة ١٠-٦ من القصدير . وكان مصدر النحاس السومري من عمان وإيران والاباصول . أما مصدر القصدير فمجهول لدينا^{١١} كما ان المدنيين اتقنوا فن السك والصب وطريق اللحم بالاسلاك والظاهر ان انتاج المدنيين لم يكن لسواد الناس بل انه خصص بالدرجة الاولى لصنع الاسلحة وتزويد الدولة وأمراء دول المدن بالادوات والاثاث . وقد وجدت نماذج كثيرة من الاسلحة كالخنجر والسيوف والنؤوس وصنعوا اثاثا نفيسة من المعادن كالبرايا والابريق والاوامى الحج .

وقد أضيف مصدر جديد مهم منذ فجر السلالات الى مصادر معرفتنا بحضارة العراق القديم . على الآثار المسادية الكثيرة التي مر بها ايخار وصفها بدأت الاحبار المدونة تأتيا من مدن العراق . فن الكتابة التي اهدى اليها العراقيون في أواخر العهد (الحجري-المعدني) في منتصف عصر انوركاء أخذت تضج وانتشر استعمالها ودونت بها في عصور فجر السلالات أعمال الملوك والأمراء وسجلاتهم الرسمية وعلاقاتهم بغيرهم من الحكام ودونت بها كذلك شؤون الناس العامة كالمعاملات التجارية والاحوال الشخصية والمراسلات والآداب والشؤون الدينية كالاساطير والعبادات . ولهذه الاسباب نعد بداية فجر السلالات بداية عهد التدوين أو عصر التأريخ . ويرجع الفضل في اختراع الكتابة الى السومريين على ما يرجح كثيرا . فلذلك يطلب على اللغة التي دونت بها تلك الاشياء اللغة

السومرية . وكذلك كانت السلالات التي حكمت في العراق في هذا العصر من السومريين . وسنحاول معرفة شيء عن السومريين بعد قليل .

ويقابل عصر فجر السلالات في العراق النصف الأول من عهد المملكة القديمة في مصر ٣٢٠٠-٢٢٧٠ و ٠ م . . . وكان هذا العهد كذلك عهداً مزدهراً في تاريخ الحضارة المصرية . حدثت فيه تلك الحضارة وصحت بعد أن نشأت من الأطوار البدائية التي سمي كذلك بعصور ما قبل السلالات وقد أشرنا فيما سبق إلى وجود علاقات حضارية بين العراق ومصر في الأضوار الأولى من نشوء الحضارة وهما . وأسرياً كذلك إلى وجود تأثيرات من الحضارة السومرية في صواريخ الأولى . وكانت مصر في بدائه عهد الميناء القديمة كذلك في المراحل الأولى من تكوينها السياسي . وبعد أن بوحد القطر في عصر الأهرام ٢٨١٥٠-٢٢٧٠، قبل انشلاء ازدهرت الحضارة المصرية وقد سمل عصر الأهرام عهد أربع سلالات من السلالة المانه إلى السادسة . ويقابل السلالات المانه والثالثة والرابعة عصر فجر السلالات في العراق . أما زمن السلالة الخامسة وحرء من عهد السلالة السادسة مقابل العهد الأكدي الذي عقب عصر فجر السلالات في العراق .

هذا وأم بقصر حضارة عصور فجر السلالات على انقسم الجنوبي من العراق بل وحدث في مواضع أخرى في جميع العراق ووجه خاص في مواضع مهمة في دناي مثل حفاحي وبل أسمر وبل أخرى حب وحدث فيها آثار قديمة . من عصر فجر السلالات، وحدث مراكز من الحضارة السومرية، من عصر فجر السلالات في أنحاء أخرى من الشرق الأدنى فهي منطقة الفرات الأوسط في منطقة «ماري» بل الحريري الآن على الفرات (قرب الحدود السورية) وحدث حضارة سومرية معادلة لحضارة السومريين في العراق . وحدث في منطقة الحابور في موضعين «دعان» «شغار» «برار» «وبرالك» على الحابور كذلك مسوطات قديمة تبدأ من عصور ما قبل السلالات . وازدهرت فيها الحضارة السومرية من عصر فجر السلالات .

السومريون :-

ان سهوله مساؤل الآثار التي حاصها لنا السومريون وامكان درسها في
 لغات المصحف العراقي بعضها عن آثارهم التي كانت في العراق مما ذكرنا^(١)
 وحسن ما ان نصل الى ناحية اخرى من عصور فجر السلالات فأحد شيئا
 عن السومريين الذين يعرفونهم المصنف الآشوري في سنة حصاره العراق
 القديم .

منهم هؤلاء السومريون ، وما نعلمهم ، ومن اس أنو الى امرهم
 ومي أن ذلك في الواقع انه ليس بالامكان أن نحب حواء فاطما على هذه
 الاثارة لانها من المصناعات التي لا تصل الحب الى حلها حلا نهائيا
 فاطما . وانما هناك فروق وآراء اربابها الناحيون لحل هذه القصص ، فمن
 حماد ادنو التي عرفت ان الآكديين يعرفهم من الأقواء السامية الى رحب
 الى العراق منذ اندم الأرمانيات الى حب مع السومريين سمووا جنوبى
 ام اي ، وهو اسم الذي فطاه السومريون وانماوا فيه مدسهم . باسم
 «سومريين» اي بلاد السومريين و«آد» سمي السومريون أنفسهم .
 وهذا أول ما نرى انه كان يطلق في العراق قومه عبر الآكديين الساميين لهم
 لغة وممرات خاصة بهم .

ويوسعان يعرفون ان هؤلاء القوم الذين سموهم «السومريين»
 ما جددوا من القسرة التي كانت في عصور ما قبل
 التاريخ وهي المصنوعات التي سميت عصر فجر السلالات ، وانهم عرفوا باسم
 خاص وهو اسم السومريين في الأرمية الأثرية نسبة الى الحجر الأخضر
 من العراق الذي سركروا فيه وهو القسم الجنوبي الذي سمي باسم

(١) انظر مع ذلك المباحث الخاصة بحضارة العراق .

«شومر» او «سومر»^(١) = ولعل أقوى ما يجعل هذه الفرضية رأيا هريبا من الواقع ان أسس الحضارة الى سميها بالحضارة السومرية والى اردهرت فى عصر فجر السلالات ، يمكن اقتعاؤها الى الاطوار الحضارية الى سميها بصور ما قبل السلالات مما يكون استمرارا حضاريا ، أى ان اصول الحضارة السومرية شأت فى العراق ويمكن تتبع أسسها واصولها فيه منذ أقدم الازمان = فامكنا مثلا أن ندعو أهل طور الصيد من السومريين فياسا على ظهور أبرز مقومات الحضارات السومرية فيه كالمعابد والهرى على الرعم من اننا نجهل اللغة التى تكلم بها أهل الصيد^(٢) .

ومن الباحثين من يذهب الى ان السومريين قوم أجاب نرحوا الى العراق من موضع ما فى شرق العراق او فى شماله اشرقى وذلك فى منتصف الالف الرابع = منذ الميصف الثانى من عصر الوركاء وسماوا بالسومريين وانهم هم الذين ادخلوا الكتابة والحواتم الاسطوانية وفن النحت وفن

(١) وقد ورد فى النصبة السومرية بمجموعه من العلامات السمارية (KI - EN - GI) وينطق «شومر» ، وكيرا ما ترد هذه التسمية مع تسمية أخرى هى «أكد» وتكتب بالعلامات السمارية (KI - URI) وسندكر بما بعد أن لعب «ملك سومر وأكد» قد بدأ استعماله من بعد التمهيد الاكدي . ومع انه لا توجد حدود واضحة بين ما يسمى «بلاد سومر» وبين «بلاد أكد» الا ان القسم الجنوبي بوجه عام هو بلاد سومر . وسمركر الحضارة السومرية فى عصر فجر السلالات فى لوائى اسفك والدوانه ، وأشهر مديها «نمر» و «أدب» (بسمى الآن) و «شرونأك» (فاره الآن) و «أوما» (تل حوحد) و «لارسه» (السكركه) و «الوركاء» و «أور» و «أريدو» و «لجش» وغيرها . أما بلاد أكد فقع الى الشمال من بلاد سومر ويمكن تحديدها بأشهر مديها مثل «أكد» (فى منطقة الوسعة والمحمودية) و «سبار» (ابو حبه الآن) و «أوبس» و «كوئى» (تل ابراهيم) و «كيش» (الاحيمر) و «بابل» و «دلباب» و «بورسبا» (رسم نمرود) وغيرها . وقد نطلق على القسمين ولا سيما فى العصور المتأخرة اسم بلاد بابل (Babylon.u) كما نطلق على القسم الشمالى أى موطن الآشوريين اسم بلاد آشور (Assyria)

(٢) انظر Childe, New Light . وكذلك انظر

H. Frankfort, Archeology and the Sumerian Problem (1932),

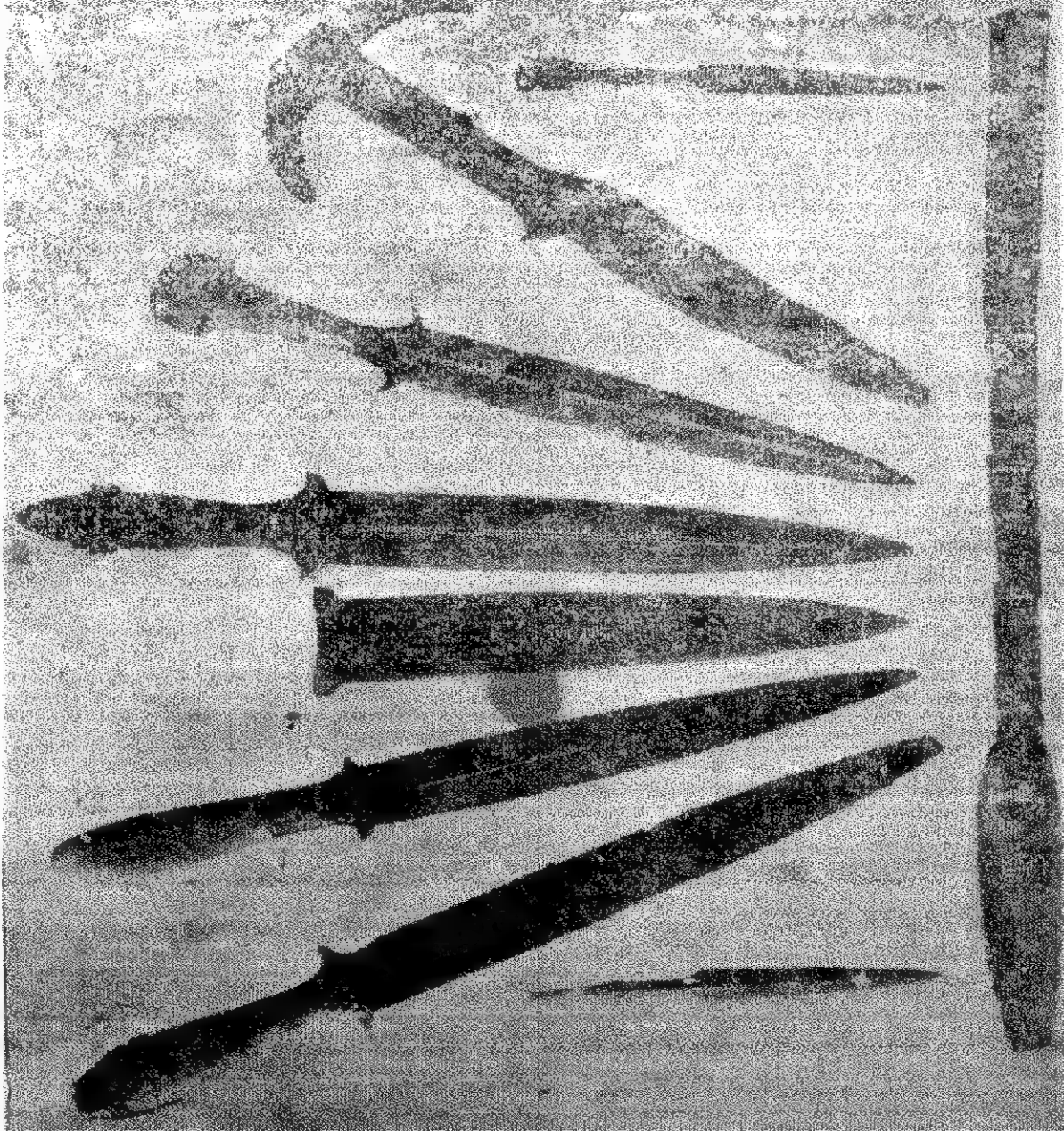
العمارة^(١) ، ومما ملاحظ في هذه العرصة انها لا تثب أمام النقد وأخذت تفقد كثيرا من وجاهها في السنين الاخيرة . = اد انها تنهار أمام ما أسلمناه سابقا من الصور حدثا على آثار وأسسه في العراق من عصور ما قبل السلالات وهي تصف بالخصائص الاساسية للحضارة السومرية في الاطوار التالية مما شير الى استمرار الحضارة العراقية وامكان تتبع أصولها وأسسها الى عصور ما قبل التاريخ بدون أن يضطر الى حجرة قوم من الخسارج لتحليل شوء الحضارة السومرية في القسم الجنوبي من العراق أى انه مهما كان أصل السومريين والمهد الذي برحوا منه فإن ما سسمه بالحضارة السومرية قد نشأت في العراق كما رأينا . ومن الباحثين من يرى انه كان في العراق الوسطى والجنوبى قوم سموا السومريين وهم غير ساميين كما يستدل على ذلك من أسماء مدن عريه مثل «شروباك» و «لراك» و «رمير» و «اردو» الى يبدو عليها وكأنها علامة .

هذا ونس بامكاننا أن نسعين بالاثروبولوجيا (علم الاسان) لمعرفة العرق أو الرس الذى برح اليه هؤلاء السومريون . فأولا لانه لما تأتينا بمادج كثيرة من الهياكل العظمية تسكنا من معرفة الاوصاف الطبيعية بوجه شامل وثانيا لأن ما حائنا من هذه الهياكل منذ أقدم العصور . ولا سيما من عصور ما قبل السلالات وعصور فجر السلالات ، لا شير الى وجود عرق أو رس واحد من الشر . وانما يصح ان يقول انه علب على سكان العراق منذ أقدم العصور جسان ، وهما حس حوص البحر الابيض المتوسط الذى يسار بطول الرأس ، واليه سمي الساميون ، ثم حس آخر يماز بانه عريض الرأس . وبوسعنا ان سنسج شيئين من هذه الحقيقه وهما أولا لم يعصر تأريخ الاقوام في العراق منذ أقدم العصور على عرق واحد وانما قطنه عدة اقوام أهمهم الساميون الذين طفوا على معظم أحراء انشرق الادنى وقد ثبت

(٢) انظر Speiser in JAOS, Supplement 4 (1939), 29 ff

انظر كذلك المراجع الاخرى في آخر كل فصل في نهاية الكتاب .

وحدود هؤلاء مد أقدم الأزمان وانهم عاشوا مع السومريين . وثامنا حتى لو
فرص وحدود عرق خاص «السومريين» ان هذا العرق لم يبق حالصا وانما
اختلط بالاقوام الأخرى التي كانت هجرتها الى العراق وإلى الأجزاء



نماذج من حناجر الذهب الجملة وجدت في المقبرة الملوآية
في أور وبرجع زمها إلى أواخر عصور فجر السلال

الأخرى من الشرق الأدنى مستمره منذ عصور ما قبل الأسارخ . وكل ما يمكن قوله عن السومريين ان يحسا عنهم سعى ان تكون من الناحية اللغوية لا المعرفه (الرسمه) فكل ما عندنا له سومريه نكلم بها قوم سميهم السومريين لا يؤمنون عربا حاصا كما سبر الى ذلك الهياكل العظمى المكشقة، ولم يوجد نوع حائض ومعص الهياكل من نوع عرق البحر اسوسط من أهل الرؤوس المتولده ، كما ان النوع الآخر من الهياكل من شكل الرؤوس المدوره من أهل الجبل ومن اتجاه الشماله انسرفه (انظر مثلا سائح درس الهياكل العظمى المكشقة في حسونه واريدو) (مجله سومر ١٩٤٦ - ١٩٥٠) وأكاد الهياكل العظمى الى وحدت في مواضع مختلفه من عصر فجر السومريين (Frankfort, *The Birth of Civilization* (1950)

وخلصه انهم انهم كان أصل السومريين والمهد الذي برحوا منه وانهم در "أحده الحصاره" لما يعرف شوء حصارهم وتطورها ومراحل ذلك استور وحصائنها ونهايات في القسم الجنوبي من العراق . كما ان النحت في أصنافهم وعرفهم من الأدور التي لا يوصل الباحث الى شيء على قريش انه يستطيع ان يعرف ذلك في المستقبل .

أما اللغة السومريه فهي عربيه في مفرداتها وبراكستها وام سكن العلماء بعد من حسمها وارجاعها الى سمة . من أسس اللغات السومريه المعرووه . ولعل أقرب عائله معرووه "سبها هي العائله المسماه «الاورال - الطاي» التي تسمى اليها اللغة المعولة والتركية وانجربة وغيرها . ومن الباحثين من يرى ان الله السومريه يمكن ارجاعها الى عائله اللغات «الساميه - الموقازيه» التي ظهرت وانتشرت في أطراف الموقار وفي شمال الهلال

(١) ونفسه بالعائله اللغويه (Family of Languages) عدة لغات أجدت من أصل واحد وبشبهه في مفرداتها وبحوها اي تركيبها . كعائله اللغات الساميه (ونسمل العربيه والبالليه والآشوريه والعبرانيه والعمدنيه والكنعانيه والآراميه والحشيه واللغات العربيه الجنوبيه) وعائله اللغات الهنديه الاوربيه والعائله المسماه بعائله «الاورال - الطاي» .

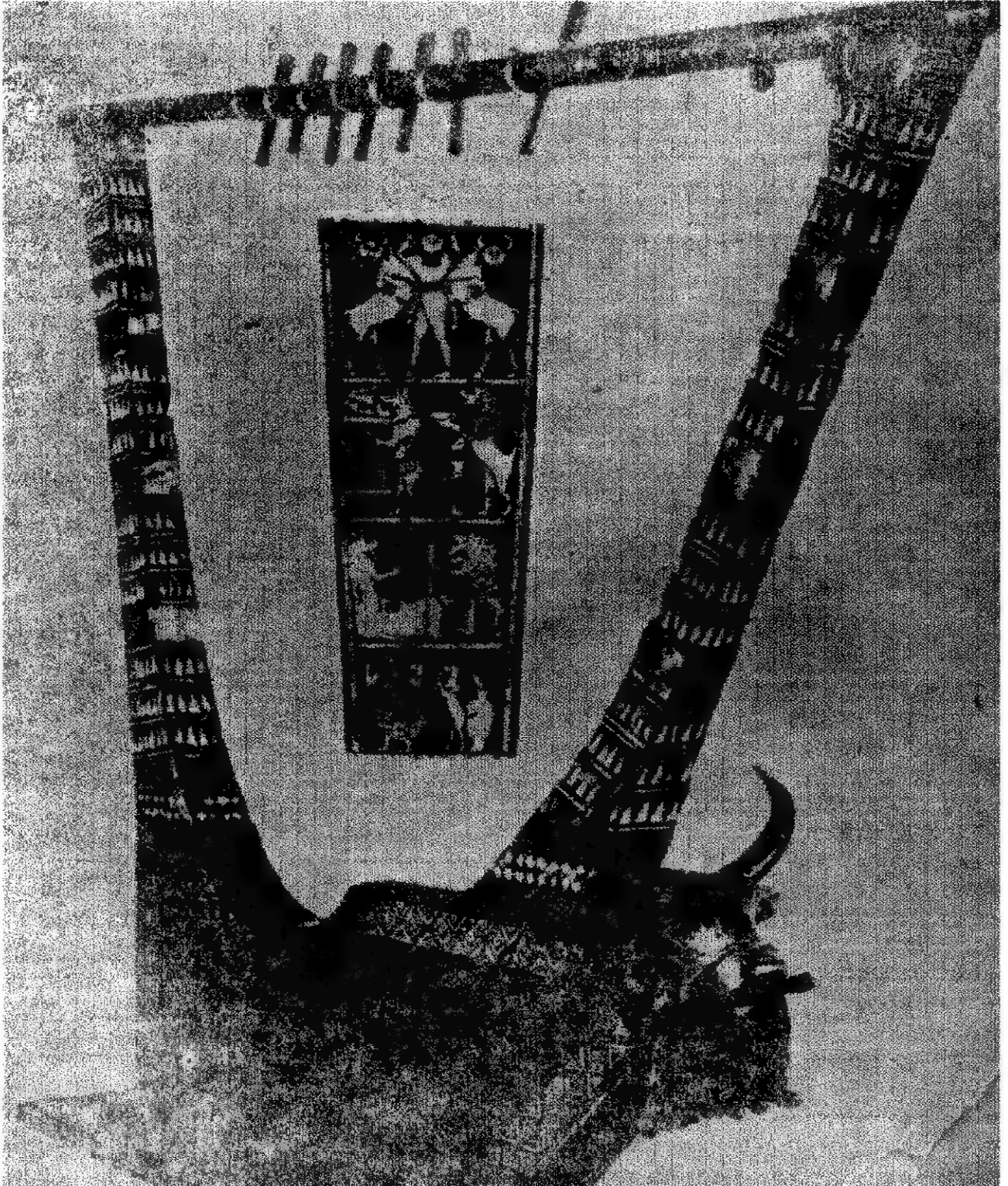


نمودج من فن الكعب (١: طعيم)
من عصور فجر السلاات

الخصيب ■ ومما يقال عن اللغة السومرية انها ليست من عائلة اللغات السامية ولا من عائلة اللغات الهندية - الاوربية ■ وهى من نوع اللغات التى تسمى باللغات المصققة (Agglutinative) كاللغة التركية والهنغارية والفنلندية فمن خصائص الالتصاق^(١) فى اللغة السومرية انها كثيرا ما تؤلف المفردات بادماج مفردتين او اكثر بعضها ببعض بحيث تصبح كلمة جديدة واحدة يسند معناها الى معانى الكلمات الداخلة فى تركيبها مثل «لو كال» أى الملك المكونة من «لو» أى الرجل و «كال» أى العظيم و «أى» - «كال» أى القصر أو الهيكل المكونة من «أى» أى البيت و «كال» أى العظيم • ثم ان الجمل فيها تألف كذلك بطريقة انصاق الضمائر والادوات الى جذر الفعل بحيث يصير الجميع كأنها كلمة واحدة ■ ومن خصائص اللغة السومرية أيضا ان كثيرا من مفرداتها مؤلفة من مقطع واحد مثل «لو» أى الرجل و «كال» أى القم و «شوء» أى البد و «كى» أى الارض أو الموضع الخ ■ وتميل اللغة السومرية الى عدم اللفظ بالحروف الصحيحة فى وافر كثير من الكلمات الا اذا جاءت بعدها أدوات نحوية متدئة بحرف علة فيلفظ عندئذ الحرف الصحيح بدمجه بحرف علة تلك الاداة النحوية التالية ■ مثال ذلك «لو كال أوربم - آك» التى يلفظها السومريون لو كال أوربما أى ملك أوربم ومثل العبارة الآتية: «فى بيت ابن الملك» حيث يكون باللعه السومرية على الوجه الآتى: «بيت» ملك» ابن - آك - «فى» و (والك علامة الاضافة) والحروف اللاتنية e - dumu - lugal - ak - a وعلى مدأ دمج الحروف الصحيحة بحروف العلة للادوات التى تأتى بعدها تصح العبارة : ■ - du mu luga - la - ka

وتفيدنا هذه العبارة فى الوقوف على طريقة الخط المسمارى الذى بعد

(١) وسنعمل طريقة الالتصاق لغات أخرى من لغات البشر ولكن بدرجات متفاوتة ، ومثل ذلك اللغة الانكليزية مثل Careful و Careless ونصبح من الامثلة السومرية ومن هاتين الكلمتين الانكليزيتين ان العناصر التى تلصق لكونن كلمة جديدة يجب أن يكون لها معنى قائم بنفسه ، لذلك فان «ضرب» و «ضربته» العربية ليست الصاقا ، ولعل أقرب شبهه بالالتصاق ما يسمى فى العربية بالتركيب •



فيما هو من الذهب . صنع صندوقها الصوري من الخشب المرصع بالاحجار
والصندف . ونسج براس نور من الذهب الخالص . حيث رتب
مقدمه بصور حيوانات بطريقه الكعبه (المرصع) . لاحظ
الافعال التي كانت تربط بها الالوان (من عصر فجر

أن تطور عن أصله الصوري والرمزي صار في أدوار نضجه خليطا من كتابة
 رمزية وصوتية مقطعية . ففي العارة السافاة نجد العلامة (e) تقوم مقام
 البيت في السومرية ، أي أنها مستعملة لترمز الى البيت والعلامة (dumu)
 رمز للابن والعلامة (lugal) ترمز الى الملك أما العلامان (la) ، (ka)
 فهما هما مستعملان استعمالا صوتيا صرفا على هيئة مقطعين احرد
 تأدية صوت (la) ، (ka) بعض النظر عن أصلهما الصوري وما يدلان عليه من
 معاني أو كلمات رمزية . وقد بقيت الكتابة المسمارية خليطة ، وهكذا
 استعمالها السامون في كمانه لغتهم الى آخر عهود العراق القديم .

الفصل السادس

دول المدن السومرية واولى انظمة للحكم

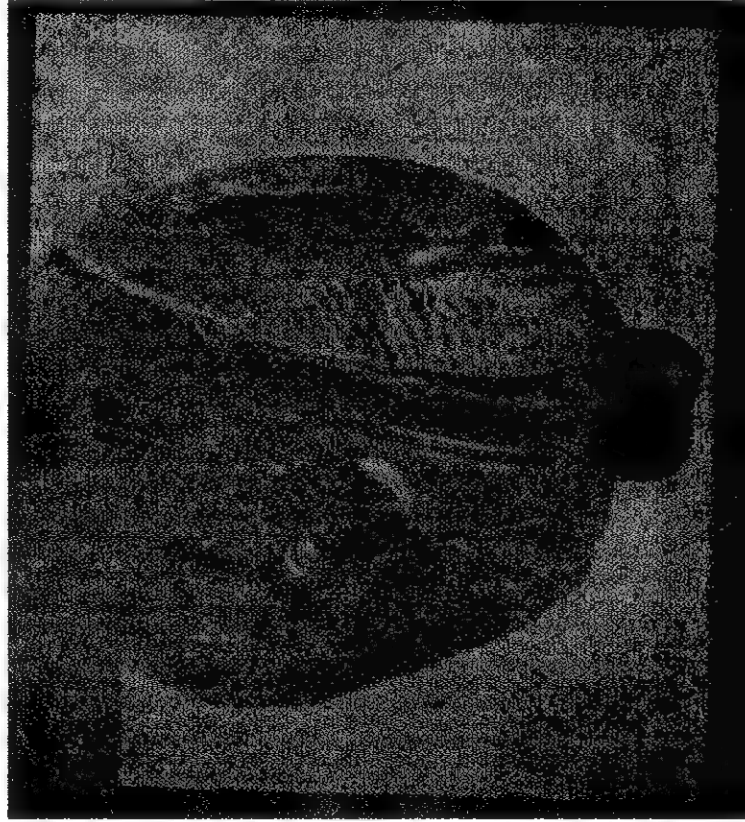
عرفنا فيما سبق كيف انشأ الاسان الحضارة الاولى في وادى الرافدين ووادى النيل وكيف بدأت هذه الحضارة مد عصور ما قبل السلالات وبس وبعثت وازدهرت في العصور التي سميها بعصور فجر السلالات . وقد رأينا فيما سبق كيف ان الاسان الذي كان في فجر الحضارة في عصور ما قبل التاريخ (عصور ما قبل السلالات) عندما جاء الى منطقة الانهار في وادى الرافدين بعد حلول الصيف في المواسم التي كان يقطعها سابقا وجد في هذه البيئة المحددة امكبات وحيرات لا يمكن استغلالها الا بالتغلب على الطبيعة الصعبة . فمن حملة تلك المشاكل الكثيرة السيطرة على الانهار وطرق الري واحكام السدود وتحصيف المستنقعات والفيضان فدلناه الحضارة الاولى عملا وجهدا وما ، أى انهم انشأوا الحضارة مسجيين لحوافر بيثهم الغنية الصعبة ، ويحب أن توفر عوامل مهمة في نمو الحضارة وازدهارها من بعد شوتها وولادتها فان أول علبة لساء الحضارة في وادى الرافدين لم يكفهم مشقة الاسمرار في جهودهم واسعدادهم في مقارعة البيئة الطبيعية وحل مشاكلها الكثيرة المسمرة ، وكذلك مشاكل البيئة الاجتماعية . فالواقع ان أقرب شبه بحال الاسان من بعد شوء حصارته الحرب المسمره الدائمة ، وان أى عمل من حاسب الاسان تؤدي بالتدريج الى ركود حضارته ثم تدهورها فروالها . وبوسعنا أن نوضح هذه الصورة من تاريخ حضارة العراق . فقد أسعرب الحولة الاولى من غلة العرافين الاوائل على بيثهم الطبيعية عن ولادد أولى الحضارات البشرية الاصلية ، ولكن ولادة الحضارة ، كما في حياه الفرد من بنى الاسان ، لا تضمن نمو تلك الحضارة ، ولعل أولى شروط النمو في الحضارات ان يستمر الحوافر

والمشاكل فتدفع الانسان الى الحركة والابداع والاختراع . وهذا هو معنى النمو والازدهار في الحضارات . ومن امارات النمو في الحضارات ان المشاكل والقضايا التي تحفز الانسان على الاختراع والابداع تأخذ بالانتقال في طور النمو من مشاكل البيئة الطبيعية الى المشاكل الناشئة عن البيئة الاجتماعية . حيث تقل الاولى وتزداد الثانية بالاطراد بازدياد النمو .

فعندما ولد حضارة العراق بنيجية الجولة الاولى من لعب الانسان على بيئته الطبيعية لم تبه أتعاب بآة الحضارة وجهودهم بل كان عليهم أن سسمروا في مقارعة الطبيعة ومغالبتها وان يسهروا على ما اشأوه من سدود وجداول وأبىة ، وان يحلوا بطريقة ما المشاكل الاجتماعية الكثيرة الى شأت بعد ولادة الحضارة ، كتنظيم العلاقات الاجتماعية الناشئة ، والمحافظة على الجبة التي صنعوها بأيديهم من البيئة الوحشية الطبيعية . وكل ذلك يحاج الى استمرار العمل والى الاختراع والابداع . فقد نشأت بعد ولادة الحضارة الاولى في العراق علاقات اجتماعية معقدة ، وقد اقضى تنظيم هذه العلاقات على وجه ما والمحافظة على تلك الحضارة من الجيران الطامعين بذل الجهود المشتركة من جانب المجتمع ، ثم تنظيم هذه الجهود تحت قيادة وادارة منظمة . ومن مظاهر عهد النمو في الحضارات كثرة القادة من المخترعين والمبدعين الذين يفتحون الطريق الى الجماهير الى تفلدهم وتسير تحت ركابهم ويتبدل مستواها من حال الى حال آخر أرقى^(١) .

ان هذه المقدمة القصيرة في نشوء حضارة العراق الاولى تفيدنا في فهم كيفية نشوء نظام الحكم فقد اقتضى تنظيم العلاقات الاجتماعية نشوء أولى اظمة للحكم في العراق وشأت كذلك أولى الشرائع المدونة لتنظيم تلك العلاقات الاجتماعية . وقد وحد العراقيون الاقدمون انفسهم ولا سيما في القسم الحوبى من العراق في أرض تنقصها المواد الخام الضرورية لحضارتهم

(١) هذه الفرضية المعقولة أوردها توينبى في بحثه التاريخى المشهور .
A Study of History VOL, I



خودة من الذهب دقيعه الصنع ، وجدت في أحد العبور الملكي
في أور (في حدود ٢٦٠٠ ق م)

ونموها كالمعادن والاحجار المختلفة والاختشاب ، فالتجأوا للحصول عليها
أولا الى التجارة الخارجية مع الاماكن التي تكثر فيها تلك المواد ، ولكن
التجارة الخارجية تسلمت توفر عوامل كثيرة معقدة منها السليم الاجتماعي
وابتداع وسائل المواصلات وحماية الطرق والحارة وتنظيم وسائل المبادلة
التجارية ، ثم توحد مصالح المدن العرافة المحلفة التي كانت كل مدينه
مهمه منها دولة قائمه بذاتها ، فشأت المملكة الموحدة في العراق بعد ان كان
محزما الى دول المدن في عصر فجر السلالات . وعندما اشدت الحاجة الى
المواد الخام وتصدر الحصول عليها بطرق التجارة الخارجية التحا ملوك
العراق الاقدمون الى القنوح الخارجية ، فاستولوا على منابع المواد الثمينة

وضموها الى ممالكهم فنشأ أول نظام للامبراطوريات في تاريخ البشر . ونتج عن ذلك تعقد نظام الحرب والادارة في نظام الحكم ، فكانت سلسلة من المشاكل الاجتماعية نشأت في الحصار عسها أى من البيئة الاجتماعية .

كيف نشأ نظام الحكم :

ومما لا شك فيه ان تنظيم العمل والجهود في ابان نمو الحضارات يطلب ادارة وفادة ، فكان أحرم الافراد وأبرزهم من حث النواهب والتقابليات والسيطرة أول الحكام والمديرين في الهيئة البشرية ، هذا ولا نعلم وحه التأكد مى سناً نظام الحكم في العراق واسما الذى نعلمه ان هذا النظام أول ما نشأ في العراق وفي مصر وهما القطران اللدان نشأ فيهما أولى الحصارات البشرية وان معرفنا الكاملة بنظام الحكم في العراق بتدىء منذ عصور فجر السلالاب . ولكن مما لا شك فيه تمتد دور هذا النظام الى الاطوار الدائيه التى سميهاها بعصور ما قبل السلالاب . وان لدينا من الاشارات التاريخية ما يدل على ان أمراء ومنا حكموا في دويلات صغيرة منذ نهاية عصر العبد . وبوجه الرجيح في العهد النسيه مالتناى ولكن لانقاء السجلات والوثائق المدونه لا نعرف شيئاً من أخبارهم الا صدى بركوه في العصور الأريخه القديمة التى عقت عصور ما قبل الأريخ .

ومهما يكن من أمر فان نظام الحكم الذى حائسا أحاره من عصور فجر السلالاب كان في أولى مراحلله . فكان كل من العراق ومصر محزماً الى دويلات وامارات قوام كل منها مدييه وما يحاورها من المدن والقرى يحكمها ملوك وأمراء لهم صفة دنسة ، اد انهم كانوا في عرف المجمع سونون عن الآله في اداره البلاد التى هى ملك للآلهة . وقد تطور بعض هؤلاء الحكام ولا سيما في مصر فصار له صفة الآلهة نفسها أى صار الها . ولعل الاسم السومرى للملك (لوكال) أى الرجل العظيم، يشير الى أصل الملك . فقد صار هذا الرجل عظيماً لمدته الجسميه وقابلياته التى مكسه

من ان يفرض هيادته على الجماعة التي عاش معها في مجمع واحد^(١) . ولقد نتت من البحوث الحديثة ان اقدم نظام سياسي في العراق الجنوبي كان نوعا من الديمقراطية البدائية حيث كانت على هيئة مجلس لجميع الرجال الاحرار في المدينة ، وهناك مجلس آخر قوامه شيوخ المدينة وقد فوض لمعالجة شؤون مجتمع المدينة الاعتيادية . ولكنهم كانوا في أزمان الازمات والشدائد كالحروب يتخون قائدا أو شخصا مهما للحكم ربما محدودا وبمرور الارمان صار هذا الشخص السدب دائما أي اخذ الحكم لنفسه فصار حاكم المدينة أو ملك المدينة على غرار شيوخ الدكتاتور في تأريخ الرومان^(٢) .

(١) سسر بدايه الحصاره في العراق الى ان المعبد العام واداره كانت تدور عليه الحياة الاجتماعية في أولى مراحلها وكان مركز أوائل المدن كذلك ، وبرجح ان الكهنة ، أي قوام المعبد كانوا أيضا يولون اداره المجمع الخاص بالمعبد بنابه عن الاله . صاحب المعبد . فكانت «حكومه الكهنة» ولكن يبدو كما ذكرنا ان حكومه الكهنة لم تحقق متطلبات الارمان الحادثة في المجمع ولا سيما عند الحروب المنظمة بين دويلات المدن والحروب المستمرة مع البدو الذين عاشوا في اطراف الحصارآب في وادي الرافدين حيث ان «الحكام الكهنة» لا يستطيعون كسب الحرب فكان قائد الحرب المطهر أصل الملك في نظام الحكم . فالقائد الحارم المنصر المدير جعله الداس حاكما وملكا ، وهذا ما يشير اسم الملك بالسومريه «لوكال» الذي يعنى «الرجل العظيم» وكذلك «المدير» . وانتقال الحكومه من حكومه الكهنة الى نظام الملوكه يستطيع أن يلمسه فيما ورد في العهد القديم (ساموئيل الكتاب الاول الاصحاح ٨ والعاشر ١٧٥ فما بعد . والاصحاح الثاني عشر) ولعله قد نشأ براع بين طبقه الكهنة وطبقه الملوك في بادئ الامر ولكن الملك نفسه اكتسب صفة مقدسه وصار كاهن الاله الاعلى «اشاكر» (باببسي) وممثلة على هذه الارض كما سماه السومريون . حول الحالة الاقتصادية وعلاقتها بالمعبد في عصور فجر السلالاب .

راجع Frankfort, *The Birth of Civilization* (1951) 155 ff

(٢) (سسطرفي في بحث الحكومه والملوكية في القسم الثاني من هذا الكتاب الى الموضوع فندرسه بوجه أوفى . أنظر حول ذلك البحث الطريف)

Thorkild Jacobsen "Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia" in JNES, II (1943), 159 ff.

مميزات عصر فجر السلالات السياسية :-

وكانت دويلات المدن هذه كثيرا ما تتنازع فيما بينها على السلطة السياسية وتوسيع حدودها وعلى مياه الارواء التي كان يقوم عليها كيانها الاقتصادي وقد يتسنى في بعض الاحايين لبعض الدويلات أن تبسط سلطانها على دويلات مدن أخرى فيتوحد قسم من البلاد ولكن عملية التوحيد السياسية لم تكن لتدوم أمدا طويلا ، فلم يتسن للبلاد أن تتوحد وتتقل من طور دويلات المدن الى طور حكومة المملكة الموحدة الا في أواخر عصر فجر السلالات في العراق ، حيث تمكن سرجون الاكدي الشهير ، مؤسس السلالة الاكديّة ، من القضاء على آخر دويلات المدن السومرية ، ووحيد القطر في مملكة واحدة شملت جميع العراق ، ثم وسع هذه المملكة الى امراطورية معظمة صمت أقاليم أخرى غير العراق .

مصادرتنا عن الاحوال السياسية في دول المدن :

ان مصادرتنا عن دويلات المدن في العراق تنحصر في ما خلفه له ملوك ذلك الزمان من أحارهم المدونة التي وجدت في أثناء التنقيسات في المدن المدممة ولكن ما جأنا من هذه المصادر قليل لا يمكننا من معرفة الحياة السياسية معرفة تامة ولكنها آخذة بالكثير والتكامل باستمرار التنقيسات والبحوث في آثار هذا العهد . أما الآن فان ما نعرفه عن أقدم دويلات المدن في العراق لا يبدو أن يكون مجرد أسماء ملوك تنظم في سلالات حاكمة وردت اليا في جداول دوتها الكتبة السومريون أنفسهم في العهود المتأخرة (منذ الألف الثاني قبل الميلاد) ^(١) وقد وردت هذه السلالات مرتبة في تلك الجداول بحسب تعاقبها الرمي في الحكم مع ذكر السنين التي حكمها كل ملك ومجموع السنين المحصنة لكل سلالة ، كما انها وردت وهي

(١) لقد أثبتت البحوث الحديثة في انبات السلالات التي جائتنا وهي مدونة في حدود بداية الألف الثاني في م . م . انها نسخ عن ابواب قديمه . وان الاثبات الاصلية قد دوت في آخر العهد الاكدي أو بداية سلالة أور السالة .



تمثال منحوت من المرمر ، لعله يمثل كاهنا سومريا ماسكا كاس
الماء المقدس (من عصر فجر الثاني - من حياحي ٢٨٠٠ و ٢٠٠ م)

مقسمة الى قسمين بفصل فيما بينهما حادث مشهور عند سكان العراق الاقدمين هو الطوفان . ومن الطريف ذكره ان المؤرخين القدماء في العراق القدم اعسروا الطوفان على ما يرحح حدا فاصلا بين تأريخهم القديم والتأريخ الحديث وقد ذكرت حداول الملوك أسماء مائة ملوك حكموا قبل الطوفان في خمس مدن قديمة منها «سبار» و «شروباك» وتعرف خرائبها اليوم «أبو حه» و «فاره» وقد حصص لهؤلاء الملوك عدد كبير من السنين لا يقله العقل ، وهو رقم (٢٤١٠٠٠) سنة لمجموع حكمهم . ومن الامور الاخرى التي سقد بها تلك الاثبات ان قسما من السلالات التي ذكرت وهي متعاقبة في الزمن لم تكن في الواقع كدال واما كانت متعاصرة اما جريسا أو كليسا .

السلالات الشهيرة :-

ونذكر حداول الملوك ان «الملوكية» هبطت من السماء من بعد الطوفان وحلت في مدينة «كيش» (وهي بل الاحيمر الآن قرب الحلة) وخصصت لسلالة كيش ثلاثة وعشرين ملكا لا يعلم عنهم شئ سوى بعض القصص والاساطير الى وردت عن عدد منهم . حيث عد بعضهم من الآلهة أو أبناء الآلهة . ومما يحذر ذكره عن هذه السلالة ان معظم أسماء ملوكها من الساميين . ثم تخربا تلك الحداول ان الملوكية اسفلت بعدئذ من مدينة كيش الى مدينة الوركاء ، وتذكر من ملوكها «حلاحامش» صاحب الملحمة والقصة المشهورة باسمه الى ورد فيها ذكر الطوفان البابلي . ثم وردتنا قصص من الآداب والاساطير عن عدد آخر من ملوك هذه السلالة . وفيما عدا ذلك لم نعرف عن أحبارها الأريحية شئ ، ولعل التنقيبات في المستقبل تكشف شئنا من أخار ملوكها .

وبلى سلالة الوركاء في حداول الملوك سلالة أور «الاولى» التي نعرف عنها أكثر من غيرها بفضل التنقيبات الواسعة التي أجريت في مدينة أور، اذ عثر في خلال التنقيبات على وثائق تأريخية مدونة فيها أعمال ملوك من هذه السلالة فمنهم مثلا

«مس - آنيديا» مؤسس السلالة وقد خصص لحكمه في اثبات الملوك ٨٠ عاما ولعل الصحيح ٤٠ عام . وقد وجدت له آثار مكتوبة في «أور» و«العيد» . كما انه شيد المعبد المشهور في العيد = وابنه «آنيديا» الذي حدد في مدينة العيد القريبة من أور بناء المعبد الخاص بالآلهة «نن - خرساك» وقد زين جهات بابه وحدرائه بتماثيل من النحاس وعمد من الصيفساء المصنوعة بتطعيمها بالاحجار الجميلة الملونة . وفي المتحف العراقي بمادح مهمة من هذه الآثار . وعثر في أور من رمن هذه السلالة على المقررة الملكية المشهورة التي سبق أن قلنا انها اسجت أنفس الآثار الذهبية واعاها .

ويقع رمن سلالة أور الاولى ورمن المقررة الملكية في الطور الاخير من عصر فجر السلالات^(١) . ومما يقال في هذا العهد بوحه العموم ان جميع معلوماتنا عن التاريخ السياسي لسلالات الملوك ودويلات المدن الموثوق بها قد حاثا من هذا الطور ، فالاضافة الى سلالة أور الاولى يعرف بعض الشيء عن ملوك آحريين تكوت مهم سلالة كيره حكمت في «لحش» (المعروفة باسم تلو الآن قرب الشطرة) لم يرد لها ذكر في اثبات الملوك ونل السب في ذلك أن حكماها كانوا أمراء حرب رميين ولسوا حكام كهنة مما حل رجال الدين في المدن السومرية لا يعرفون بهم ، ولكن السقيبات التي أجريت في تلك المدينة أظهرت لنا نتائج باهرة عن ملوك تلك السلالة وأخارها وقد بدأت حكمها في الطور الاخير من عصر فجر السلالات في حدود ٢٦٠٠ ق . م . وقد اشتهر حكام هذه السلالة بلقب «اشاكو» (وكان يقرؤ سابقا ماتيسى) . وكان أولهم «أور - ناشه» من أوائل الملوك في التاريخ البشري . وقد وجدت لهذا الملك ولخلفائه من ملوك هذه السلالة آثار مكتوبة وتماثيل ومحفونات وآثار فنية أخرى أمدتها بمعلومات قيمة عن تاريخ عصر فجر السلالات ولا سيما الطور الاخير منه سواء من ناحية التاريخ

(١) لقد أظهرت السقيبات في المعبره الملكية في أور أسماء بعض الامراء والحكام والاميرات من السومريين مثل الاميره «شبعاد» التي وجدت حلاها النفيسة والامير «مس كلام ذك» وبوسعكم أن تشاهدوا بعض مخلفاتهم القيمة في المتحف العراقي .

الساسى أو عن اللاحية الحضارية . وقد عثر له على لوحة فريدة منحوتة فيها صورته وصورة وزيره وأولاده ، وفيها كتابة تذكر تشييده معابد مهمة للآلهة الخاصة بمدينة «لجش» مثل «نجرسو» والآلهة «نانشه» ، كما انه بسور المدينة وحفر أنهار الرى . ولدينا معلومات عن الأسلحة وتنظيم الجيوش ، معروف مثلا استعمال العربات فى الحروب وكذلك الرماح وخوذ النحاس والروس وفؤوس القتال . وقد صورت بعض المنحوتات التى جائت من هذه السلالة (وهو الصب العائد الى أحد ملوكها المسمى «اياتاتم» وتعرف هذه باسم مسلة الدوسور (Stele of the Vulture) وهى محفوظة الآن فى متحف اللوفر فى باريس) وشاهد فيها مشاهد تطور نظام القتال فى ذلك الزمان . فمشاهد الحد وقد صفوا صفوفًا على عرار ما عرف من نظام التسمية فى زمن الأعرس (Phalanx) . وقد كان بين مدينة «لجش» ومدينه أخرى قريبة منها وهى «أوما» (وتعرف ألقابها اليوم باسم «خوخى-جوجه») نزاع مستمر بسبب تحديد الحدود ومياه الأرواء وقد خلدت تلك المسلة انتصار «اياتاتم» على «أوما» وقد صور فى المسلة الآله «سحرسو» بهيئة شخص مسلح يده السمس الدوس للقال ونايسرى شكة اصطاد فيها الأعداء أسرى . وفى فعا المسلة صور الملك فى عدته الحربية على رأس جيشه وقربه جنث الأعداء يأكلها العقان أو السور . وقد عمد أحد ملوك لجش المسمى «اتميناه» على حفر نهر لحلب المياه من دحلة الى لجش حسما للنزاع . ولا تزال آثار هذا النهر الى يوم هذا وريحانه شط الدحلة الذى اتخذ قاعه (عقبة) دجلة عند تغير مجراه ثم تحول أخيرا الى محراه الحالى . ومن الطرف ذكره بصدد النزاع بين هاتين الدولتين الحكيم الذى التحأنا اليه مرة وكان الحكم ملكا محايدا من ملوك كيش هو «مسيلم»^(١) الذى قام بالوساطة فى تحديد الحدود وتعليمها

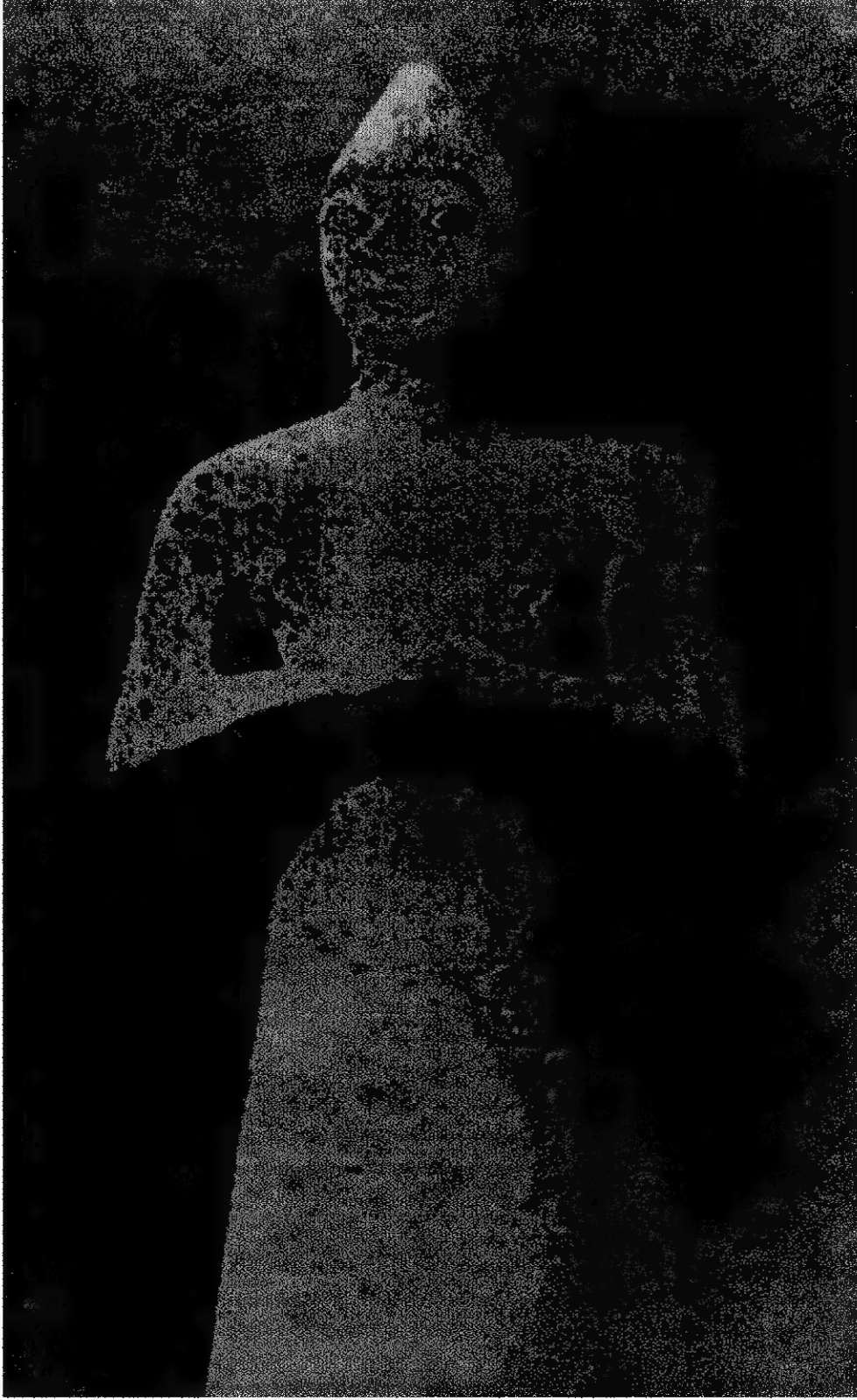
(١) رمن مسيلم غير معروف بالضبط ولعله حكم بين الطورين الاول والثانى من عصر فجر السلالات . وقد عثر فى كيش على رأس دبوس من الحجر (mace-head) منقوش بصور أسود وبكتابة مسمارية رمزية تذكر اسم مسيلم . ولعل هذه الكتابة أقدم كتابه دونت بها حوادث تاريخية رسمية .

بنصب اقامه بين الدويلتين^(١) . ومما لا شك فيه ان كتبت بسبجه ذلك معاهدة
 هي أقدم : بواع المعاهدات في تاريخ العلاقات الدولية . وشير أحوار سلالة
 نجش وأحوار الملوك الآخرين من مدن أخرى من عصر عصر السلالات ان
 ملوك ذلك الزمان لم يقتصروا على مدنها الصغيرة وإنما كان بعضهم يلج من
 القوة والسأس بحيث يهزم محروب خارجية ولا سيما في بلاد عيلام التي
 غزيت أكثر من مرة . وتدل أحوار هذه الدويلات كذلك على وجود علاقات
 مهمة تجارية وحربية وثقافية بين العراق وبين بلاد الشام . ولا سيما منطقة
 «ماري» في السرات الأوسط وكذلك منطقة الحاور والليح حيث عثر فيهما
 على مراكر حصارية من عصور قبل السلالات العراقية وكذلك من تصور
 حصر السلالات وهي تشير إلى أن نوع الحصار فيهما كان نموذج من
 حصار العراق القديم .

لقد حكم من بلاد الحاور والليح ، ثم التي التي الذي بموه اعرصت
 سلالة «اور - ماشة» فتدخل النكهة وعيوا احد أفرادهم حاكما على نجش
 هو «ايتارري» واعضه حاكم ناهن آخر وكلاهما من كهنة معبد الآله
 «سحرسو» وبعد حاكم آخر حكم من نجش «زور - زور» الذي كان آخر
 ملوك نجش حيث استولى عليه الملك «ور - زور» فصار ناصلا حاكم الاحماعية
 التي تعد أحوارها أقدم وثائق تاريخية في محاولات الإصلاح الاجتماعي ،
 وبعد أول مشرع في تاريخ البشر ، فل حمورابي سبب قرون وان لم
 تأتيا بعد قوايه المدونة ، ولكن أحوار التي حملها لنا تشير إلى انه قام بانقلاب
 اجتماعي يرمى إلى الإصلاح وإزالة الظلم وشر العدل بين طبقات المجتمع ،
 ومنع الكهنة والموظفين من ابتزاز أموال عامة الشعب والفقراء قسرا ، ولكن
 إصلاحاته هذه لم يتمح بها أبدا طويلا إذ عله على أمره ملك مدينة «اوما»
 المعادية وقضى على سلالة ، وقد حدث ذلك قبل زمن سرحون الأكدي .

(١) انظر كتابه «انتمينا» حاكم لجش المنشورة في .-

de Sarzec, *Découvertes en Chaldée*, P. XIVII, Gadd, *A Sumerian Reading - Book* (1924), 111 ff



تمثال صغير من المرمر يمثل أميراً أو كاهناً سومرياً من عصر
فجر السلالات (من أوروك)

ويدعى ملك «أوما» هذا باسم «لوكال زاكيزى» وهو من مشاهير الأمراء السومريين وعهده نهاية عصر فجر السلالات^(١) ، وبعد أن قضى على دولة مدينة لجش نجح فى ضم مدن أخرى مهمة الى دولته وكون منها دولة واحدة شملت أكثر العراق واتخذ الوركاء عاصمة له ، وهو أول من اتخذ لقب «ملك سومر» وبالسومرية (لوكال كلاما) وهذا رمز للوحدة السياسية التى أنجزها بين دول المدن ، ولم يقتصر على ذلك بل ان أخباره تشير الى انه مدّ فتوحه خارج العراق ووصل حتى ساحل البحر المتوسط .

ولكن لم يتمع هذا الملك القديم بحكمه ربما طويلا اذ قضى عليه بطل آخر أصلب عودا وأقوى شكيمة طهر فى العراق فى ذلك الزمن هو سرجون الاكدي ، مؤسس السلالة الاكديّة ورعيم الساميين الذين ظهرت خطورتهم السياسية . وقد نازع سرجون «لوكال زاكيزى» ومعه المدن السومرية ، وبعد حرب طاحنة تغلب عليه . وبذلك انتهى عهد دويلات المدن وحل محله عهد المملكة الموحدة كما سيمر بنا بيان ذلك . ومع فشل «لوكال زاكيزى» فان تجربته السياسية قد مهدت السبيل لسرجون لتمكين الوحدة وتثبيتها .

والذى يلاحظ فى أحوال العراق فى عصر فجر السلالات انه مع انقسام القسم الجنوبي الى دول المدن فقد كانت تحرى محاولات محمّلة سياسية وثقافية للتوحيد على عرار ما كان يجرى فى مدن دول المشرق اليونانية . فمثلا خصصوا كلمة لاطلاقها على بلاد سومر هى «كلام» لسمير السومريين عن غيرهم ، كما ظهر مصطلح خاص يطلق على سكان العراق الجنوبي هو مصطلح «ذوى الرؤس السود» ، كما ان دول المدن كلها كانت تشترك فى عبادة آلهة تأتى على رأس الآلهة السومرية مثل «آنو» والليل ،

(١) حول أخبار النزاع بين «لجش» و «أوما» بوجه خاص وبين دول

المدن الأخرى بوجه عام انظر

Poebel, "Der Konflikt zwischen Lagash und Umma ...", in Paul Haupt Anniversary volume (1926).

وحملت نفر لكونها مركز عبادة «انليل»، المركز الدينى لبلاد سومر وصارت بمثابة كعبة يحجون اليها . ولكن هذا الشعور والاتجاه الى التوحيد لم يجد له سعيراً سياسياً بالاحسار وانما فرص بالقوة فى محاولة «لو كال زاكبرى» ومن بعده سرجون الاكدي وخلفاؤه .

وقبل أن نهى كلامنا على دول الن فى عصر فجر السلالات نذكر بعض الامور المفيدة عن ذلك العصر المهم الذى وضعت فيه أسس أولى الحضارات البشرية .

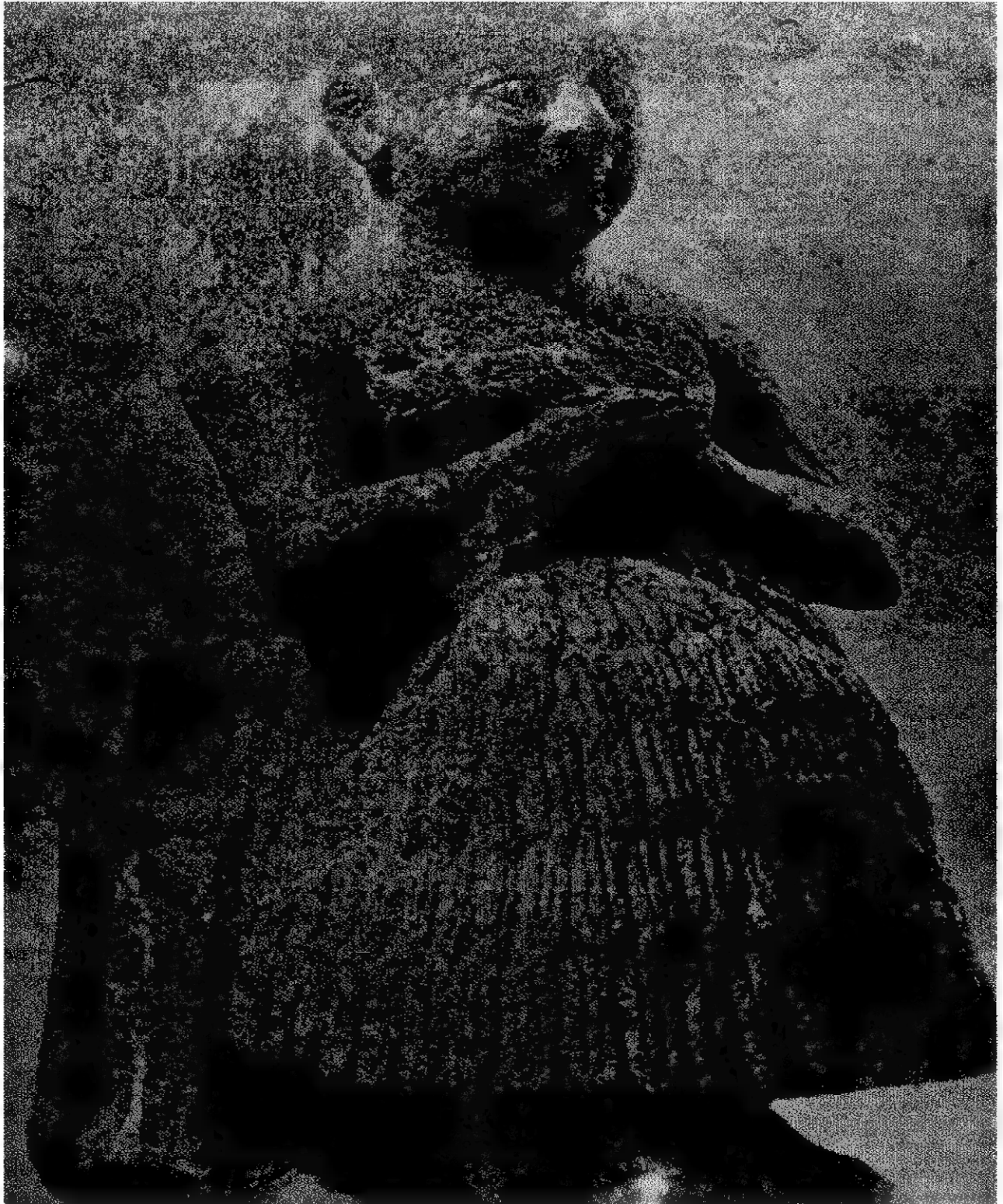
سعة الدولة المدينة :- كانت دولة المدينة فى عصر فجر السلالات ، كما نعرفها من وثائق هذا العصر ، تألف من جملة مجتمعات أو حارات معبدية (أى تركز حول معبد معين) ، فمثلاً تذكر ألواح الطين من مدينة لجش ، زهاء عشرين معبداً^(١) . وظهرت التنقيبات فى مدينة خفاجى معبدين كبيرين ومعبداً متوسط الحجم ومعبدين آخرين صغيرين^(٢) . وقد قدر نفوس حارة أحد المعابد فى لجش بزهاء ١٠٠٠-١٢٠٠ نفس ونحو ٦٠٠٠ «ايكر» من الارض ، أما عدد سكان دولة تلك المدينة فيخمن بصورة تقريبية بـ ١٠٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ ، بالرغم من ان «اتميناء» يذكر ان نفوس لجش فى زمنه كان ٣٦٠٠٠ وكذلك اوركاچيا ويقدر «جودية» نفوسها بـ ٢١٦٠٠٠ نفساً . وقد حسب الاستاذ «فرنكفورت»^(٣) عدد سكان دول المدن بالاسناد الى سعة خرائب المدن التى أجريت فيها التنقيبات الحديثة ، وهذا مقياس تقريبى غير مضبوط الا انه يمكن القارىء من تكوين فكرة عامة عن السكان فى ذلك العهد البعيد . فقد حسب محلات السكنى فى ثلاثة

(١) A. Deimel "Die Sumerische Tempel Wirtschaft" in *Analecta Orientalia*, II (1931), 71 ff.

(٢) Delougaz & S. L. Lloyd, *Pre-Sargonic Temples in the Diyala Region* (Chicago, 1942).

H. Frankfort, *The Kingship and the Gods*

(٣)



تمثال من الحجر الاسود تمثال آدا سا أو وريرا اسمه (دودو) ، ويرجع
عنه الى عصر فجر السال - مالب (٢٦٠٠ ق م)

مواضع قديمة معلومة من التنقيبات وهى «اور» و «اشنونا» (تل اسمر الان) و«حجاجى» . ففي المدينة الاخيرة وجد نحو (٢٠٠) بيت سكنى فى الايكر الواحد (من تاريخ ١٩٠٠ ق م) ومعدل مساحة البيت الواحد ٢٠٠ متر مربع وزهاء ٦-١٠ نفوس للبيت الواحد . وبالقيااس الى كثافة بعض المدن المحاصرة فى الشرق الادبى (نحو ١٦٠ نفسا فى الايكر) يكون نفوس كل من «أور» ومدينة «اشنونا» التى مساحة كل منهما (١٥٠) ايكرا نحو ٢٤٠٠٠٠ وذلك فى الازمان المتأخرة . أما فى عصور فجر السلالات فيلزم خفض هذا المقدار ، حيث يقدر لمدينة لجش نحو ١٩٠٠٠٠ نفسا ولمدينة «اوما» نحو ١٦٠٠٠٠ ولمدينة خفاجى نحو ١٢٠٠٠٠ ولمدينة اشنونا نحو ٩٠٠٠٠ نفسا .

وكان للمعبد سلطة عظمى وأملاك واسعة . فان الاله الذى يعبد فى معابد المدينة هو الحاكم الحقيقى والمالك الحقيقى للمدينة وللناس ، أما الحكام والكهنة فهم وكلاء عنه فى حكمه على الناس . وكانت الاراضى المائدة لاجتماعات دول المدن تنظم تحت ثلاثة أنواع : ١- نوع من الاراضى سموه «كور» وهذه تركت لافراد المجتمع ووزعت عليهم ، وكانت حصة الفرد لا تأس بها اد أن أصغر حصة تصيبه كانت تبلغ نحو ايكر واحد (حوالى مشارة أو دويم واحد) (٢) - نوع آخر من الارض غلبها تعود الى المعبد (وتسمى هذه بالسومرية nigenna) وقد تبلغ ١/٣ اراضى دولة المدينة . وكان على أفراد المجتمع أن يتولوا زراعتها والمحافظة عليها وحفر أنهارها وتكون علتها الى المعبد الذى يجهز الفلاحين المسخرين بالذور (٣) - نوع ثالث من الاراضى كانت بحوزة المعبد ايضا ولكن كان يؤجرها الى الافراد (وتسمى هذه بالسومرية Urula)

وقد أظهرت التنقيبات نماذج كثيرة لدور السكنى من مختلف عهود العراق القديم ، ومن بين ذلك عصور فجر السلالات . فكانت البيوت تبنى من اللبن ، وهى على الاغلب مؤلفة من طبة واحدة ، ويحتوى كل بيت على جملة حجرات توسطها الساحة المكشوفة . وقد وجد أحد هذه البيوت فى

خفاجي وهو ذو خمس حجرات صغيرة ، وتبلغ مساحته نحو ١٠ × ٦٥٥ مترا ، وآخر أكبر منه ذو عشر حجرات (مساحته ٣٠ × ٢٠ مترا) ، وقد عقد بعض أبوابه بالعقادة بأقواس صحيحة^(١) . والعادة انه يوجد في البيت شبايك للنور .

هذا وسنذكر في الاوجه الحصارية في القسم الثاني من هذا الكتاب أمورا أخرى مفصلة عن حياة العراق في عصور فجر السلالات ، كنظام الحكم والديانة والحياة الاقتصادية والسياسة . وكفى بما ذكرناه عن تلك العصور .

الفصل السابع

سومر واكد

(١) الساميون والهجرات السامية

عرفنا شيئاً عن أحوال العراق السياسية في عهد دول المدن الذي سميها بعصور فجر السلالات ورأينا كيف انتهى هذا العهد بقيام سرحون الاكدي (في حدود ٢٣٥٠ ق م) وقضائه على ذلك النظام السياسي وتكونه مملكة واحدة صارت بعد الفتوحات الخارجية امراطورية واسعة = وسرحون من الاكديين وهم فرع من الاقوام السامية فيسمى لنا قبل الكلام على هذا العهد ان تحديد أن يعرف شيئاً عن الساميين وعلاقتهم بالشرق الادبي وحريرة العرب •

حريرة العرب مهد الساميين :

سمى حريرة العرب (أي شبه الجزيرة) من الشرق والشمال والغرب أقاليم عية حصنة تحيط بشبه الجزيرة بهيئة نصف دائرة أو هلال أطلق عليه اسم الهلال الخصيب = وجزيرة العرب^(١) ، على ما يرى أكثر العلماء والباحثين ، مهد الاقوام السامية ، وقد نزحت منها أقوام وشعوب انشرت من الجزيرة منذ أقدم الازمان بهيئة هجرات أو موجات متعاقبة في أزمان مختلفة الى بفاع الهلال الخصيب حيث عاشت فيها وكونت دولاً وحضارات ذات شأن كبير في تأريخ العالم = ومما لا شك فيه ان هذه الهجرات بدأت منذ أقدم الازمان في عصور ما قبل التاريخ وكان العراق مفتوحاً أمام هذه الهجرات وقد استوطن فيه الساميون مع الاقوام الاخرى جبا الى جب

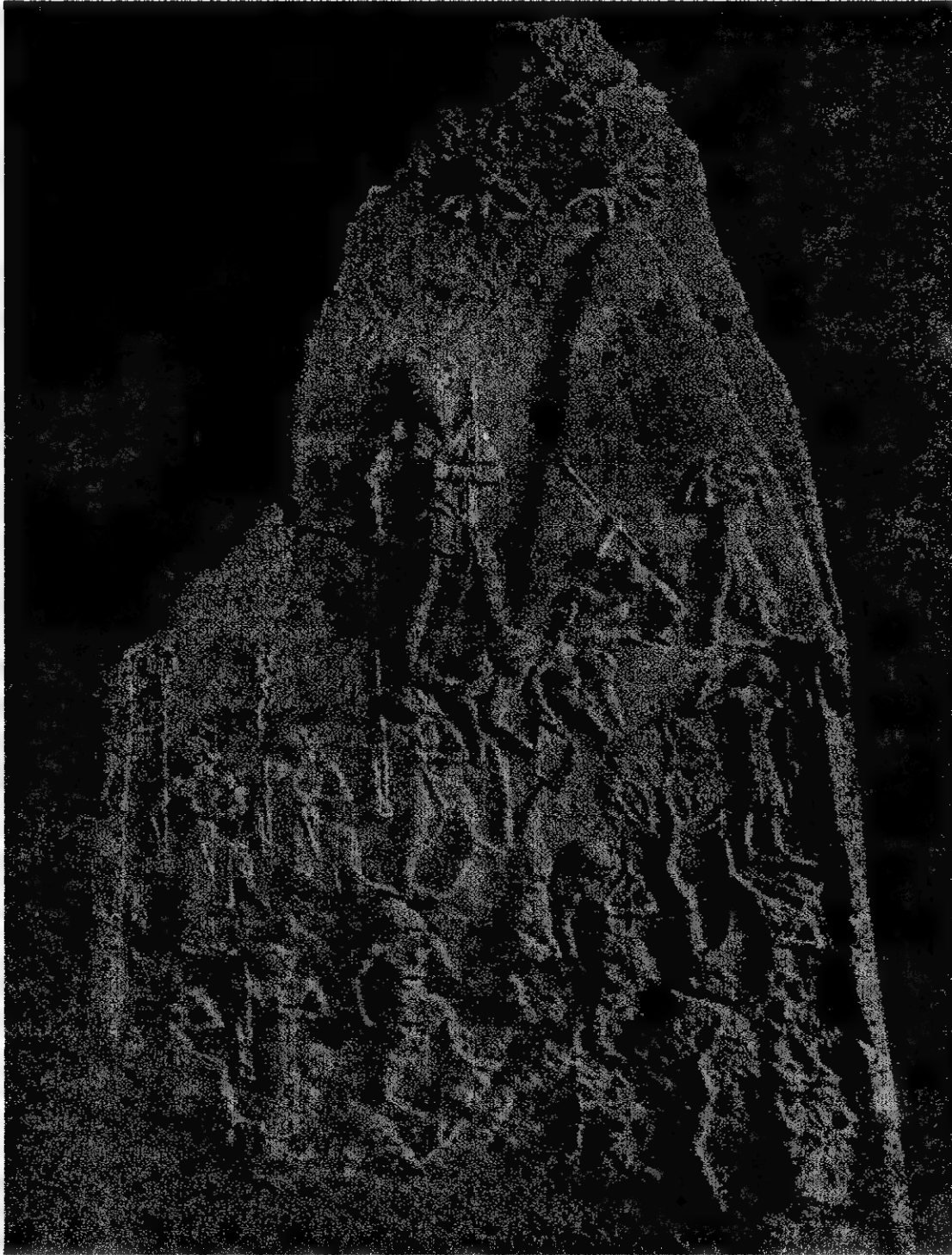
(١) حول موجز أحوال الجزيرة الماصبه أنظر الجزء الثاني •

منذ الاطوار البدائية وعاشوا مع السومريين منذ أقدم العهود التاريخية وطفوا على حياة العراق ومعظم الشرق الأدنى ، منذ العهد الاكدي ، بعد أن تغلب زعيم منهم في العراق ، وهو سرجون الاكدي ، على دول المدن السومرية في أواخر عصر فجر السلالات ، وأثر الساميون في تكوين السكان في مصر القديمة منذ أقدم العهود ويرى الباحثون ان هجرة سامية كبرى الى مصر في حدود الالف الرابع قد تكون منها ومن السكان الاصليين المصريون الذين نعرفهم في التاريخ .

ولدينا من الادلة ما يثبت اتصال العراق القديم بجزيرة العرب منذ العهود القديمة التي سميناهم بمصور ما قبل السلالات (أو العهد الحجري المعدني) وكان القسم الشرقي الجنوبي من الجزيرة من المصادر المهمة التي جلب منها العراقيون القدماء معدن الححاس . وورد في أخبار الملوك السومريين والاكديين ذكر مواضع في جزيرة العرب مثل البحرين (وسموها دلون وموضع آخر بهيئة محان وهي عمان الآن) على انها مصدر الححاس .

وقد جرى المؤرخون على تعداد موحات متعاقبة من الساميين جاءت من الجزيرة واستوطنت أراضي الهلال الخصيب ، وكانت أولى هذه الموجات هجرة الاكديين الى العراق . ولا نعلم بوجه التأكيد متى جاء هؤلاء الى العراق ، ولكن مما لا شك فيه كما ذكرنا سابقا، تعلق الساميون في العراق منذ أقدم العصور ولكن عرف منهم الاكديون في العهود التاريخية لوفرة المصادر ولانهم سموا باسم خاص أي أكديين . وعلى كل حال عاش هؤلاء مع السومريين في عصور فجر السلالات واقتبسوا من الحضارة الراقية التي ذكرنا عنها شيئا فيما سبق ، ولا شك في ان الساميين ومنهم الاكديون قد ساهموا في نشوء تلك الحضارة . وكون الاكديون في منتصف الالف الثالث ، في نهاية عصر فجر السلالات دولة عظمى هي سلالة سرجون التي سنكلم عنها ، واستوطن فرع آخر من الساميين في حدود الالف الثالث القسم

الشمالي من العراق وتكون منه الآشوريون الذين جئنا أخبار دولتهم في العصور التاريخية ، ومن الساميين فرع يدعى «الأموريين» وقد طغى هؤلاء على ديار الشام والفرات الأوسط في منتصف الألف الثالث ق . م وكونوا هناك دولا واقتبسوا من حضارة العراق القديم الأولى . كان مركز الأموريين في شمالي سورية وفي وسطها وأصل اسم الأموريين من اللغة السومرية (مارتو - أي العرب) ، وصارت عبارة بلاد «أمورو» تطلق على سورية أي الغرب وكانت أقدم إشارة إلى الأموريين من زمن سرجون الأكدي وبلغوا أوج سلطانهم السياسي في النصف الأول من الألف الثاني ق . م . وجاء فرع من الأموريين إلى العراق ، في نهاية سلالة أور الثالثة وكون سلالة شهيرة عرفت باسم سلالة بابل الأولى اشتهرت بملكها السادس حمورابي ، واستوطن فرع آخر من الساميين عرف بالكنعانيين وهؤلاء هم النسبة الثانية الكبرى بعد الأموريين في بلاد الشام وكانت مراكز استيطانهم في السواحل السورية وكان تأثيرهم بحضارة مصر القديمة أكثر من تأثيرهم بحضارة وادي الرافدين بعكس الأموريين الذين اقتبسوا كثيرا من حضارة وادي الرافدين منذ أقدم الأرمانيين . هذا وسنذكر في الجزء الثاني من هذا الكتاب أشياء أخرى عن تاريخ الساميين الذين استوطنوا في بلاد الشام في جهات سورية أيضا ومن هؤلاء الميسقيون وان اليونان سموهم بالمينقيين . ومن الهجرات السامية الكبرى نزوح القبائل الآرامية إلى أعالي الرافدين ومطقة الفرات الأوسط وبلاد الشام في منتصف الألف الثاني ق . م ومن الآراميين قبيلة استوطنت في جنوبي العراق عرف منها فيما بعد الكلدانيون الذين كونوا آخر امراطورية في تاريخ العراق القديم وكون الآراميون دولا وامارات مهمة في سورية منها مملكة دمشق وحماة وحلب ، وقد نشبت بينهم وبين الآشوريين حروب طاحنة دامت أكثر من قرنين من الزمان بسبب النزاع والسيطرة على البلاد السورية . وجاء من بعد الآراميين العبرانيون وقبائل أخرى قريبة منهم مثل الموابين واسوطنوا في جهات فلسطين وشرق الأردن . ومن القبائل السامية النبط والاقوام التي جاءت أخيراً مثل اللخمين والمناذرة



مسلة الملك الاكدي «نرام - سين» تمنله وهو منتصر فى حروبه
على القبائل الشمالية (متحف اللوفر)

فى العراق والفساسنة فى الشام = وكانت آخر هجرة للساميين من جزيرة العرب هجرة القبائل العربية والفتح الاسلامى للهملال الخصيب التى طردت الفرس الساسانيين والرومان ونشرت الدين الاسلامى وكونت الحضارة الاسلامية العربية =

واسم الساميين وكذلك اللغات السامية مشتق من اسم «سام» حيث طن ان المسكلمين باللغات السامة هم من سل سام بن نوح كما جاء فى جدول الانساب فى الوراة (سمر التكوين ، الاصحاح العاشر) = وتنمى اللغات السامية جميعها الى عائلة لغوية واحدة لانها تحدرت من أصل واحد وتتشابه فى مفرداتها وفى تركيبها أى فى نحوها = وتعد عائلة اللغات السامية من أكبر العائلات اللغوية بين لغات البشر ومن أهمها من حيث كثرة المتكلمين بها وفروعها الكثيرة وقدمها ومن حيث الآثار الادبية التى جائت منها = وقد دون فى بعض فروعها ، وهى اللغة الاكدية ، آثار نعد من أقدم ما دون فى تاريخ الانسان = وعائلة اللغات السامية من أغنى لغات الشر فى التركيب والمفردات وأثرها من حيث الاشتقاق والتصريف = وتشعب الى فروع ولهجات عديدة بوسعنا أن نصنفها بحسب خصائصها الى كليلين عظيمتين اولاهما الكتلة الشرفية ومن فروعها المهمة اللغة الاكدية وفروعها البابلية والآشورية ولهجاتهما فى أطوارهما المخلصة ، ومن فروع الكتلة الشرقية اللغات العربية الجنوبية كالمعنية والسبئية والحميرية = والكتلة الثانية هى اللغات السامية الغربية ومن فروعها التاريخية المهمة الامورية والكنعانية والفيسية والآرامية والعبرانية واللغة العربية الشمالية (الحجازية) الى نعد من اللغات السامية القديمة وان لم تأت منها آثار مدونة الا فى الازمان المتأخرة =

وتميز اللغات السامية بصفتها عائلة واحدة بخصائص مشتركة تميزها عن غيرها من اللغات البشرية = وأبرز هذه الخصائص الامور الآتية :

١ - تعتمد اللغات السامية على الحروف الصحيحة ولا تعنى بحروف العلة مثل عنايتها بالحروف الصحيحة مع ان اللغات السامية تمتاز بكثرة الصريف وتغير بحركات الكلمات فيها .

٢ - يرجع معظم المردات في اللغات السامية الى أصل أو حذر ذي ثلاثة أحرف وتشق اللغات السامية من هذا الاصل البسيط صيفا وصورا مخلفة فيها معنى الاصل وزيادة . وذلك بتحوير حركات الاصل البسيط أو باضافة زيادات الى أوله او وسطه أو آخره . وهذه النوسيلة من الاشتقاق صار لدى اللغات السامية ثروة كبرى من المفردات فكان ذلك مصدر حياة ومو فيها . ان هذا الاصل الثلاثي البسيط هو اما الفعل الماضي المسند الى الضمير المفرد المذكر العائب (كما في العربية) أو مصدر هذا الفعل ، أى ان أصل المشتقات من المصدر .

٣ - مما يميز الفعل في اللغات السامية انه محدود الزمن . فالأصل في أزمان الحدث الماضي والحاضر واستعملت في العرمة معى الادواب للدلالة على المستقل من الزمان ، وأساس الفعل الماضي كمال الحدث بالسنة الى المكمل وعدم تمام الحدث في الزمن الحاضر بالسنة الى المتكلم ايضا .

٤ - لس في اللغات السامية الا حسان هما المذكر والمؤنث .

٥ - وفي اللغات السامية ظاهرة غريبة هي علاقة العدد بالمعدود العكسية من الثلاثة الى العشرة ، أى انه يذكر العدد مع المعدود المؤنث ويؤنث مع المذكر^(١) .

(١) وبعبارة بعضهم هذه الظاهرة بمبدأ الاستقطاب (Polarity) الجنسى أى تكميل المذكر بالمؤنث والعكس بالعكس .

٦ - ويدر في اللغات السامية الكلمات المركبة^(١) أى ادماج كلمة مع كلمة أخرى لتصير كلمة واحدة على طراز الالتصاق في اللغات الملتصقة كاللغة السومرية .

٧ - ثم ان اللغات السامية تشابه بوجه العموم بالاساليب النحوية ومن ذلك تصريف الافعال وميراتها واشقاقها وتشابهه في مفردات اللغة الاساسية ، وأقرب شيه سائلة اللغات السامية عائلة اللغات الحامية التي من فروعها اللغة المصرية القديمة . ومن الباحثين من يعد عائلة اللغات الحامية وعائلة اللغات السامية اهما كاتتا بالاصل عائلة لغوية كبرى انقسمت فيما بعد الى فرعين .

(٢) الاكديون

وبعد أن عرفنا شيئاً عن الساميين بوجه عام ننتقل ببحثنا الى الكلام على أقدم الدول التي كوتوها في وادي الرافدين . وقد عرفت هذه المملكة، كما سبق أن ذكرنا ، باسم السلالة الاكدية لعله نسبة الى بلاد أكد ، أو الى العاصمة التي اسماها سرحون وسماها أكد ، ولكن يحتمل العكس . وقد فلما فيما سبق ان عصر فجر السلالات انتهى بقيام أحد الملوك السومريين المشهورين وهو «لوكال زاكيزي» الذي نجح بعد قضاائه على سلالة مدينة «لحش» المجاورة لمدة «أوما» في توحيد دويلات المدن في مملكة واحدة . وقد جاء في الاخبار انه وسع فوحيه الى سورية والى ساحل البحر المتوسط . ولكن ذلك لم يدم ربما طويلا حيث ظهر في البلاد زعيم من الساميين هو سرحون الاكدي (ولفظه شروكين - أى الملك الصادق) الذي كون من العراق مملكة موحدة في حدود ٢٣٥٠ ق = م . بعد أن قضى على (لوكال

(١) باسماء أسماء الاعلام في اللغات السامية فان الغالب فيها انها مركبة وبلغ من تركيب أسماء الاعلام عند البابليين والآشوريين والعبرانيين انها تؤلف جملة مفيدة من مبدأ وخبر أو فعل وفاعل (أنظر مبحث الديانة حول الامثلة على ذلك) .

زاكيري) ولم يقصر أمر هذه المملكة على العراق بل انها شملت معظم أجزاء الشرق الأدنى بسيحة فوح سرحون وخلفائه الخارجية وقد دامت السلالة الاكدية زهاء المئتين (٢٣٥٠-٢٢١٠ ق م) اسجد في عهدها القسم الاوسط من البلاد وهو منطقة بلاد أكد والقسم الجنوبي وهو بلاد سومر . ولهذا السبب سميا اليهود المتدثة بقيام السلالة الاكدية الى نهاية سلالة أور الثالثة باسم «سومر واكد» كما فعلنا في عنوان هذا الفصل .

ومما يقال عن العهد الاكدي بوجه الاجمال انه لا يمثل فتحا جديدا كما كان يظن سابقا كما ان السلالة الاكديّة لا تمثل لنا أول استيطان الساميين في العراق وانما كان الساميون موجودين في العراق منذ أقدم العهود وعاشوا جنب الى جنب مع السومريين ، هــ ، وقد سبق أن أشرنا الى ان أسماء ملوك سلالة كيش الأولى أسماء سامية ، و لواقع ان سرجون مؤسس السلالة الاكديّة كان موظفا كبيرا (لعله ساقيا) عند أحد ملوك كيش المسمى «أور-ربابا» ، والمرجح انه تار عليه وقد وصفت الاجيال التالية حول اسمه كثيرا من القصص الطريفة، حول أصله اوضح و كنيّة توّته العرش ، ومن ذلك أسطورة شبيهة بقصة موسى^(١) ، ورواية أخرى تصف حملة سرجون الى الاناضول لحدة حلة (مستوطن) من التحار الاكديين ، متذرعا بحماية الرعايا الاكديين اسقط سلطانه على آسية الصغرى . وقد وجدت نسخة من هذه القصة

(١) وملخص القصة على لسان سرجون أن امه كانت وصيعة (فقر) ولا تعرف اباه . وكان عمه او حاله من سكان الحبال (لعله في بلول نادية اشنام) وكان مدينا المسماه «اروفري» . فع على شاطئ الفرات . وقد حملت به امه وولده سرا ووضعته في سبط من القصب واحكمه بالسرا ثم وضعه في النهر ، ولكن النهر لم يعرفه . فشله الفلاح الساقى «أكى» ورباه مثل ولده وعلمه فن المسية . وحين كان يعمل في البساتين فادا بالاله عشار فد احببه وجعله ملكا . وبقي في السلطان طوال اربعة وخمسين عاما .

حول الاخبار المتأخرة عن سرجون انظر

(L. W. King, *Chronicles Concerning Early Babylonian Kings*, II, 5).

فى تل «العمارة» فى مصر (فى حدود القرن الثالث عشر ق . م .) وعنوانها «ملك الحرب» .

ومع ان حكم سرحون وعهد السلالة الاكدية لا يمثلان فتحاً سامياً حديداً الا انها مع ذلك كانا عهداً حديداً مميزاً فى تاريخ العراق القديم . وأهم ما يميز به هذا العهد الحديد بوجره بالامور الآتية ، فمن ذلك نشوء روح حديد فى الص تميز بالقوة والحيوة والحركة كما تدل على ذلك الآثار المسحوتة الى حاءا (انظر ص ١١٨) وكذلك رأس السحاس الاكدي الذى يرجح انه رأس سرحون أو رأس برام - سين (انظر ص ١٢٥) وتلاحظ هذه الروح الحديد فى فن الخوم الاسطوانية ايضا . وطراً شىء حديد أيضاً فى الكتابة والمدون فقد صار أكثر الكتابات الملكية والوثائق التجارية يكتب باللغة السامية الاكدية . والنواقع ان ذلك بدأ بدرجة قليلة فى عهد لوكال زاكيزى .

كما ان محاولة سرحون لخلق وحدة سياسية تضم دول المدن وتصهرها فى وحدة سياسية قد نجحت أكثر من محاولة خصمه (لوكال زاكيزى) . ولضمان هذه الوحدة السياسية ومن مظاهرها أيضاً الامور الآتية :-

١ - تشير الاحار المتأخرة عن سرجون انه لم يعتمد على ولاء دول المدن السومرية كثيراً بل انه كون له اتباعاً خاصين واقطعهم قسماً من الاراضى التى كانت تعود الى المعابد فما سبق كما انه عين حكاماً تابعين له ، والمرجح كثيراً انه أوجد نظام الجيش القائم . وصار حكام المدن فى عهد حفيده «برام - سين» يلقون أنفسهم بعد الملك أو خادمه^(١) واستمر اتباع هذا العرف الى العهود المتأخرة . ومن مظاهر التوحيد السياسى ان سرجون احتفظ باللقب السياسى الذى اخبره «لوكال - زاجيزى» أى «ملك سومر»

(نو كال كلا ما) وأصاف اليه لقباً مهماً آخر لم يعرف من قبل هو لقب «ملك الجهات الأربع» ، ولهذا اللقب الجديد مدلول ديني للحكم عدا مدلوله السياسي . فقد كان هذا اللقب خاصاً ببعض الآلهة العظام ولا سيما «أنو» و«انليل» و«شمش» (الاله الشمس) ، والمقصود به انهم كانوا أسياد الخليفة والكون ، وباتخاذ هذا اللقب صار الملك الحاكم الأرضي للخليفة أو الكون . واسم عمل الآشوريون لقباً مماثلاً هو «ملك الكون» (شار كشتي) . ولا يعنى لقب «ملك الجهات الأربع» ان سرحون قصد من ذلك تأليه نفسه أو جعل نفسه الها وانما هو ممثل الآلهة في حكم الكون (الجهات الأربع)^(١) .

ومن الأمور المهمة التي أوحدها سرحون ادخال اسم الملك في العقود مع أسماء الآلهة ، وكان هذا أمراً مهماً من وجهين فأولاً يعنى طاعة الملك والنسك بولائه وثانياً تبيت حقوق المعاقدين ، فان الذي يحل شروط العقد بعد أن أقسم باسم الملك يسوء الى الملك نفسه ، ولذلك اتسعت صلاحية القضاة الذين كانوا قبل سرجون أشبه ما يكونون بالمحكمين ، ولكن صار حكمهم منذ العهد الاكدي الراميا باسم الملك^(٢) . وبموجب هذا العرف الجديد يكون سرجون قد أوجد بوجه عملي محكمة للاستئناف للبلاد حيث كان هو على رأسها وهي مستقلة عن المدن المختلفة ، وهذه خطوة مهمة في تطور العراق القديم وتطور شرائعه ، وكان حمورابي مثل ذلك أيضاً .

ومن وسائل التوحيد المهمة التي أوحدها سرحون ادخاله أسلوباً موحداً للتقويم ، بخلاف عصر فجر السلالات السابق الذي كان فيه لكل مدينة تقويمها الخاص وأسماء أشهرها وأعيادها الخاصة .

ونختتم كلاماً على سرحون انه أيضاً بدأ بتحسين الجيش واسلحته ، فقد تطورت أساليب الحرب والسلاح في عهده فمثلاً كانت الاسلحة السومرية

(١) ونص هذا اللقب الطريف باللغة السامية «شار كبراب اربعيم» وبالسومرية "lugal an - ub - da limmu - ba"
(٢) أنظر Frankfort, *ibid.* 75 ; *Kingship and the Gods*, 406.



رأس دقبق الصنع مسبوك من النحاس (أو البرونز) يحمل ملكا أكديا
(لعله سرجون أو نرام - سين عن المتحف العراقي)

ثقيلة مما لا تسهل حركة الجنود في الماوراء فقد كانوا يستعملون التروس
الثقيلة الكبيرة على هيئة نظام الصف (Phalanx) الذي سبق أن ذكرناه ، مع
الرماح الطويلة والفؤوس الثقيلة ، ولكن الأكديين سهلوا من حركة الجنود
في الماوراء مسعملين أسلحة خفيفة كالقوس والبال كما أدخلوا حرب المبارزة
رجل مع رجل .

وقد حكم سرجون زهاء ٥٥ عام وخلفه في الحكم ابنه «رموش» ،
الذي خلفه أخوه المسمى «مانشتوسو» بعد حكم ٩ سنوات . وقد كان هذا
شجاعا قويا حكم زهاء ١٥ عاما . وقد خلف لنا بعض الآثار المهمة منها
«مسلته» المشهورة (وهي مسلة هرمية سوداء منقوشة بكتابة تدون أعماله
الحربية والاقتصادية والسياسية) وخلفه في الحكم أقوى ملوك السلالة
الأكدية وهو «نرام سين» المشهور الذي حكم زهاء أربعين عاما . وكان هذا

عاهلا عظيما أشهر بفوحه الخارجية « حيث دوح أقاليم بعيدة ، وقد خلف لنا محتويات في القسم الشمالى من العراق محلدا اسراراه على المسائل الجبلية ، ومن حروبه الى خلداه فى الصب الذى حله لنا (المسمى صب الصر) قهره للأقوام القاطنة فى حال عيلام وهضبة ايران (وقد جاء اسمهم بهيئة لواوى) « كما يحمل أن يكون رأس النحاس النفيس الذى وجد فى نىوى يمثل هذا الملك الشهير (انظر ص ١٢٥) »

الفوح الاكديّة وسائحها :

نجد الفوح الخارجيّة الى قام بها سرجون وحلفاؤه البارزون وأشهرهم «نرام - سين» تكوين امراطورية واسعة شملت معظم أحرار الهلال الحبيب وعيلام وقسما من آسيا الصغرى الى ساحل البحر المتوسط ، وقد القى النفود المصرى فى عصر الاهرام والنفود الاكدي فى مدن الساحل الميسقية مثل حيل ولكن لم يحدث بين الحصاريتين اصطدام مسلح « وىروى لنا الكتابات التاريخية القديمة عرو سرجون افليم «كدوكيه» لنحدة مسعمره من الجار الاكديين هناك تأسست للمحاربة بالصوف والفصة وأمام الحريات التى حوت فى منطقة الحابور وحود مسعمره كبرى وقصر شاه «نرام-سين» المشهور فى تل «براك» على الحابور « مما يشير الى اتساع السطره لأكديّة وعايه الملوك بالسيطرة على الطرق الرئيسية المهمة بين سورية الشمالية والعراق « واتسعت الامراطورية الاكديّة فى زمن «نرام - سين» حميد سرجون الذى غزا آسيا الصغرى ونبت نفوده فى ايران وجمع سورية الشمالية وىروى عن سرجون انه وصل الى حريه كريب (وقد جاء اسمها فى المصادر المسمارية بهيئة كهارة الى ترجح أن تكون كهور الواردة فى التوراة) « وانه جلب السفن المحملة بالنحاس من «مجان» (عمان) ومن «ملوخا» (وهما فى الجزء الجنوبي الشرقى من جزيرة العرب) ومن «دلون»

(جرر البحرين) وافرغ حمولتها في ميناء عاصمه «أكد» . وقد خلد حفيده «نرام - سين» انصاره في منطقة ديار بكر في نصب من الحجر وجد في هذه المنطقة . وجاءنا منه نصب آخر يمثل فن النحت الراقى من هذا العصر يعرف بـ «نصب الصر» وقد مثل فيه الملك نرام سين وهو على رأس جيشه المصير في منطقة جليلة الى الشمال الشرقى من العراق .

كاتب الموح الاكدي تهدف بالدرجة الاولى الى السيطرة على القساع العية بالموارد والمواد الاولية . وكان الحصول على هذه الموارد الضرورية لحصاره العراق (كالمعادن والاحجار والحشب) غير مضمون دائما بالتجارة والتبادل كما في العصر السابق أى عهد دول المدن الى كانت في نزاع دائم فيما بينها . ولا شك في ان بعض ملوك ذلك العهد مثل «لوكال زاكيزى» قد حاول السيطرة على مابع الثروة في الشرق الادنى ، ولكن السلالة الاكدي بوجه عام قد حققت السيطرة الفعلية على موارد الثروة ويكون الفصح الاكدي بالاحمال أول نظام للامراطورية في تأريخ البشر السياسى وطلائع الاسعمار الاقصادى ، وقد درب هذه الفتوحات على الملوك الاكديين خيرات كثيرة ، ظهرت آثارها في تجميل المعابد والقصور في مدن العراق القديم ونج استغلال هذه الحيرات اتساع الاساح ودرقى الصاعة .

والى المنافع الاقصادية الكثيره الى نتجت من هذه الموحات كان لها أثر بيمد في تأريخ الحضارة البشرية . فقد عملت على نشر حضارة العراق القديم في جميع أنحاء الشرق الادنى فأنشر استعمال الكتابة واتخذ الخط المسمارى في أكثر أجزاء الشرق الادنى وفي آسية الصغرى ، وتحضرت الشعوب الى اتصل بها الاكديون واقبسوا من حضارة العراق القديم واشقت منها حضارات فرعية مثل الحضارة الحثية والحضارة العيلامية . وانتشر كثير من عناصر الحضارة في ديار الشام كالمعتقدات الدينية وعبادة الآلهة . وبهذا السيل انتقلت أساطير مهمة مثل قصة الطوفان البابلية اسطوره

الخليقة الى سورية وتوارثت روايتها الاجيال المخلقة حتى وجدت طريقها الى التوراة .

وقد أسفر الفتح الاكدي بوجه الاحمال عن توحيد أساليب الحياة والحضارة في الشرق الادنى ، فالساك في ذلك العهد احدى الطرق التجارية من جنوبى الاناضول الى سورية الى القاء الحابور سهر الفرات ثم الى آشور في أعالي دجلة واتجه من بعد ذلك الى «مارى» وبرل مع الفرات الى موطن الحضارة السومرية يجد في أى مدينة يمر بها وحده في مظاهر الحضارة الاساسية ، في الفن والعمارة واللغة والكتابة حيث الخط السمارى الخط العام في المصالح والمعاملات التجارية والسياسية .

نهاية العهد الاكدي ■ الكونيون

لقد عم الاضطراب في أحوال المملكة في أواخر العهد الاكدي وقد حكم من بعد (رام - سين) ملوك ضعفاء آخرهم «شار كليشارى» الذى حكم نحو ١٥ عاما وحلته في الحكم ستة ملوك حكموا ربما قليلا ولا يعرف عنهم سوى أسمائهم المذكورة في اثباتات سلالات الملوك ، وقد استعلت بعض القبائل الحيلة من شمال العراق وشرقه - مع الملوك الاكديين المأحرين . هذا وقد سبق أن بوهنا باتصال ملوك السلالة الاكدية (ولا سيما رام-سين) بالاقوام الجبلية في فتوحاتهم ، وكان هذا عاملا مهما لاحكامك الاقوام الجبلية بحضارة القسم الجنوبي وتعلم أسلحتها واساليبها الحربية . فعرب هذه الاقوام البلاد الاكدية وحطم وحدتها السياسية واستحوذت على أقسام كبيرة منها . ومما لا شك فيه ان عوامل انحلال داخلية هي التى ساعدت هؤلاء الاقوام على انتهاء حياة السلالة الاكدية . ومن عوامل انهيار هذه السلالة انه لم يكن من السهل على المدن السومرية أن تخضع الى الحكم الاكدي فنسى حكمها الذاتى

هذا ولا نعرف أصل الكوتيين بالضبط ولعلمهم من جبال لورستان أو من الاقاليم الشمالية الشرقية وقد دون ملوكهم أخبارهم النزرة التي جاءت بالغة الاكدية ولعلمهم تكلموا بها ، كما انهم لقبوا انفسهم بملك «الجهات الاربع» وانهم اتخذوا الحضارة الاكدية بوجه عام . وقد سمي أهل البلاد هؤلاء «الرابرة» «كوتيين» وكان عهدهم عهدا مظلما في تاريخ البلاد دام زهاء القرن الواحد ، وقد ذكرت اثبات الملوك لهؤلاء «الكوتيين» واحدا وعشرين ملكا لا يعرف عنهم سوى أسمائهم ولكن تشير المصادر الاخرى الى انهم قاموا في بداية أمرهم بالتخريب والتدمير وكان نظام الحكم غريبا عنهم . والطريف ذكره بهذا الصدد ان جامع اثبات السلالات بعد أن ينهى السلالة الاكدية يعلق بحمله ساحرة «من هو الملك ومن هو غير الملك ؟» ، اشارة الى الفوضى السياسية التي عمت البلاد في نهاية السلالة الاكدية . والمرجح انهم لم يسيطروا سلطانهم الا على جزء من البلاد ولا سيما القسم الشمالى منها^(١) ومع ذلك فقد كان حكمهم عهدا مظلما كادت تنقطع فيه عنا أخبار العراق القديم اولا قيام سلالة من الامراء السومريين في مدينة «لجش» (تلو) هي سلالها الثالثة وكانت تعاصرهم وقد عوض ازدهار الحضارة في هذه المدينة وما يحاورها عن الحمود الثقافى ، وكان سببا في استمرار سير الحضارة في فترة القرن الواحد التي حكم فيه الكوتيون .

وقد اشتهر من بين الامراء السومريين الذين حكموا في مدينة «لجش» في أواخر هذا العهد أمير اسمه «جودنة»^(٢) وقد عمل هذا على احياء الآداب السومرية وشيد المعابد الفخمة ، وامتد النشاط التجارى في عهده الى الاقطار المحاورة . وقد وردت في كتاباته أسماء مواضع في شمالى سورية

(١) ولعلمهم اتخذوا كركوك (أرابخا القديمة) مركزا لهم .

(٢) يوحد دلالة تاريخية جديدة في قانون الملك «اور - نمو» مؤسس

سلالة اور الثالثة المكشفت حديثا تشير الى أن زمن جودنه ينبغي أن يقع

في عهد مؤسس اور الثالثة أو عهد خلفه «شولجى» .

(S.N. Kramer in *Bull. of the University Museum* vol. 17 (1952),

P 22).

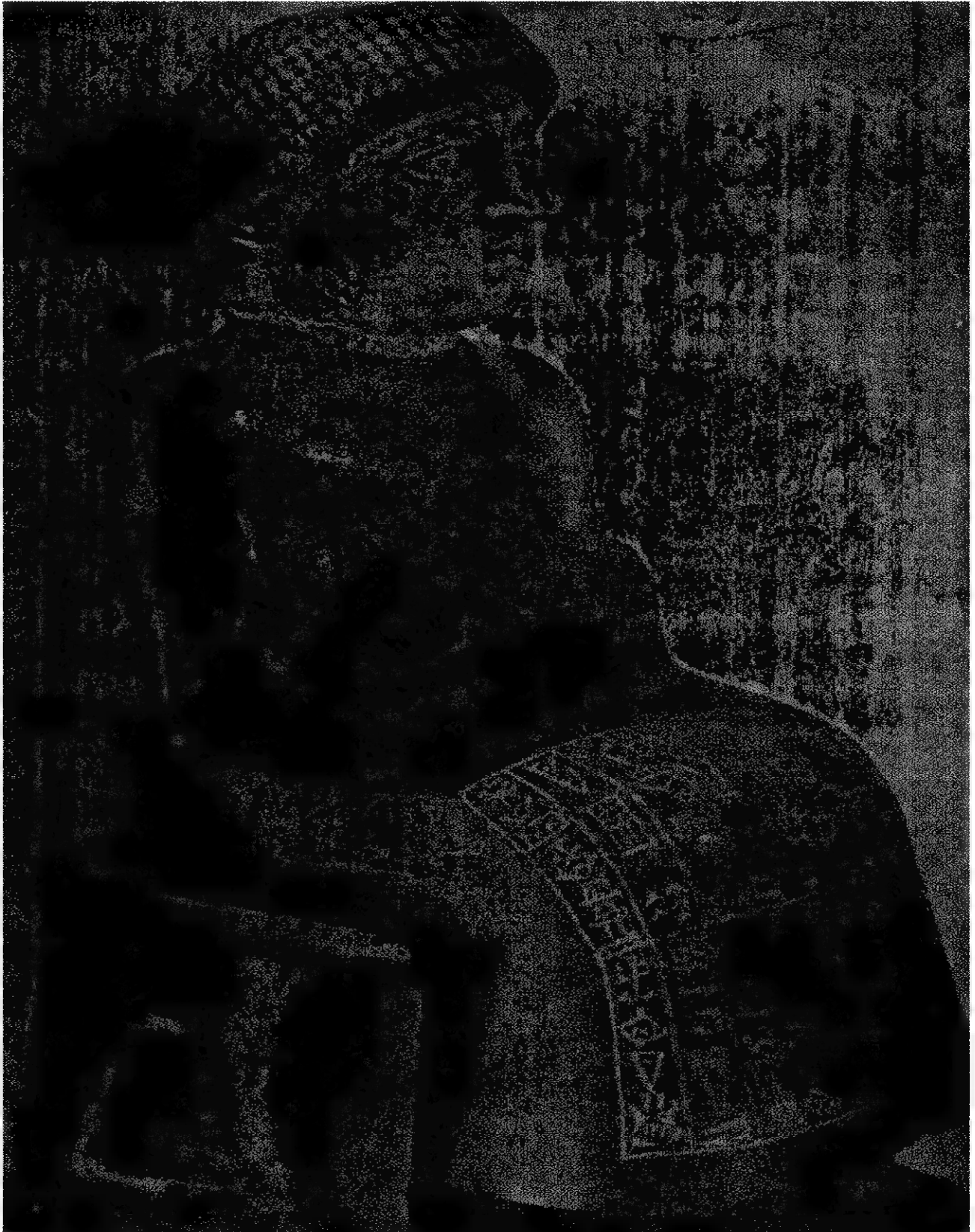
وفي عسلاء وفي البحرين والحر - الحوى الشرفى من حريره العرب .
وقد حلب منها الاحشاب والحاس . ومن ماثر «خودنة» ازدهار النخ في
زمنه . وقد حلب لنا خمسة عددا مهما من تماثيله الحميلة المسحوتة من حجر
«البارلت» و «الدوريت» وهي ناعات منحوت اللوفر في باريس . وفي
المنحوت العراقية مثال واحد من تماثيله ، وجاءنا من «خوديه» اكمل واطول
نماذج من الآداب السومرية وكذلك من نقوشه انكساره فيما سمي
اسطوانة خودنة المكونة^(١) .

أخذ الكوبيون أعداء الاله (كما سميهم النصوص المسمارية القديمة)
صطهدون المدن العراقية في أواخر أيامهم . فثار عليهم مدسه الوركاء.
بمناه أميرها «سومرى» «أوبو - حكال»^(٢) الذى أعلن نفسه ملكا واهب
أهل البلاد لحرب الطعام الاحاب فانتف حونه المدن وبدأ يورته على آخر
ملوك الكوبيين المسمى «رهد» تنص على جموعه الكثرة وحلص البلاد
منها فأسس «أوبو - حكال» سلالة في الوركاء هي سلالتها الخامسة ونصب
نفسه بملك «سومر واكد» وحكم زهاء سبع سنوات . ومن حكمه ثم انه
ربما طويلا سبب بوبه فاه بها حاكم مدسه «أور» الرابع له . وانتهت الثورة
بامثال الحكم الى هذه المدسه . وكوبت بينا سلالة يعرف بسلالة «أور
الثالثة» بعد سندها من جهود العراقي القديم المتحدة وآخر عهد في حيلسه
السومريين السنية .

(١) حول الماد خودنة انظر
(Thureau-Dangin, Sumerischen und Akkadischen Königsin-
schriften) (1907)

(٢) يوجد نص تاريخي طربت جاءنا من «أوبو - حكال» دون فيه
أخبار حربه مع الكوبيين وطرده انهم من البلاد .
(انظر

(Thureau-Dangin in R A , IX, III ff, Gadd, Sumerian Reading
Book (1924), P 64)



تمثال من حجر «الدبورب» يصل «حودية» حاكم مدينة لحس السهر
(عن المسحف العراقي)

سلالة أور الثالثة ونهاية السومريين السياسية

عرفنا مما سبق كيف انتهت العرة المظلمة التي عصت السلالة الاكديّة وذلك بثورة المدن السومرية المهمة برعامة أحد الامراء السومريين المسمى «اوتو - حيكال» على الكوتيين الاحاب وطردهم وتحرير البلاد منهم بعد أن دام عهدهم رهاء قرن واحد .

ولكن لم يتمتع البطل المحرر «اوتو - حيكال» بنصره انتصاره زمناً طويلاً كما ذكرنا من قبل اذ تار عليه أحد أتباعه ، حاكم مدينة أور المسمى «أور - نمو» (وكان يقرؤ اسمه في السابق اور - انكر) وبعد نجاح هذا بالثورة بدأ عهد حديد هو عهد سلالة أور الثالثة (٢١١٥ - ١٩٩٨ ق = م) التي يعد زمنها آخر عهود السومريين . وقد وجد حديثاً لمؤسس هذه السلالة نسخة من شريعته التي وصيها فتكون بذلك أقدم من شريعة حمورابي بسحو ثلاثة قرون^(١) . وقد استطاع ملوك هذه السلالة الخمسة أن يبيدوا اشل، امبراطورية واسعة على طراز الامراطورية الاكديّة شملت جزءاً كبيراً من الشرق الادنى ، من ذلك عيلام وبلاد آشور وأجزاء مهمة من بلاد الشام الى حمص ودمشق ووادي الخاور والليح والحرير والى آسية الصغرى . وانتشرت مع التجارة والقنوح الخارجية حصارة العراق القديم كما كان الحال عليه في زمن الامراطورية الاكديّة .

وبعد عهد سلالة أور الثالثة نهایه حياة السومريين السياسية اد اهتم بصفتهم طبقة حاكمة لم تنشأ منهم سلالات حاكمة بعد ملوك سلالة أور الثالثة السومرية ولكنهم اندمحوا بالساميين الذين سقراً عن بعض سلالاتهم الى أقاموها فيما بعد . وعلى الرغم من موت السومريين السياسي ظلت لغتهم وآدابهم تؤثر في العراق القديم . وطلت اللغة السومرية لغة الآداب والدين

(انظر)

(1) S N Kramer in **Bull.** of Un. Museum Vol 17, No 2 (1952)

(2) "Ur-Nammu Law Code" in **Orientalia**, (1954), P. 40 ff

حتى أواخر أيام الحصار في العراق القديم . وخلف دولة السومريين دول جديدة مثل حضارات جديدة فرعية اشتقت من حضارة وادي الرافدين الأولى أما هذه الحضارات الفرعية فهي الحضارة السابلية والحضارة الآشورية . وبدأت هذه الحضارات بالنشوء منذ العهد الأكدي حيث كانت الأقوام التي مثلها بين الحضارتين تعلم من الحضارة السومرية وتتحين المرص للاقتصاص على سلطة الحضارة «الأم» أي حضارة السومريين . ولعل سلالة أور الثالثة كاب آخر دولة عظمى أقامها السومريون للمحافظة على الحضارة السومرية بالقوة وفرضها على الأقوام السابعة لها في الداخل والخارج بطريق الدولة الامراتورية ولكن ذلك لم يدم أكثر من مائة عام حيث انهارت من بعد ذلك الحضارة السومرية وحل محلها حضارات فرعية اشتهت منها .

اشتهر ملوك هذه السلالة بأعمالهم العمرانية بالإضافة الى أعمالهم الحربية . فقد عمروا في معظم مدن العراق القديمة وقد حصوا عاصمتهم أور بالمسطح الاوفر من العناء حتى أصبحت في رمتهم قلة الشرق القديم . وامتاز عهدهم بارتداد السلطة المركزية ، ولم ينصر حروبهم وادارتهم على ارجاع امراتورية سرجون الأكدي حسب بل امتاز دولتهم بالتنظيم وحسن الادارة في الداخل والخارج وتعدمت طريقه حكم الاقاليم الخارجية بعض الشيء عما كان عليه الحال في زمن السلالة الأكديّة . وذلك بتقوية الحكم المركزي وتعيين حكام الاقاليم من ابناء الملوك بدلا من الامراء الذين كانوا يحكمون بالوراثة . ومن الامور الجديدة بالذكر عن الادارة الداخلية في هذا العهد توفر الاشارات التاريخية الى قيام ملوك هذه السلالة بنفنين الشرائع بحسب العرف الاحماعي ونوحد الاحوال القضائية في البلاد . ومن الملاحظات المهمة عن عهد هذه السلالة ان مؤسسها اتخذ لنفسه لقباً سياسياً جديداً هو « ملك سومر واکد » الذي استعمله « أوتو - حيكال » بالإضافة الى لقب ملك « الجهات الاربع » الذي اوجده سرجون الأكدي وامتازت سياسة مؤسس السلالة وكذلك

سیاسہ خلفائہ باساع سیاسہ النعمان من النمر بن اکدین (السامیین) و بین السومریین ومحاوئہ دمج النمرین فی اجش والاداره ، وانما کما جعل عهد هذه السلالة عهد الامراج بین اعمون ، ولعل ذلك نفس التسمیة اکثر من واحد من ملوک هذه السلالة فاسماء سامیه تذکر مهم «سو - سین» و آخرهم «ای - سین» .

دام عهد سلالة اور الثالثة ی . و منه عام (۲۱۱۵-۱۹۹۸ ق . م) وقد انتهی فی عهد آخر ملوکهم التسمی «ای - سین» حیث داب فی اواخر عهد السلالة موحات حرى من التسمین العربین یعمل فی العراق من اغراب الاوسط من منتصف مری ، و بدرجہ الاولى من الاموریین وقد استعمل امر هؤلاء الاموریین فی عهد «ای - سین» الذی یجربا ان سی سدا بعد هجومهم .

وهجم علی العراق فی الوقت عسہ العلامون من اشرو . و بعد سقوط العاصمة اور حکم فی العراق ملوک معاصران سارما السادة علی انقطر رما طوبلا وعرف ساری . و «لار» . سیه الی الی السین المعرویین یحدث الاسمین . بعد ساره هذا العهد لذلك فیه المکان عدد البلاد فیه الی النظام القديم . نظام دولات المدن . و لیس هذا حق مر علی تأسيس هاتین السلالتین حکم فی العراق فی سلالة ناسه آخری من ملوکها . و لیس من الامور ان سقام فی عهد ملوکها السادة حمورابی الشهیر ان یفعل علی دولات المدن جمعهم فوحد البلاد و بعد فوجهم . خارجیه الی افانم اشرو الادبی .

وقل ان سیه الکلاء علی سقوط سلالة اور اشالته ، سهل منه ما ملین فی اسباب سقوط تلك السلالة ان ماری بسطیم الاداره و ساسک

(۱) کات بهانه اور الباله کازنه فی حناه السومری . و بعد حلب سمره ذلك العهد رباء مجربا بعد سقوط اور و بهت العلامین للحدس و اسهاک حمور ملوکها .

الحكم المركزي فيها . والواقع ان الاسباب أو الاحوال التي اكتنفت ذلك الانهيار مجهولة لدى المؤرخ الحديث . ومن الطريف ذكره بهذه المناسبة ان أهل اور ومهم الملك «ابى - سين» يرجعون سبب تخطيط دولتهم وتدمير مدينتهم المعظمة اور الى عصب الاله «ولا سما عصب الاله «الميل» على أهل اور وعلى الهما (الاه العمر سين اوسا) . ولكن ذلك لا يقع اباحت فعلية أن سحت في العلل التي حطمت تلك الامبراطورية التي لم تصطدم بدولته معظمة في رمها في العالم القديم . وادا رجعا الى الحوادث القليلة التي يستطيع استخراجها من ألواح الطين من ذلك العهد وجدنا امارات ولمحا على انهيار داخل وقع في حسم المملكة أولا فمهد للاموام الخارجية غزوها للامبراطورية ومن ذلك حدا انه بعد السنين الاولى من حكم «ابى - سين» (السنه الثانيه - الرابعه) يقطع التاريخ بالحوادث الخاصة بحكم ذلك الملك بى مدن مهمه مثل وشونا وسوسه وانش (والاحيرة في سنه الخامسة) وفي «اوما» (في سنه السادسة) وفي «نر» (في سنه الحاديه عشرة) . وكانت نر رمز السلطه السومرية . ومعنى المنع ذلك في عرف العراق القديم ان تلك المدن لم بعد تعرف سلطه مدينه «اور» وبسلطه ملكها كما انا سمع ان حكام الاقائيم أخذوا يهاونون في ارسال الفرائين الى اله اور (في سنه السادسه) . ويسدل من كب القال المأخره ان حمله ثورات وعصيان قد وقعت في أجراء الامبراطورية . وقد شر حدثا بعض الوثائق التاريخية^(١) ما يلقي ضوءا كاشفا على علاقته «اشى - ايرا» بآخر ملوك السلاسله . أى «ابى - سين» . فالمرجح جدا ان «اشى - ايرا» كان أولا حاكما على مدينه مارى من قبل الملك «ابى - سين» وانه صار حاكما أيضا على مدينه «نر» من بعد ذلك . فان تلك الوثيقيه المكشفه حديثا في نر^(٢) كانت رساله من الوالى «اشى - ايرا» الى سيده ملك أور ، تطلب فيها من الملك اندفاع عن «ايسن» و «نر» بسبب اندفاع البدو الاموريين وتدفقهم الى داخل

(١) انظر حول ذلك

Jacobsen in *Journal of Cuneiform Studies*, VII 2, (1953, 39).

العراق ، ويرجع كثيرا ان ذلك وقع في السنة السادسة من حكم الملك «ابى - سين» وانهم نهبوا محاصيل السنة وقطعوا موارد العيش عن العاصمة . وتدل طواهر الاحوال على أن حاكم «ايسن» «اشبى - ايراه» كان مخلصا للملكة في أول الامر ولكنه بعد أن رأى تدهور السلطة المركزية أخذ يدافع عن «ايسن» لصالحه الشخصي ، حتى صبح في ذلك وأسس سلالة خاصة به في السنة الثانية عشرة من حكم ملك أور اذ بدأ يؤرخ بحكمه منذ هذه السنة . والى ذلك فان الساميين الذين كانوا يتحصون الفرص لعزو العراق هجموا على اور ودمروها بالاضافة الى النهب والسلب مما قام به الاموريون من الغارات الاوسط . ومن الباحثين من يرى ان «ابى - سين» لم يؤخذ أسيرا الى عيلام ، بل انه كان حليفا لها ضد الاموريين وانه ذهب الى حلفائه عندما اشتد ضغط الاموريين على البلاد^(١) .

واد كانت سلالة اور الثالثة نهاية سلطان السومريين السياسى فان عهدها وعهد سلالة لحش الثانية (التي اشتهرت بالملك جودية) كان احياا أو اسعانا حديدا للثقافة السومرية وتكاملها ، كما بلغ فيه من العمارة أوجه ، بحيث يستطيع أن يعد من أعظم عهود العراق القديم في العمارة ولا سيما في كثرة المعابد . وما زالت بقايا المعابد التي شيدها «اور - نمو» أو جدد بآها شاهد في كثير من المدن السومرية مثل اور واوريدو والوركاه ونفر وغيرها . وقد آتت لنا انسيقيات العلمية المظلمة في أور عن أشياء كثيرة مهمة عن فن العمارة ، ويحلى شاط «اورنمو» في الساء في أور في عهد الاله القمر (سين اوسا) وكذلك تشييده البرج المدرج الشاهق (الرقورة) التي تعد بقاياها الآن في حرائب اور من أحسن الماذح لتلك المعابد العالية التي اشتهرت بها حضارة وادي الرافدين . وقد كان الهيكل الداخلى للرقورة مشيدا باللبن ثم علف بطبقة سميكة من الآجر وهو بقى سالما من الرقورة الآن الطبقة السفلى (٦٢ × ٤٣ م) وارتفاعها ١١ مترا . وتليها الطبقة الثانية

(٣٦ × ٢٦ م) وارتفاعها ٦ أمتار وفوقها بقايا من الطبقة الثالثة (٢٠ × ١١ م) وما بهى سالما من ارتفاعها يبلغ نحو ٣ أمتار فيكون مجموع ما بقى من الزقورة زهاء ٢٠ مرا . والمعتقد انه كانت توجد طبقة رابعة فوقها المعبد العلوى الذى لم يقم منه شئ . ومن البقايا المهمة التى بقيت من مآثر ملوك سلالة أور الثالثة قبور ملوكها الفخمة المهمة لأنها تبين لنا نواحي مهمة فى طرق الدفن وعقائدهم الدينية ومركز الحكام والملوك واقامة مزارات عند قبورهم وهى على طراز قبور المقررة الملكية من عصر فجر السلالات حيث يتألف القبر من ساية المد واحرى تحنها للدفن^(١) .



■ منال آسہ منحوت من حجر البازلت وجد فی اریدو (ابو شہرین
ویرج عہدہ الی سلالہ آور الثالثہ)

الفصل الثامن

العهد البابلي القديم

(١) عهد سلالتى «ايسن» و «لارسه»

رأينا فيما سبق كيف اسس سلاله «اور» الثالثة بالفرو المزدوج الذى قام به «الاموريون» (السامون العربيون - أو العرب السوريون) من العرات الاوسط والعلامون من شرق العراق وكوت بنيجيه ذلك سلالتان متاصرتان فى حوى العراق وهما سلاله «ايسن» التى أسسها «اشبى - ايرا» وتقوم حراثت ايسن اليوم فى بل تدعى «ايشان بحريات» الى جنوب عفاك بنحو ١٤ ميلا والثانيه فى «لارسه» (سسه الى مدينه لارسه التى تقوم حراثتها اليوم فى التل المعروف بسكره الى الشمال الغربى من الناصريه بنحو ٧٠ كيلو مترا) وكانت هذه السلالة على ما يبدو حاصمه الى يهود الملاميين وقد حكمت هاتان السلالتان القسم الجنوبى من العراق « وقد بدأ الآشوريون فى حدود هذه الرمن فى الشمال يكتوبون دونه مستقله عن يهود الجنوب (وسيمر بنا بحث ذلك فى موضع خاص) « وعلى ذلك فقد عادت البلاد من بعد نهاية «اور» الى نظام دويلات المدن كما كان الحال فى عصر فجر السلالات قبل أن يوحد سمرحون الاكدي دويلات المدن ويؤلف منها «دولة القطر» وبالإضافة الى هاتين السلالتين والدولة الآشوريه اسفل فى هذا العهد ملوك حكموا فى مملكه «اششونا» فى منطقه دالى (وسأبى ذكر ذلك) وقد تكونت فى بابل بعد مده على تكوين سلالتى «ايسن» و «لارسه» سلالة ثالثة عرفت باسم سلالة بابل الاولى . وقد نواضع المؤرخون على تسمية العهد الذى دام رهاء ثلاثة قرون (١٩٩٨-١٥٨٠) باسم العهد البابلى القديم ويشمل عهد سلالتى «ايسن» و «لارسه» وسلالة بابل الاولى « أما فى مصر فقد تكون عهد حدد بعد الفترة المظلمه الى اعصت «من المملكة القديمة» حيث قامت فى

البلاد مملكة جديدة تعرف في تأريخ مصر القديم باسم المملكة الوسطى التي شملت السلالتين الحادية عشرة والثانية عشرة (٢١٠٠-١٧٨٨ ق م) وهي تعاصر العهد البابلي القديم في العراق وقد انتعشت في زمنها المملكة المصرية في الحضارة وفي الاحوال السياسية .

سلالة ماري

سلالة ماري

وقامت في العهد البابلي القديم سلالة من الساميين الغربيين في مدينة ماري في الفرات الاوسط . وقد كشفت التنقيبات الحديثة التي أجراها المقنون الفرنسيون حديثا عن نتائج مهمة عن حضارة ما بين النهرين الشمالية في مركزها ماري ، حيث قامت فيها ، كما سبق أن ذكرنا ، حضارة سومرية ازدهرت في عصر فجر السلالات وكشف المقنون عن قصور كبيرة لملك ماري من منتصف العهد البابلي القديم ، وكان بعض ملوكها يعاصرون حمورابي مما ساعد على ضبط أدوار التأريخ القديم ووجدت عشرات الآلاف من ألواح الطين المهمة من بينها جملة رسائل ملكية^(١) .

واستمر تأريخ «ماري» في الازدهار من بعد ذلك وكانت كثيرا ما تضم الى الامبراطوريات التي تقوم في العراق وتستقل عندما يضعف السلطان المركزي فيه . وبدأ الاموريون يهاجرون الى العراق ويغلبون وقد رأينا فيما سبق انهم هجموا على العراق وكانوا من الاسباب المباشرة في اسقاط أور الثالثة .

ليس لدينا ما يستحق الذكر عن سلالاتي «ايسن» و «لارسه» سوى انهما بدأتا بالزراع والاحراب فيما بينهما على السلطة وذلك بعد تأسيسهما بزمان قصير . وقد خصصت اثبات الملوك التي خلفها لنا البابليون انفسهم خمسة عشر ملكا لسلالة «ايسن» بلغ مجموع سني حكمهم زهاء ٢٢٥ عاما أي ١٩٩٨-١٧٧٣ ق م وخصصت لسلالة «لارسه» أربعة عشر ملكا

(١) حول نتائج التنقيبات في ماري انظر مجله "Syria" Vols. XVI—XXI.

وانظر كذلك المراجع العامة المفصلة في آخر الكتاب .

مجموع سبي حكمهم زهاء ٢٦٠ عاما في حدود ١٧٣٨-١٩٩٨ ق = م وقد
 تبين مما جلتا من المآثر والمصادر التاريخية ان سلالة «ايسن» الامورية كانت
 أهم وأخطر من السلالات الاخرى التي قامت في هذا العهد لما قام به ملوكها
 من أعمال عمرانية في مدن العراق القديم وترميم ما تخرب من البلاد على
 أثر سقوط سلالة أور الثالثة وقد نشر الباحثون حديثا في عام ١٩٤٧ أجزاء
 من شريعة مدونة باللغة السومرية ثبت ان مقنتها كان «لبت عشنار» خامس
 ملوك سلالة «ايسن» وهي تسبق شريعة حمورابي الشهيرة بأكثر من قرن
 ونصف القرن ولا يخفى لما لهذا الاكتشاف من خطورة تاريخية في تأريخ
 الشرائع البشرية المدونة^(١) والطريف ذكره عن حوادث هذه السلالة ان
 الملك الذي خلف «لبت-عشنار» وهو «ايرا - ايمتي» تنازل تنازلا سوريا عن
 العرش لبستانى له بمناسبة القيام برموم دينية خاصة لدرو اخطار جسيمة
 يخشى أن يشترك بها الملك بنفسه مخافة ان يصيبه الشر فيعين بديلا له فصادف
 ان الملك الاصلى توفي في اثناء الاحتفال (ولعله مات بالسم) فخلفه البستانى
 المسمى «انليل - بانى» في عرش المدينة = أما سلالة «لارسه» فقد قام فيها
 ملوك من البابليين ولكنهم كانوا على ما يبدو تحت نفوذ الصيلاميين = وقد
 تدخل الملوك الصيلاميون بأنفسهم بشؤون سلالة لارسه = حيث قضوا على
 آخر ملك من ملوكها = وقد حدث ذلك في زمن الملك الصيلامى «كودر-مابك»
 الذى نصب ابنه «ورد - سين» ملكا على «لارسه» ومن بعده ابنه الثانى
 «ريم - سين» وقد استمر النزاع بين السلالتين ففضى «ريم - سين» الصيلامى
 ملك «لارسه» على السلالة المنافسة «ايسن» وحكمها بنفسه = وقد حدث قبل
 هذا الزمن = بعد تكوين السلالتين المذكورتين بنحو قرن واحد ، ان قامت

(١) راجع ذكر شريعة مملكة أشنونا في هذا الفصل ، أما عن قانون

لبت عشنار فراجع

The American Journal of Archaeology (1947)

ونترجمه المؤلف الى العربية في مجلة «سومر» المجلد الرابع (١٩٤٨) ،

الص ١١ فيما بعد .

سلالة ثالثة فى بابل أصلها مثل سلالة «اسن» من الاموريين وهذه هى سلالة بابل الاولى التى اشتهرت بملكها السادس «حمورابى» الذى صادف مجيئه الى العرش البابلى الرمن الذى قصى فيه الملك العيلامى «ريم - سين» على سلالة «ايسن» وقد تمكن حمورابى ، كما سنذكر فيما بعد ، من ان يقضى على العيلاميين بعد معارك طاحه .

مملكة «اشنونا» :

ومن دويلات المدن المهمة التى استقلت بعد سلالة أور الثالثة مملكة عرفت بمملكة «اشنونا» سبة الى عاصمتها (وتقوم الآن فى الحرائب المعروفة بتل أسمر فى منطقته دىالى) وقد كشفت التنقيبات المهمة التى قام بها المعهد الشرقى لحامسة «شيكافو»^(١) فى عاصمة هذه المملكة وكذلك فى المدن المهمة التابعة لها (مثل حماحى وتل أحرب واشحالى) عن تأريخ هذه المملكة والمدن التابعة لها وما اعتورها من حوادث ومصائر . فقد شأت فيها دولة مهمة فى عصر فجر السلالات (٣٠٠٠-٢٤٠٠ ق = م) ومن بعد ذلك فقدت استقلالها وصارت تابعة الى الامبراطورية التى أسسها سرحون الاكدى وسطت سلالة أور الثالثة سلطانها عليها حتى ان حاكمها التاسع أقام معبدا خاصا بالآل أور المسمى «حميل - سين» ويقرأ «شو - سين» أيضا^(٢) وعقب ذلك عهد استقلت فيه هذه المملكة دام انقسم الاعظم من العهد البابلى القديم الى السبة الثالثة والثلاثين من حكم حمورابى حيث قصى على استقلالها فى هذا العام وصمها الى امراطوريته بعد تغلبه على العيلاميين .

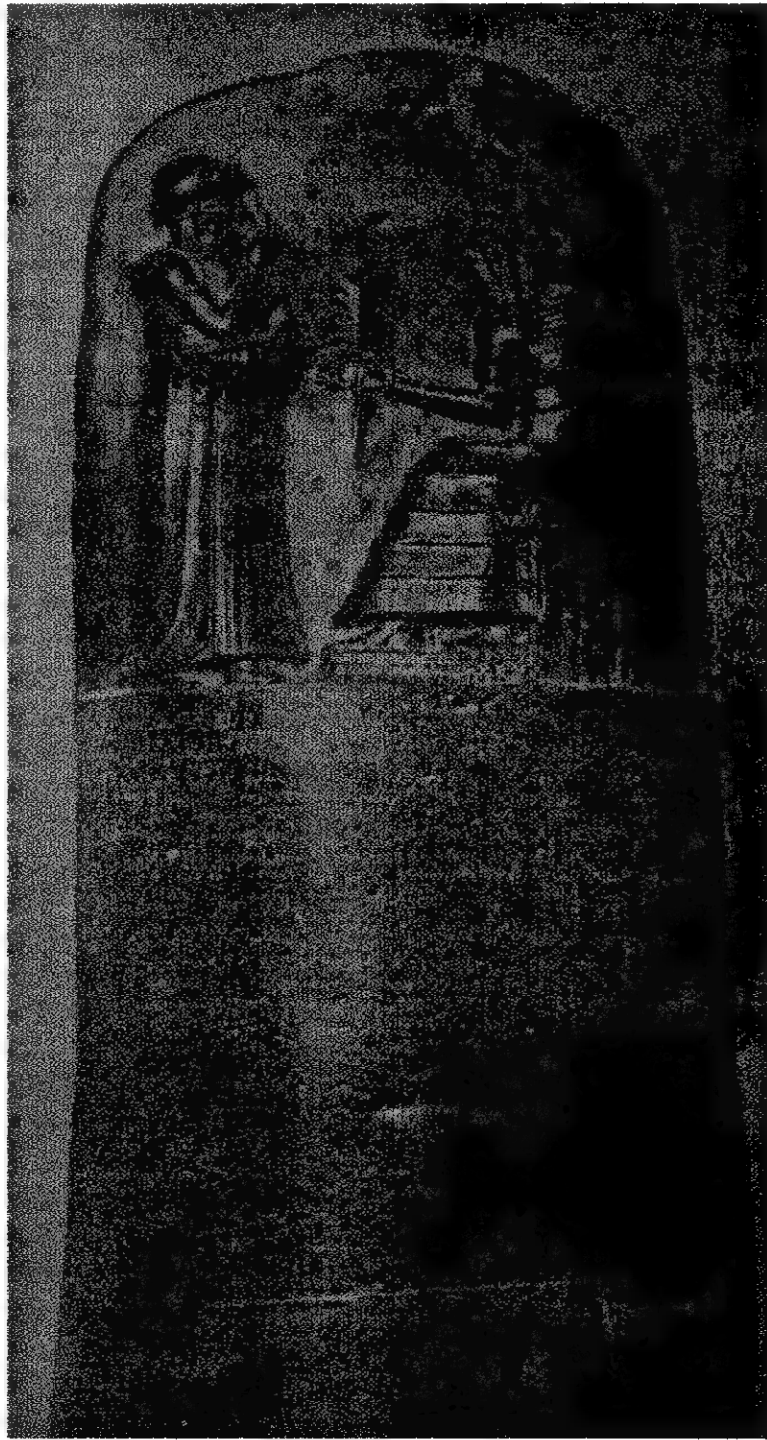
وكان من بين المواضع التابعة الى هذه المملكة حملة مدن ومقار وأراضى واسعة خصبة فى الثلث الكائن بين دجلة وديالى . وعثرت مديرية الآثار

(١) حول ذلك أنظر المراجع الآتية .

Oriental Institute Communications Nos 13, 16, 17, 19, 20

وانظر المرجع المذكور فى حاشية رقم (٢)

(٢) Frankfort et al, The Gimilsin Temple and The Palace of The Rulers at Tell Asmar (Chicago, 1940)



صورة المسلة الشهيرة التي نقش " رابي سريعه (نسخة
جيسية عن المسلة الاصلية المحدث في متحف اللوفر)

العراقيه فى احدى هذه المدن القديمة (تل حرم) على مجموعات كبيرة مهمة من الوثائق التاريخية من العهد البابلى القديم ، يحصى بالذكر منها نسخة من شريعة نبت انها شريعة أحد ملوك «اشوب» الذى يرجح انه «ملالام» وعلى ذلك تسبق شريعة حمورابى بنحو قرين من الزمان وشريعة «لت-عشار» ملك «ايسن» بنحو نصف القرن ، وبذلك تكون أقدم شريعة معروفة فى تاريخ الشر اكتشفت حتى الآن . وتل حرم موضع فريد فى بابه لا وحد منه من الكتابات العلمية والمصنعات المدونة فى ألواح الطين ، وقد اتضح انه كان بمثابة مدرسة أو أكاديمية علمية (انظر المحث الخاص بالعلوم فى قسم الرياضيات) .

وقد سبق أن أشرنا الى قيام سلالة من الملوك فى بلاد آشور استقلت من بعد سلالة أور الثالثة وطلت كذلك الى زمن حمورابى وأول هؤلاء الملوك ملك اسمه «ايلو - شوما» كان معاصرا لمؤسس سلالة بابل الاولى ومن ملوكهم ايضا «ايريشوم» وسرحون الاول . والذى يلاحظ فى هذه الاسماء أنها أسماء سامية ، فاسم «ايريشوم» مثل اسم «الحارث» بالعربية .

سلالة بابل الاولى :

لقد ذكرنا فيما سبق انه حينما كانت سلالة «ايسن» وسلالة «لارسه» تسارعان على السلطة «مد تأسيسهما برمن قصير» قامت فى العراق سلالة جديدة نائمة فى مدينة بابل عرفت سلالة بابل الاولى واشتهرت بملكها السادس «حمورابى» وكانت مثل سلالة «ايسن» من أصل سامى عربى أى من الاموريين الذين كانوا فى جهات سورية فى الفرات الاوسط . وكانت الاحوال مواتية لقيام هذه السلالة اذ لم يكن فى البلاد سلطة مركزية قوية بل كانت محرواة بين دويلات المدن كما ذكرنا .

مدينة بابل :-

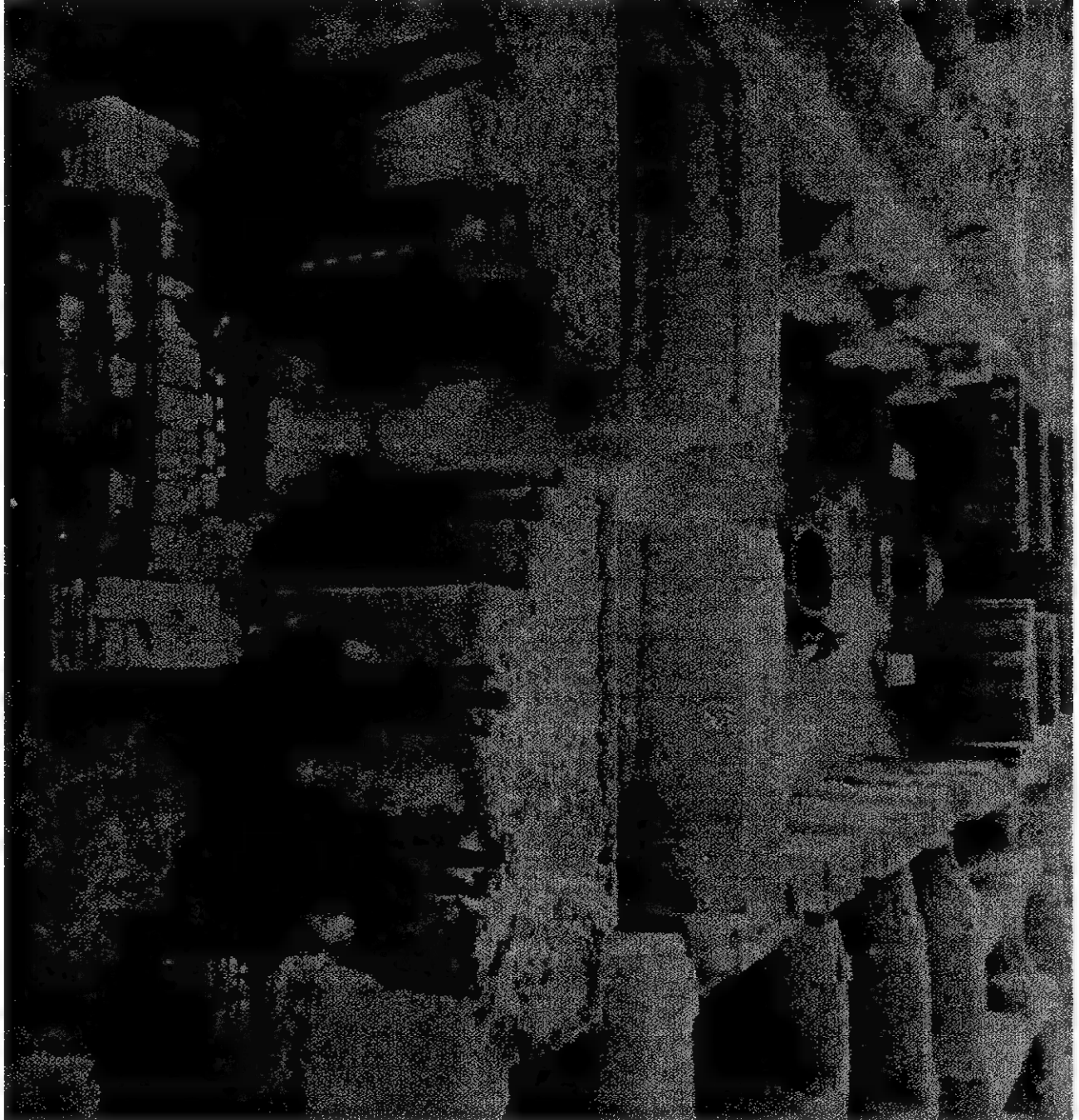
وقد اخذ مؤسس هذه السلالة المسمى «سومو - آبوم» مدينته بابل عاصمة له . وكانت بابل من المدن الصغيرة التى نشأت فى أواخر عصر

عجز السلالات ولم تكن فى بادىء أمرها على شىء من النفوذ والسلطة السياسية . وقد ورد ذكرها فى أخبار بعض الملوك الاكديين وملوك سلالة أور الثالثة . وبدأ نجمها السياسى بألقى منذ قيام سلالة بابل الاولى فيها فصارت ذات شأن عظيم فى تأريخ البلاد حتى ان اسمها أطلق على أغلب سكان العراق القدماء (البابليين) وكذلك صارت كلمة بلاد بابل تطلق على القسم الوسطى والجنوبى من العراق وصارت عاصمه البلاد الوحيدة حتى نهاية حياة البابليين السياسية ، وعندما بست العاصمة الجديدة «سلوقية» على دجلة فى العهد السلوقى بدأ مركز بابل يضعف وهجرها الناس الى العاصمة الجديدة وعمها الخراب وآلت بمرور الزمان الى ما نشاهده الآن خرائب واطلالا .

كانت سلطة هذه السلالة فى أول أمرها محصورة فى عاصمها بابل وما يحاورها من الاراضى والقرى والمدن الصغيرة . وقد شغل خمسة الملوك الاول من هذه السلالة أنفسهم فى توسيع اإدييه واحكام أبيسها وأسوارها ، وكانوا سهرور العرص على الدوام لضم المدن المحاوره الى بابل وكذلك دويلات المدن العرسة مثل «كيش» و «سار» (ابو حه) و «كوثى» (تل ابراهيم الآن) و «هر» وغيرها . وكان ملوك بابل فيما قبل حمورابى يرقبون انتراع الدائم بين دويلات المدن الاخرى ولا سيما بين السلالتين المهمتين «ايسن» و «لارسة» ويعملون فى الوقت نفسه على توطيد مملكتهم الصغيرة وتنظيم ادارتها والمحافظة على حدودها مستهدفين لا شك خوص الممعة الحربية مع خصومهم الصلايين فى لارسة . وقد حدث قبل ان يأتى حمورابى الى الحكم ان الصلايين انفسهم قضوا على آخر ملك وطنى فى سلالة لارسة - وصب الملك الصلامى الذى انجز هذا الامر (وهو كودر مابك) ابنه «وردسين» ملكا على لارسة ، وأعقبه على العرش أخوه «ريم-سين» وقد بدأت بابل فى عهد هذا الملك بالحرش بالصلايين وذلك فى عهد أبى حمورابى المسمى «سين-موبلط» وعندما سسم حمورابى عرش بابل بعد ابنه (١٧٢٨ - ١٦٨٦ فى م ٠ م)

ورث مع العرش هذه العصابات والنصائب حيث البلاد مقسمة بين السلالات
 المنازعة ، والعلاميون يهددون المملكة البابلية الفتنة بالقضاء عليها . وقد كاد
 يقضى على حياة المملكة البابلية وعلى ثم تكمل في نموها السياسى ، ولكن
 حمورابى جمع في شخصه حصلا فذه جعلت منه القائد والسياسى والمصلح
 والمشرع فتمكن من ان يخلص المملكة من ايديها الصداميين ثم وحد البلاد بعد
 ان قضى على السلالات الاخرى مثل مملكة اششونا ومد فوحوه من بعد ذلك
 الى شمالى العراق والى جهات الهلال الخصيب الاخرى ولا سيما فى ديار الشام
 مصدا بذلك امراطوره سرجون الاكدي وامراطوره سلالة أور الثالثة .
 ولكن قبل ان نسى له اخبار ذلك بدأ بحربه مع العلاميين حيث احصر
 اليراع بيه وببهم فى زمن ملكهم «رم - سن» ملك «لارسه» الذى قضى فى
 بداية حكم حمورابى على السلالة الامورية فى «ابسن» فسقط بذلك على قسم
 كسر من القسم الجنوبي من العراق . وبدأ حمورابى كفاحه بقوة الادارة
 فى مملكه وتوطيد حكمه فى قسم البلاد التابع له واحكام وسائل الدفاع فى
 مدسه وفى المدن التابعة له . وبدأ فى السنة الثلاثين من حكمه الحرب مع
 وبين حموع «رم - سن» العلامى . فكانت من احطر الحروب التى شاهدها
 العراق القديم حيث عانى كل من الحصنيين القوس حموعه وفواه . وأظهر
 حمورابى من اندس والحرم مملكه من نمرق حموع العلاميين واحلافهم
 شر ممرق . وكان ابتداء حمورابى هذا حدثا خطيرا فى حياة المملكة البابلية
 أرجح ه الناس ان حوادث وباء فى الشعراء فى المعنى متحد حمورابى الطل
 وديك به الحموع فى معانا نابل ورددت سناء المدن الاخرى .

أصبح «حمورابى» ناسهء الحظر العلامى فى وضع مكنه من القضاء على
 دويلات المدن الاخرى مثل مملكة «اششوا» ثم تابع فوحوه ومدى الى الشمال
 فأخضع بلاد الآشوريين وكذلك المناطق الحلية الى الشرق والشمال . وقد
 لاحق فلول حموع العلاميين الى عمر ١٠ ازمهم فسقط سلطانه على بلاد عيلام .
 وقد اظهرت النحوت الحديثة انه ضم تحت نفوذه معظم الاراضى الشامية .



معبد من العهد البابلي القديم وحد في السعبيات التي قامت بها مدبره
الآثار العراقيه في قل حرم (لاحظ أجزاء المعبد)

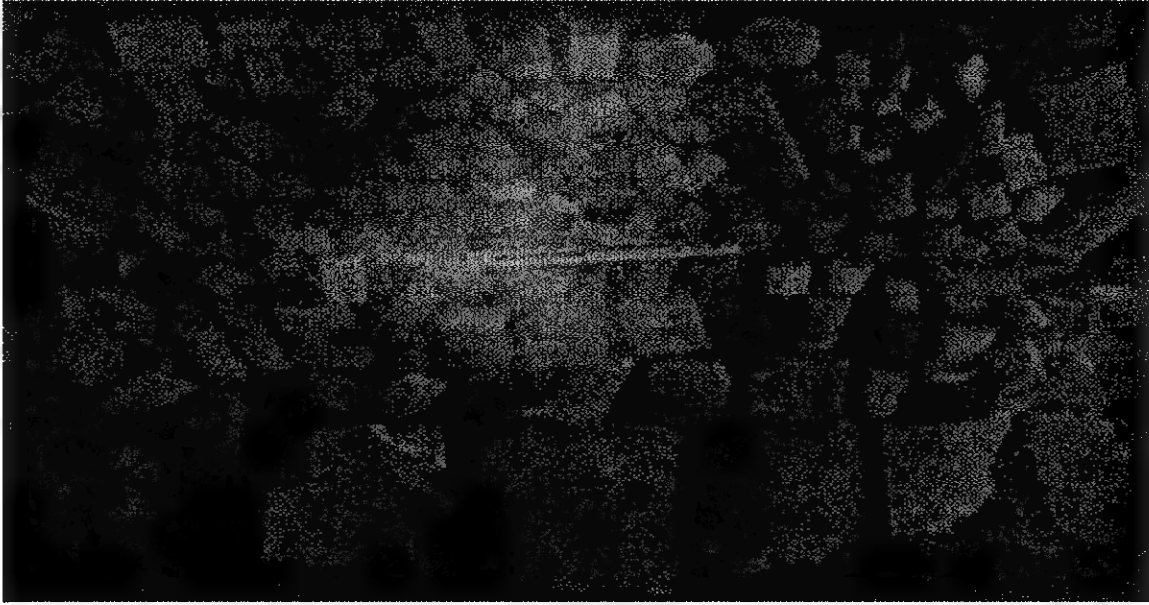
وتفرع من بعد ذلك لاعمال السلم وبوطيد الامبراطورية واحكام ادارتها .
فمن اعماله المهمة انه بعد توحيد البلاد فمن في اواخر حكمه شريعة واحدة
مطردة تسرى احكامها على جميع ابناء المملكة ، وسيأتى البحث في هذه
الشريعة في مكان آخر . وحلف لنا حمورابى حملة من رسائله الرسمية
الادارية الى كان يرسلها الى عماله وولاته في الاقاليم السابعة له لتسيير
شؤون مملكه الواسعة وهى تدل على ما كان عليه هذا الملك من حزم وحكمة
وبعد نظر^(١) . وامتاز حمورابى بحمل السلطة متركزة بيده بحيث صار
الملك كالهرم فى بناء الدولة .

خلف حمورابى خمسة ملوك ورثوا عنه امراطوريه واسعة وقد عمل
اوائل هؤلاء على المحافظة على المملكة الواسعة وشغلوا بالحروب الخارجية
للمحافظة على ممتلكاتهم خارج العراق وكذاك فى صد الطامعين من الشعوب
المجاورة ولكن اضطرت الامور فى عهد الأخيرين مهم . وقد عرا البلاد
فى عهد آخرهم (وهو الملك الحادى عشر من السلالة) الحثيون ونهبوا بابل
ودمروها واحدوا تمثال الاله «مردوخ» وروحه الى بلادهم وتشير ظواهر
الاحوال الى ان الحثيين لم يمكنوا فى البلاد ربما طويلا بل اسحقوا بعد اخذ
الاسلاب والفتائم وقد اسهت سلامة بابل الاولى بحو ١٥٠ عاما من بعد
حمورابى ولعل الكشن الذين حاؤا الى العراق فى حدود هذا الزمن هم
الذين طردوا الحثيين . وقد أسس الكشنون سلالة جديدة فى بابل عرف
بسلالة بابل الثالثة . أما سلالة بابل الاولى فهى كما ذكرنا سابقا سلالة
حمورابى وسلالتها الثانية تكوّن من حملة ملوك يرجح ان يكون أصلهم
من السومريين ، ثاروا فى زمن اسحمورابى وحليفه واسفلوا فى الاراضى
المحيطة بحليج فارس واذلك عرفوا بملوك القطر البحرى .

(١) انظر حول رسائل حمورابى المراجع الآتى -

(1) Harper, **Letters and Inscriptions of Hammurabi.**

(2) Unagnad, **Briefe König Hammurapis.**



مجموعه من ألواح الطين من العهد البابلي القديم (من تل حرمل) وهي مدونه بمختلف أنواع الوثائق ، كالمعاملات التجارية والرياضات وابواب ناسماء الحيوانات والنباتات الخ

لقد حكم من سلالة بابل الاولى أحد عشر ملكا كان مجموع حكمهم زهاء ثلاثة قرون (فى حدود ١٨٨٠ - ١٥٨٠ ق م) وجاء من بعدهم الكتشيون الذين سآخذ عنهم شيئا فى موضع آخر .

٤ - منازات العهد البابلي القديم

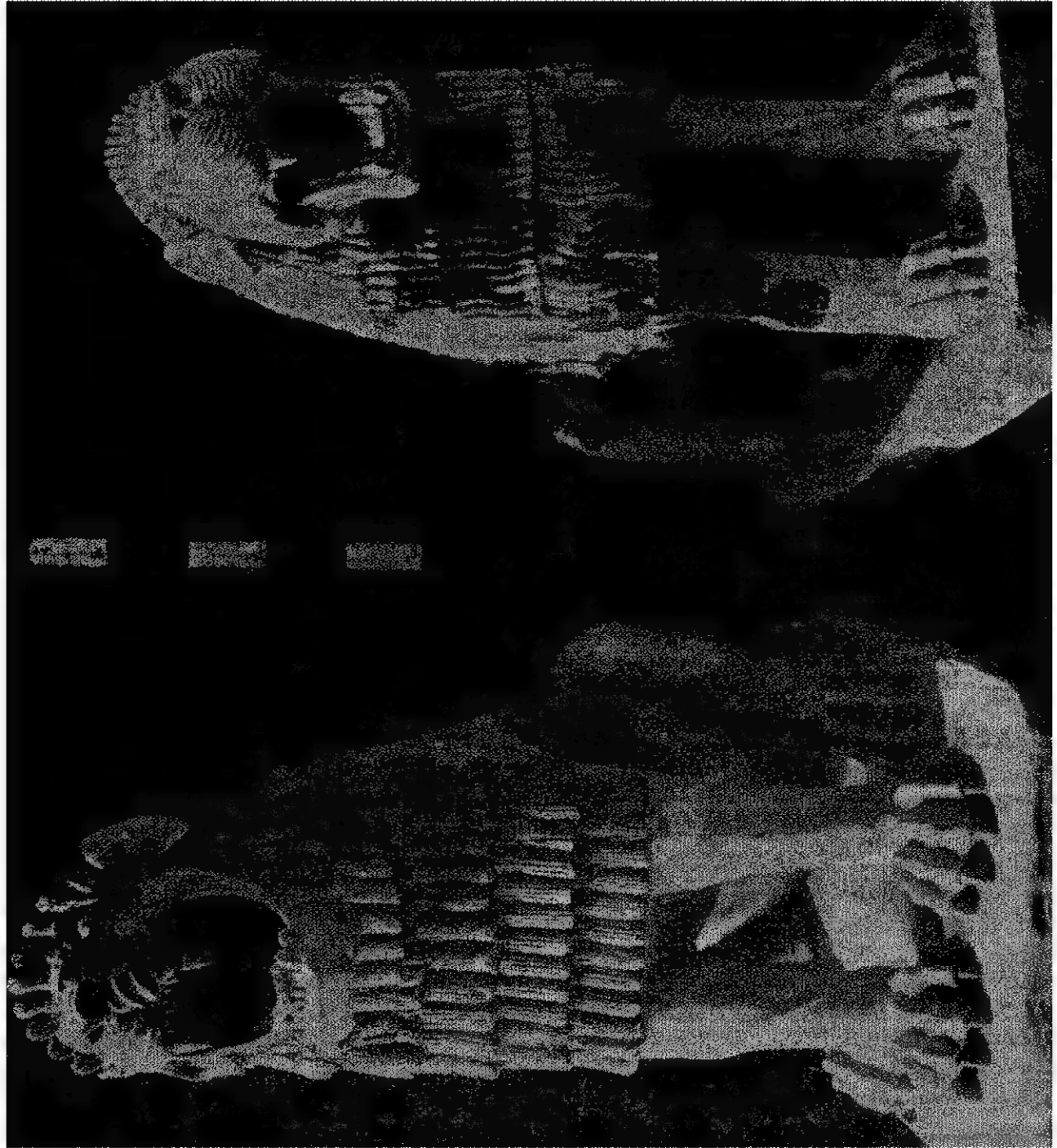
وبعد ان عرفنا شيئا موجزا عن العهد الذى سميئه بالعهد البابلي يختم كلامنا عنه بقرير أبرز منازاته وأهميه فى تأريخ الحضارات .

أ - نكرر ما ذكرناه عن هذا العهد سابقا من الناحية السياسية ، انه شمل الزمن الذى أعقب سلالة أور الثالثة الى جهانه سلالة بابل الاولى (أى من بداية الألف الثانى الى ١٥٨٠ ق م) فىكون قد اسعروا بها وأربعة قرون . وكان فى بدايهه ، كما رأينا فيما سبق ، زمن نزاع واضراب بين السلالات المتخلفة أو دويلات المدن التى تكونت أثر الانحلال السياسى بعد سقوط مملكة «اور» فكانت فى بادىء الامر سلالتا «أيسن» و«لارسه» تتنازعان على السيطرة

ودخل إلى ميدان الصراع سلالة ثالثة هي سلالة بابل الأولى التي تمكنت من القضاء على دويلات المدن واعادت نظام المملكة الموحدة وتوسيع هذه المملكة إلى امراطوريه في عهد الملك الشهير حمورابي (١٧٢٨ - ١٦٨٦ و ١٠ م) وبشر بعود حضارة العراق في الشرق الادبي ، وتمكن بعودها السياسي في ثلاث انشاء بعد السلالة الثانية عشره المصريه (عهد المملكة الوسطى) .

ب - لقد ألحقنا سق إلى آر حياه السومريين السياسية قد انتهت باقراض امراطوريهم في نهاية سلالة أور الثالثة . وتفرّد الساميون بالرعاية السياسية في جميع أنحاء الشرق الادبي منذ ذلك الزمن حتى نهاية تاريخ العراق القديم . وكانت الرعاية في بادئ الامر بآدي البابليين ثم اعقبهم الاشوريون الذين حكموا الشرق جميعه من اواخر الالف الثاني ق م .
ج - وثاب بعد سلالة أور الثالثة حضارات فرعية اشتقت من الحضارة السومريه التي كانت من اولى الحضارات اشهره الاصلية . وقد ذكرنا أن من من هذه الحضارات اشهره حضارة ان شاما في مهد الحضارة الاصلية اي في العراق وهما الحضارة البابليه والاسوريه . وسدكر حر فيام الحضارة سامية في البحث الخاص بالاشوريين . اما الحضارة البابلية فقد تمت بموه وسقطها السياسي في العهد البابلي القديم . وتكونت منها امراطورية واسعة مظهره هي امراطوريه حمورابي .

د - امار العهد البابلي القديم بحركه واتجاه في التأليف والنقل وجمع اشرايع ونصيبها وندوبها وحسم الاداره وشؤون المحاكم المدسة بدلا من محاكم القصد الكهنة وحدث انقلاب مهم في العلوم والمعارف البشرية حيث انتقل من أسوارها العملية إلى سور الـ ووس والبحث بحيث أصبح ان بعد بداية العلوم الشرية منذ هذا العهد فكان القوم قد شعروا بأن الحضارة السومريه آخذة في الروال فبدأ المتطلعون بمعرفة العصر وعلومه بندوين مآثر السومريين ونقل النصوص الأدبية واللغوية والدينية وحورت بعض هذه النصوص والفت منها نماذج جديدة من الآداب والتأليف وقد جائنا



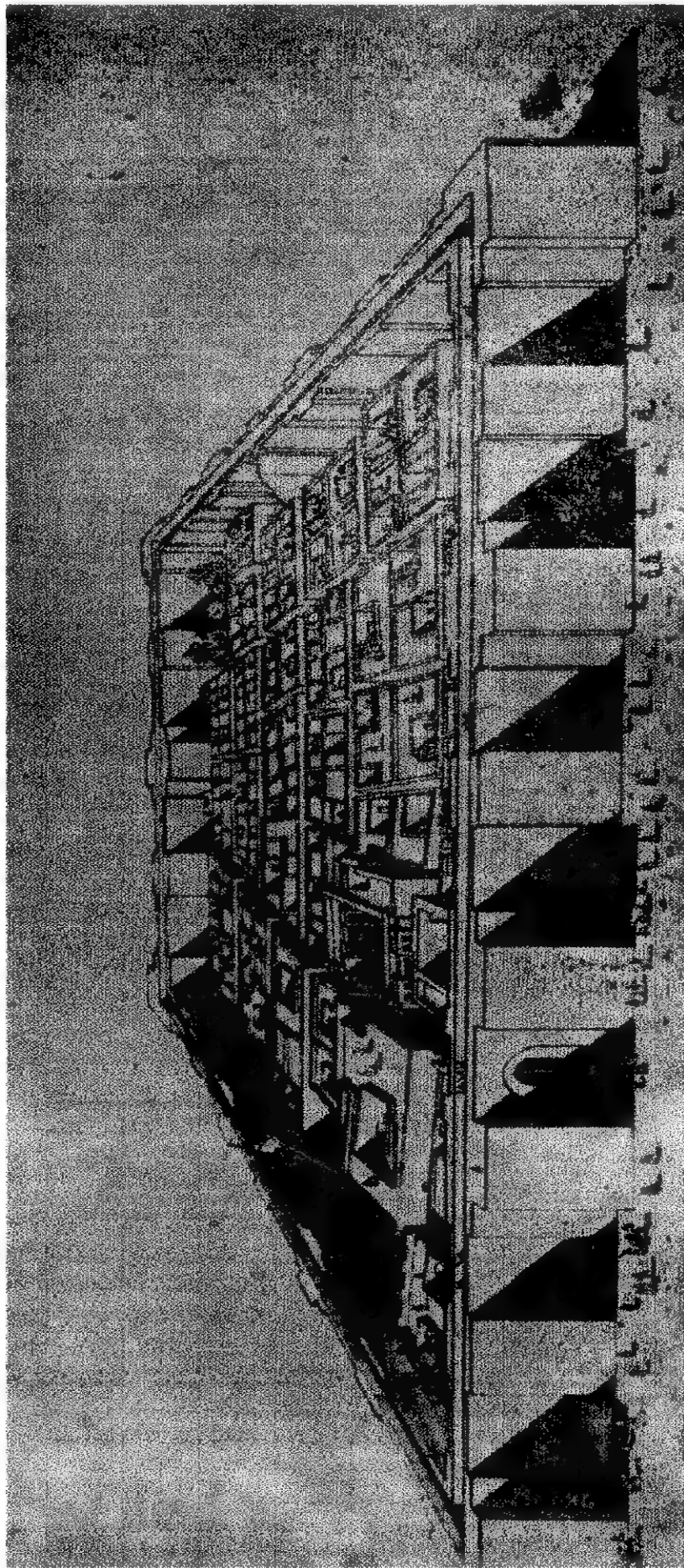
أسدائر مصنوعان من الفخار وحدا في مدخل المعبد في بل حرم
(انظر الشكل ص ١٤٧)

من هذا العهد مجموعات كبيرة من الآداب والمعاجم اللغوية وتدوين أسماء الحيوان والنباتات وغيرها من المواد والمردات اللغوية في ألواح كبيرة وكثيرة وجدت في خرائب كيب معابد المدن المهمة مثل «نمر» و«كيش» واشور وغيرها من المدن القديمة ، ووجدت خزائن كيب مهمة من هذا العهد في تل حرمل .

هـ - واشهر هذا العهد كذلك بكماله ما حثا من الشرائع المدونة من «لك قوانين سقت رمن شريعة حمورابي الشهيرة فقد سبق ان ذكرنا شريعة مملكة «اشنونا» التي عثرت عليها مديرية الآثار العراقية في تنقياتها في تل حرمل ، وهي تعود على ما يرجح الى زمن أحد ملوك تلك المملكة المسمى «بلالام» قتل حمورابي بنحو قريس من الرمان ونوها كذلك بالشريعة التي أصدرها خامس ملوك سلالة ايسن المسمى (لت-عشتار) باللغة السومرية وهي «سوق شريعة حمورابي بنحو ١٧٠ سنة ، وحاثنا من هذا العهد كذلك ما طرح من القوانين السومرية . وان هذه الشرائع تشير الى اتجاه خطير في الحياة الاجتماعية وتنظم العلاقات الاجتماعية بقوانين مدونة تسري احكامها على جميع الناس التابعين الى الدولة التي تعود اليها تلك القوانين وبلغ اطرافها سلما عظيما في عهد حمورابي الذي وحد البلاد في مملكة واحدة وأصدر لها شريعة عامة موحدت سري احكامها على جميع البلاد .^(١)

و - ومما يمال عن تاريخ الحضارات في العهد البابلي القديم اتساع البقاع والمواطن المتحصرة بانتشار الحضارة واتساع رقعتها من وادي الرافدين ووادي النيل الى جميع انحاء الشرق الادنى وإلى بقاع أخرى باقية لم تكن قد وصلت اليها تأثيرات الحضارات القديمة فيما قبل هذا الزمن . واشترت الحضارات القديمة الى اطراف العالم القاصية التي كان يقطن فيها اقوام همدج وذلك بطريق الاسفار التجارية . حتى وصل تأثيرات الحضارة الى سواحل البحر الاطلسي والبحر الشمالي وإلى براري آسية الوسطى وجنوبي

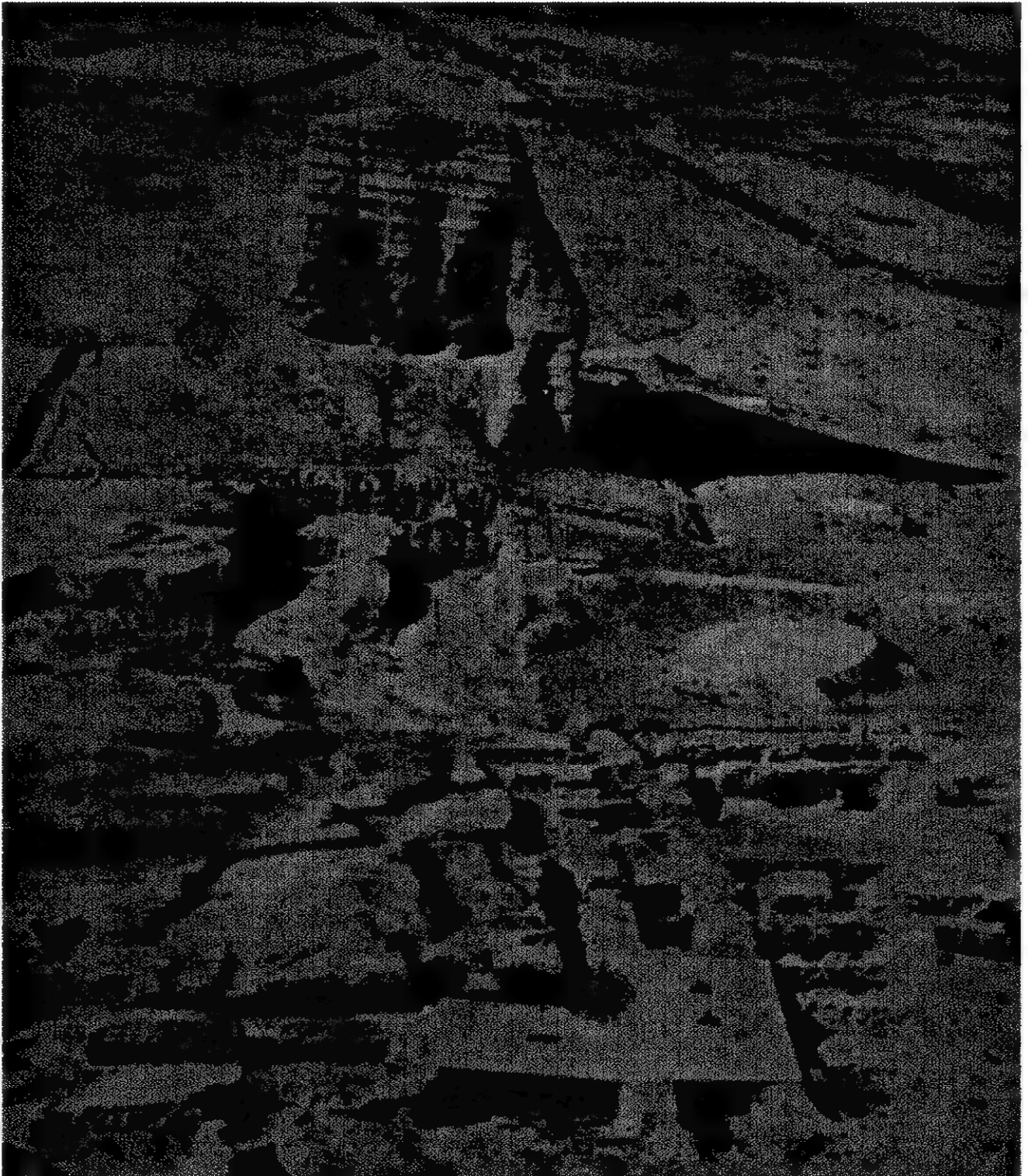
(١) انظر المحب الخاص، شرائع العراق القديم من هذا الكتاب .



نموذج مصغر للمدينة الصغيرة في تل حرميل ، من العهد البابلي القديم
(عن مديرية الآثار القديمة العامة)

الروسية • وكان من نتائج انتشار الحصار تكرار السكك وارتفاع مستوى المعيشة عند الشر واتساع التجارة والمعارف الشرية •

ر - وعلى الرغم من انحراب وانحراب المظلمة في مراكز الحصار ارب
 القديمة فقد اتسعت امدد وكثير سككها من الالف الثاني • وشأت عواصم
 جديدة مثل العواصم الاشورية القديمة كاشور وكالنج (بسرود الآن)
 وبيوى وانعاصمه الحيه في آسيه اصغرى واسعت كذلك العواصم والمدن
 انابليه • وقد كشفت السجلات في مواقع انراق القدم عن مراح مهمة لاسية
 العهد البابلي القدم من تصور ومساعد ودور سككى وفيها الآثار الخاصة
 تسيله لحصاره العراق هي العهد الثاني كالحجر والحدود الاسفوانيه
 والكتابات المحلفة كالعقود والوثائق القانونية والرسائل والوثائق العلميه
 والعمليه اسى المحاكماتها • فمن بين المواضيع اى كشف منها عن عمارة
 سدا العهد مواضع في معاهه ديالى ككل سسر وشحنى وبل حرمل زاود
 والوركاه وهر • اما في بابل فان ارضع مسرى شهر في المدينه أعاق السجس
 من الحصر وانتجرت في الطبقات السائبة السى يعود الى العهد البابلي
 القديم ولاسما فسمه التدم • كما وجدت مراح مهمه من القصور من هذا
 العهد في مدينه مارى «بل تحريرى» ومن الساس المهمه في حصار
 لاسن ان صاعه السرير اسى امدد الساسان في العراق هي ١٠٠٠
 الالف الثالث قد حسب ويرت وكثير استعمال البرور مد بهانه الالف
 الثالث وحلم الاسان في السرى الادبى عدين الحديد في حدود ١٤٠٠ -
 ١٢٠٠ و • • وصح الاشوريون وأمم اخرى من الحديد الا بهم الحربه
 وعجلانهم السريعة • وكانت العجلات السى اهدى الى صنعها السوهرتون في
 الالف الثالث من نوع العجلات الصلدة، تجرها الحمر الوحشيه ولكن بطور
 هذا النوع من العجلات الى عجله اخف واسرع وهى النوع
 المشك (Spokedwheel) واسعمات لجرها الحيل بدل الحمر • ومن الامور
 الخطيرة في اتساع المواصلات وانتشار الحضار ارتقاء الفنون البحرية وانشاء



الرفوده (الترج المدرج) القائمة في معروف (دور - كوربكالزو) في
العهد الكسي (في حدود ١٥٠٠ - ١٣٠٠ ق م)

السفن الشراعية الكبيرة وقد اتقنت هذا الفن امم مشهورة مثل الايجيين
والعبيقيين بعد ان تسلمت اسس الملاحة وبناء السفن من حضارة مصر
والعراق .

واسعت الحضارة بين الشعوب والدول اتساعا شرا الحضارة وجعلها
تميل الى التوحيد وقد ظهر ذلك حليا بعد ان تاسست الامبراطورية
المصرية بعد طرد الهكسوس من مصر كما سيأتى بيان ذلك فى فصل خاص .

الكشيون

ان الاضطراب الذى حل فى مواطن الاقوام الهمجية فى الالف الثانى
ق . م . و اراحة هذه الاقوام بمصها بعضا و هجرة اقسام منها الى احياء الشرق
الادنى كان السبب فى انقضاء على المملكة المصرية الوسطى على احدى
الهكسوس . وبعد ان عرا الكشيون بابل فى اواخر سلالها الاولى اى سلاله
حمورابى جاء قوم حدد الى العراق تبيحة هجرات الاقوام التى ذكر اها (١)
وهم الكشيون الذين حلوا محل الحثيين بعد عروهم العراق . وقد أسس
الكشيون سلاله حديدية فى بابل عرفت باسم سلاله بابل الثالثة و كانت بهامه
سلاله بابل الاولى فى حدود ١٦٠٠ ق . م (أو ١٥٨٠ ق . م) ويشير محرى
الحوادث الى ان الحثيين لم يقوا رمسا طويلا فى البلاد بل كانت عابهم
الهب والسلب . ولعل الكشييين هم الذين طردوهم .

اما هؤلاء الكشييون فقد جاؤا من شرق العراق أو شماله الشرقى .
ويظهر ان عددهم كان قليلا . وقد اسسوا سلاله حاكمة دام حكمها رهاء
خمسة قرون (من بداية القرن السادس عشر ق . م الى القرن الحادى
عشر ق . م) وعرفت سلالهم باسم سلاله بابل الثالثة ، باعتبار ان سلاله
حمورابى الشهيره هى السلاله الاولى فى بابل . أما سلالها الثانية فكانت
مؤلفة من ملوك يرجح انهم كانوا من الامراء السومريين اسقلوا فى القسم

الجوبى من العراق بالقرب من شواطئ الخليج ولذلك عرفت سلالتهم باسم سلاله القطر السحري . وقد تكونت هذه السلاله واستقلت فى منتصف عهد سلاله بابل كما ذكرنا سابقا .

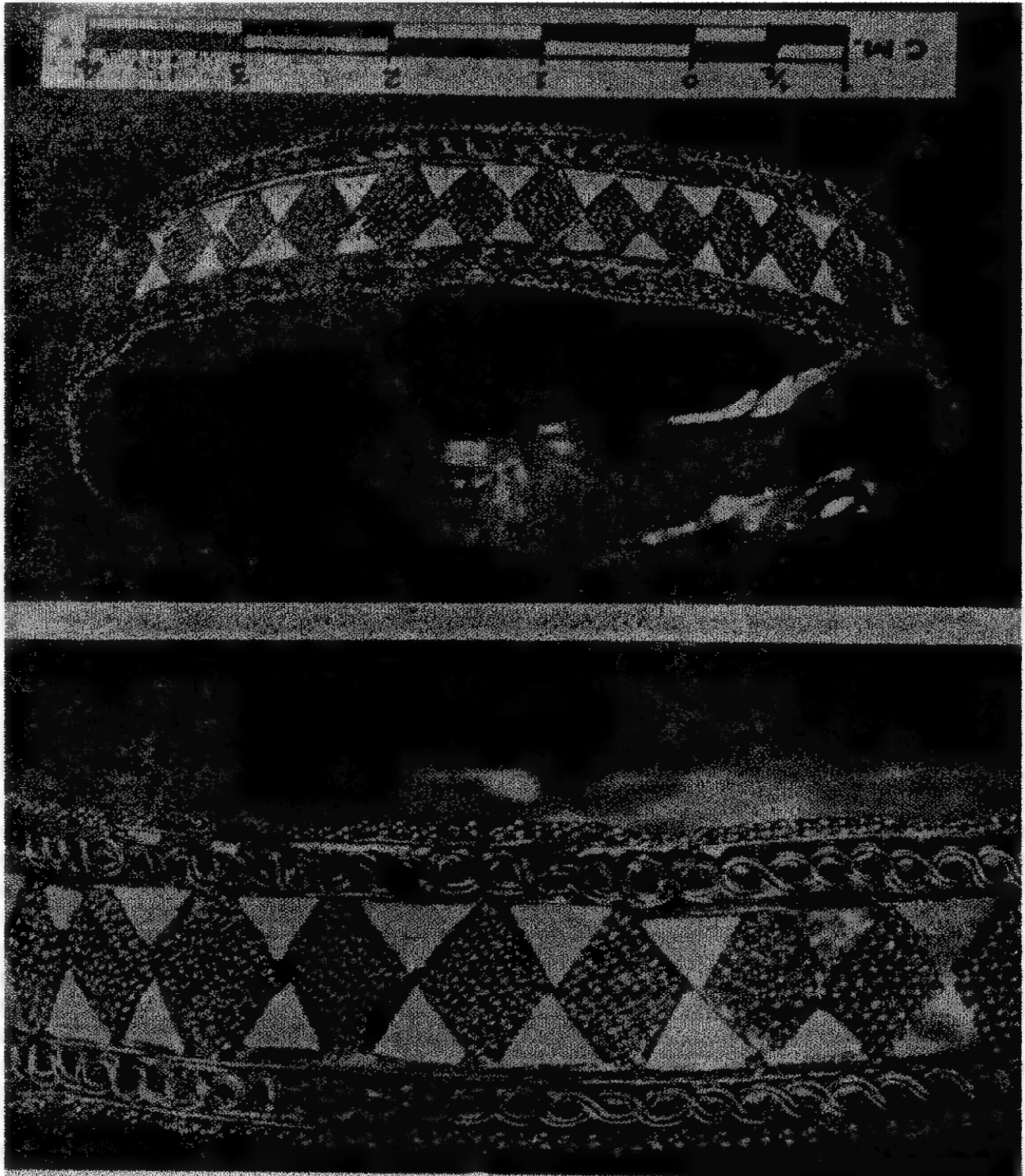
لقد اخلف فى اصل الكشيين والشائع انهم من القبائل الجبلية فى المنطقة الكائنه الى شرق دحله وشمال شروها ، واهم فرع من الافوام الهديه الاورمه واسم «الكشيين» مشتق من اسم الههم القومى على مايرجح . ولم يحلف لنا الكشيون وتائق وسجلار ، تأريخية مدونة بلفتهم القومية وانما اسعملوا لغة البلاد الاصلية اى اللغة البابلية السامية واستعملوا كذلك اللغة السومرية فى بعض المآثر الدسية على نحو ما كان يعمل اهل البلاد وما ذلك الا لأن حصاره البلاد الى فتحوها تطف عليهم واندمجوا فيها لانهم كانوا دون هذه الحضارة فى المرتبة ، كما طفت الحضارة الاسلاميه العربيه على هولاء واتباعه الفاضحين . ومع ذلك ففسدل من بعض المفردات التى جاءت فى بعض المعاجم البابلية وكذلك من اسماء ملوكهم واسماء الاعلام التى حائنا من هذا العهد على ان لغة الكشيين تعود الى عائلة اللغات الهندية الاورمه ، ولا سسعد كثيرا انهم من القبائل الكردية القديمة .

ومما نعرفه عن الكشيين انهم ، كما المحنا فيما سبق ، لم يأتوا الى العراق ولاسما القسم الجوبى مه بعدد كبير جدا ، بل كانوا أقلية حاكمه . وقد كان مهمم جماعة يعيش فى نابل بهشة عمال وصناع فى زمن سلاله بابل الاولى قبل ان تأتى جماعهم الفاتحة فى اواخر تلك السلاله . ومما قال بوجه الاحمال ان الكشيين اندمجوا بالسكان الاصليين واسرتهم الحضارده الى فتحوها ، ومع ان ملوكهم حافظوا على عبادة بعض من آلهتهم الوطنيه الا انهم اعسقوا الديانة البابلية وقفسوا الآلهه البابلية كما ان عددا من ملوكهم قد سمو انفسهم باسماء بابلية ، وملخص القول استمرت الحضارة البابلية فى سرها ولم يدخل عليها الكشيون اشياء وتغييرات مهمة الا بعض

الأمور الفعيلة مثل طريقه تاريخ الحوادث بسى حكم الملك بدل الطريقة (السومرية - البابلية) القدماء الحصة بالتأريخ من الحوادث المهمة . وبدأ فى عهد الكشيين اسعمال وادنى حديثه يعرف عادة باسم احجار الحدود (كردو) اى كتاب دون فيها مساحات الاراضى واسماء مالكيها وحدودها . حكم الملوك الكشيون فى نادية امهم فى عاصمة البلاد القديمة «ابل» ولكنهم أسسوا فى مدينتهم مدينته حديثه صحمه يكون عاصمة لهم ، سميت باسم مسدها الملك «كوريكالزو» «بمارب» دعى «دور كوريكالزو» أى مدينة أو حصن «كوريكالزو» وورثته انشقاب التى احترتها مدينته الآثار العرافة فى هذه الدية عن آثار دهما من قصور ملوكها ومعادها النواصة النصحه وكذلك أظهرت مادح من الآثار انفسه والسجلات التاريخيه ذكرت مدح هذه انقبات حاشا منهما من تاريخ العراق فى العهد الكشيش الذى كان عد عهدا مظلما سبب فاة المصادر والمآخذ التاريحيه التى حاشا منه .

لقد صادف قيام السلالة الكنسية سو المملكة الاشورية فى القسم الشمالى من العراق ، وقد شأب من المملكين علاقات حريه وسلميه . وكانت اليد العليا فى نادية الامر للكشيين ولاسما فى الرراع على الحدود من المملكين حتى انهم فرروا وسيطرتهم وبنودهم على المملكة الاشورية فى اول الامر . وكانت المملكة الاشورية تعاني الامرين من الارمات وانشدائد ولاسما صعط الحثيين والبابليين كما سس فيما بعد . ولكن لم يدم هذا الحال طويلا اذ أخذ الاشوريون تدرجون فى الناس والقوة ، وتحلصوا من ضغط الميانين حيرانهم فى الشمال ^(١) فبدأوا يارعون الكشيين رعاة العراق السياسه وتم لهم ذلك فى كثر من المرات ابتداء منذ القرن الرابع عشر ق . م حتى انهم كثر ما عزوا القسم الحوى من العراق وفرضوا على السلالات البابلية حماينهم وسيطرتهم وعندما تحلصوا من الخطر الارامى فى

(١) انظر البحث الخاص بالحسين والمساسين وكذلك بحث الاشوريين .



سوار من اندھب المرصع بأحجار كريمة (وحد في بنفیباب مدبر به
الآثار العرافه في عقرقوف)

في نهاية انقرن العاشر ، دعت بابل قوتها وحادت من بعد سلالة الكشيين
سلالات بابلية ضعيفة لم تقو على صد الاشوريين الذين زاد بأسهم منذ القرن
التاسع ق . م واسسوا امراطورته معظمة سمت جميع احياء الشرق الادبي
ومن بينها بلاد بابل .

بعد ان أسس الكشيون ملكهم في العراق برمن قصير شتات
الامراطورية المصرية في مصر بعد طرد الهكسوس فكان عهد من العهود
المجده في تاريخ مصر ولا سيما في زمن السلالتين الثامه عشره والتاسعه
عشره . وقد صاحب تكوين هذه الامراطورية اتساع العلاقات بجميع اوجها
بين المملكة المصريه ودول الشرق الادبي الاخرى وبلغ اتساع العلاقات
ملعا دخلت فيه الحصار في الشرق الادبي طورا أصبح ماسير به «الوحدة
في الحصار» وشأت من الدول ، بين المصريين والكشيين والاشوريين
والحثيين والمبابيين ، علاقات دولية تمتد الاولى من نوعها في تاريخ البشر
كما سمين ذلك في القسم الخاص بمصر وهم حائسا تلك العلاقات كالمراسل
المسداة من ملوك ذلك الزمان والمعاهدات السياسية بين الدول والمصاهرات
السياسية بين السلالات الحاكمة .

انتهى العهد الكشي في حدود القرن الحادي عشر ق . م على أثر
عروة قام بها العيلاميون من شرق العراق ونصبوا على السلالة الكسسه وبعد طرد
العيلاميين بالحرب من جانب أهل العراق تأسست في نال سلالات اخرى
اولها سلالة عقت نهاية الكشيين وكان اوائل ملوكها هم الديين ملردوا
العيلاميين من الملاد وحاربهم أحد ملوكها المسمى «نوحذ نصر» الاول في
علام نهبها ومما يحذر ذكره بهذه المناسبة ان العيلاميين قد اخذوا من
العراق بعد عروهم اناه غنائم كثيرة كان من بينها وثائق تاريخية مهمة مثل
مسلة قانون حمورابي ومسلة الملك الاكسي «رام - سين» وغيرها وقد وجد
تلك الآثار المنصون المرسون في عاصمة علام «السوس» .

كانت السلالات التي عقت سلالة الكشيين ضعيفة بوجه عام وقد



سماح من دمي الطين التي وجدت في تنقيبات مديرية الآثار العراقية
في عرّفوف (لاحظ الفن القوي في التعبير الدقيق)

صادف قيامها تعاصم الدواة الاشورية منذ القرن العاشر ق . م مصار
الاشوريون يتدخلون شؤون بابل . وكثيرا ما فرضوا سلطانهم ونفوذهم على
السلالات الحاكمة ، ولكن كانت بابل من المشاكل المعقدة فسي سياسة
الاشوريين الخارجية ولم يستطيعوا ان يضموها الى مملكتهم بالمصالحة فعمدوا
الى غزوها والحقها بالتاج الاشورى وقد عمد الملك الاشورى «سنحاريب»
الى تدمير مدينة بابل تدميرا كاملا في القرن السابع ق . م وظلت بابل تحت
حكم الاشوريين حتى نهاية القرن السابع ق . م حيث تخلف البابليون
من الاشوريين في حدود ٦٢٦ ق . م بان ثاروا عليهم وتحالفوا مع الماديين
الفرس للقضاء على الدولة الاشورية . وقد دمرت بيوى وحرقت في العام
٦١٢ ق . م على ايدي هؤلاء الاحلاف فزالت دولة الاشوريين كما انفصل
ذلك فيما بعد .

الاشوريون

الفصل التاسع

موطن الاشوريين وبنو تكوينهم السياسى

١ - موطن الاشورين ومكانهم فى التاريخ

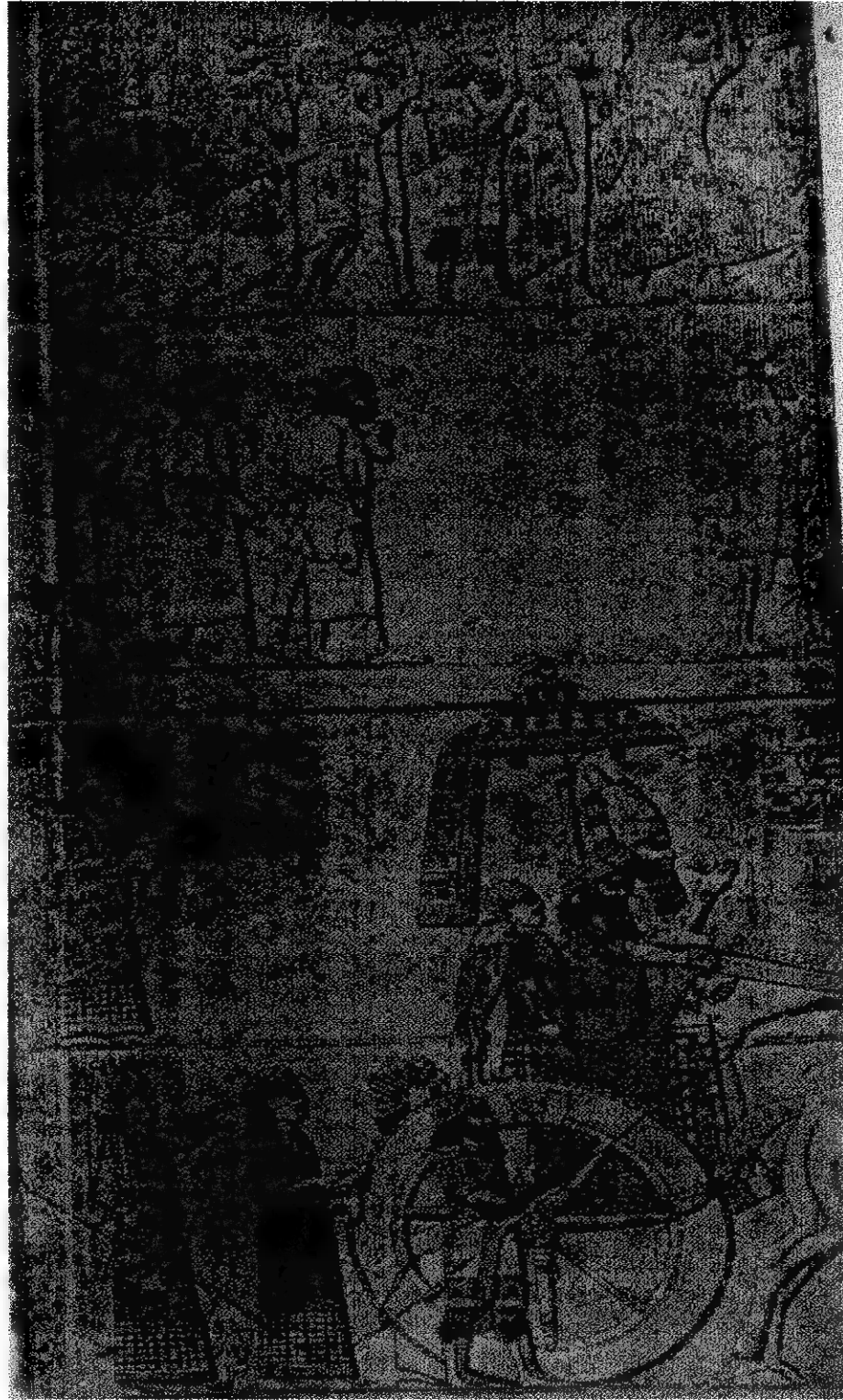
كان موطن الاشورين بألف من الاراضى الواقعة على جانبي نهر دجلة من خط العرض السابع والثلاثين شمالا تقريبا الى مصب نهر العظيم حوا ويحد بلاد الاشورين من الشمال، والشرق سهوح الجبال الشاهقة .

ويكاد يكون موطن الاشورين على هيئة مثلث بين دجلة والزابن الاعلى والاسفل وبين مرتفعات الجبال الى الشمال والشمال الشرقى، ومعظمه بهيئة تلال ويحد اراضى مموحة . وتقع اشهر العواصم الاشورية وهى نينوى فى مركز ذلك المثلث فى شاطئ دجلة الشرقى . ويألف من سهول رراعية تظاحه ولا سيما سهل اربيل وكر كوك وتمتع بأقطار كثيرة كما ان فيه انهارا مصاح المرى ولم يكن للادهم بحوم طبيعيه فى الجيوب وانما كانت الحدود معر نما نعوه الاشوريين السياسيه . وكذلك كان الحال فى الغرب حيث لا توجد عوارض طسية الى القرات والخابور والبالخ . ولقد عاش الاشوريون فى هذه المنطقة منذ العصور التاريخية القديمة وتدرج فيها كيانهم السياسى والعمرانى واشتقوا حضارتهم من حضارة العراق الاولى اى الحضارة «السومرية» وكونوا منذ الالف الثانى قبل الميلاد دولة عسكرية اخذت تتدرج فى القوم مع حدوث فترات من الضعف وآل امرها الى ان أصبحت امبراطورية معظمه فرضت سلطانها على جميع الشرق الادنى كما سيأتى بيان ذلك .

والمرجح كثيرا ان اسم الاشوريين مشتق من كلمة «آشور»^(١) وهو اله الاشوريين القومي وكبير آلهتهم ، واطلقت الكلمة نفسها على اقدم مدتهم وهي «آشور» التي تقوم حرائرها الآن في (قلعة الشرقايط) = وللعبير عن الشخص الاشوري أو الشعب الاشوري كانوا يصفون ياء السمة الاشورية (المشابهة لمثيلها في العربية) الى كلمة آشور ، وجاء اسم الاشوريين في المصادر الاربعة والعشرة على هيئة «آتور» . وذكر موطن الاشوريين في المصادر المسماة بهيئة «بلاد آشور» (مات آشور) . وكذلك ذكر في المصادر المأخرة مثل حمارة «بظلموس» (في حدود ١٥٠ ب = م) .

والاشوريون في الاصل فرع من الاقوام السامية التي هاجرت من مهد الساميين الاصل وهو حريرة العرب على ماقول به جمهور من الباحثين . وتوحد فرصيات وطرقات أخرى حول اصل الاشورس ، اذ المرجح ان الاشوريين لم يأتوا رأسا من حريرة العرب الى شمالى العراق وهم بدوغزاة ، وانما حلوا في موطن موقت بعد هجرة احداهم من الحريرة وانتقلوا منه الى البلاد التي صارت فيما بعد موطننا ثانيا لهم ، فمن هذه الفرصيات فكرة ارتآها المستشرقون وهي ان الاشوريين جاؤا من الجنوب من ارض بابل وحلوا في شمال العراق في زمن لعنه في العهد الاكدي وقد روت التوراة ماشير الى هذا الرأي (سفر الكويز الاصحاح الحادى عشر) ولعل اقوى بالاستداله اصحاب هذا الرأي اعفادهم بان اللمة الاشورية ماهى الا لهجة

(١) كانت كلمة «آشور» أو «اسر» يستعمل في العصور الآشورية القديمة في ثلاثة معانيم منمر» فطلق كما ذكرنا على اسم اقدم مدتهم وعلى اسم الاله القومي وعلى اسم البلاد الحاصه بالآشوريين . ولا يعلم بوجه ماكد معنى الكلمة ، فمن معانى الصيغة «آشر» (الرحمن) ، كما انه من حمل ان تكون من اصل سومرى (من A Usor) كما جاء ذلك في بعض النصوص القديمة . وقد يرجح ذلك ان اسم عاصمتهم الشهيرة «نوى» يصاهى الكلمة السومرية (نبا Nina) التي كانت تطلق على جزء من دوله مدسة لجش السومرية . وكلنا الصعنين مستقة من الهه حاصه لاء تحيلوها بهيئة سمكه (نون - سنوى) .



نموذج من المنحوتات الكثيرة التي كانت تزين جدران قصور الملوك
الآشوريين (وتبين هذه الصورة الملك سرجون الثاني في عرشه الملكبة)

من اللغة البابلية ولكن الواقع ان الفروق بين اللغتين لاتعدل على ذلك ،
وانما الذى نستطيع ان نستنتجه من التشابه الموجود بين اللغتين انها متحدرتان
من أصل واحد أى انهما من عائلة لغوية واحدة هي عائلة اللغات السامية كما
المحنا الى ذلك من قبل . وكانت الفروق اللغوية بين اللغتين الاشورية
والبابلية في العصور القديمة فروقا كبيرة . نظم منها في اليهود المأخرة من
حدود ٧٠٠ ق . م حيث ان القرب الجغرافى والاتصال بين البابليين
والاشوريين جعل الفروق بين البابلية والاشورية اقل منها في بقية فروع
اللغات السامية . والى فروق اللغة توحيد اختلافات بينة في اساليب الحضارة
عد البابليين والاشوريين ، كالاختلافات بين القوانين وتنظيم المحاكم وخصه
تأريخ الحوادث (التقويم) الى غير ذلك من الاحوال الاجتماعية . ولكن مع
كل هذه الفروق فان اوجه الشبه بين الحضارتين الاشورية والبابلية مشوها
اشتقاق كل من الحضارتين من الحضارة السومرية . ويذهب بعض الباحثين
الى ان الاشوريين موجة جاءت من بلاد الاموريين أى من الساميين العربيين
من سورية . وملخص القول كان الاشوريون فرعا من الساميين استوطنوا
في شمالى العراق في زمن لعله منذ العصر الاكدي او فيما قبل ذلك وانهم
اختلطوا مع الاقوام التى كانت موحدة قلمهم ولا سيما السوماريين " ومع
الاقوام المجاورة لهم .

(١) السوباريون أو السوبارتو وبلاد «سبارتو» . كان هذا الاسم يطلق
على موطن الاشوريين قبل عهد تمكن الاشوريين وظهورهم فيه بوجه بارز .
وقد ذكر السوباريون والهوريون في مواطن كثيرة في النقوش المسمارية
وبحسب احدي البحوث والبحريات ان المصطلحين ليسا كلمتي بطلان
على قوم واحد بل على قومين متميزين بعضهما عن بعض . فاما السوباريون
فقد وردت اسماهم في أقدم النصوص التاريخية وانهم كانوا يعيشون
في شمال بلاد بابل ولا سيما في المناطق الجبلية شرقى دجلة في المنطقة
الممتدة من دجلة الى جبال زجروس . ولعل المنطقة تمتد جنوبا الى ديارى .
فكانت على ذلك تتضمن بلاد آشور أيضا . كما ان بعض النصوص تجعل
مصطلح بلاد «سوبارتو» معادلا لبلاد آشور ولا سيما باستعمال البابليين .
وكذلك يتضمن بلاد الكوتيين في بعض النصوص ، أما بالنسبة الى =

ولقد مر بنا فيما سبق كيف شأت في بلاد الاشوريين اقدم عهد
ما قبل التاريخ وذلك قبل ان يصير القسم الجنوبي من العراق صالحا للسكنى بزمان
كثيرة ولكن ظهرت الحضارة الناضجة في الجنوب فصار الشمال تابعا الى الجنوب
من الوجهة السياسية والحضارية ، ولم يتكون للاشوريين كيان سياسى قوى
ويفصل عن الجنوب تماما الا منذ منتصف الالف الثانى ق . م . أما ما قبل هذا
الزمن فقد كانت تدر من الاشوريين محاولات للاستقلال وتقوم مهمدويلات
ولاسيما عندما يكون الجنوب في فترات سياسية مرتبكة ، مثل العهد الكوتى
وعهد سلالى «ايسن» و«لارسة» ولكن ذلك لم يكن ليديم زمنا طويلا كما
سيمر بنا ذلك في ملخص ادوار التاريخ الاشورى ، ويصح ان نشبه الارمان
القديمة الى كانت فيها بلاد آشور تحت سلطان الجنوب السياسى بحد الامدة
بالسنة الى الاشوريين الذين كانوا يتعلمون من حضارة العراق الاولى
(الحضارة السومرية) أساليب العمران والمدينة ، ويفسسون منها اسباب الحياة
والسوء لشدة حضارتهم ونموها . وهذا ان انتهى طور الاقناس وعندما
سعت سلطان الجنوب قوى شأن الاشوريين من وجهة الحضارة
والسياسة وكونوا من بعد المصنف الثانى من الالف الثانى . و م دونه ذات
كيان مستقل وتسلموا زعامة الشرق القديم عندما لم تقو بلاد بابل على حملها .
ويصح ان بعد الحضارتين البابلية والاشورية حضارتين «اخين» تحديتا من

= الاشوريين فكانت بلاد سوباريو بلاد اجيبية معاديه . أما اصلهم فمن الاقوام
الحمليه غير السامية مثل الكوتيين والكشيين . اما الحوريون فهم قوم
مهمزون عن السوباريين . وقد برروا في التاريخ منذ منتصف الالف الثالث
ق . م منذ العهد الاكدي . وأعرب لغة تشبه لغتهم اللغة الاورارطية في اقليم
«بحيره وان» . وقد اتسموا في انصارهم في أمحاء السرى الادنى في النصف
الساكن من الالف الثانى ق . م وتغلغلوا في القسم الشمالى من العراق وكانت
من مراكزهم المهمة «نورى» و«كركوك» ، وكذلك طهروا في بلاد الشام ومنهم
ملهب دوله في شمالى بلاد ما بين النهرين سميت باسم مملكة «ميسانى»
وكانت لهم من اللغات الهندية الاوربية .

(انظر أحدث المراجع في الموضوع

(I. J. Gelb, Hurrians and Subarians, 1944).



نموذج من المحوَّات الآشورية . وتمثل الصورة شكل اله حارس

«أم» واحدة هي حضارة «سومر واكد» . وكان بين الاحين تشابه ، ولكنهما لم يكونا ساحة مطابقة للام بل كان لكل منهما «شخصتها» الخاصة المميزة وكان بين الحضارتين تشابه الاصل كما ان الحصار الآشورية اعتمدت على الحصار البابلية ، فاستعدت من تحاربها واساليبها ، وبوسعا تمثيل علاقة التماثل الآشورية بالثقافة البابلية انها آتت كعلاقة الثقافة الرومانية بالثقافة اليونانية

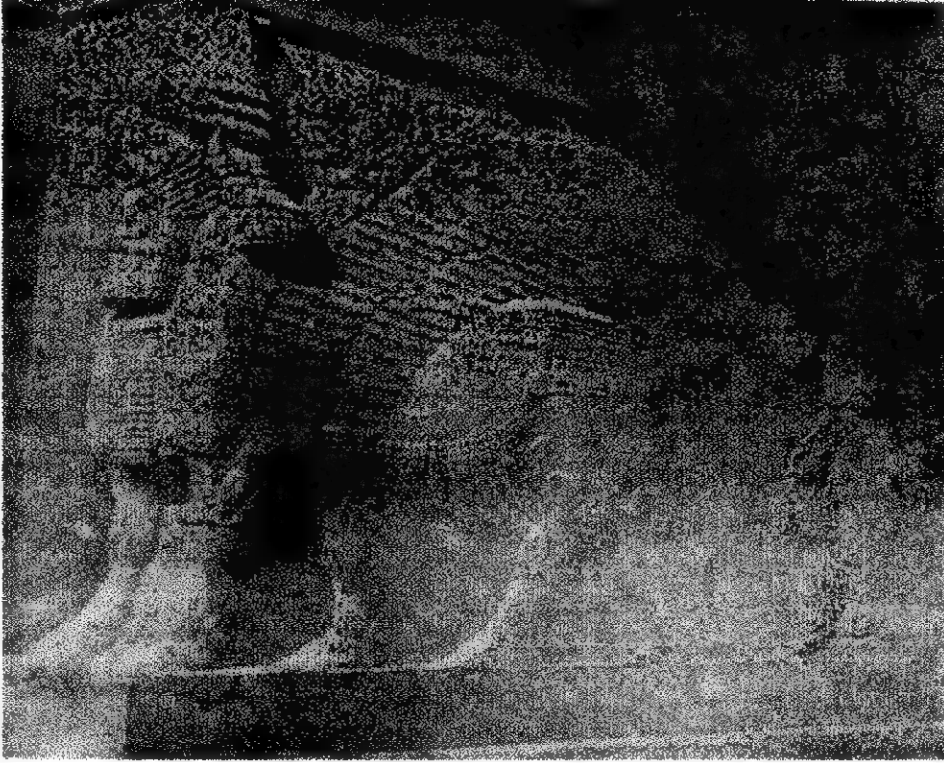
ولقد أثرت في الآشوريين وهم في موطنهم الذي حددناه قوى ومؤثرات خارجية فالى ضغط دول الجنوب الى تعلم الآشوريون منها

حضارتهم تعرض الاشوريون في الوقت نفسه الى ضغط مستمر من الاقوام
الى كسب تعيش في جوارهم . وكان بعض هؤلاء من الاقوام الاشداء من
سكان الجبال المجاورة وجاء بعضها بهيئة هجرات عنيفة كالاراميين وكان
الارمن في جوار الاشوريين في منطقة بحيرة ارواط ووان ، والى كل هذا
نشأت في حوار الاشوريين دول قوية كادت تقضي عليهم كالحثيين والميديين .
وتعرض الاشوريون من بعد الميديين منذ القرن الثاني عشر ق . م الى ضغط
القائل الاراميه الكثرة . فشب بين الطرفين صراع رهيب شغل طموال
اقرين الحادي عشر والعاشر ق . م لقد تعرض الاشوريون الى هذه المحن
وانشدائد فكانت امحاطا عسيرا . ولكن الاشوريين حرحوا منه وهم اصلب
ما يكونون عودا واشد قوة ورهبة .

ان هذه الدول المجاورة والاقوام والقائل الى تحمل الاشوريون
صعقتها ونجحوا في ملهى صربانها لم تقصر اطماعها على الاسيلاء على القسم
الشمالي من العراق ، موطن الاشوريين ، بل كانت تطمع الى ذلك في الجنوب
موطن الحصارب الاسله ، وموطن «ام» الحصارب الاشوريه وعندما كان في
الجنوب دول معظمة كان باستطاعتها ان تدفع عن نفسها عائلة هذه الاقوام
الطامحة . ولكن لم يكن الحال كذلك في جميع الارمان ، اذ ضعف الجنوب
بعد سلاله حوراني ، فوقع على الاشوريين وهم يعيشون في طريق
الطامع بحصارات العراق وطعمه بارجحه^(١) مهمة هي صد هذه الاقوام
عنهم وعن الجنوب ، وسرى من فوحهم الواسعة ان التراث الحضاري
الذي ورثوه عن حصارب الجنوب دافعوا عنه وعملوا على نشره في جميع
انحاء الشرق الادنى .

ولعل فشل الاشوريين في امامهم الاخيرة في تأدية هذا الواجب
التاريخي كان سببا قويا في القضاء عليهم ، وذلك عندما وجهوا ضرباتهم

(١) من الممكن اعسار موقع الاشوريين بالنسبة الى حضارات العراق
القديمة ما يعرف باسم (Marches) أي اقوام الحوم والحدود .



سودج من المسحونات الآشورية يمثل ما يعرف باسم الثيران المجنحة
(مركبه من جسم نمر مجنح ورأس إنسان) التي كانت توضع في مداخل
المباني العامة لتقنها الشر ، حيث كانت بمثابة الملاك الحارس

المسيحة الى بلاد بابل دلا من ان يصدوا الاقوام الطامعة كالسثين والماديين
وقائل العرس الأخرى الى بعد ان قضت على الآشوريين وحثت همها الى
بلاد بابل فضربت بها وهي سمردا صرية قاضية تقوض على اثرها حضارة
العراق القديم .

٢ - بدء تكوين الآشوريين الحضاري والعهد الآشوري القديم

أقدم مرت على بلاد الآشوريين اطوار وادوار قديمة قبل ان يتكون لهم
كيان سياسي ودول معظمة ، فقد رأينا في بحثنا في حضارة العراق القديم
ان الجزء الشمالي من العراق كان أقدم تكوينا فظهرت فيه اطوار من
حضارات ما قبل التاريخ قبل ان تظهر علائم سكى البشر في الجنوب ولذلك

فان قصه بلاد الاشوريين طويلة سهل روايتها بتقسيمها الى فصول اى ادوار تاريخيه بارره . وبالامكان تقسيم تلك الاطوار ، وبصننها عصور ما قبل التاريخ الى ثلاثه عهود (١) العهد القديم (٢) العهد الوسيط (٣) العهد الحديث .

أما العهد الاشورى القديم فانه يكون حتما طويلا ولا سيما اذا ادماحا فيه اطوار ما قبل التاريخ الذى مر بنا بحثها فيما سقى من تأريخ العراق ، ونصح ان نستخدم على تقسيم العهد الاشورى القديم الى طورين نطلق على اقدمهما عنوان «الكوس الحصارى» لبلاد آشور ، وعنوان الطور الثانى «بدء التكوين السياسى» ولما كان قد درسنا اطوار العهد الاول فيما مر بنا من عصور ما قبل التاريخ فسنعبر بكلامنا هنا على موخر الطور الثانى ولا سيما الاحوال التاريخية لبلاد الاشوريين منذ عصر فجر السلالات حتى بهاية العهد البابلى القديم الذى مر بنا . ولقد ابانت الحريات فى بعض المدن الاشورية مثل آشور وسوى ، وحوادث آثار من الحصار السومرية من عصر فجر السلالات ولا سيما الاحترام . أما الحياة السياسية فى بلاد آشور فى هذا العهد فلا تسجل الى معرفتها على وجه التاكيد لانه لما نانا من بلاد الاشوريين من ذلك العهد مصادر مكيونه شتى منها الاوضاع السياسية هناك . ولما ان نعرض ان الشمال كالحبوب كان فى فجر حياته السياسية على طراز دولاب المدن فى الحبوب . ووهب بلاد آشور ضمن الامبراطورية الاكدية بعد عصر فجر السلالات ولكن الاشوريين الذين حضعو الى الاكديين وحدوا الفرصه مواسه فى بهايه العصر الاكدي فى زمن فترة الكوتينى المظلمة فى الحبوب . فاستقلوا بعض انوف ولقد وردت فى اسات الملوك الاشورية اسماء ملوك لا يعرف عنهم سوى اسمائهم التى بدوا بها غير سامية ولا يعرف منهم بوجه التاكيد ولكن لعلمهم حكموا فى بلاد آشور فى فترة العهد الكوتى .

وقد صعد بلاد الاشوريين الى الامبراطورية السومرية فى عهد سلالة أور الثالثة حيث كان ملوك اور بعيون ولاية على بلاد آشور فنعرف مثلا أن

الحاكم المسمى «زريقو» حاكم اشور قد شيد بناء ولعله معبدا لعشتار باسم
 ميده «بورسين» او «امارسين» ملك اور وفي نهاية هذه السلالة يبدأ العهد
 البابلي القديم في انحبوب ولقد رأينا فيما مر بنا من تاريخ العراق انه حدث
 بعد سلالة أور الثالثة زمن عادت فيه الاحوال السياسية في بلاد بابل الى
 ماكانت عليه في زمن دويلات المدن ، حيث حكمت في العراق سلالات
 متارعة ومنها سلالة «أيسن» و«لارسة» ثم تكونت من بعد ذلك سلالة
 نائمة في بابل هي سلالة بابل الاولى دخلت كذلك في النزاع السياسي ، ولعل
 السوباريين اتهموا فرصة الفوضى السياسية في الحروب فكونوا مملكة
 في الشمال واستولوا ايضا على بلاد اشور . والمؤرخ ان بعض الملوك الواردة
 اسماؤهم في انساب الملوك الاشورية هم من هؤلاء السواريين مثل «كيا»
 و«اوشا» ولكن من بعد ذلك يجد الاشوريين اسمهم يؤسسون سلالة خاصة بهم
 وابدأون بناء مملكة قوية موحدة مسعلة ، وظهر منهم ملوك و«مراء آفويا»
 منهم الملك المسمى «ايلو - شوما»^(١) الذي كان يعاصر مؤسس سلالة بابل
 الاولى «سومو آو» . وتشر الاحازا التاريخية الى انه كانت له علاقات مع اهل
 البابلي . فيحربا الملك الاشوري بعد انه «حرر الاكدين ومدتهم» ولكن
 هذه اشارة عامصة قد تعني انه ساعدهم أو انه عراهم . وبلغت المملكة
 الاشورية في زمن الملك الاشوري «شمسي - أد» الاول ملعا من القوة
 مكها من فرص سلطاتها على القسم الشمالي من بلاد بابل ولاسيما مملكة
 «اشوما» وعلى سورية بل حتى على بابل نفسها ربما قصيرا . وقد عاش هذا
 الملك قبل حمورابي وعاصره حمورابي في أواخر أيامه كما عاصره في مدينة ماري
 «مرى لم» قل ان يستولى عليها وقد عين أحد ابائه المسمى «يسمع أد»
 على مدينة «ماري» كما تشير الى ذلك الرسائل التي وجدت في هذه المدينة .
 وحاء من بعد «شمسي - أد» ابنه «سمع - أد» الذي يشير اسمه وكذلك

(١) وقبله ورد ملكان في انساب الملوك وهم «بورر - آشور» الاول
 الذي يرجح أنه هو الذي أسس السلالة الجديدة من بعد الملوك السوباريين .
 ثم ابنه الوارد اسمه بهته «شالم-أخوم» ثم ابنه «ايلو-شوما» .

اسم ابيه الى انه من اصل سامى عربى أى من الاموريين • وقد استمرت المملكة الاشورية فى قوتها بعض الوقت وظلت كذلك حتى الجزء الاخير من حكم حمورابى • حيث قضى هذا الملك على استقلال المملكة الاشورية بعد أن قضى على جموع المسلمين فى عامه «الثلاثين والواحد والثلاثين» وخضعت بلاد آشور الى الجنوب ودخلت ضمن امراطورية حمورابى ، ولكنها لا تعرف بوجه التأكيد كم اسمر هذا الوصع من بعد حمورابى ، ومهما يكن من أمر فمما لا شك فيه انه قد قام فى بلاد آشور بعد نهاية سلالة نابل الاولى ملوك اسهروا صعب الجنوب بعد سلالة حمورابى فى عهد الكشيين فأعادوا كيان لادهم السياسى بالدريخ ، وستتبع مصير بلاد آشور فى هذا العهد الذى اصطلحنا على أن نسميه بالعهد الآشورى الوسيط •

العهد الآشورى الوسيط :-

نوسمنا أن نحدد هذا العهد ، كما ذكرنا سابقا ، من نهاية العهد النابلى القديم فى حدود القرن السادس عشر ق • م • أى من نهاية سلالة نابل الاولى ونسبى بداية حكم الملك الآشورى «أدد - نرارى» الثانى فى نهاية القرن العاشر وبداية القرن التاسع ق • م • حيث بدأ تاريخ الآشوريين الحدث فيكون قد دام العهد الذى سميناه بالعهد الوسيط نيفا وخمسة قرون وهى حصة طويلة دأب فيها الآشوريون على تنمية كيانهم السياسى بعد فترة السيطرة التى فرضها حمورابى عليهم ، وبرز ما يتميز به هذا العهد هو ان الآشوريين تعرضوا فيه الى سلسلة من الامحانات والمصاعب بسبب ضغط الدول والاقوام التى كانت تحاورهم • وسنرى من بحثنا ان الآشوريين حاربوا من هذه الشدائد أشد اقوياء اذ خلقت منهم هذه الشدائد التى امسحوا بها قوة عسكرية دهية فرضت سلطانها على شعوب العالم القديم عدة قرون •

ونعل حر سسل لموقوف على سر تاريخ الآشوريين في هذا العهد
 ان بوجر ما ذكرناه سابقا عن الدول التي نشأت في الشرق القديم بعد سلالة
 بابل الأولى وبعد حكم الهكسوس في مصر . فأولا تكونت في مصر
 امراطوريه معظمه مد طرد الهكسوس منها ، دامت خمسة قرون
 (١٥٨٥-١٠٨٥) وسطت يهودها على جهات البلاد السوريه حتى العرب
 الأعلى ، وقد اصطدمت هذه الامراطوريه مع امراطوريه أخرى نشأت في
 حدود هذا الزمن وهي الامراطورية الحثية التي بسطت كذلك يهودها
 وبارعت المصريين في حروب داميه طوال قرون من الزمان . وقد معب
 هاتان القوتان الحربتان أى توسع الآشوريين فقبعوا في عقر دارهم
 يربصون الفرص الموائمه . والى هذا لم تكن العلاقات بين الآشوريين
 والكشيين في بابل سمير بحسن الحوار على الدوام ، فقد نارع التشاور
 المملكة الآشوريه في مدرجها بالقوة وحدثت بين الطرفين حروب
 ومعاهدات . وتشير طواهر الاحوال الى ان اليد العليا كانت للكشيين في
 بادىء الامر ، وتعرض الآشوريون الى احطار اخرى اشد اتهم من دوله
 اخرى تكونت كذات في المصيف الثاني من الالف الثاني ق . م . وهي
 دولة الميتانيين^(١) اننى تكونت بحوار الآشوريين من جهة العرب . وقد
 بلغت هذه الدوله من الناس ملعا تمكنت من السطره على البلاد الاسوريه
 في القرن الخامس عشر و . . . ونثلت كذلك زهاء القرن الواحد .
 وحلصت بلاد آشور من السطره الميتانية من مد ذلك . وافاد الاشوريون
 من بوارى القوى الدوله في ذلك العهد ، اد كان الحثيون يرمون القضاء
 على المملكة المساسه وادخالها ضمن امراطوريهم في منافسهم مع المصريين .

(١) لقد سبق ان بوهنا في الحاشيه ١ الص ١٦٦ بدوله ميتاني وعلنا انها
 اسم ساسى لمملكة أسياها الحوريون في المصيف الثاني من الالف الثاني
 ق . م . وقد عرا ملكهم المسمى «سوشيار» المعاصر للفرعون المنصرى
 طوطمس الثالث بلاد «آشور» وكذلك فعل الملك «شراتا» .

وقد بدأ الحثيون بدخولهم في شؤون هذه المملكة في زمن الملك الآشوري «آشور - اوبالط» الاول (١٣٦٢-١٣٣٧) الذي انتهت الفرصة فصارب الميتانيين في عهد ملكهم المسمى «رتاناما الثاني» (١٣٦٦-١٣٥٩) واستطاع أن يخلص البلاد الآشورية من النفوذ الميتاني للمرة وتؤسس عهدا انعشت فيه المملكة الآشورية حيث انه بعد التخلص من النفوذ الاجنبي اخذ في تحسين الاحوال الداخلية وهوية الجيش الآشوري ، وراء بعد نجاحه الباهر يلقب نفسه بالملك العظيم . وتشير الحوادث التاريخية الى ان هذا الملك كان على صلات وثيقة مع الحثيين واعله اعق معهم في ازالة الدولة الميتانية اد انه حصل على جزء من تلك المملكة . وكان كذلك صديقا للفرعون المصري «امنوفس» الرابع أو «اختاتون» وبعد تخلصه من الخطو البشري وتوطيده شؤون مملكته الى انشأ فيها جيشا قائما مدرسا صار يتدخل في شؤون البابليين حيث روح ابيه من الملك الكشي . وبفضل هذا الزواج السياسي صار الملك الآشوري يتدخل في شؤون بابل ويفرض نفوذه عليها مما حدا بالبابليين الى أن يثوروا ويصلوا ملكهم الصبيبة الآشورية ونصبوا دلامه رجلا آخر فيرد الملك الآشوري حملة تأديبية على المناوئين للسياسة الآشورية ونصب على العرش البابلي ملكا كشيا آخر من اقرباء الملك المقتول .

خلفاء آشور - اوبالط :-

سارت الدولة الآشورية في نموها وتوطيدها ثم توسعها في عهد الملوك الذين حلفوا هذا العاهل الآشوري العظيم وكان اكثر هؤلاء الخلفاء من طراز مؤسس الدولة حيث الترموا السياسة الحكيمة في تقوية المملكة دون الدخول في معامرات حربية وفتوحات جديدة تسنزف قوى الدولة . صهحوا على نهجه وعمل بعضهم على توسيع سلطان الآشوريين الى جهات الشرق الاوسط فشأت بذرة الامبراطورية الآشورية التي استمرت في

فما بعد منذ القرن التاسع قبل الميلاد = وكان اول هؤلاء الذين حكموا «أشور - أو بالظ» «البل - برارى» و «اد - برارى» الاول ثم شيلمصر الاول =

كان «شيلمصر الاول» (١٢٦٦-١٢٤٣ ق م =) من مشاهير ملوك هذا العهد وبعد نحو من اعظم الملوك الآشوريين ولا سيما فى حقل التوسع والفوح الخارجية بعد ان توطدت شؤون المملكة وقد خلد شهرته وذكر اعماله المحددة الملوك الآشوريون الذين أتوا من بعده = وعندما اتسعت رفة المملكة ادرك هذا الملك تعذر ادارتها من العاصمة الاشورية القديمة «أشور» فاسى له عاصمة جديدة هى «كالح» (وتسمى حراتها الآن مرود) =

ومما وطد امر المملكة الآشورية ان حاء الى العرش الاشورى بعد شيلمصر خليفة كهوه هو امه «توكلى - بورا» الاول (١٢٤٣ - ١٢٢١ ق م =) الذى نهج على سيره أمه فى نشر السيطرة الآشورية وتوسيع حدود المملكة وتوطيد شؤونها = وقد ضم المملكة البابلية الى الناج الآشورى بعد حرب «اححه شها على الملك البابلى «كاشلياش» فصار بذلك يلقب نفسه «ملك «سومر واكد» وقد خلد هذه الخاتمة المهمة بان شيد مدينة جديدة قال آشور سماها باسمه أى «كار - توكلى سورتا» = ولكن حدث فره اسكاس من بعد هذا الملك اد اضطرب الامر فى البلاد الآشورية وثار عليه ابيه وقتله فاسدأ عهد انحطاط وركود تقلصت فيه حدود المملكة وحاء ملوك صغاف دام عهدهم رهاء النصف قرن (١٢٣٢-١١٧٥ ق م =) فانهرت ابل هذه الفرصه وثار على السلطة الآشورية ولم تكف تأخذ استقلالها وتخلصها من العود الآشورى بل اياها عكس الآنة وفرصت نموذها على البلاد الآشورية زمانا ما =

وبعد فترة الاسكاس هذه انتعشت أحوال المملكة الآشورية وحاء الى العرش ملوك أكفاء بدأوا يعدون الى المملكة محددا السالف أشهرهم

«تجلالسر» الاول (١١١٧-١٠٨٠ ق م) الذى كان فاتحا من الطراز الاول فأصبحت المملكة الآشورية فى زمنه ، بنتيجة فتوحه الخارجية من الدول المعظمة فى الشرق القديم فقد مد فتوحه فى جهة الشمال الى بحيرة «وان» وصم بلاد الارمن الى المملكة الآشورية . وامتدت رقعة الامراتورية فى جهة الغرب الى سواحل البحر المتوسط . وقد خلف لما هذا الملك الآشورى أخبار حروبه وفتوحه مدونة ندوينا مفصلا ، ولم تقتصر أعماله على الحروب بل شملت مشاريع عمرانية منها تعمير العاصمة الآشورية القديمة (آشور) الى اعمل اليها واتخذها مقر امراطوريته . وقد خلف لما هذا الملك عن حكمه سجلات ملكية مفصلة .

ولكن لم يكد ستهى عهد الملك «تجلاليزر» الاول حتى وجد الآشوريون أنفسهم ازاء أعظم ما مر عليهم من الاخطار الخارجية وهم فى دور الساء والتوسع السياسى . وقد حاءهم هذا الخطر من القبائل الارامية الكيرة الى بدأت تغزو جهات الشرق الادبى وتثبت أقدامها وتؤسس لها دويلات فى الاقسام الشمالية من العراق وفى جهات سورية ، فاصطدموا بالتوسع الآشورى وهددوا كيان الآشوريين بالزوال فجرى بين المستكرين براع رهيب شعل الآشوريين طوال قرين من الرمان (القرن الحادى عشر والقرن العاشر) فعمل هذا الخطر على تدهور الدولة الاشورية وتقلص حدودها فى أولى أطوار النراع وهو الذى شمل حكم أحد عشر ملكا خلفوا «تجلاليزر» الاول ، وقد دام هذا العهد المضطرب من حدود ١١٠٠ الى حكم آشوردان الثانى (٩٣٣-٩١١ ق م) .

انجحت القبائل الارامية فى اسططانها فى بقاع الهلال الخصيب ثلاثة اتجاهات ، فقد حل فرع مهم فى وسط البلاد الشامية وشرقها من دمشق الى حماه ، وقد كون هذا الفرع فما بعد دويلات تجارية اردهرت ولكنها اصطدمت بالتوسع الآشورى منذ القرن التاسع ق م كما سيمر بنا . واسوطن فرع ثان من الآراميين جهات الفرات الاوسط والمراعى والاداسى



سودج من المبحوثات الآشورية البارزة التي كانت تزين قصور الملوك
الآشوريين - ونبيذ الصورة أحد الملوك الآشوريين في مجلس
شراب عاقل مع زوجته ، وفوق رأسه ندبل الكروم

في شمال ما بين النهرين وكان هذا الفرع هو الذي اصطدم به الآشوريون في أول الأمر بعد عهد «نحلائدر» الأول فصق على الآشوريين وهدد مملكتهم بالروال = وبالأحمال كان هذا العهد من أخطر ما تعرض له الآشوريون في تكوينهم السياسي ، وكان أول القرين اللذين شغلا بالحروب والكذاب بين الآشوريين والآراميين أخطر وأظلم عهد مر على الآشوريين وبدأوا في القرن الثاني وهو القرن العاشر سفسون الصعداء قليلا = وما انتهى هذا القرن إلا والآشوريون في عهد من الناس والقوة مكنهم من صد هذا الخطر الجسم وطهر منهم ملوك عظام بواوا هذا الصراع الرهيب وحرخوا منه ولهم امراطورية معظمة بطلب تكوينها طوال القرن التاسع ق = م وهو القرن الذي انقلت فيه الكفة على الدول الآرامية في شمال العراق وعلى الدول التي اشأها الآراميون في سورية = وبدخل هذا القسم من التاريخ الآشوري في العهد الذي سمي به بالعهد الجديد الذي سيأتي الكلام عليه = وملخص ما يقال عن الصراع بين الآشوريين والآراميين انه بإمكاننا تقسيمه الى دورين :- (١) وفي الدور الأول كان محصورا بين الآشوريين والآراميين الساكنين في الفرات الأوسط وأراضي ما بين النهرين ، وبشمل هذا الطور العهد الآشوري الوسيط وبداية العهد الآشوري الحديث = (٢) وفي الدور الثاني : بعد قضاء الآشوريين على الخطر الآرامي الآتي من المحاورين لهم ، توجهوا الى ضرب الآراميين الذين استوطنوا ديار الشام وكونوا دولاب في دمشق وحلب وحماه وغيرها ، وقد وقع الصراع منذ بداية العهد الآشوري الحادث الذي سوجره في النصل الآتي =

الفصل العاشر

العهد الآشوري الحديث

والامبراطورية الاولى

لقد رأينا كيف تناقمت الاحطار في أواخر العهد الآشوري الوسيط ولا سيما المرة التي أعقبت زمن تحلاثيليرز الاول ، ومما راد في الطين بلة حلول القحط والجوع في البلاد الآشورية علاوة على الاحطار التي كانت لا تزال تهددها من ضغط الدويلاب الآرامية ، وفي وسط هذه الازمة المظلمة طهر من الآشوريين رجل يصح أن نعهده رجل الساعة . وكان هذا «آشور - دان» الذي كان على شيء من القوة والحكمة فتدارك انهيار المملكة الآشورية وبدأ بالحش وحشد الشعب الآشوري واستطاع أن يحفظ بالقية الباقية من المدن الآشورية الرئيسية ، فمهد هذا الملك لبدء عهد جديد وأسس سلالة جديدة ، وحلعه على العرش الآشوري اسم «داد - برادي» الثاني (٩١١ - ٨٩٠ ق م) الذي اعمرنا حكمه بنهاية العهد الوسيط وبداية عهد حديد في تاريخ الآشوريين^(١) . وقد دام هذا العهد حتى نهاية الآشوريين السياسية في العام ٦١٢ وهو العام الذي سقطت فيه بيوى أى انه دام رهاء ثلاثة قرون من ٩١١ حتى ٦١٢ ق م . وقد بلغ الآشوريون من القوة العسكرية درجه مكسبهم من ان سيطروا على حياة الشرق طوال هذه القرون الثلاثة وكونوا امراطورية معظمة كانت اعظم واوسع ما مر بنا

(١) ومما نذكر عن عهد هذا الملك بالنسبة الى التاريخ الآشوري والمعوم الآشوري ان الكنية الآشورية قد بدأوا منذ حكمه يدوبون ما يعرف في التاريخ الآشوري باسم «اباب اللمو» أى تاريخ كل سنة بحكم موظف كبير اسدء من نبوا الملك الجديد عرش المملكة وهذا من حملة الاسباب الاخرى لجعل عهد هذا الملك بداية دور جديد في التاريخ الآشوري .

من الامبراطوريات في تاريخ العراق والشرق القديم ، وقد شغل أوائل الملوك من هذا العهد في ازالة الخطر الآرامي من جوار الآشوريين فقصوا على الممالك الآرامية القرية وصموها الى المملكة الآشورية . ولم يكتف الآشوريون في ذلك بل وسعوا في القرن التاسع موحهم وبدأوا بالقضاء على الدويلات الآرامية الأخرى في احياء سورية وسيطروا على الاقوام والاراضي التي كانت تهددهم في الشمال والشرق . كما ان المملكة البابلية قد ضعف أمرها واصبحت اشبه ما تكون بالمحمية تحت نفوذ الملوك الآشوريين . ولم يكن يسهى القرن التاسع ق . م الا والامبراطورية الآشورية تشمل جميع الشرق الادنى ودخلت بلاد مصر في حوزتها في القرن السابع . وقد عملت هذه الامبراطورية على نشر حضارة العراق ممثلة بالحضارة الآشورية .

ويمكننا تسهيلا البحث ان نقسم العهد الآشوري الحديث الذي بدأه «داد - براري» الى حقبتين قامت في كل منهما امبراطورية آشورية معظمة . فالامبراطورية الاولى هي التي وضع أسسها «داد - براري» واستمر حلقاؤه في مائتها وبوطيدها وقد دامت من نحو ٩١١ الى ٧٤٥ ق . م . أي انها دامت رهاء القرن وصف القرن ويمكن تحديدها بالنسبة الى الملوك من حكم «داد - براري» الثاني حتى بداية حكم «تجلانليزر» الثالث . وتشمل الامبراطورية الثانية القية النافية من التاريخ الآشوري أي من ٧٤٥ الى ٦١٢ ق . م . فلهرحم باحار الملوك المشهورين من زمن الامبراطورية الاولى وهم الملوك الذين خلفوا مؤسس الامبراطورية «داد - براري» الثاني .

(١) «توكلي سورتا» الثاني (٨٩٠ - ٨٨٤ ق . م .)

خلف أمه «داد - براري» الثاني على العرش الآشوري وسار على خطاه ووسع حدود المملكة ووطدها وقد عمل هو والملوك الذين خلفوه من ملوك الامبراطورية الاولى على فرض السادة الآشورية الدائمة على ممالك

الشرق القديم المحاوره فصار من مسلمات السياسة الآشورية الحربية اخضاع القبائل المحلية في الشمال والشرق صمما لسلامة الامراطورية فأقيم حصون وحاميات عسكرية في اعط السومر المهمة في الحدود وعلى هؤلاء الملوك كذلك بالسيطرة على الطرق البحرية - التجارية المهمة التي كانت تربط أجزاء الشرق الأدنى القديم بها الطرق المهمة المتجهة غربا المارة بمنطقة الخابور الى سورية الشمالية^(١) . وكذلك الطريق المتجهة شمالا الى حال طوروس والى كدويه ، والطريق المارة بادية الشام . وكانت المحافظة على هذه الطرق تسلم احضاع الاراضي والقبائل المحيطة بها ، وعلى هذه السياسة سار الملك «نوكلي - تورا» . ومن الطريف في أخبار هذا الملك الآشوري انه قام برحلة عسكرية لكي لا يبقى الجيش عاطلا ولايقاع الرعب في نفوس الاقوام المحاوره للآشوريين . وقد بدأ بسيره العسكري من عاصمته واجه غربا لمكين السلطان الآشوري بين القبائل الآرامية ثم رجع وسار الى جنوبي العراق معسدا فرض النفوذ الآشوري على البابليين . وقد دوت هذه الرحلة مفصلة في أحوار الملك الرسمية وهي على قدر كبير من الاهمية التاريخية ولا سيما ما يخص حرافيه الشرق القديم^(٢) .

(٢) «آشور ناصر بال» الثاني (٨٨٤ - ٨٥٩ ق م .)

وقد حلف انه «نوكلي - تورا» انسابي على العرش الآشوري . واتسم في عهده حدود المملكة الآشورية وتوطد سلطانها على الافلام التابعة . وقد خلف لنا هذا الملك أحوار حملاته وعروانه الحربية واعماله

(١) لقد كانت هذه الطريق من الطرق المهمة الرئيسة منذ أقدم العصور التاريخية إذ كانت تربط كذلك القسم الجنوبي من العراق بسورية الشمالية وقد أسس الآكديون مواضع لحمايته هذه الطريق كما اظهرت نتائج استقصاء في الموضع المسمى تل براك .

(٢) انظر

الأخرى مدونة بالتفصيل في كتاباته الرسية . كان أشهر ما أنجزه من حملات حربه تلك التي جردها على القبائل الجبلية إلى شرف دجلة وحملاته إلى جهة العرب لتمكين السلطان الآشوري على القبائل الآرامية ، ولا سيما الدول الآرامية الممتدة على صفه الفرات السرى . وقد حدد بناء العاصمة القديمة « كالح » وجعلها مركزا عسكريا مهما ، وقد كشف عن أعماله وبعض قصوره وآثاره المهمة في السفينات الحدثة التي أحرقها البعثة البريطانية في النمرود (كالح) (١) .

(٣) شلمنصر الثالث ٨٥٩ - ٨٢٤ ق م .

وهو ابن « آشور ناصر بال » وحلفه على العرش الآشوري . وقد ورث عن أبيه امراطوريه واسعة برهن على انه كفوء للصام بالمحافظة عليها وتوطيد أمورها بل واساعها وكان حكمه الذي دام خمسة وثلاثين عاما سلسلة حملات حربية مهمة جعله سد آسيا الغربية من خليج فارس حتى جبال أرمسية شمالا ومن تخوم الاراضي المادية حتى سواحل البحر المتوسط . وفهم كذلك بحمله حملات على الدويلات السورية . ولعل أهم حملاته تلك التي وجهها إلى الشمال إلى بلاد أرمسية (٢) نحو مريين ومن أحبار هذا الملك المهمة انه قام برحلة إلى يابيع دخله والفراب (٨٤٥ ق م) . كما ان بلاد بابل صارت خاضعة للنفوذ الآشوري . وفي الموقعة الشهيرة التي وقعت في القرقار (عام ٨٥٣) في بلاد السام يذكر « حبار هذا الملك اسم العرب لأول مرة في التاريخ حيث انضم إلى حلف الدويلات السورية بعض القبائل العربية في

(١) انظر نتائج الحفريات منذ عام ١٩٥٠ في مجلة (Iraq)

(٢) كانت تكون حلف حمال أرمسية فوه مهمة من السكان الذين

أطلقوا على أسمهم اسم « هالدي » أو « حالدي » وسموا بلاثهم « مانا » . أما الآشوريون فقد سموها « أورارو » ومنها كلمه « آزارا » الواردة في التوراة تكونها الحمال التي استقرت فيها سبعة نوح (سفر التكوين ٨ ٤)

حول تفصيل هذه الحرب والمصادر الرئيسية انظر (O'mstead, History of Assyria, (1923), pp 110 ff)

بأداة الشام . وقد دوت أحوار حملاته الحربية فى مسئله المشهوره بالمسلة السوداء حيث دون فيها حملاته الحربية منذ ان تولى العرش حتى السنة (٣١) من حكمه وقد نقشت عليها صور الملوك والامراء الذين أدوا للملك الجرية وخضعوا للنفوذ الآشورى وهى الآن من انفس الآثار فى المتحف البريطانى ، وصورت مشاهد من حروبه فى صفائح البرونز التى عثر عليها فى موضع «بلاوات» (وهى مدينة امكر - انليل القديمة) وكانت هذه الصفائح اغلقة لآبواب المدينة .

ضعف الامبراطورية الآشورية الاولى

لقد حدث فى السنين الاخيرة من حكم شيلمصر الثالث ما عكر عليه حياته فقد بار عليه احد ابناءه الذى استطاع ان يسميل الى جانه معظم المدن الاشورية فعرض المملكة الاشورية الى الانهيار اذ نشبت حرب اهله دامت رهاء ست سنوات من فى خلالها شيلمصر والنزاع لا يزال مستمرًا . فأسأف الكفاح ابنه الآخر «شمسى - ادد» الخامس وارث العرش الآشورى ، فحارب هذا النوار سسين ووفق فى نهاية الامر الى القضاء عليهم ومع ذلك فقد سست هذه الحروب الاهلية اصعاف الامبراطورية وصياع النفوذ الآشورى فى الاقاليم النابعة التى انتهت فرصة الحرب الاهلية فاسلح عن سلطان الدولة الاشورية فكان الرمن الواقع من بعد شيلمصر الثالث الى تأسس الامبراطورية الناسة مرة ضعف فى المملكة الاشورية دامت رهاء النمايين سنة أى من ٨٢٤ الى ٧٤٥ ق م .

لقد خلف الملك «شمسى - ادد» الخامس ابنه الصغير «ادد - برارى» الثالث فصارت أمه الملكة وصية على العرش (٨١١-٨٠٨ ق م) واشتهرت هذه الملكة فى المصادر الاغريقية باسم «سميراميس» المحرف عن اسمها الآشورى «سمو - رمات» أو «شميرام» وذكرتها الاساطير الواردة فى مصادر الاغريق بانها كانت ابنة الهة نصفها سمكة ونصفها الآخر حمامة . وبعد ان ولدت ابنتها «سميراميس» تركها

فأخذها طير الحمام وصار برعاهما^(١) ففتر عليها كبير رعاة الملك فرباهما ولما كبرت تزوج بها حاكم مدينة بيوى المسمى «أونيس» غير ان الملك «نينوس» أحبها فأكره زوجها على ان تتخلى عنها فأتتحر زوجها فتروجها الملك واصبحت عنده ذات مقام رفيع وعظم بمودها فى المملكة وتضيف القصص الاغريقية الى هذه الاسطورة ان هذه الملكة استعطفت زوجها فى أحد الايام بأن بتوجهها عرش الملكة ولو مدة خمسة أيام ففعل زوجها ذلك ، ولكنها لم تكد تصير ملكه حتى أرسلت زوجها الى السجن أو انها قلبه بحسب رواية أخرى وبهذه الوسيلة أسأرت بالملك وحكمت أكثر من أربعين عاما . وقد عثر على بعض الآثار الآشورية فيها بعض الاخبار عن هذه الملكة .

وخلف الملك «أدد - نرارى» الثالث «شلمنصر الرابع» (٧٨٢-٧٧٣ ق م) الذى ازداد فى عهده بدهور المملكة الآشورية = واسطاعت بلاد مايل أن تسقل وتحرب القسائل الآرامية وبدأت تضغط على المملكة الآشورية من حدودها الشمالية فاحذ الملك الاشورى موقف الدفاع . وبماضم ضعف المملكة فى زمن الملك الذى خلفه وهو «آشور - دان» الثالث (٧٧٢-٧٥٤ ق م) ومما زاد فى اضطراب الامور ان تفشى فى زمنه طاعون عظيم ناك بسكان المملكة . وقد حدث فى حكمه كسوف الشمس وكان هذا من الحوادث المهمة التى يطير منها الآشوريون ولا سيما حدودها فى ابان طاعون وكانت هذه الحادثة من أهم الحوادث التاريخية التى فلنا انها اتخذت اساسا لضبط القويم الآشورى اذ امكن بالحساب الفلكى الدقيق ارجاع هذا الكسوف الى حربران عام ٧٦٣ ق م بصارت نقطة يقاس منها تسلسل التاريخ الآشورى واسعين بها كذلك لضبط القويم البابلى بالاستعانة بحوادث من التاريخ البابلى عاصرت ما بمائلها من التاريخ الآشورى .

(١) ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان الاسم «سمو - رماب» مركب من كلمتين الاولى «سمو» ومعناها (الحمامة) «ورماب» ومعناها (المحبوبة) فيكون معنى اسم الملكة «محبوبة الحمام» .

واسمر اندهور والضعف في حسم المملكة فنارت مدينة آشور على هذا الملك فحلح وصار بدله ابه «داد - راري» الرابع وحلفه ملك آخر هو «آشور - راري» الخامس وكان ر. من العهد المظلمة في تاريخ الآشوريين اد اسمر اندهور وتقلص المملكة الى اصغر حدودها واقتطعت منها الدولة الارمنية في الشمال كثيرا من الاراضي . وسابع مصير المملكة الآشورية في العهد الحدد وهو عهد الامبراطورية الثانية .

الامبراطورية الاشورية الثانية

(٧٤٥ - ٦١٢ ق . م)

نجلابليزور الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق . م)

اسهر الايام السود التي حلت بالمملكة الآشورية بنوره أهلية قامت بها مدنه «كايح» (مرود الآن) على الملك الآشوري «آشور - راري» الخامس آخر ملوك العهد الاول . أي عهد الامبراطورية الاولى ، فصل الملك وتولى رماه الامر «تحلايلير» الثالث الذي بدأ عهدا حديدا في تاريخ الآشوريين تكوب فيه آخر واعظم امبراطورية آشورية بلعب من اساع الرقعة والعظمه ملعا صارب فيه سيده الشرق القدم سعا ومائة عام . فكاب أوسع امبراطورية في تريح العراق القديم . وقد اصحت نظمها وادارتها نموذحا احديثه الامبراطوريات التي جاءت من بعدها ، ومن الجهة الاخرى كانت آخر حياه الآشوريين الساسة .

اما لا يعرف شيئا مؤكدا عن أصل مؤسس هذا العهد الجديد أي «تحلايلير» الثالث ، ولا سيما أمر سبه وعلافه بالملوك السابقين ولعله كان أحد القواد العسكريين أو حاكم أحد الاقاسم اسهز فرصة الثورة والاضطراب الداخلي فاصطلع بمهمه تحلص البلاد من الدهور والمملكة من الزوال ولا يعد أن يكون قد اشرك في الثورة أو انه الثائر نفسه .

على عرار فصور نابل « وله مدخلان أحدهما يواجه المدينة والآخر معمود
على هيئه قوس ويرتبه الثيران المحسنة « وإن ما اكتشف في مدينة سرحون
وعمره مكمنا من معرفة ملع ما وصل اليه من البناء والبحت وسبك المعادن
وسمائه الزجاج وغير ذلك من قوون الدسة فقد ريت حدران القصر مألواح
مخونة من الحجر ملع مجموع طولها حوالي الميل الواحد « أما البحت
المحسم وقد كان قليلا بالنسبة الى المحتونات النادرة « ان ذلك باستثناء الثيران
المحسنة التي عمر على ما عارب لـ ٢٦ واحداً منها برن كل منها حوالي
الارض طبا . أما الصور على الحدران فقد حفظت منه بمادح في قصر
سرحون ، ووحدت بمادح من الرخارف المعوشة على الآخر المزين بالمياه
من بينها أشكال ثيران وأسود وصور لها شبه بالاشكال التي ترين شارع
الموكب في نابل في عهد موحد قصر النابي « ومن الاشياء المهمة التي زودتنا
به «دور - سركين» المهادرة القائمة في سلك المعادن ، ولا سيما سلك البرور
الذي صعب منه أشكال محسنة كالأسود . وعثر في محرن القصر على
أدوات وآلات من الحديد ملع رتبها حوالي ٢٠٠ طبا .

أكمل سرحون بناء عاصمته الجديدة في مدة سبع سنين (٧١٣ - ٧٠٦
و . م) ولكن لم يسمع بالعش فيها زما طويلا اذ انه مات في السنة التالية
٧٠٥ و . م . م . وقد تركها وبعض أجزائها غير كاملة وبعد وفاته لم يكف
حلفاؤه بنحريها والاسفال الى نسوى « بل انهم شوهوا كثيرا من المحتونات
التي كانت رتبها « وطلوا بعضها الى قصورهم « فطمست معالمها ، ولكن اسمها
مثل في ذاكره الاحبال المأخره ، فقد عرف العرب اسم «سرغون» وشوه
الساسانيون اسم المدينة وأطلقوا عليها «حسرو آماد» أو مدينة «حسرو» ومن
ها جاء اسمها المحرف الحالي أي «حرساد» أو «خورصاد» .

خلفاء سرجون

ومهما يكن من أصل هذا الملك فإن ما انجزه من الاعمال المجيدة الى انقذت المملكة الاشورية من الانحلال والانقراض واعادتها الى سالف قوتها وعزتها جعله في بابة اعظم الملوك الاشوريين . وقد يصح ان نتخذه نموذج العاهل الآشوري العظيم الذي طلع وسماه الآشوريين مظلمة فاتخذ من المحن حافرا لنى قومه فاستحث فيهم القوى الكامنة ووجههم الى الفتح والموة . ولقد وفق بحلائله في خلال مدة حكمه الى لم تزد على الـ ١٨ عاما لس في اعاده الامراتورية الى حالها الاول فحسب بل في جعلها اكبر مما كانت عليه وادا تذكرنا ما وصل اليه من الدهور والانهار ادركنا مبلغ معدره هذا العاهل العظيم ومكانه في التاريخ الآشوري وقد خلفه في الحكم ابنه «شلمنصر» الخامس الذي لم يدم حكمه اكثر من خمس سنين (٧٢٧ - ٧٢٢ ق . م) . وقد نجى من محنة ابيه بحاه العرش البابلي حيث توج نفسه ملكا على بابل وعرفه البابليون باسم «اواولو» كما ورد في اثناسات ملوكهم ، وذكر المؤرخ اليهودي «يوسفوس» ان شلمنصر حاصر مدينة صور واخضعها بعد ان دار عليه . وفي حكمه حرض ملك مصر الملك الاسرائيلي «هوشع» الذي كان تابعا للآشوريين على الثورة فحرد عليه الملك الآشوري حملة راددة . فحوصرت عاصمة مملكة اسرائيل «السامرة» مدة ثلاث سنين، حدث في نهايتها نوره في داخل المملكة الآشورية حول العرش ومات شلمنصر وانم به فتح مدنة السامرة ، واكمل فتحها سرجون مؤسس السلالة السرجونية التي سأتى الكلام عليها .

السلالة السرجونية

سميت هذه السلالة الجديدة بالسلالة السرجونية نسبة الى مؤسسها سرجون الثاني (شروكين - الملك الصادق) الذي جاء الى العرش الآشوري بعد شلمنصر الخامس ولا يعرف شيئا مؤكدا عن أصل سرجون الثاني . لعله كان دعما وغاصا للعرش . حكم سرجون ثمانية عشر عاما تكاد تكون كلها سلسلة حروب وحملات عسكرية خارجية .

بابل وعيلام

لقد رأينا فيما سبق ما آل اليه أمر المملكة البابلية بعد أن ضعف مركزها الدولي منذ مصف العهد الكشي وكيف ان الآشوريين بسطوا أولا نفوذهم عليها وارداد هذا النفوذ ودخل طور فرض السيطرة بعد نهاية العهد الكشي ثم ان السياسة الآشورية اصححت من بعد ذلك الى دمج مملكة بابل بالمملكة الآشورية وقد أخذ بعض الملوك الآشوريين التاج البابلي لانفسهم ، كما فعل نبوخذ نصر الثاني وشيلنصر الخامس ، ولعل هذه السياسة الجديدة قد توخى منها الآشوريون مصالحة البابليين بحمل الملكتين مملكة واحدة بحكمها الملك الآشوري نفسه ولا يحمي ما لذلك من نفوذ يحيه الآشوريون لما كان يسع به بابل من مركز واجداد في جميع انحاء الشرق الادنى . ومع ذلك فلم توفق هذه السياسة الجديدة التوفيق كله فما رمت اليه ، اد لم يكن هيا على بابل ان تفقد شخصيتها واستقلالها وتسى مركزها في أيام سرجون وحمورابي فطلب ترف العرش للانسلاح من السلطة الآشورية ، فتعقدت المسألة البابلة من حديد وصار على الملوك الآشوريين ان يحدوا حلا آخر لها وقد تعاقب الامر عندما اصححت بابل مركزا للثوار ومؤامرات الطامحين في العرش من الكلدانيين ، ووراء كل ذلك بلاد عيلام الطامعة بالبلاد فكانت تساعد الثائرين مرة بالحرص وحيا باشراف حيوسها لمساعدة البابليين على السلطة الآشورية وعندما ضعفت المملكة الآشورية نوعا ما في أواخر أيام شيلنصر الخامس اشتهر هذه الفرصة أحد اولئك الطامعين بالعرش البابلي وهو «مردوخ بلادان» الكلداني (الذكور في التوراة) فزعزع القوم ووجد القائل الكلدانية للثورة على الآشوريين = وقد شط هذا الثائر في بداية حكم سرجون فعاهد العيلاميين وحصل منهم على مساعدة عسكرية فحدى سلطة الآشوريين بان هجم على بابل نفسها في السنة التي تتوج فيها سرجون وصار ملكا على بابل في العام ٧٢١ ق . م فزعزع سرجون على تأديب الثائر فقاد حملة بنفسه وسار لمنازلة العيلاميين في مدينة «الدير» (القريبة

من بدرة الآن) وقد حاؤا من ايران (اقليم حوزستان) لمساعدته حليفهم «مردوخ بلادان» الذي لم يحضر في الوقت المناسب فالتحم الاشوريون بالعلاميين «أماسيجة» المعركة فلا نفق فيها المصادر البابلية والآشورية . فالاولى تؤكد اندحار سرجون والثانية انتصاره . ولعل الواقع من الامر ان سرجون فضّل الاسحاب لمشاغل أخرى طرأت وان لم يتصر أحد الخصمين على الآخر . ومهما يكن من أمر فالذي نعرفه بوجه التأكيد ان (مردوخ بلادان) قد ظفر بالناح البابلي وجمع بالسلطة في مملكة بابل رهاء عشر سنين ولم يسن لسرحون ان يعيد مازله الا في العام ٧١٠ ق . م وذلك بعد انتهاء حملاته في الغرب أي في ديار الشام . فالتحاً «مردوخ بلادان» في هذه المرة الى حلفائه العلاميين سسجدهم ولكنه على ما يبدو لم يسطع ان يحصل من الملك العلامي على مساعده عسكرية ، وعندما اقرب الملك الاشوري من بابل انهرم «مردوخ بلادان» والنجاً الى منطقة الاهوار في الجنوب . ومما يدعو الى العجب ان سرحون عثر للتائر وصه حاكماً على احدى الولايات الجنوبية المسماة «بيت ناكبي» وقد توح سرحون نفسه ملكاً على بابل محتذياً منسل تحلاتليرر وشيلمصر . وبذلك حلت المشكلة البابلية حلاً وقتياً في ايسام سرحون واسسب الهدوء والسلام في بلاد بابل طوال ايام حكمه الباقية .

وقد عى سرحون مسؤولون الاقاليم الشرقية والشمالية الشرقية وخصص لها قسماً من نشاطه العسكري . وكان يحكم في ارمسية «اورارطو» في زمنه ملك قوي الشكمة اسمه «روساس» ولكي يأمن هذا شر تدخل الآشوريين اخذ يثير الاقوام الملاحمة الى المملكة الآشورية على الثورة وشق عصا الطاعة فحارب سرحون هذه الاقاليم وتمكن من اخضاعها وحارب الارمن وواقع الهزيمة في جموعهم وبكل بهم تنكيلاً شنيعاً حتى انه سلب جلود بعض أمرائهم وهم أحياء وعلى الرعم من الضربة القاصمة لم تخضع بلاد الارمن حصوعاً دائماً مما حمل الحرب بينها وبين الآشوريين سجلاً زهاً خمس سنين انتهت بالعصاء على ملكهم المسمى «روساس» .

وحهر سرحون حملات حربية على القبائل الفريجية في تخوم «كيليكية العربية» التي كانت تدفع الجزية الى الآشوريين فبدأ باخضاع هذه القبائل منذ عام ٧١١ ق م ورجع كثيرا ان ملك حريرة «قبرص» أرسل الى سرحون الجزية ، وامل قسما من الجيش الآشورى قد دخل الجزيرة .

وقد سبق ان رأنا كيف ان الملك «شيلمصر» الخامس قد مات ولم نستسلم له السامرة عاصمة مملكة اسرائيل فولى أمر الفتح «سرجون» وبعد أن فتحها انتهى حياه المملكة الاسرائيلية الشمالية وكان ذلك في حدود (٧٢١ ق م) ونقل كثيرا من سكانها أسرى ، وبعد ان فرع سرحون من السامرة وحه همه الى الدويلات الغربية في بلاد الشام ، وقد الفت هذه الدويلات في زمن سرحون حلقت تحريض ملوك مصر ومساعدتهم ، ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان مصر عندما ضعف أمرها منذ نهاية الامراطورية فيها في القرن الحادى عشر ق م لم استطع ان تدخل فعليا في بلاد الشام التي كانت نابعة الى الامراطورية ، وعمدت بدلا من مارلة الآشوريين وجها لوجه الى تحريض البلاد السورى على الدوام اد كانت تحشى كثيرا من تمكين عمود الآشوريين في البحر المتوسط لأن ذلك يهددها تهديدا مباشرا وبعد ان تألف هذا الحلف الجديد في زمن سرحون من مدينة حماة وعرة ودمشق وغيرها من مدن الشام المهمة حهر سرحون حملة عسكرية قوية استطاع بها ان يدحر قواب المتحالفين ونقصى عليها واسر بعض الملوك المتحالفين . فارداد الخطر على الدولة المصرية فأرسلت جيشا لمساعدة ملك غرة ، ورجح أن يكون الجيش بقيادة العرعور نفسه ليعادم الحممان قرب مدسة «رفح» (الذى ورد ذكرها بهته رفحو في المصادر الاشورية) على الحدود المصرية الفلسطينية فادحر المصريون والعربون واسر ملكهم وفر القائد المصرى وسد أن قضى سرحون على تدخل المصريين في شؤون سورية وفلسطين . وجه حملات على بعض القبائل العربية ممن رفضت تأدية الجزية له ، وكسات هذه القبائل تقطن في اودية الشام بالدرحة الاولى . وقد بدأت حملاته على

هذه القبائل منذ ٧١٥ ق . م ولعل الهدف الحقيقي من حملاته الحربية هذه كان تأمين طرق المواصلات التجارية والحربية المارة بسوريه وكان بعض هذه الطرق تصل الى اليمن وحصرموب وقد ذكر سرحون بعض القبائل التي احصعها مثل «ثمود» و«وطيها شمالي -الحجار بالحجر ووادي الفري وقبيلة وردب باسم «عاديدي» الساكنة في البادية والتي كما وصفها سرجون «لا تجمع اسلطان» فحافيه الصائل حتى ان الملكة «شمسي» (شمس أو شمسية) في البادية الشماليه أدب له الحزبه .

حرسباد - مدينة سرجون

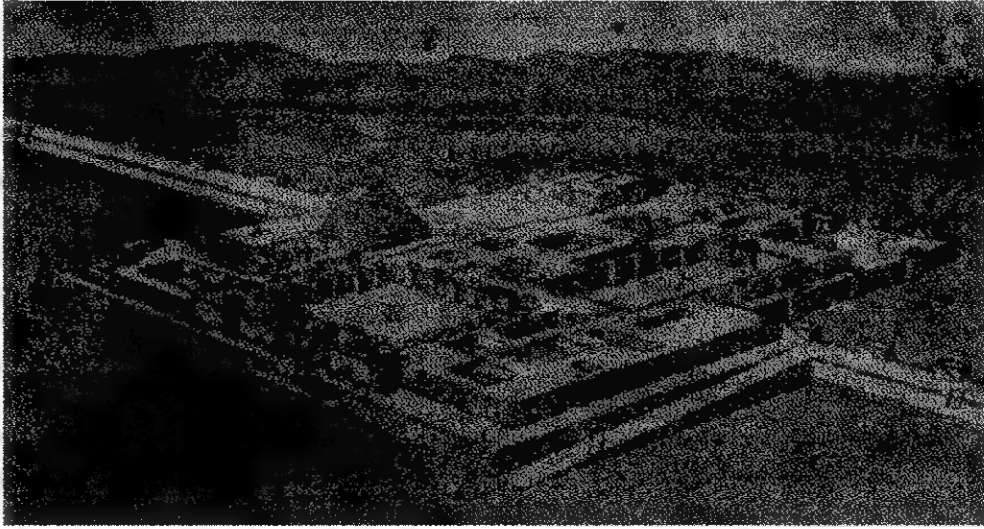
لم يسفر سرحون في عاصمه واحده . اد اتحد في أول حكمه مدينة آشور عاصمه له ، ثم انتقل منها الى (كالح) «مروود» وفي منتصف حكمه ابحا . سوى عاصمه له ، وأخيرا في السنة التاسعة من حكمه أي عام ٧١٣ ق . م سرع تأسيس عاصمه جديده سماها «دورشروكين» أي مدينة سرجون وقد ابحار انها موضعا في قرنه كالب . سعى «مكاسا» الى الشمال الشرقي من سوى وهي «حرسباد» الحاليه التي بعد حوالي ١٦ كيلو مترا شمال نينوى . وقد سب هذه العاصمه على هيئة مربع بلع طول صلعه حوالي ٢٠٠٠ ياردة أو ١٧٦٠ × ١٦٧٥ مترا . أي بلع مساحتها حوالي الميل المربع . وكان يدخل الى المدسه بطريق ملتصق عرصه اربعون قدما . ويحيط بالمدينة سور ذو أبراج سف على ١٥٠ برجا ، وفيه ثمانه أبواب كل باب سمي باسم اله آشوري وكان ترس مداخل المدنه بران محصنة برؤوس بشرية كانت عند الآشوريين بمثابة الملاك الحارس لهن المدسه من الشرور والمخاطر ، كما دهن قرب كل باب كثير من الحروز على هيئة دمي للعاية نفسها وكانت شوارع المدسه مستقيمة ومعامد .

لم يبق من المدسه الآن غير قصر سرحون وبعض الاقسام المجاورة له . وكان قصره . مبعه على دكة باتجاه الضلع العربي من المدينة وقد شيدت

على عرار فصور نابل « وله مدخلان أحدهما يواجه المدينة والآخر معمود
على هيئة فوس ويريه التياران المحسجة « وإن ما اكتشف في مدينة سرحون
وعمره مكمنا من معرفة ملع ما وصل اليه من البناء والبحت وسبك المعادن
وسمائه الزجاج وغير ذلك من فوس الدسة فقد ريت حدران القصر ألواح
مخونة من الحجر ملع مجموع طولها حوالي الميل الواحد « أما البحت
المحسم وقد كان قليلا بالنسبة الى المحتونات النادرة « ان ذلك باستثناء التياران
المحسجة التي عمر على ما عارب لـ ٢٦ واحداً منها برن كل منها حوالي
الارض طبا . أما الصور على الحدران فقد حفظت منه بمادح في قصر
سرحون ، ووحدت بمادح من الرخارف المعوشة على الآخر المزين بالمياه
من بينها أشكال تيران وأسود وصور لها شبه بالاشكال التي ترين شارع
الموكب في نابل في عهد موحد قصر النابي « ومن الاشياء المهمة التي زودتنا
به «دور - سركين» المهادرة القائمة في سلك المعادن ، ولا سيما سلك الروبر
الذي صنع منه أشكال محسمة كالأسود . وعثر في محرن القصر على
أدوات وآلات من الحديد ملع رتبها حوالي ٢٠٠ طبا .

أكمل سرحون بناء عاصمته الجديدة في مدة سبع سنين (٧١٣ - ٧٠٦
و . م) ولكن لم يسمع بالعش فيها زما طويلا اذ انه مات في السنة التالية
٧٠٥ و . م . م . وقد تركها وبعض أجزائها غير كاملة وبعد وفاته لم يكف
حلفاؤه بنجرها والاسفال الى نسوى « بل انهم شوهوا كثيرا من المحتونات
التي كانت رتبها « وعلوا بعضها الى قصورهم « فطمست معالمها ، ولكن اسمها
مثل في ذاكرة الاحبال المأخوذة ، فقد عرف العرب اسم «سرغون» وشوه
الساسانيون اسم المدينة وأطلقوا عليها «حسرو آماد» أو مدينة «حسرو» ومن
ها جاء اسمها المحرف الحالي أي «حرساد» أو «خورصاد» .

خلفاء سرجون



قصر سرجون الثانى فى خرسباد كما يجب
أن يكون عليه فى الاصل

الشهير «سنحاريب» (سين - آحى - اربا) (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) ولم يسر هذا على خطة أنه تحاه عاصمة المملكة اذ انه ارجع مركز المملكة الى العاصمة المقدسة «ينوى» فحدد ابنتها وشيد فيها قصوره « وجعلها مركز الامبراطورية وقلة الشرق القديم وحملها بالمحوتات الكثيرة وغرس فيها الرياض والساتين وحلب لها ماء غذا من موضع قريب من منبع نهر «الكومل» من مجاز حلى فى «بافيان» وبى لذلك قناة ملطمة منية بالبحر طولها خمسون ميلا لتمر فيها المياه الى ينوى وقد نحت عد صدر القناة على وجه حجرة شاهقة صورا كبيرة للآلهة وسجل على البحر بعض أعماله وماثره .

سار سنحاريب على سنة الملوك الآشوريين السابقين فى اعادة اخضاع قسم من الاقاليم التابعة الى الامبراطورية ولا سيما تلك التى تارت فى بداية حكمه . فأخضع مدن كيليكية وفتح المستعمرات الاغريقية فى سواحل آسية الصغرى ، واتصل بالاغريق الابونيين ، وهذا حدث مهم بالنسبة الى

وسائل نشر حضارة العراق القديم • وقد بنى فى طرسوس مدينة آشورية ليحكم منها مستعمراته الجديدة • وكذلك أعاد فتح المدن الفينيقية والسورية ومملكة يهوذا • اذ بدت فى سورية وفلسطين فى أوائل حكمه بوادر العصيان بتحريض المصريين • وكان يحكم فى مملكة يهوذا الصغيرة الملك «حزقيا» وكان يعيش فى رمنه النسي العبراني «اشعيا» فاستطاع سنحاريب أن يخضع هذه المملكة الصغيرة ولكن العاصمة «اورشليم» أبت التسليم ، وعول الملك «حزقيا» على حصار طويل واعد المدة وقد صادف أن اعلنت بعض المدن والدويلات السورية العصيان مثل مدينة صور وعسقلون ولكن سنحاريب عاجل التوار فى العام ٧٠٠ ق = م واتدأ بأديب المدن الساحلية فى جوبى فلسطين ثم التفت الى «اورشليم» وترك على حصارها جيشا مع كبير قواده الذى ورد ذكره فى التوراة باسم «الراشاقة» (كبير السقاة) وقد ورد وصف منع فى التوراة لاحار الحصار • وسحلت المحاورة الطريقة التى حرت بين رسول ملك اليهود والـ «راشاقة» الذى تكلم بالعبرية وقد صرح من اسفل اسوار قائلا : «ما هذه الثقة التى اعتمدت عليها • ولعلك تقول وما قولك الا كلمات فارغة انه عدى رأى وقوة فى الحرب • فعلى من اعتمدت الآن حتى عصيتنى ؟ فلتحذر امك اعتمدت على عصا هذه القصة المرصوفة التى لو اعتمد عليها رحل لذهت فى يده وتفتتها • • وهكذا هو المرعون ملك مصر الذى اعتمدت عليه • فهل استطاعت أى من آلهة الشعوب ان تخلص أرضها من يد ملك آشور ؟ فأين آلهة حماة وارفاد ؟ وأين آلهة السامرة • فهل نحت السامرة من يدي ؟ فأى من آلهة الاقطار من خلصت بلدها من يدي حتى يستطيع «يهوه»^(١) أن يخلص اورشليم من يدي» ولم يخف على رسل ملك اورشليم ما كان يرمى اليه القائد الآشورى من كلامه هذا لا سيما وقد تكلم به بصوت عال باللغة العبرية ليسمع من فى داخل السور من الناس فيهلعوا ويستسلموا • والحقيقة ان الملك كان يردد فى التسليم ولكن

(١) «يهوه» الاسم المقدس لاله العبرانيين •

النبي «اشعيا» كان يشجعه ويحرضه على المقاومة = وبعد أن انتهى الرابشاقه كلامه توسل اليه رسل اليهود أن يكلمهم باللغة الآرامية وليس بلغة اليهود على مسمع من الناس = أما نهاية الحصار فتذكر التوراة ان الجيش الآشورى حل فيه الموت الآلهى ، ويرجح كثيرا ان الجيش انسحب بسبب تفشى الوباء =

ومما كان يشغل بال سحارب فى أوائل حكمه ان التائر البابلى الكلدانى «مردوخ بلادان» الذى أخضعه أبوه سرحون وعفى عنه بعد القضاء على حركته ثار فى عهد سحارب واستفحل أمره والتجأ كما فعل فى عهد سرجون الى مساعدة العيلاميين ، وتفاوض مع القبائل العربية ومع «حزقيا» ملك يهوذا ابتغاء اشغال الجيوش الآشورية = ولذلك فقد كلف القضاء على حركته جهودا . غير ان التائر هرب الى المناطق الجبوية ، فاضطر سحارب الى ارسال اسطول اشأ لهذه الغاية «قصى على الصة اناقية من اتاع التائر = ومع كل ذلك لم ترصح بابل = بل اسمررب فى اطلاق «سحارب» مالتورات = الامر الذى جعله يحاصرها ما يضرب من سة كاملة وقد كان غضبه فى هذه المرة عظيما وفتحها عوة فى سة ٦٨٩ ق = م ودمر قصورها ودك حصونها وسلط مساء المراب على أنقاضها = وعين من بعد ذلك انه «أسر حدون» واليا على القسم الحوى من العراق =

٢ - أسر حدون

كانت نهاية سحارب نهاية محرنة اذ تشير السجلات الرسمية الى أن أحد أبنائه قد اغتاله = ولقد جاء ذكر هذه الحادثة فى التوراة (٢ملوك ١٩: ٣٦-٣٧) وقد سب اعتياله شه ثورة داخلية ولكن ابنه الذى خلفه وهو «أسر حدون» لم يحد صعوبة فى اخمادها = ومما يمتاز به حكم أسر حدون ان الحالة فى بابل كانت هادئة باستثناء بعض القلاقل التى قام بها بعض الثوار مثل ابن التائر المشهور «مردوخ بلادان» أما الاقاليم الشرقية فقد استتب الامر فيها للآشوريين وخضع لهم أكثر ملوك خراسان على أثر حملات آشورية

موفقة • ومما يذكر به اسر حدون السياسة الحكيمة التي سلكها تجاه بابل • اذ انه استعمل المصالحة والدبلوماسية الحكيمة فحصل على نتائج لو سار في الحصول عليها على حطة أبيه لكلفه ذلك حروبا وهدر دماء كثيرة • فأعاد بناء مدينة بابل ، فرضى البابليون وكفاه رضاهم ضرورة الدفاع بنفسه عن بلادهم تجاه طمع العيلاميين والكلدانيين •

ومن غزواته غزوة قام بها في شمالي جزيرة العرب على موضع عربي ورد ذكره في الاخبار الآشورية باسم «أدومو» الواقعة في الواحات • ولعلها دومة الجندل المذكورة في أخبار الفتوحات الاسلامية • وقد سبق لآبيه أن حاربها لتأمين حدود الامبراطورية والمحافظة على طرق مواصلاتها البرية •

بلغ طموح اسر حدون في حقل الفتوح الخارجية مدى واسعا ، فالمعروف ان اسلافه فشلوا في غزو مصر • أما هو فقد وجه همه لتحقيق ذلك المشروع الخطير لذلك كان غزوه مصر أهم حروبه كلها ، فاستولى على الدلتا وأكثر مصر العليا وذلك في زمن ملكها «ترهاقة» أو «طهرافا» الحبشي^(١) • وقد تم له ذلك في ثلاث حملات ولعل أهم الاسباب التي دعت الى هذه المغامرة الحربية انه بالاضافة الى ما قد يحصل عليه من شهرة وغنائم وثروة فان مصر كانت منذ أزمان أقوى دولة في الشرق القديم نازعت توسع الآشوريين في سورية وفلسطين ، وكانت في أيام ضعفها تعتمد على تحريض الدويلات السورية على الثورة والانسلاخ عن الامبراطورية الآشورية فكان هذا التدخل المستمر يقلق بال الملوك الآشوريين • لان اخماد الثورات كان يكلفهم تمنا غالبا في الجيوش والاموال • ولذلك فمن المرجح كثيرا ان أسلاف اسر حدون قد فكروا في تحطيم قوة مصر العسكرية • ولكن لم

(١) ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن دائرة الآثار العراقية قد وجدت حديثا (١٩٥٥) كسرا من تماثيل فرعونية بعضها يعود الى هذا الملك كما تدل على ذلك الكتابة الهيروغليفية فيه ، وقد وجدت هذه التماثيل في تل النبي يونس الذي هو جزء مهم من العاصمة الآشورية نينوى (أنظر مجلة سومر ، الجزء الاول ١٩٥٥) •

يوفق أحد منهم في تحقيق تلك الأمنية الا «اسر حدون» وخليفته «آشور بانيال» . اما نتائج الغزو فقد نجح الآشوريون في ضم مصر موقتا الى الامبراطورية الآشورية ، ولكن ذلك لم يكن دائما . ولعل أهم فائدة هي ان مصر شعرت بوطأة الجيوش الآشورية فكفت عن اطماعها في سورية وفلسطين وعن تدخلها في شؤون هذا القسم من الامبراطورية الآشورية . وتشير طواهر الاحوال الى حلول عهد من الصداقة بين المصريين والآشوريين ، وان المصريين ساعدوا الآشوريين في حربهم مع الماڤيين وهي الحرب التي قصت على ينوى وعلى كيان الدولة الآشورية .

لما كان من الضروري على «اسر حدون» قبل ان يبدأ في غزو مصر ان يقمع الثورات التي قامت بها بعض المدن الفينيقية . فاستولى على صور ودمرها تدميرا كاملا . وبدأ بأول هجوم على مصر في عام ٦٧٤ ق . م ففشل فيه سبب العواصف في الحدود الفلسطينية المصرية . واعد حملة ثانية بعد ثلاث سنوات استولى فيها على «منف» (منفس) عاصمة الفراغة المعظمة . وتارت مصر واسأف الكفاح ملكها «ترهاقة» فجهز اسر حدون حملة ثالثة رحعت قبل ان تجتاز الدلتا بسبب مرض اسر حدون الفجائي .

٣ - آشور بانيال

حدث في بلاط اسر حدون خلاف على وراثة العرش الآشوري فقد كان لاسر حدون ثلاثة أبناء أكبرهم كان يدعى «شمش-شوم-اوكن» ولكنه لم يعن خلفا لآبيه ، ولا الابن الثاني . وبعد الشورى حلت مشكلة ولاية العهد بجعل «آشور بانيال» وهو الابن الثالث وليا للعهد ليخلف أباه على العرش الآشوري وحمل الابن الأكبر أى «شمش-شوم-اوكن» وليا للعهد على العرش البابلي على أن يعترف بسيادة أخيه «آشور بانيال» وعلى هذا فقد حالف «آشور بانيال» أباه على عرش الملكة الآشورية (٦٦٨-٦٢٦ ق . م) وكان قد نال تهذيبا وتربية في صغره فاق بهما سواء من الملوك الآشوريين

فأنعم بالادب والمعرفة ، وجمع الآثار الادبية وكتب المعرفة من أنحاء البلاد وخبزنها فى دار كتب شيدھا فى قصره ، وهى التى عثر عليها المنقبون فى نينوى وتحتوى على الالوف الكثيرة من ألواح الطين المكتوبة التى عرفتنا بنواحي الحضارة العراقية القديمة . لانه جمع فيها مختلف أصناف العلوم والمعارف التى بلغتھا حضارات العراق القديم حيث استنسخ الالواح القديمة التى بحث عنها فى مدن العراق المختلفة .

لقد بدأ آشور بانيال حكمه بحملة تآديية صغيرة الى منطقة الكشيين فى شرقى دجلة . وقد نجح فى ذلك .

وكان الملك الحبشى «ترهاقة» قد انتهز فرصة موت اسر حدون ، واعاد الحكم الوطنى فى مصر ، فجرد آشور بانيال حملة كبيرة عليه فى سنة ٦٦٧ ق . م وجرت معركة فى محل ما فى شرقى الدلتا انتهت بانهزام جيش «ترهاقة» (طهرافا) بعد ان هلك اكثره . وبعد ذلك سار الجيش وفتح «منف» وبعد أن استتب له الامر أقام حاميات دائمية فى أمهات المدن المصرية . ومع هذا فقد استمرت الثورات الوطنية فاضطر «آشور بانيال» على التخلي عن فكرة جعل مصر ولاية آشورية تحكم حكما مباشرا ذاتى بإبرام معاهدة مع أحد الامراء الثوار المسمى «بسماتيك» تضمن اعتراف مصر بزعامة الآشوريين وخاصة فى الاقاليم الغربية ، وكفلت تضامن مصر مع الملك الآشورى من الوجة العسكرية فى الدفاع والهجوم ، وعلى هذا فان فقدان مصر لم يكن فى الحقيقة حسارة بل كان أمر المحافظة عليها كقليس تابع يكلف الآشوريين كثيرا .

وبعد وفاة اسر حدون نفذ وصيته ابنه آشور بانيال . بان عين أخاه « شمش-شوم - اوكن » على العرش البابلى فرضخ هذا لسيادة أخيه سنين عديدة ، غير ان وعود ملكين أخوين جعل الخلاف والتصادم أمرا لا بد منه وقد بدت بوادر ذلك بعد فراغ «آشور بانيال» من حروب له فى عيلام .

ومما شجع ملك بابل على تحدى سلطة أخيه ، انحياز الزعماء الكلدانيين اليه بعد أن عرفوا حقيقة ما بين الاخوين ، وعلى هذا فقد أخذ ملك بابل يتهيباً للتصادم فبدأ بالمفاوضات السرية مع ملك عيلام واتصل بأمراء العرب وبكثير من أمراء فلسطين وبـ «بيحو» ملك مصر . وفى سنة ٦٥٢ ق = م نشبت بين الاخوين حرب قاسية طويلة لعلها كانت أخطر الحروب الاهلية فى تاريخ الآشوريين ، وقد أظهر فيها «شمش-شوم-اوكن» مزايا عسكرية فذة ونصره البابليون بحرارة وانضم اليه بعض أمراء الآشوريين وحكام المناطق ، واشترك معه العيلاميون ضد أخيه ، ولكن كل ذلك لم يجد نفعا تجاه جيوش أخيه المتفوقة ، فاضطر الى الانحصار فى عاصمته بابل حوالى الستين فعملت المجاعة والحصار الشديد فعلهما فى سقوط المدينة بيد الجيش الآشورى بعد أن لحقها كثير من التخريب والتدمير وقضى «شمش-شوم-اوكن» نحيبه وسط النيران الى شت فى قصره ، وهكذا ختمت حوادث النزاع بين الاخوين فى سنة ٦٤٨ ق = م وتلا ذلك ان وجهه «آشور بانيبال» همه لتأديب القبائل العربية التى اشركت فى مساعدة أخيه ضده ثم التفت الى عيلام وكان غضبه شديدا ، فقضى على المدن العيلامية ودمر عاصمة البلاد «سوسة» وبشت قور الموتى ، وارسلت عظام ملوك عيلام وأمرائها الى نينوى ، وبهذا انتهت حياة مملكة عيلام .

سقوط نينوى ونهاية الآشوريين

حكم «آشور بانيبال» حتى سنة ٦٢٦ ق م ولكن أجباره الرسمية انقطعت عنا قل ما يريد عن عشر سنين من هذا التاريخ ، وكانت ظواهر الامور جميعها تدل على ان الامبراطورية كانت وطيدة الاركان فى سائر أنحائها ، ولكن مع كل هذا فقد أخبرنا الملك «آشور بانيبال» نفسه ان اياما سودا حلت فى أرجاء مملكته ، وانه كان يقاسى آلاما جسمية وروحية سلبت راحته ، وحدثت بعد وفاته مشاكل واضطرابات حول وراثة العرش فكان على ابنه وخلفه «آشور-اغل-ايلانى» ان يحارب أحد الطامعين فى عرش أبيه ،

فاتتهزت بابل هذا الاضطراب الداخلى وانفصلت عن الامبراطورية الآشورية تحت قيادة زعيم الكلدانيين «نبوبولاسر» سنة ٦٢٥ ق . م وقد حذت فلسطين حذو بابل ، فطرحت عنها النير الآشورى وكذلك فعلت معظم المدن الفينيقية ، وقد اتحد الماديون فقيوت شوكتهم تحت قيادة ملكهم «كى اخسار» وقد انتهى حكم «آشور-اظم-ايلانى» بقلقل أيضا وفى هذه الاثناء تحالف الملك الكلدانى «نبوبولاسر» مع الملك المادى ، واتفقا على تقويض المملكة الآشورية واقتسام أراضيها وقد احار ملك مصر «بسماتيك» الى جانب الآشوريين ■ كما ان الملك الآشورى حصل على صداقة القاتل المعروف بالصيبيين^(١) ولكن ذلك لم يجدهم بها تجاه الهجمات التى قام بها أعداء الآشوريين ومما زاد فى الطين بلة ان الصيبيين خابوه فانحاروا الى أعدائه فى هجومهم الاخير على نينوى عام ٦١٢ ق . م وعلى الرغم من الدفاع المجيد سقطت العاصمة العظيمة فى السنة نفسها فهبت ودمرت ومات الملك وسط اليران التى شبت فى قصره . والتهمت المدينة ■ ومع هذا فان الآشوريين ظلوا على عنادهم واستطاعت فلول من جيشهم ان تهرب تحت قيادة آشور أوالمط الى مدينة حران حيث نصب هناك ملكا على النقية الناقية من الآشوريين ■ ولكن الاعداء لاحقوه فى سنة (٦١٠) ق . م فحرت حروب اسهت فى القضاء على آخر محاولة لاعادة المجد الآشورى الأقل . هذا ولا يسعنا ان نبحت بالاسباب عن الاسباب التى أدت الى سقوط الدولة الآشورية ، والذي يمكن قوله بهذا الصدد ان طبيعة مثل هذه العوامل انها معقدة متعددة . والذي يبدو فى حالة سقوط الدولة الآشورية ان المتسع لتأريخ الآشوريين لا بد وان تؤثر فيه حقيقة مازة فى تأريخ الدولة الآشورية تلك هى تطرف ملوكها فى سياسة الغزو والهجوم التى لم تكن لتقطع ، والاعراق فى الروح العسكرية

(١) أو «الاسكيثيون» (Scythian) وهم القبائل البربرية التى كانت تنكلم لغة «هندية - أوربية» وكانت تعطن فى جنوبى روسيه وفى الافليم الواقع شرق بحر «الارال» ومن المؤرخين من يعين الصينيين بجوج وماحوج المذكورين فى التوراة وفى القرآن .

بحيث انهم وسعوا مشاريعهم الحربية وفتوحاتهم الخارجية فوق ما كانوا يستطيعون الاحتفاظ به ، وفوق طاقة مواردهم . وكان ذلك جليا في عهد الامبراطورية الآشورية الاخيرة حيث أقدم الملوك الآشوريون (اسر حدون وآشور بانيال) على فتح مصر . ومع ان الجيوش الآشورية استطاعت أن تدحر الجيوش المصرية الا انها لم تقو على الاستمرار في صبط مصر مع التزاماتها العسكرية الاخرى في جميع انحاء الشرق الادنى . ولا سيما تدخلها في بلاد بابل وضمها اليها بالقوة . والى ذلك فان سياسة العنف والتدمير التي اتبعتها أمراء الحرب الآشوريون ازاء البلدان التي كانوا يغزونهم قد جرت عليهم سخط الشعوب وتكرر ثوراتها . ومع ان ماكنة الحرب الآشورية قد استطاعت أن تمحو شعوبا وامما برمتها وتدنك المدن والحصون وتهجر الشعوب وأسرها الا أن تآك المظالم قد برهنت على صحة الحكمة المأثلة «الظلم اذا دام دمر» ، وملخص القول كان التطرف في فنون الحرب دون فنون السلم الاخرى ، واهمال موارد البلاد وتحميل الدولة فوق طاقتها من مشاريع الفتح العسكرية كل ذلك وغيره كان من الاسباب المهمة التي عملت على محو الدولة الآشورية من الوجود .

ولما كما سنذكر النواحي المخلفة التي تميز الحضارة الآشورية في كلامنا على أوجه الحضارة المختلفة في العراق القديم فاما يكفي هذا بذكر بعض الامور العامة عن مكانه الآشوريين في تاريخ الحضارات . فمن ذلك ما تمتاز به الثقافة الآشورية بكونها شدا عن صلها بالحضارة السومرية والبابلية وتأثرها بهما انها تأثرت أيضا بآراءات شعوب كثيرة اصلت بها بالحرب والسلم بحيث يصح أن نسمى الآشوريين بانهم «ورثاء العصور»^(١) ، فكانت ثقافتهم مركبة خليطة . فقد رأينا سابة من تأريخهم كيف انهم اتصلوا بشعوب وامم كثيرة منحضرة وبدائية كالاراميين والمصريين والحثيين والسوريين والفينيقيين واليونان والارمن ، فكان ذلك عاملا مهما في النقص

(1) Olmstead, History of Assyria, PP. 504 ff.

الثقافات واختلاطها = كما ان اتصال الآشوريين بالشعوب المتعددة وما امتاز به ملوكهم من تدوين أخبارهم الحربية والسلمية بالتفصيل قد زودنا بمصادر مهمة لتأريخ شعوب وامم لا نملك عنها السجلات والوثائق ، لا سيما وان بعضها كان متأخرا من الناحية الثقافية وأما ، ونذكر على سبيل المثال المصادر المهمة الى حاءت في أخبار ملوكهم عن الارمن والقبائل العربية والعبرانيين والقبائل الايرانية ، مما يجعل هذه الاحار اهم المصادر التاريخية لاحوال تلك الشعوب . ومن الناحية الاخرى فان اتصال الآشوريين ببعض هذه الشعوب ، وبوجه خاص بالعبرانيين ، قد حمل الآشوريين يشتهرون شهرة واسعة في العالم الحديث ، ولا سيما العالم المسيحي ، ذلك ان علاقاتهم العدائية مع اليهود في فلسطين قد جعلت لهم محلا بارزا في أخبار العهد القديم (التوراة ولا سيما في سفر الملوك) . ومن الطبيعي أن تكون أخبارهم مقرونة بالشهير مما حمل اسم الآشوريين مرادفا للظلم والفسوة . ومع انهم كانوا قساة الا ان المبالغة ودكرهم في التوراة هما اللذان جعلوا الآشوريين يشتهرون من دون الامم العسكرية التي كانت تصاهيهم في العالم القديم .

ومما جدر ذكره ان الآشوريين دعم روال ملكهم وسقوطهم السياسى ادمح عدد كبير منهم بالشعوب المجاورة واستخدم الفرس كثيرا من صحاب الحرف والنفائين في تشييد مدنهم وتحملها واسمر تراث الحضارة الآشورية بعد انحلال الآشوريين العسكرية اذ أخذت عنهم الاقوام الاخرى الشيء الكثير من العظم السياسيه والادارية فسجج بابل على موالهم في الامراطورية وكذلك فعل الفرس . هذا ويحب الا نسى ما قام به الآشوريون انان نفوذهم السياسى وعمرهم العسكرية في شر الحضارة العراقية القديمة ، ونقلها الى اقاليم الشرق القديم وادا علما انهم في بعض فوحاتهم اصعدموا مع الجاليات اليونانية ادر كنا اهميتهم كحلقة الاتصال بين الماضى والحاضر .

الفصل الحادي عشر

الامبراطورية الكلدانية

والعهد البابلي الاخير

وقفنا في بحثنا السالف على نشوء الحضارة الآشورية ونموها وتدرجها في هذا النمو ثم تدهورها وانحلالها وانهارها الاخير . ورأينا كذلك ان من حملة الاقوام التي كانت تعيش في تحومها وتحتين فرصة ضعفها للانتقاض عليها الماديون الفرس الى الشرق وإلى الشمال الشرقي من موطن الدولة الآشورية وقد انحاز الى الماذهين في الانتقاض على الدولة الآشورية في ساعتها الاخير الكلدانيون وهم فرع من الآراميين استوطنوا العراق الجنوبي منذ المتصف الثاني من الالف الثاني ق . م وعرفوا بالكلدانيين . وقد رأينا كذلك فيما مر بنا سابقا كيف انهار كيان البابليين السياسي منذ أواخر الالف الثاني ق . م وصاروا مرة تحت النفوذ الآشوري ومرة تابعين الى الدولة الآشورية ولكن البابليين كانوا يثورون ويتحينون الفرص للحلص من تدخل الآشوريين . فحالت هذه الفرصة في أواخر أيام الدولة الآشورية . وكان يحكم في بابل في حدود ٦٢٦ باسم الدولة الآشورية على ما يبدو أمير كلداني هو «نوبولاسر» فرأى الفرصة سانحة للانسلاخ عن تبعية الآشوريين وحالف الماذهين وساهم في الحرب التي قوضت الدولة الآشورية واشترك في حصار بينوى وتخريبها . واستقل في بابل وكون له ملكا حديدا وبدأ كذلك عهدا حديدا في تاريخ العراق يعرف بالعهد البابلي الاخير أو الحديث . ولان نبوخذنصر كون امبراطورية ، عرف هذا العهد كذلك باسم الامبراطورية الكلدانية ، وسماه جامعو اثبات الملوك بسلالة بابل الحادية عشرة .

وتسمية هذا العهد بالعهد البابلي الاخير يعني كما هو الواقع انه كان آخر



عهود البابليين في العراق وانه يمثل آخر دولة في حضارات العراق القديم
اذ أعقب ذلك عهود احنية صار فيه العراق ولاية تابعة مرة الى الفرس
الاحميس ومرة الى الاغريق السلوقيين وإلى الفرس الفرثيين ثم الى الفرس
الساسانيين الى العهد العربي الاسلامي وكان العهد البابلي الاخير على ما يبدو
مسحوة واسعاشة للحضارة البابلية وهي في طريقها الى الافول والزوال .
ولكنه كان امتعاشا قويا اذ انه مع قصر مدته يعد من العهود المجيدة لا في
تأريخ حضارات العراق القديم حسب بل في تأريخ الحضارات البشرية .

انقد دام هذا العهد ، كما قلنا سلفا ، زمنا قصيرا أقل من القرن الواحد
(٦٢٦-٥٣٨ ق = م) ولم يكن جميعه عهد قوة وازدهار وانما يقتصر دوره
المحدد على الحقبة التي حكم فيها أشهر ملوكه «نبوخذنصر» الثاني (٦٠٤-٥٦٢
ق = م) وقد بدأ «نبوبولاسر» مؤسس هذا العهد سلطته في بابل وفي المدن
المجاورة لها . وعندما سقطت نينوى في العام ٦١٢ ق = م تقاسم الامبراطورية
الآشورية الماديون والكلدانيون فصارت حصّة الكلدانيين المملكة البابلية من
وسط العراق حتى حوبه وقد انتهز هذا الملك وكذلك ابنه اشغال الماديين
في البلاد الآشورية التي صارت حصتهم فقاما بالغزو والتوسع الى الغرب
فنشأ في زمن قصير ما يعرف بالامبراطورية البابلية الاخرة .

وقد انتهزت مصر هجمات الماديين على الامبراطورية الآشورية وأخذت
تستولي على الاقاليم التابعة لها ولا سيما البلاد الشامية فقد أرسل الملك
المصري في العام ٦٢٢ ق = م جيشا مصريا ليحصل على حصته من الغنائم وانه
لو لم يتوقف قائد المرعون «نيخو» في نهر الكلب مثل الكثيرين من الفاتحين
ليسجل مروره على حافة الصخور هناك^(١) لوصل ذلك الجيش في الوقت

(١) نذكر هذه النقوش الشهيرة بحسب تسلسلها التاريخي :- (١)
كتاب المرعون «رعسيس الثاني» (١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق = م) وهي مكونة من
ثلاثة نقوش مشوهة غير واضحة . (٢) ستة نقوش آشورية أوضحها نقش
«أسرحدون» (٦٧١ ق = م) . (٣) نقش نبوخذنصر الكلداني . (٤) آثار
نقش يوناني ممسوح . (٥) عدة نقوش رومانية للامبراطورية «كره كالا» =

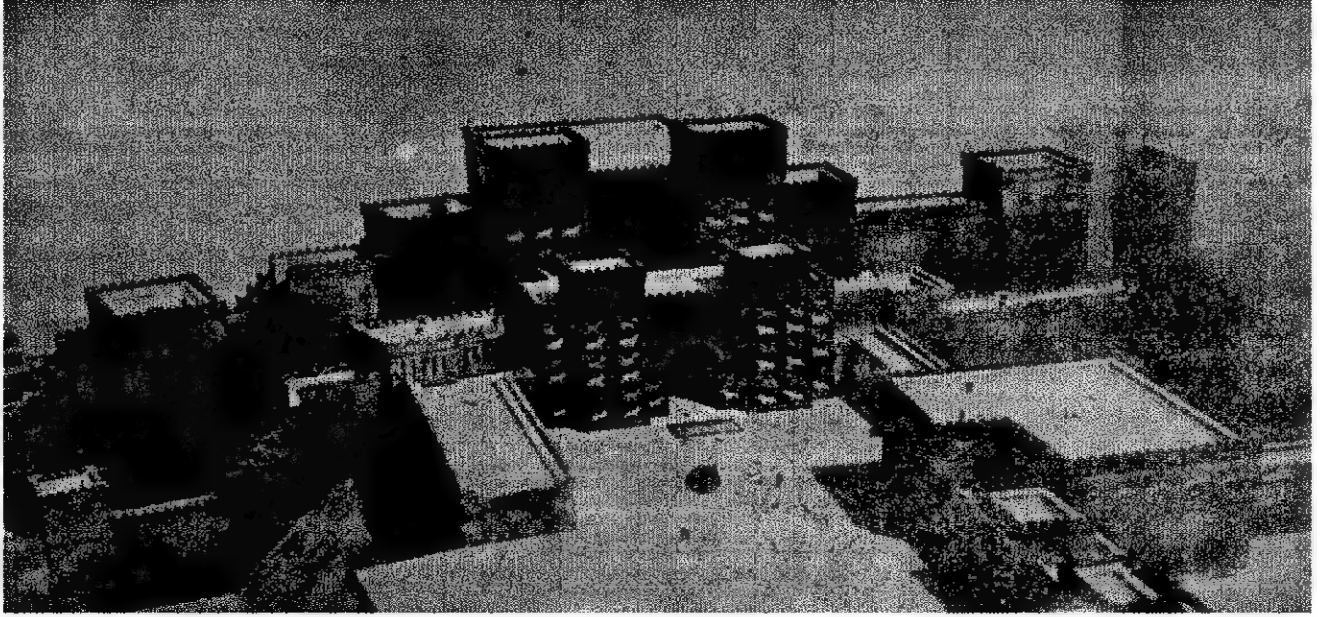
الناسب وعندما بدأ الجيش بالتوجه الى غرضه وجد المصريون انفسهم ينازعهم
عدو شديد المراس = وكان هذا العدو «نبوخذنصر» الثانى بن «نبوبولاسر»
ذلك انه بعدما اسولى الجيش المصرى على أجزاء من سورية وفلسطين
استأنف رحله الى الفرات الاعلى للاستيلاء على الطرف المهمة بين العراق
وسورية فلم يرق ذلك ادولة بابل الفتية لان ذلك يهدد مصالحها التجارية
فأرسل الملك «نبوبولاسر» حملة كبيرة بقيادة ابنه وولى عهده «نبوخذنصر»
فسار هذا سالكا طريق الفرات وصعد الى اعاليه مجها الى الجهة الشمالية
القريبة فالتقى بجموع المصريين فى «كركميش» فى حدود ٦٠٤ ق = م
فتشبث فيها معركة تمزقت بسببها جموع الملك «نبوخذنصر» شر ممزق وولت
الادبار ، فسار نبوخذنصر مكسحا سواحل سورية وفلسطين ولم يوقف الا
عند حدود مصر اذ جأته الاناء بموت أبيه وتوريثه عرش المملكة البابلية .

نبوخذنصر الثانى (٦٠٤ - ٥٦٢ ق م)

حكم نبوخذنصر الثانى ثلاثا واربعين سنة ، وهو عهد يمد بحق من
العهود المجيدة فى التاريخ الشرقى وفترة الانتعاش القوية التى عاشتها
الحصارة البابلية قبل ان يعنى عليها وتطمر علومها وامجادها فى الظل
واثراب . ومما يماز به هذا الملك انه على الرغم من كثرة الحروب الموقفة
التي حاصها كان من اعظم الملوك المعمرين النائين ولعله كان أعظم ملوك العراق
القديم من هذه الناحية . ولذلك لم تسجل الكتابات والاحبار التى خلفها الا
النساء والتشييد والعمر فى بابل وفى جميع مدن العراق المهمة = ويرسا
الآحر المحتوم باسمه الذى يجده المنقبون منتشرا فى كل مكان من المملكة
البابلية انه حدد بناء المعابد والقصور فى كل مدينة ذات شأن فى البلاد .

= (Caracalla) (٦) نقش عربى غير معروف - (٧) أزال الفرنسيون احدى
الكتابات المصرية ونقشوا بدلا منها خبر احتلالهم لبنان (١٨٦٠ - ١٨٦٢) .
(٨) نقش الجنرال غورو وبقره نقش الجنرال «المبى» - (٩) نقش يسجل
تذكارات حيوش الحلفاء (١٩٤٢) . (١٠) نقش لبنانى تذكارا لخروج الجيوش
الفرنسية (١٩٤٦) (P Hitti, History of Syria)

ولكنه خصص جهوده فوق كل شيء لإعادة بناء العاصمة بابل وتوسيعها، وتجميلها، وهي المدينة التي قاست على أيدي الفاتحين المتتابعين . وكان آخرهم الملك الآشوري سنحاريب الذي أزالها من الوجود تقريبا كما مر ما ذلك، لذلك يصح ان نقول ان نبوخذنصر الثاني قد بناها من جديد وان ما وحده المقيون الامان في بابل وما يشاهده الزائر من اطلال في الوقت الحاضر اما هو من اعمال نبوخذنصر بالدرجة الاولى، أما المدينة القديمة فبعضها تحت التراب تحت مستوى مياه النهر لا سبل للتنقيب فيه وبعضها قد أزيل من الوحود بأعمال التخريب ولا سيما من زمن سنحاريب . ولقد استطاع نبوخذنصر باقباسه عن تراث الحضارة البابلية والآشورية ان يفوق أسلافه في تجميل الماني العظيمه التي شيدها فحدد في جنوبي بابل في منطقة المعابد الكبيرة معابد الآلهة البابلية التي قدسها سكان المراق الاقدمون أزمانا طويلة . ولكي يصل بين منطقة المعابد ومنطقة القصور شيد شارعا مهيبا لمواسم الاعياد الدينية يمر في مدخل صحم مهيب يدعى باب «عشتار» لانه حصص الى هذه الالهة . ويقع وراء هذا الباب قصر نبوخذنصر الفخم ودواوين الحكومة ويعلو الجميع المعد الشاهق أي «رقورة» معبد «مردوخ» وقد خصص جزءا من قصره لزراع الاشجار المخضرة النظرة طبقة فوق طبقة مكونة جنة ناسقة تطل على باب عشتار فتزيده بهاء ورونقا . وكانت هذه الحدائق التي غرسها على السطوح في قصر الملك هي الجنائن المعلقة التي عدها الاغريق من بين عجائب الدنيا السبع . وهنا تحت ظلال النخيل والاوراد كان الملك العظيم يجتمع في راحة وسرور واهرين مع نساء قصره . مطلا على ابهاء مدينته واسان حاله يقول (كما جاء في التوراة) «أليست هذه بابل العظيمة التي بيتها لبيت الملك باقتداري ولجلال مجدي ؟» وقد أصبحت بابل في عهده أعظم مدينة في العالم آنذاك اذ وسعها كثيرا وصار محيطها زهاء الـ ١٨ كيلو مترا وقد دهش مؤرخ الاغريق هيرودوتس بسعتها وضخامة أسوارها فبالغ في سعتها أربع مرات، وقد بنى الملك أسوارها الداخلية والخارجية . ولم يكتف بذلك بل انه بنى لها خطين من الدفاع الخارجي.



نموذج مصغر لباب عشتار الشهير في بابل كما يجب ان يكون عليه في
الاصل من زمن الملك نبوخذ نصر الثاني

أولهما يدعى بالجدار الماذى ، ويعد من اعظم واعجب الاسوار المحصنة في
تأريخ البشر فانه يمر بوجه التقريب من الشمال الى الجنوب قاطعا بالضغط
ارض ما بين النهرين من بلد الحديثة على دجلة الى مدينة «سار» التي كانت
آنذاك على الفرات قرب المحمودية والآن قرب قنال اللطيفية . والخط
الثاني يمر بوجه التقريب من خان الناصرية على الفرات حتى كيش على
الفرات (فرع النيل) . وبنى للمدينة سورين سور خارجي وسور داخلي
تخللهما أبراج ضخمة للدفاع وهما من أضخم الاعمال النائية وقد وصفت
في الكتابات التي جاءت إلينا من الملك نفسه ومن روايات الاغريق وكذلك
اوضحتها نتائج التنقيبات وكلها تشير الى الجهود الجبارة التي بذلها هذا الملك
المعجب في مشاريعه العمرانية^(١) .

(١) يتألف السور الخارجى من ثلاثة جدران ضخمة : أولها جدار من
اللين ثخنه ٧ أمتار ويليه بمسافة ١٢ مترا جدار ثانى بالآخر ثخنه
حوالى ٨ أمتار ثم جدار ثالث من الآخر ثخنه ٣ر٥ مترا . ويتخلل الجدار
الاول بين كل ٥٢ مترا أبراج شاهقة للدفاع . ويتألف السور الداخلى من
جدارين ضخمين يؤلفان الاستحكامات الداخلية .

علاقة نبوخذنصر باليهود (مملكة يهودا)

ومع كل هذه الاعمال السلمية الاشائية في داخل المملكة ، لم يعوز نبوخذنصر المدره العسكرية ففضل حملاته الحربية يوم كان وليا للعهد في عهد ١٠٠٠هـ وكذلك في عهده اعرفت الديار الشاميه معظمها بالسياده البابليه وأدت الحربه الى بابل واسمر الحال كذلك ولكن مملكة يهوذا الصغيره رفضت تأدية الحربه بعد زمن قصير سبب تحريض الملوك المصريين على ما يدو . ولم تكف بذلك بل ثارت على السياده البابليه غير آبهه لصائح السى «ارما» وتحذره ملكها «يهوياهو» بوخامة العقابه ، فجرد «نبوخذنصر» حملة تأديسه ثم هو المملكة الصغيره على مقاومتها فسقطت العاصمه «اورشليم» (القدس) في عام ٥٩٦ ق . م . وأخذ عوه ونقل قسم من سكانها اسرى ، سعه آلاف رجل مسلح وائف عامل مكلين ،الحديد ومعهم الملك «يهوياهو» نفسه فكان هذا السى البابلى الاول . وكأما كل ذلك لم يؤدب المملكة المنصره . حيث اصمت بعد بصع سين الى حملة المدن السى تارت على بابل .بحريص مصر السى حاول اسرحاع مكائها فى سوربه وفلسطين فحرصت كثيرا من المدن على انثوره . من بينها صور وصيدا . واشركت يهودا فى العصيان ايضا . وكادت النوره تنجح لولا ان نبوخذنصر قد عاجل النائثرين بحمله كبيره حاء بها الى سوربه الشماليه وعسكر فى مدسه «ربلا» على نهر العاصى واتبعها قاعده الحركاه العسكريه ، فأرسل أولا فوه لحصار عاصمه يهودا «اورشليم» فى العام ٥٨٧ ق . م . وعنا حاول الفرعون «امرنز» ملك مصر «الفصه المرضوصه» فى عهد سحارب حده الملك «صدفها» فسقط المدسه فى النسبه البابليه (٥٨٦ ق . م .) وكان غضب الملك البابلى فى هذه الزه عظيمًا . فدمر المدسه وحرى هكل سليمان وسلب خرائن المدسه ونقلها الى بابل ونقل من سكانها حلقا عظيمًا ، واخذ من اليهود ١٠٠٠٠ أسير (از عين اسير) «لسوحوا عند مياه العراب فى بابل» كما حاء فى التوراة . وكان هذا هو الاسر البابلى الثانى وقص على الملك اليهودى صديها واخذ الى معسكر الملك فى «ربلا» فذبح أولاده أمام عسه ، ثم فقت عناه وهو حى



نموذج من الاسود المعمولة من الآجر المرين بالمينا مما كان
يزين باب عشتار

واخذ مكلا مع الاسرى الى بابل . وقد حدث تطور مهم في الديانة العبرانية
في بابل حتى انه لقال ان اليهودية و تطور فكرة الوحدانية وتساميتها الروحي
كل ذلك، لم يمثل الا في اثناء الاسر البابلي . ومن ذلك ان التلمود نشأ عند اليهود
وهم في بلاد بابل (١) .

وبعد ذلك وحده الملك عامه الحرية الى المدن الفينيقية التي شقت
عصا الطاعة أيضا وحرخت مملكه يهودا على الثورة فاستطاع ان يخضع
المدن الفينيقية الا مدنة صور التي ك - دائمة على حزيمة منيعة الحساب
لا يمكن الوصول اليها بالسفح فحصرها سوخذصر زما طويلا قيل انه دام
ثلاث عشرة سنة (٥٨٥ - ٥٧٣ و . . .) ولا علم بوجه التأكيد هل فتحت
عوة ولكن الظواهر تشير الى ان صلحا قد تم بين الطرفين قبلت بموجه صور
بجديد ولائها لبابل ودفع الجزية . وهكذا تم توطيد الامراطورية البابلية
الاخيرة واصبحت حدودها تمتد من حاصح فارس حوبا حتى تخوم مصر .
ويرجح كثيرا ان سوخذصر اعمره في أواخر أيامه على غزو مصر . اذ انه
(١) انظر المحب الخاص بالعبرانيين في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

بعد حربه مع صور بسين قليلة نجده في حرب مع الفرعون المصرى «اماسس» ونحمل كثيرا ان الملك البابلى قد وفق فى حربه وانه وصل الى الدلاء وقد احبرنا المؤرخ اليهودى «يوسيفوس» ان نوخذنصر قد جعل مصر نابعة الى الامراطورية البابلية • ولكن اخبار الملك الرسمية غفل من هذه الحادثة • وقد ترك^{١٠} نوخذنصر طرفا من اخباره الحربية فى سورية معوشة على صخور نهر الكلب •

وكان نوخذنصر صديقا للماذيين طوال ايام حكمه والماذيون حلفاء المملكة القدماء وقد تزوج نفسه من ابنة الملك الماذى فى حياة ابيه • وقد اشرك فى ابان حكمه مع الماذيين فى حربهم مع الليديين الذين انشأوا مملكتهم فى آسة الصغرى فى القسم العربى منها •

خلفاء نيوخذنصر وسقوط بابل

بعد أن حكم «نوخذنصر» زهاء الثلاثة والاربعين عاما (٦٠٤ - ٥٦٢ و • م) خلفه على عرش بابل بضعة ملوك لم يكونوا بالخلفاء الجديرين بالمملكة الى أسسها نبوولاسر ووسعها ووطدها ابنه نيوخذنصر ، فكان حكمهم فى الواقع فترة قصيرة سفت انهيار المملكة السابلية • فأول هؤلاء الملوك ابنه المسمى «اميل - مردوخ» أو «اول - مردوخ» (٧ اكتوبر ٥٦٢ و • م) وكان هذا خلفا غير صالح عاش حياة تفسخ ، فلم يكد يمضى على حكمه ثلاث سنوات حتى تدخل الكهان فى شؤون الملك وعلوه غيلة ونصبوا مكانه أحد فواد «نوخذنصر» وصهره (زوج ابنته) المسمى «ترجال - شار - اوصر» (١٣ آب ٥٦٠ قى • م) أو «رجلسار» ولم بقم هذا بأعمال تسحق الذكر سوى بعض الاعمال النائية • وقد خلفه بعد موته ابنه الصغير «لباشى - مردوخ» (٢٢ أيار ٥٥٦ و • م) الذى لم يحكم سوى تسعة اشهر ، وعندئذ دخلت طلبة الكهنة فى شؤون المملكة للمرة الثانية فنحوه عن الحكم ونصبوا

مكانه ملكا منهم تهواه فلوبهم هو «نبونهد» انتقى الورع المولع بجمع الاخبار
 لتقديمه فاهم هذا بشؤون الدين ومصالح الكهنة وجمع الاخبار وترك أمور
 المملكة على العارب ، فلم يكن فى طاقته ادارة الامبراطورية الواسعة التى
 ورثها عن نبوخذنصر . ولعل الشئ الوحيد الذى يذكر عنه بخير انه اقضى
 آثار نبوخذنصر فى الساء فقام بجدد معن الابنة فى بابل وفى المدن
 الاخرى . وأولع فى الوقت نفسه فى حوادث الماضى (١) ودراسة التاريخ
 والتنقيب عن احجار الاسس المعوشة العائدة الى ساء المعابد من الملوك
 الاقدمين ، فوجد فى مدينة «سار» مثلا ، ما كان يجدد ماء معد الى الشمس
 «شمش» ، أخبار التأسيس الاصلية مطمورة فى أسس المعبد وهى تعود الى
 الملك الاكدي العظيم «رام - سين» الذى كان أول من شيد معبدا هنا قبل
 نحو الف سنة . فاحمل ما كشفه هذا احدها لا عظما .

ومن الامور المعيدة التى يحدر ذكرها عن احجار سقوط بابل والظروف
 التى سقطت فيها الامور الآتية :- ثم يكن سو بهد من السلالة الكلدانية ،
 تلك السلالة الغريبة عن البابليين ، ولعل الوطيين البابليين ساعدوه فى حلع
 الملك الصغير ، وقتله بثورة مدبرة فى القصر . وكان سو بهد ابن كاهن فى
 معبد الاله القمر فى حرا . (٢) حالف سو بهد الملك الفارسى «كورش»
 ضد الماذين فى ثورة الملك الفارسى عليهم ، وكان ملك الماذين «اسياجس» (Astyages)
 وقد ذكر لنا نبونهد ذلك فى كتابه حيث يحترق من الاله مردوخ طهر له فى

(١) لعل هذا الولع مطهر من مظاهر عباده «الماضى الذهبى» الذى نصح
 ن بمرنه بأرمان انحلال الحصاراب وابهارها .

(Olmstead, Hist. of the Pers. Empire I ff)

وهذه ايضا نظرية «نوينى» فى كتابه

(A study of History)

الحلم ، حيث أمره بحدود معد حران ، واما ان احبر بتسلط الماذيين على حران اجاز له الاله حريمهم (نعوله انهم سيسقطون) =

فقاد جيشا نفسه ضد الحامنة المادية في حران واسولى عليها فى الوقت الذى كان الملك المادى «اسباحس» (Astyages) مشغلا ثوره الفرس بقيادة كورش . ثم حدد معد حران الخاص بالاله «سين» =

(انظر الاسطوانة المكشعة فى بل ابو حه (سار) العمود ١ : ١-٣٠ والعمود ٢ : ١-٨ المبشورة فى

(S Smith, **Babylonian Historical Texts** (1924), PP 27 ff

وعد ان اخذ مو بهيد حران وحدد اسما عرا سورته وكان فى حماه فى كانون الثانى عام ٥٥٣ ق م وعرا حمال «امابوس» فى آب وقتل ملك



نمودج من الحيوانات المطلبه بالمبنا الى كانت تزين جدران باب
عششار فى بابل (والصور تمثل حيوانا اسطوريا يمثل
التنين المقدس الخاص باله بابل مردوخ)

«ادوم» في كانون الاول ، وقد وصل جيشه الى غره في حدود المملكة المصرية .

وبعد غزو كورش للامبراطورية الماذية « صار يدعى ايضا بحقهم في أملاكها في بلاد آشور وشمالي العراق وفي سورية وارمينية وكبدوكيه ، فكان ذلك يعارض مصالح الدولة البابلية الحديثة وايدانا بتقضى الحلف » حيث اخذ توارن القوى باسحوا كورش على الامبراطورية الماذية فكانت الحرب بين الدول القائمة آنذاك لا .. منها وهي : (١) مملكة كورش (٢) دوله بابل (٣) دولة ليدية (٤) دولة مصر .

وعندما كان الوضع الدولي على هذا الوجه ، كان سو بهيد يهود حشه تاركا «ادوم» ليفرو شمالي بلاد العرب ، فحارب «تيماء» ، الواحة الحملة وول ملكها وبنى فيها قصرا وسكن فيه . وتدل الوثائق من هذه النسخ على سير القوافل من الابل الى تيماء لسقل المؤن الى سو بهيد في تيماء . وفي ذلك الاثناء كان «بيل شاصر» ملكا على بابل بالنيابة عن ابيه . وتدل الواح النطق على ان سو بهيد كان في تيماء من سنة حكمه السابعة حتى سنة الحادية عشرة على أقل تقدير . ومما يقال في سياسة هذا الملك وانه اهتم بالطفوس الهندسة في اعياد رأس السنة البابلية وادأ اوصفا الى ذلك اهتمام الملك بمعد حرا ادركا سب غضب الكهنة السالميين ولا سيما كهنة مردوخ لما في سلوك الملك من حشائر مادية تلحق بهم .

وبعد اسهاء كورش من القصاص على «ساردبس» عاصمة مملكة ايدية رجع نو نهيد الى بابل في عام ٥٤٥ ق . م ، لعل ذلك كان بسبب تهديد كورش لسورية ولسماء .

ومما يقال في أحوال بلاد بابل في عهد الملك «بيل - شاصر» نفسخ الاداره ، تلك الادارة القوية الحازمة التي أسسها نبوخذنصر ، فساه الحكم

وعمت الرشوة وازداد الطلم على السواد الاعظم ولا سيما الفلاحين فبارت الحقول = حتى ان بلاد بابل قد هدمها الفحط والجوع فى عام ٥٤٦ •
(Dougherty, Records from Erech (1920) No. 154.

وقد نار حاكم سوسه «كوبرباس» التابع الى بابل وانحاز الى جانب الفرس وبعد قضاء كورش على ملكة لدية حارب فى شرقى ايران ثم هاجم بلاد بابل • وقد حدثت قبل ذلك حوادث كانت من اسباب انهيارالدولة البابلية الحديثة ، ومن ذلك قيام سو بهمد بجمع تماثيل الالهة البابلية المهمة ووضعها فى بابل لحمايتها •

وبعد سقوط اوبس ، سقطت سار فى ١١ تشرين الاول عام ٥٣٩
ف = م ودخل «كوبرباس» بابل فى ١٣ تشرين الثانى عام ٥٣٩ واخذ سو بهمد أسيرا = وقد دخل كورش بابل فى ٢٩ تشرين الاول وبدأ الأربعين الرسمى باسم الملك الجديد فى ٢٦ من تشرين الاول •

ومما يذكر عن اسلوب الدعاية الفارسية ان كورش ادعى بعد دخوله الى بابل انه جاء بصفه محررا للبابليين وسحده مخاطبهم بلغتهم : «انا كورش ، ملك العالم ، الملك العظيم ، الملك القوى ، ملك بابل = ملك سومر واكد ، ملك جهاب العالم الاربع ... سى الملوكه منذ القدم ، الذى يحب حكمه الاله بيل (مردوخ) والاله «سو» ، الذى سر فلسهما سلطانه» •

(انظر اسطوانة كورش الحفل الثانى ، ٢٠ فما بعد) •

وهو حازى الكهنة الذين خافوا سو نهيد = وارجعت الالهة الخاصة بالمعابد فى المدن المخلفة = واصدر كورش الاوامر فى اعادة تعمير المعابد المخلفة كما تدل على : انك أخام الآخر المكوب مثل آجر الوركاء : «كورش»

باني ايسا كلا ، وايزيدا ، بن قمير ، الملك العظيم ، انا ، وهكذا يستعمل نفس التعابير الدينية المستعملة في - - - - - منصر العظيم .

أما بالنسبة الى اليهود فقد رحبوا هم واسياؤهم بعهد كورش وعدوه
«المسيح المسطر» الذى سعيد مملكة صهيون (انظر اشعيا ٤٤) والمهم
بهذا الصدد ان الذين رحبوا من اليهود لم يكونوا بأعداد
كبيرة ، وعلى كل حال فان اليهود الذين عادوا الى فلسطين أخذوا معهم
الاماث والادوات الخاصة بالهيكل ، مما سله سوحذصر وقد احدث هذه
الاشياء من معد نال (اساكلا ؟) وسلمت الى حاكم يهودا الجديد الذى
ورد اسمه بصيغه «شيشبزر» (Sheshbazzar) وهذا اسم نال اعلمه محرف
ش . شمشى - ايل - اوصر . Shamsh-apal-usur ، ولكن مع
ذلك فربح ان يكون من اليهود النازحين ، وبدأ هذا فى تأسيس الهيكل .

(الطريق سمر عر د ا ٦ : ٣ - ١ : ٥ : ٨)

وعندما كان «الملك بو بهيد» مشغولا بحوثه الأرضية افلتت شمس
الحضارة النابله . وكان لاشعاعه بهوياته قد اودع الى ابيه «بلساخر»
ادارة المملكة . وكان هذا هو الذي رأى «الكتابة على الحائط» بحسب
النورانية^(١) .

خاضت مصر القاصصة على المملكة الالهة الاحير. من قوم حدد هم
الفرس الاحمسون الذين طهروا في عيلام في خلال ضعف الاممراطورية

(١) جاء في التوراه (دانيال ١٠٥ - ٩) انه عندما كان الملك بلساصر في ولده حمر في قصره اد وطهرت أصابع يد انسان وكسب باراء السمراس على مكلس حائط قصر الملك والملك سطر الى طرف اليد الكاهنه فجات الملك ولما لم يستطع احد من كهسه ومنجمه أن يفسر الكتابه التي رصها «ماما» فصل و«فرسين» احصر اليه دانيال الذي فسرهما على الوجه الآتي «وما - أحصى الله ملكوتك وانها» وتقبل «وريت بالمواريث فوجدت نافصا و«فرسين» فسميت مملكك وأعطيت لمادى وفارس» وما يجدر ملاحظته ان دانيال قد عاين في بابل من السبي اليهودي في هذا الزمن وانه نال حظوة في البلاط البابلي .

البابلية وكانوا في أول أمرهم تابعين الى الملوك الماديين . وقد ثار احد رعمائهم المسمى كورش على سيده المادى «اساكس» وخلمه ونصب نفسه ملكا على جميع الفرس . وبعد ذلك هجم على المملكة الليدية وانتصر على ملكها قارون في عام ٥٤٦ ق . م . ثم وحه جهوده الى المملكة البابلية انى كان احصاءها وصم أقاليمها الفنه الى مملكه أولى أهدافه ، فتم له ذلك في العام ٥٣٨ أو ٥٣٩ ق . م . بدون مقاومة تذكر^(١) كما لحصنا لك من قبل . وليس لدينا ما يذكره من أخار سقوط بابل سوى روايات من مؤرخى الأعربى الأوائل وبخاصه هيرودونس وزنفون . فقد مر كورش في اثناء رحفه على ابل بفر دالى (الذى سماه هيرودونس بالجندز) فحدث له حادثة طرقة رواها هيردوس كما نأتى «عندما وصل كورش هذا المجرى الذى لا يمكن عبوره الا بالصوارب خاص أحد أفراسه البيض المقدسة التى رافقت رحفه فى الماء وكان هذا الفرس جموعا حاول أن يعبر النهر بنفسه ، الا ان السار حرقه فأغرقه فى أعماق النهر . فأعاص كورش ذلك واقسم على تأديب النهر حتى يصح فى حاله عبوره حتى الساء لذلك أحل هجومه على بابل وبعد ان قسم جيشه قسمين علم بالاحمال مائه وثمانين جندها على كل جانب من نهر «الجندز» فمرع منه الى كل الجهات واقام قسما من جيشه فى جانب من النهر وانقسم الثانى فى الجانب الاخر لحر لحر الحادق وبحول ميساء النهر إليها . وقد اسحر ما هدد به بمعونة الايدى الكثيره . ولكنه حصر فصل انصرف بكامله» .

وبعد ان سب كورش مياه «الجندز» (ديالى) رحف على بابل والنمى بحوس نو يهد فى مدينه «أوس» وكاب الحيوش على ما يرجح بفسادة امه «بلشاصر» فشبت معركة قرب الموضع الذى صار فيما بعد يعرف بموقع «سلوبه - طسمون» فاندحر الجيش البابلى واستحب الى بابل وتحصن فى

(١) حول أخبار سقوط بابل وحاله العراق الاقتصادية والاجتماعية فى العهد البابلي الاخر وفى العهد الاخمينى أنظر
(Olmstead, *Hist. of the Pers. Empire* (1946)

داخلها • اما عن سقوط المدينة الذي اعقب ذلك فتوجد روايات مختلفة
فبحرنا كورش نفسه في احدى كتاباته «ان الاله البابلي مردوخ هو الذي جذب
الحملة في جميع مراحلها وانه امره أن يذهب بنفسه الى مدينة بابل وسيره
في الطريق اليها ماشيا معه كالصديق ، وانه اذن له ان يدخل مدينته بابل
بدون كفاح او برال • • فقطأت له رؤوس جميع سكان بابل وكل سومر
واكد وعظماء انعم وحكام المدن • وقبلوا قدميه مبتهجين بسلطانه وبشت له
وحوهم • ومهما كان الحال قدو ان المدينة لم تد مقاومة عيفة وان كورش
بعد حصار لم يدم ربما طويلا استطاع ان يفتحها •

وهكذا سقطت عاصمة العراق المعظمه الثانيه من بعد «آشور» وكان
ذلك رمز بهايه الحصاره النابله والمجد البابلي • وقد أحد الاسكندر على
نفسه احنا اندسه مدفوعا باحرام ماضيها ، الا ان حلفاء اسوا لهم عواصم
حدده على سواضيه دخله والعاصي ، فانهارت بعد زمن قصير مصابد بابل
وقصورها وآل الى الحرائب المحترقة انى شاهدها اليوم • واصبح العراق
لأول مره في تاريخه ولاية تابعة الى دولة احييه • واد كيا سفرد «صولا
خاصة الى هذه اليهود فاما نذكرها اسماء هذه العهود ودوامها وتسلسلها
الرمي فأول هذه اليهود حكم الاحميسيين (٥٣٨ - ٣٣٠ ق م) وقد رأينا
فيما سبق كيف ان ملكهم كورش قد أحد بابل وأزال آخر سلالة بابلية •
وقد اتحد الفرس بابل عاصمتهم الشسوية • وقد حاول كورش وحلفاؤه انهاء
مآثر الملاد وصاروا يلغون اسمهم «ملك نابل» • وقد دام العهد الفارسي
الاخمسى الى فتح الاسكندر للعراق في العام ٣٣١ ق م • في عهد آخر ملوك
الفرس وهو «دارا» الثالث • وقد ارأى الاسكندر آراء حسنة في مشاركته
مها فكره توحيد العرب والشرق وقد سمم على ان يحصل بابل مركز
امراطوريه وحملها مركزا بحريا يربطها بطرق تجارية بالهند وبمصر حتى
انه شرع في بناء ميناء في بابل واخذ على نفسه تعمير معابدها ومن ذلك

برجها المدرج • وفيما كان في بابل أخذ يعد العدة لتجهيز حملة على جريرة العرب ولكن مرض ومات بالحمى في عام ٣٢٣ ق • م • وحلعه في حكم العراق وسوريه احد فواده المسمى سلوقس وعرف هذا العهد في العراق بالعهد السلوقي ، كما خلعه في مصر البطالسة • وقد نجب فوح الاسكندر للشرق البقاء الحضارة النوبانية بالحضارة الشرقية ومنها حضارة وادي النيل ووادي الرافدين ونج عن ذلك ثقافة جديدة عرفت باسم الحضارة «الهلنسية» وقد شملت ثلاثة قرون من بعد الاسكندر • ودام العهد السلوقي في العراق اكثر من قرون ونصف القرن (٣١٢ - ١٣٥ ق • م •) وقد شيد مؤسس السلالة عاصمة جديده له في العراق عرفت باسمه وهي «سلوقية» على دجلة ، وعرف حرائنها الآن ببل عمر على دجلة مقابل طيسفون (طاق كسرى) • فكان دلك صربه فاصه على بابل حيث حجرها الناس واخذ بعلمها الخراب منذ ذلك الحين •

وقد انتهى العهد السلوقي في العراق على أيدي قوم اصلهم من الفرس عرفوا بالفرثيين الذين ظهروا في اقليم خراسان • وقد بقي الفرثيون في العراق الى ان حل محلهم قوم آخرون من الفرس في عام ٢٢٦ للميلاد وهم الفرس الساسانيون وقد امتاز العهدان الفارسيان ، أي العهد الفرثي والساساني بكثره الحروب بين هؤلاء الفرس والرومان وكان العراق مسرحا لكثير من هذه الحروب ، وذلك للاستلاء على الشرق • ونقل الفرس الفرثيون عاصمة البلاد من سلوقية وابتنوا لهم عاصمه جديده هي «طيفسون» ، مقابل سلوقية على دجلة ايضا ، واتسع في زمن الفرس الساسانيين وصارت عاصمة معظمة وطلب عاصمة المملكة حتى فتحها العرب المسلمون في فنوح العراق ، وبوسعا أن نجعل نهاية العهد الفارسي الساساني في موقعة القادسية ٦٣٧ للميلاد • وسيمر بكم الكلام على هذه العهود في القسم الثاني من الكتاب •

القسم الثاني من الجزء الاول

بعض الاوجه المختلفة

من

مضارة وادى الرافدين

الفصل الثاني عشر الديانة

١ - المعتقدات والخصائص العامة

بعد أن وقفنا على المهود المختلفة من تأريخ وادى الرافدين واسعرضنا نشوء الحضارة فيه وأطوار نموها ونضجها وبهايتها نبدأ بدرس مقومات تلك الحضارة وبعض عناصرها المهمة ونبدأ ببحث الديانة لتأثير الدين في جميع نواحي تلك الحضارة . إذ كان للدين عند العراقيين الاقدمين ، السومريين منهم والبابليين والآشوريين ، المكان الاول في حياتهم العامة والخاصة فالدين التالي من هذه الناحية حير مثال ينسحب لدرس تأثير الدنابات في حياة الجماعات والافراد . والواقع ان تأريخ العراق المدمم وتأريخ حضاراته سبذر فهمهما ما لم يمهّد لدرسها بفهم ديانة القوم وعقائدهم . ونحن لو حللنا مفهوم الدين بحيث يكون شاملا يصدق على جميع أشكال الاديان لوجدناه يدور على ركبتين أساسيتين هما أولا اعقاد بوجود كائن أو كواش أو قوى فوق البشر والطبيعة وثانيا الاعقاد بانه من الممكن للشر ومن الواجب عليهم أن يكون لهم علاقات بملك الكواش والقوى . وعلى ضوء هذا التعريف بوسعنا ان نقسم مبحث الديانة الى المواضيع الآتية : ١ - عبادات • ٢ - عادات • ٣ - نظم وفواعل للسلوك والاخلاق • • - منظمات ومؤسسات دينية •

ومما يقال في تأريخ الديانة ان معرفتها بالطم الدينية والمعتقدات التي نشأت في العراق القدم لا تعدى العصور التاريخية التي نجد فيها منذ أقدم عهودها نظاما دينا ناصحا . أما بداية هذا النظام وأطواره البدائية التي مر فيها قبل ان يطور فصيح في الحال التي نعرفه فيها في العصور التاريخية فلا سبيل لنا لمعرفة معرفة تاريخية أكيدة لمرور حقب طويلة مجهولة على تلك البداية في عصور ما قبل التاريخ الطويلة . فلا نستطيع ان نجزم مثلا

فى هل بى الـدى القديم على السحر أو هل كان أصله فى الاعتقاد بوجود روح أو قوى فى جميع الأشياء والطواهر الطبيعية وهو ما يعرف بمبدأ الحيونة^(١) ومهما كان الحال فاما نجد ان اندمانات الى شأب فى وادى الرافـدى قد ابتعدت عن اصناف اندمانات الدائبه الى عليها بعض الشعوب الهمجه فى الوقت الحاضر مثل الضوطمة^(٢) و «انيميسة»^(٣) وممسا يرد فى شعوبه الباحث ان احساسا وأفواجا محجمة ، كالسومرين والساميين قد ساهموا فى شوء الحضارة بوجه عام والاندمانات بوجه خاص فى العراق . ولا يستطيع ان يخصص بالنسبة للأساء الى ادخلها فى الدائمه كل من هذه الافواجا .

وود سقى ان ذكرنا فى كلامنا على العصر الحجرى المأخر احتمال ان اول دنايه واصحة نلاسان قد ظهرت فى ذلك العصر وان اول معبود تصورته المجتمعات مما له علاقة برزاعه الاسان الى علمها فى ذلك العصر ، كان على هيئة الهة عامه تمثل الارض والخصب والقوى المولده فى الطبيعة ، ثم اخذ البشر يرون فى قوى الطبيعة الاخرى كقوائى عاونه جسموها بهيئة آلهه . وقد كان هذا هو الحال فى الدنايه فى حصاره وادى الرافـدى حيث اسحب القوم أهم الطواهر الطبعية الى كان لها أثر قوى فى كونهم وحياتهم وجسموها من بعدئذ أى شخصوها على هيئة آلهه . وكانت صفة الطواهر الطبيعية بارزـه فى آلهه حصاره وادى الرافـدى حتى بعد ان تطورت وابتعدت عن أضوار شؤنها الأولى . كما ان خصائصها عكس لنا مراب شئـه وادى الرافـدى الطبيعة ولا سيما ناحية العنف والقلب ، ثم ان بصورات القوم عن آلهتهم تعكس لنا الكبر عن أحوال العراق الاجتماعيه منذ اقدم العهود حيث انهم شخصوا آلهتهم الى كانت بالاصل قوى طبعية وسوا اليها أحوال البشر .

(١) Animism (٢) Totemism والكلمه أصلها من احدى

لغات الهود الحمر فى أمريكا . ومعناها الاصطلاحى حيوان أو نبات يعتقد فيه أنه ذو صلة بالعيله وقد بعد أصلها من حرم أكله والله يسمى تلك العيله ويمر عن غيرها ويسمى عنه بظم اجتماعيه معقد .

(٣) Fetishism

ولوضيح كون اصل الالهة من الظواهر الطبيعية نذكر اهم القوى التي اتحدت آلهة . فمثلا كانت السماء بوجه عام على رأس الظواهر الطبيعية ، فالسما والارض عندهم يؤلفان الكون (كما تشير الى ذلك اسم الكون بالسومرية «آن - كى» فكان الاله «آنو» الممثل للسماء على رأس الالهة البابلية . ويمثل «آنو» اصل السلطة فى الكون وتأبى بعده فى الدرجة الاله الذى يمثل انجو والهواء ، وهو «البلل» . ويمثل هذا القوة ، وادا كانت السماء اصل السلطة فان الجو والهواء القوة المعنوية . وبعد ذلك يأتى العصر الثالث المرنى ، وهو الارض وما فيها من قوى مولده ، فحسنت بهيئة الالهة سميت بأسماء كثيرة لا تحصى على ما سسن فيما بعد . والارض عدا انها مصدر الحصب والامات وانها مصدر الماء ، فكان الماء عنصرا مهما من قوى الطبيعة التي حسنت على هيئة آلهة ، وقد دعى «انكى» (اى سيد الارض) ، أى انه العصر المذكور فى قوى الارض المولدة ، ووصف انكى بالحكمة والدهاء وقوة الخلق ، مما هى صفات الماء التي يشعر بها من يمارس شؤون الارواء مثل سكان العراق القدماء .

وأول ما نذكره عن الديانة فى حصارات وادى الرافدين وفرة المصادر الاصلية التي حاءتنا عنها وتنوعها مما سج عن السجلات والحوث الآثارية الكثيرة ، ولا تقصر مصادرنا عن الدانة على الكتابات والآداب الدينية بل تشمل كذلك فنون العمارة الدينية كالمعابد ، وفنون الحب المحصنة للاعراض الدسة لماسل الآلهة والكهنة والمشاهد الدنة المحوتة كمشاهد الصلوات وتقدم الفراعين وكذلك الآلات والادوات الخاصة بالديانة مما لا حصر لها ، والاحياء الاسطوانية التي تمثل كثيرا من المشاهد الدينية وصور الآلهة والاساطير المتعلقة بها . أما الكتابات الدينية فهي وافرة متنوعة ايضا نذكر منها الاصناف الآتية على سبل المثال :- (١) الاساطير والقصص ، وقد كانت بعض الاساطير داب علامه ونهى واقامة الشعائر والرسوم الدينية وبعضها أساطير وقصص أدنية دسه صرفة مثل اسطورة الخليفة وفصة جلجامش ،

واساطير كثيرة حول اصل الاشياء والوجود والآلهة مما سنذكره فى مبحث الآداب = (٢) مجاميع من الارشادات فى كيفية اقامة الشعائر الدينية المختلفة، كالصلوات ، وكيفية بناء المعابد وتطهيرها وما يجب ان يقام من الشعائر فى حالات بعض الظواهر الطبيعية كالجسوف والكسوف الخ والى ذلك فوجد مجموعات من الصلوات والتراتيل الدينية المخصصة الى الآلهة المختلفة = (٣) التعاويذ والرقى ، مما يدخل فى باب النصوص السحرية .

(٤) نصوص الفأل والتسؤ وطرق الكهان والعرافة = (٥) نصوص خاصة بالسحيم ، أى رصد الكواكب والاحرام السماوية لمعرفة اثرها فى شؤور الناس = (٦) وهناك مؤلفات عن الآلهة جاءت على هيئة اثبات بالآلهة وعلاقتها بعضها ببعض . (٧) الوثائق الادارية الخاصة بالمعابد واملاكها وموظفيها وطبقات كهنها والى هذه الكتابات الدينية الصرفة فهناك المنصادر الكتابية الاخرى التى نعتنا بصور غير مباشرة على فهم النواحي الدينية ، كالشرائع والرسائل واسماء الاشخاص والعقود وغير ذلك من الكتابات^(١) .

ومن النصف السارر فى دماغ ودى ارافدس صفه الاسمرار الأريخى ، فانه عندما بلغت طور الصبح فى العصور الأريخيه فى الألف الثالث و . . لم يطرأ عليها من حيث اسمها واصولها تعير كبير فى جميع العصور الأريخيه الطويلة التى مر بها العراق القديم حتى زوال البابليين السياسى فالآلهة التى قدسها سكان العراق فى العصور الأريخيه المتأخره هى نوحه القريب الآلهة القديمة نفسها التى قدسوها فى الادوار المتدنيه وكذلك يقال فى الطقوس والشعائر والرايل الدينية الاساسية . أما النيران التى نحدثها فى علاقة الآلهة بعضها ببعض . اد كانت تلك العلاقات وكذلك مكانة الآلهة واهميتها تغير تبعاً للتبدلات السياسية .

فعندما تبلغ مدينة قوة سياسية وتبسط سلطانها على المدن الاخرى يعظم عند

ذلك شأن الهما فبعد الكهنة على تحويل علاقة هذا الاله بغيره من الآلهة . وهذا ما حدث عندما عظم شأن بابل في زمن سلالة حمورابي فارتفع شأن الهما مردوخ وصار سيد الآلهة ، وكثيرا ما بعد الكهنة الى تحويل المعصيات الدنية لسبق مع العير الحاصل في مكة الآلهة = كما ان المدن المخلصة قد سرود بحاده اله أو جملة آلهة حيث تخصها بالعظيم ، ولكنها لا ترك قدس الآلهة الأخرى أو على الأقل لا مكر وجودها . وهذا ما يعرف مبدأ المبريد (henotheism) أي خص اله أو جملة آلهة بالعظيم والعبادة دون ترك الآلهة الأخرى .

الشرك والتشبيه

ونطى على الدين البالي مدأ الشرك أي تعدد الآلهة^(١) وقد بلغ عدد الآلهة ملغا بحيث تملأ معجما كبيرا^(٢) ، ووضع البابليون أنفسهم 'ساتا (جداول) بأسماء آلهتهم الكبر ، وصوب الى محامع وذكر علاقاتها بعضها بعض . وقد قسموا الكون الى مناطق يحكم في كل منها اله أو مجموعة من الآلهة . وكذلك حصصوا لشؤون الحياة المخلصة ولظواهر الطبيعة آلهة يدها نظامها واسماها ، ولم يصل البابليون في كل ما عرفه من أطوار تاريخهم الى طور الوحيد = واما ، كما ذكرنا ، قد يفردون بعض الآلهة وعضلوها على الآلهة الأخرى .

ومن الخصائص البارزة في الدين السابلي طعيان صفة التشبه على الآلهة البابلة ، ويقصد بالتشبيه^(٣) ان البابليين سسبوا الى آلهتهم صفات البشر الروحية والمادة كالصورة والاعضاء والعكر والرأي والعواطف كما عند الاسان ، فقد تصور البابليون آلهتهم على صورتهم وشبههم = ومن مظاهر

(١) Polytheism

(٢) أنظر أشهر المعاجم المؤلفة حديثا بهذا الخصوص .
(Tallqvist, **Akkadische Götterepitheta** 1938).

(٣) أو مذهب التشبيهة (Anthropomorphism)

التشبيه انهم نسبوا الى الآلهة حتى الاوضاع السياسية الى كانت فى بلاد الرافدين منذ فجر التاريخ مثل عروهم الى الآلهة مجالس الشورى المقدسة حيث تجتمع الآلهة فيها وتقرر شؤون الكون بالداولة والشورى على غرار ما ذكرناه من الديمقراطية الدائمة فى العصر الذى سميء بالعصر الشبيه بالكتابى وفى مفتح عصور فجر السلال ، وكان لكل اله حاشية كثيرة وزوجة وسرارى واولاد وهى تعيش وتاكل وتسكن فى المعابد التى شدها لها البشر ومع ذلك فقد مروا الآلهة عن البشر بصفة فارقة وهى الخلود ، وهى لا تموت بعكس الاسان الذى قرر به الموت منذ ان خلقه الآلهة حيث «استأثرت نفسها بالخلود» كما جاء فى قصه حلهامش . وادا كان بعض الآلهة يموت «كما ذلك لآمد محدود» وان رجوع الاله الذى يموت وقيامته من عالم الاموات الى عالم الاحياء أمر ممكن . كما هو الحال فى الاله «تموز» الذى يمثل حبة الربيع والحصاد والربيع . ومساكن الآلهة فى السماء وادا شاء ان يزل الى الارض فانها تعيش فى بيوت ضخمه هى المعابد التى يشيدها لها الاسان وكاتب المعابد احسن العمارات فى المدينة واصمها . ويبد الآلهة مصير البشر والكون . وتدير شؤون العالم وتقدر أقداره . وقد مثلوا آلهتهم بصور آدمية تختلف قليلا عن البشر العاديين كالمبالغه فى سعة اعيهم وآدابهم الخ أو وجود ارج عور ، وقد منلت الآلهة البابلية وهى تلبس تيجانا ذات قرون وهذه سمة الآلهة المميره فى الاصنام التى تمثلها منذ اقدم العهود . ومما يحدر التويه به بهذا الصدد العرى البارز بين نمثل قدماء المصريين لآلهتهم وبين تمثيل سكان وادى الرافدين الذى اسلفنا ذكره ، فجد الآلهة المصرية كثيرا ما يمثل بهته كائنات مركبة . مثلا من جسم انسان ورأس حيوان ، فالاله «حوم» بهته كش . و «هورس» بهته صقر و «ابويس» ان آوى و «سوسك» التمساح و «هاتور» البقرة . وقد يكون لبعض الآلهة البابلية حيوانات معنسه خاصة بها ، ولكن الآلهة لا تمثل بصورها على غرار الطريقة المصرية ، وانما تكون رمزا لها . كما

ان الآلهة البابلية قد شبه في بعض صفاتها بالحيوانات كأن يقال للاله العلابي فوه انور أو انه عجل الاله النلاي وللآلهة الفلانية خصب البقرة =

ولما كانت الآلهة تسبب بصفات السر المادنة والروحية وتحتاج الى جميع ما يحتاج اليه البشر من طعام ومسكن وعناية بحم على الناس . لعناية بعاده الآلهة أى العمل لها وقامه سوبها (أى معابدها) وعديم القرابين والمناسك وعديم الماتل الى غير ذلك من اشكال العاده . وقد جاء فى اسطورة الحليمة البابلية ان الآلهة «خلف الاسان لعهدها» = وادا قصر البشر فى واجتهم تجاه الآلهة فانهم يحارون بعقاب شديد فى هذه الحياه حيث يكون العقاب والنواب = ومن مظاهر عمل الدين فى حياه البابليين ان لكل فرد منهم الها خاصا هو الهه الحامى الشصيع عدا يعلفه بالآلهة الاخرى . وكان الملوك والامراء كل منهم يسبب الى اله أو :ليه وهـ . تكون هذه العلاقة عن طريق النسب أى بنى الآلهة الملوك اساءلها، وقد بلغ الملوك العظام مرتبه القديس والتأليه ولكنهم لم يصروا آلهة على عرار فراعه مصر . وعطب على أسماء الهوم دخول اسماء الآلهة فى تركبها، وهى دابـ معان بدل على «على الفرد بالآلهة، مثل «ابلى - دورى» (أى الهى حصى) و «الما - ابنى» أى الهى ابى و «ايليشو - ابو شو» أى الهه ابوه و «مايوم - الو - ايلشو» أى من نكن بلا الهه = واسماء ملوك مثل «رام - سن» أى محبوب (الاله) سن ، و «أدد - برارى» أى الاله (أدد) مساعدى و «مو - كدورى - أوصر» (سوخذهصر) أى الهه «نبو» يحمى الحدود = الى غير ذلك من اسماء الاعلام الكثيرة = وكانت أولى الواجبات الدسه عند البابليين الخوف من الآلهه ، فعالما ما يصف الملوك انفسهم بانهم يخشون الآلهه ، وويل لمن لا يحاف الآلهه ، فالملك الذى لا يفعل ذلك يعرض نفسه ومملكه الى الحراب والدمار . وسخط الآلهة مجلبة للويلات والدمار فى هذه الحياه اد يحل عن الفرد الهه الحامى فتحل فى جسمه الشياطين والارواح الحشة = ومن الطريف ذكره فى مثل هذه الآلهة الحامية او الشخصية انهم كانوا اذا اصاب الفرد مصيبة يكتبون رسائل

اليها ، قههاك مثلاً رسالة يخاطب . من الهة الحامي مختصرها : « الى الاله ابى قل : هكذا يقول «آبل - أدده خادمك » لماذا اهتمتني هكذا ؟ فمن سيرودك شخصاً آخر يحل محلي ؟ اكتب الى الاله مردوخ ، الذى يحبك ، لكى يرل عى عبوديسى (على) وعدده سارى وحبك واقل قدميك ' راع أيضاً عائلى ، الكبار والاطفال . فارحمى من احلهم ، ودع عولك يصلنى »^(١)

فيوضح من هذه الرسالة عقائد النجوم فى آلهتهم بوجه عام ومنازل هذه الآلهة ودرجاتها . فان الاله الحامي لا يسع ان يخلص الشخص المعلق به وحده بل انه شمع له عند الاله عظيم مثل مردوخ . وكما ان العقاب على الذنوب تكون فى هذه الحياة كذلك يكون الثواب على الاعمال الصالحة ، وأنواع انجلاء فى هذه الحياة كثيرة ابردها منح العبد الصالح العمر الطويل ، وكذب هذه الامية اعر ما يسماه البابليون وتحققها من افوى الواعث على الاعمال الصالحة ومن الدينهى ان تكون امية العمر الطويل مهروبه برعد العيش وسعده . والملوك الذين لا يقصرون بواجباتهم الدينية تمسحهم الآلهة النصر على الاعداء فممكنهم من بسط سلطانهم على دول اخرى .

أبرز العقائد الدينية

١ - الموت وعالم ما بعد الموت

لم شك البابليون فى حتمية الموت وفرسه على البشر وجميع الاحياء . وكان الاله الموكل بالموت موحودا على خلق الانسان كما جاء فى اسطوره الخليقة البابلية (انظر موحرها فى بحث الادب) . وكان الموت عندهم من طبيعة الانسان وبركيه اى انه خلق ومعه حسابه وموته وهو قانون طبيعى قدرته الآلهة عندما خلقت البشر . وعندما حاب جالهامش فى الحصول على الخلود واسسه «صاحبة الحانة المقدسة» وصحت له ان يكف عن طلب الخلود لان «الآلهة عندما خلقت البشر قدرت عليهم الموت واستأثرت هى

بالحياة»^(١) . والواقع من الامر ان فكرة ملحمة جلجامش (انظرها فى مبحث الآداب) ، اى موضوع القصة الاساسى التأمل فى مسألة الموت والخلود اذ انها تبرهن برهانا مؤثرا على حتمية الموت على البشر ، فان بطل الرواية جلجامش بالرغم من قوته وجبروته ومع ان ثلثى مادته من مادة الآلهة فانه لم يستطع ان يبال الخلود بل وحى حاب فى الحصول على وسيلة لتجديد الشباب .

ولكن البابليين لم يتصوروا ان الموت غاية تنهى عنها الحياة ونعدم انعدام كلياً ، أى انهم لم يعتقدوا بالقضاء المطلق . واما الموت عندهم انقسام الكائن الحى الى جزئين وانفصال احدهما عن الآخر ، وهما الجسد والروح فالموت تفصل الروح عن الجسم وتسقل الى طور جديد من الوجود . اذ تنحدر الروح بعد وضع الجسم فى المر الى عالم الارواح وهو العالم الاسفل وتعيش هناك الى أبد الآبدين حيث لا قيامة ولا رجعة عندهم بخلاف بعض الاديان الاخرى ومع هذا الانفصال بين الجسم والروح فبقى بعض الصلة بين الاثنين بعد الموت^(٢) . فمثلا تتوقف راحة الروح فى عالم الارواح على العناية التى يبذلها الاحياء فى دفن الجسم وفق الطرق والسنة الدينية

(١) ولم يعرف البابليون الا بشرا واحدا قد وصل الى مرتبة الخلود اى صار فى مصاف الآلهة وهو «أوبو - نبشتم» نوح الطوفان عندهم (انظر موحر قصه جلجامش) .

(٢) لا توجد عندنا أدلة كتابية صريحة سبب أن البابليين كانوا يعتقدون برحوع الروح الى الجسم فى المبر كما كان يعتقد المصريون القدماء ، ولكن مع ذلك هناك أدلة أخرى سبب الى ما يعارب هذا الاعتقاد اذ لا يمكن تفسير ما يحده فى قبور موتاهم من أثاث ومناع خاصة بالموتى الا بما يضاهى عقيدة رجوع الروح الى الجسم . وان عادة وضع ما يحتاج اليه الميت فى قبره انشرب فى جميع عهود العراق . وهى ترجع فى أسسها الى الاطوار الهمجية من حياة البشرية ، الى العصور الحجرية القديمة .

(أنظر بحث الموضوع بأسهاب ولا سيما مقارنه ذلك بالمعتقدات العبرانية)

فى المرجع



تمثالان سومريان يمثلان الها والهة (اله الخصب وزوجه) من عصر فجر
 السلالات الثاني - من مل اسمر (عن مديرية الآثار) (لاحظ المماثلة
 في سعة العيون مما تصف به الآلهة)

وعلى ما يودع في القبر من زاد وأثاث وعلى ما يقرب الى الميت بمناسبة
مخلقة . ويمكن تفسير طرق الدفن وما نجده في قبورهم من الاثاث واللوازم
الخاصة بالميت منذ أقدم العهود بأنهم على ما ذكرنا اعتقدوا برجوع الروح الى الجسم وهو
في القبر^(١) . واذا أهمل الاحياء العناية بدفن الميت وفق السنن الدينية أو
لم يدفن أو شش قبره فان روحه لا تسهر في عالم الاموات وانما تخرج
بهينه شبح يحدث بالاحياء الاذى والضرر .

وقد تصور البابليون موطن الارواح الذي تذهب اليه بعد الموت انه
مع صمن هذه الأرض ، تحت سطحها الناهر ، وهو العالم الاسفل .
وقد وصفوه بانه عالم مخيف بهيئة مدينة مسورة بسعه أسوار يحرسها
مردة النساطن وسموه بأسماء مخلقة منها «كيجال» و «الارض التي لا رجعة
مها» (ارصة لامارى) و«انسومرية» (كورنوحى) وتسكن في هذه المدينة
وتحكم فيها الالهة شديدة قاسية هي «ارش كيجال» (اى ملكه العالم الاسفل)
الى عرف بأسماء اخرى مثل «اللاتو» و «علة ارضهم» اى سيدة الارض
وساعد هذه الالهة في حكمتها الاموات مجموعة من الالهة والشياطين
والكتاب لسجيل الموتى . وقد اضطرب آراء القوم عن حالة الموتى في هذا
العالم ، ولكنهم اعتدوا بوجه عام انه عالم مخيف نكد يساوى فيه الموتى ولا
قيامة او رجعة منه اى انهم لم يعتقدوا بعالم آخر للثواب والعقاب اى لا جنة
ولا نار عدهم كما في الادبان الاخرى ، ولكنهم كانوا يلطفون في بعض
الاحايين من هذه الصورة القاتمة حيث ورد في بعض مآثرهم ولا سيما
في اللوح الثانى عشر من ملحمة جلجامش ان بعض الموتى من خلقوا الحسنات
والمآثر انصالحه او ممن مات عن اولاد ولا سيما الذكور او من قدمت له
القرايين على الدوام يعيش في هذا العالم عيشا فيه بعض الراحة حيث يمنح

(١) حول اسعراص طرق الدفن والعبور من عهود العراق المخلقة

كما وجد في السجلات أنظر المرجع الآتى .

الماء والطعام ، وتشير ما نرهم الى انهم اعتقدوا بنوع من الحساب عندما تدخل الارواح في عالم الاموات .

ويحذر بناها ان تشير الى ان عقائد العبرانيين في موطن الاموات تشبه من وجود كبيرة ما أوحى به عن عقائد البابليين ، وفيها اوجه اختلاف أيضا .
 فيسمى العبرانيون عالم الاموات باسم «شيؤل» وهي كلمة لا يعرف اشتقاقها ومعناها بوجه التأكيد وهي عندهم عالم الارواح الاسفل وتسمى ايضا القبر^(١) والموت بوجه عام . وشبه بما ذكرناه عن عقائد البابليين في حالة الموتى في عالم الارواح ان العبرانيين لم يصوروا هذا العالم بصورة مسرة واما كان عالمًا مظلمًا محضًا^(٢) . واسعملوا لعالم الاموات ايضا كلمة «موت» (موت) . وقد اكتشف حديثا في ألواح الطين من (رأس شجرة) (او عارت القديمة) اسم اله الموت بهشة «موت» وهو «موتو» البابلي^(٣) . ويرجح ان العبرانيين احدثوا المصطلح من الكنعانيين ، أهل «او عارت» . ويستخرج من النوراء ان عالم الارواح أو عالم الموتى في اعماق أحرار الأرض السفلى ، تحت البحر^(٤) . وان لهذا العالم مدخل أو أبواب كما اعتقد البابليون . ومن الباحثين من يذهب الى ان حبه مدخل هذا العالم عند العبرانيين من المغرب ايضا . ومما يقال بوجه الاحمال ان الآراء المسخلصة من النوراء عن عالم الارواح فيها تضارب بحسب المفسرين . فهناك حالات لم يذهب فيها ارواح بعض الموتى الى «شيؤل» بل الى السماء ، ولا سيما ارواح الصالحين (مثل حرقا) وبعضهم مثل «الياهو» قد صعد الى السماء ، وسقط ان يجد النجاة

(١) واسم القبر المعناد في العبرانية «قبر» مثل العريسة ، ولعل «شيؤل» هي الكلمة الشعرية للمقبر .

(٢) انظر الاسرار الواردة في النوراء عن «شيؤل» في (Alexander Heidel Op. Cit., P 174—175)

(٣) (Zeitschrift für Assyriologie, vol 43, 16 43)

(٤) انظر مثلا (المنية ٣٢ : ٢٢) والمزامير ١٢٩ : ٨ واششعبا ١ : ١٣ - « وعموس ٢ : ٩ ، وأيوب ٢٦ : ٥ »

التي اسلوب على الافراد الصالحين في محاولتهم تفسير مصير الشريرين والصلحاء وهل يذهبون الى مصير وموضع واحد هو «الشيئول» ؟ والحقيقة ان هذه قضية معقدة محلف فيها بالطرف لعدم وجود نصوص صريحة في النوراء حول موضع العقاب والثواب أو دار العيم والجحيم وهناك بعض المواطنين في النوراء (المرامير رقم ٧٣) يشير الى ان نفوس الشر لا تذهب جميعها الى موضع واحد . واذا اخلفت النصوص الصريحة في النوراء حول «شيئول» فان بعضها (مثل المرامير رقم ٤٩) ما يشير الى ان هذا الموضع حصص للأسرار فقط ، وان الصلحاء اذا ذهبوا الى «شيئول» فانهم يخلصون منها بمنشيئه الله ، فيكون معنى هذا الموضع مرادفا «لجهم»^(١) ، ولكن هذه الأمور كلها اسباحات محلف فيها مأخوذة «الدرجة من المرامير» . ولعل هذا النصارى في الدلالات المستخلصة من النوراء حول عالم الارواح والعالم الآخر يمكن تفسيره بما طرأ من التطورات على افكار العرايين كما تعكسه لنا النوراء ، ففي الكتب القديمة منها نجد ان مصير أرواح الشر جميعهم الى العالم الاسفل ، واكن ظهرت في الكتابات المأخوذة فكره موطن سماوى للنارواح الصالحين تذهب اليه من بعد الموت .

٢ - الغلبة وأصل الوجود

شغل سكان العراق القدماء بتفسيره أصل الوجود والانبياء كما شغل غيرهم من الشر في جميع الارمان . وقد شأ عن الكهنة في العراق القديم واصحاب الرأي والمعرفة منهم مذاهب وعقائد مختلفة حول أصل الوجود .

(١) والجدير بالذكر عن اشتقاق اسم «جهم» انه من الكلمة العبرانية «جهموم» (بمعنى اللحم كالفارسية) أي «وادي هوم» العرب من القدس وهو موضع كان العبرانيون القدماء يمارسون فيه عادة الصحايا البشرية لآلهة النار «مولك» ثم صاروا يرمون فيه أحسام المجرمين والفاذورات وينسعلون فيه نارا دائمية متعا من انتشار العقوبة منه ، فصار بذلك مرادفا لموضع العذاب أي النار أي جهنم .

وقد خلفوا لنا هذه الآراء بهيئة ملاحم شعرية وقصص واساطير دونوها على ألواح الطين . وكانت هذه القصص والاساطير متعددة تختلف من حيث النادى والعهد وبصارت الآراء المستتحة منها فى بعض الاحايين ولكنها تنفق فى الفكرة الاساسية . وقد حائثا من السومريين والبابليين نماذج من هذه الآداب الدينية وسدكر بعضها فى فصل خاص ، وبالاسناد الى هذه الآداب والقصص الدينية استطع ان ملخص عقائد القوم فى اصل الوجود والاشياء بالامور الآتية :

(١) يسدل من قصة الجلسة التالية (انظر ملخصها فى موضع آخر) ان المياه الاولى كانت الماء الاولى التى وادب منها جميع الاشياء . وكانت هذه المياه الاولى مضطربة مشوشة ومؤلمة من عصف من من الماء محلطين ، الماء العذب (وهو العصف المذكور) والماء المالح (العصف المؤث) . وقد حسم البابليون هذين العصفين من الماء وعدوهما الاها واليه وهما «اسو» و «تيامة» ومن هذين الالهين الابوين ولد جميع الالهة . (٢) وقد فصل الاله «مردوخ» حسم «تيامة» وكون من صف من السماء ومن صفه النابى الارض سم خلق الكواكب والنجوم وخلق بالاشراك مع ابيه الاله «انا» الاسان من دم احد الالهة . وفى روايات اخرى عن الخليفة ان الاسان خلق من دم اله ومن براب الارض والظاهر ان خلق الاسان قد جاء بعد خلق الكون والحيوان والنبات ، ثم خلقت الاشياء الاخرى الخاصة بالعمران انشروا من نوح ودرع ومدن الخ . فكان اصل الاشياء بموجب اسطوره الخليفة البابلية سغوى على شطرين أو عملين من الحلول مداخلين . فالاولى محيى الالهة والاشياء الاساسية فى الكون والثانية كمية ظهور نظام المجمع والحصارة . وسيتضح من تلخيص هذه الاسطورة وتحليلها فى بحث الآداب ان اسسها مسة على مشاهد الاحوال الطبيعية والجغرافية فى وادى نرافدين الاسفل ، كما يلاحظ فيها ان عملية الخلق وايجاد نظام الكون لم يتم بعملية هادئة سلمية . كما هو الحال فى أساطير الخلق المصرية واما كان

ذلك فى كفاح وصراع بين الالهة الى قلوبها مثل عناصر الطبيعة الاساسية .

وحاجب آراء اخرى فى الفصص السومرية القديمة حول اصل الوجود والاشياء ، ولكنها وردت بما سميته نحن اساطير دسية اى انها وردت بلغة الاساطير والدين ولكنا مع ذلك نستطيع ان نستخلصها من علاقتها الاسطورية التايى ، وادما فعلنا ذلك وحدما ان الآراء التى حلفها لنا اولئك المفكرون الاولون لم تكن بالدائرة السادسة بل كانت فى الواقع محاولات فلسفية حريثة فى الفكر فى هذا الكون واصل الوجود والاشياء . وبوسعنا ان نقول ان السومريين سبقوا فلاسفة الاعريق بقولهم بمبدأ العناصر الاربعة الاولى التى عدت اصل جميع الاشياء ، والبك هذه الآراء مستتجة من الفصص والاساطير السومرية .

١ - كان فى البدء عصر الماء الذى كان اربلا والهيا فى الوقت نفسه .
٢ - تولد من عصر الماء عصر آخر هو عصر الارض والسماء متحدتين ، وكانت الارض والسماء الهين كذلك .

٣ - وتولد من السماء والارض المتحدتين عصر غازى هو الهواء المتمدد الذى فصل بتمده السماء عن الارض ، وحسموا الهواء وحملوه اليها هو الاله «البلل» .

٤ - وتولد من الهواء القمر ، ومن السمى ولد الشمس ، وحسموا كلا من القمر والشمس وعدوهما الهين^(١) .

٥ - وبعد انفصال الارض عن السماء نشأت أنواع الحياة الاخرى من نبات وحيوان واسان على الارض ، وقد تصوروا ان اصل الحياة والاشياء

من اتجاه الهواء والراب «الأرض» والماء بمساعدة الشمس . وهذه هي نظرية العناصر الأربعة .

٣ - السلوك والاخلاق والحياة الصالحة

لعل مشأ تأثير الدين في أخلاق الافراد وسلوكهم من الاعتقاد بوجود دار للعقاب ودار للتواب سواء أكابا في هذا العالم أم في عالم آخر فيما بعد الموت أم في كليهما بحاسب فيهما الانسان عن أعماله . فوصف في الأدبا القواعد لتحديد أعمال الخير وأعمال الشر ليسير بموجبها الشر في هذه الحياة . وقد سبق ان علمنا ان البابليين لم تولد عندهم فكرة دار العقاب ودار التواب فيما بعد الموت ، أي انه لم تكن عندهم حجة وناز او عيم وحجيم بل ان العقاب والتواب زمان اي يكونان في هذه الحياة . وشأ عن هذا الاعتقاد بسبب انهم «السلوك والاخلاق» التي فرضها عليهم دناسهم وقد فرض عليهم الآلهة عدا العبادات والشعائر التي يسمونها للآلهة ان يمسكوا بشرائع الآلهة اي القوانين المسندة من الآلهة ، وسطيع ان يلمس تأثير الدين في أخلاق التوء في معادلاتهم السحرية مثلاً، حيث نجد الآلهة تدخل في العقود والصكوك في التسمم من جانب المعاقدين ليلاً بعض من العقد . وتذكر لعباب الآلهة في الشرائع على من بدل بصومنها وبحرفها كما ورد ذلك حلما في شريعة حمورابي . ونجد أثر الدين حلما في أعمال الملوك وسلوكهم ، كما يدل على ذلك أحبارهم وسجلاتهم الرسمية . فمن النصاب المحبة التي يعمون بها انفسهم انهم ملوك عدل يحشون الآلهة ويظهرون شرائعها وشؤون العدل بين الخلق ويبتدئون ارادة الآلهة .

ومن آثار الاعتقاد بالتواب والعقاب في هذه الحياة واسماء فكره الموت والشور في حياة اخرى ان البابليين اقبلوا على الدنيا وعملوا لها بحلاف لحضاره المصرفة المقدمة التي حصص معظم جهودها لشؤون الموت ، في حين ان السمة المذبة والاعم والمعة في هذه الحياة قد ظهرت في حضارات

العراق القديم واضحة في مقوماتها وخصائصها ويبدو ان ملوك العراق
الاقدمين قد دفعهم انشاء الخلود في عالم آخر الى تخليد انفسهم للاجيال
القادمة بالاعمال العمرانية ، ونراهم يشيرون الى هذه المحاولة صراحة في
كثير من سجلاتهم وماآثرهم « وقد وردت في بعض ماآثرهم وفي قصصهم
ان بعض ابطالهم ومنهم «حلهامش» قد قام باسفار ومغامرات الى موضع قصي
لكتب اسمه في موضع حصص لاسماء الآلهة « ومعنى ذلك ان بحالد
ذكره واسمه واسان حاله يقول «والذكر للاسان عمر ثابى» .

وود تصور سكان العراق الاقدمود الكون على هيئة دولة او مملكة
تحكم فيها الآلهة وتدير شؤونها وتدرج السلطة فيما بينها وتوزع الاعمال «
وسحلى فيها مبدأ الطاعة والا لما امكن وعود المجتمع والدولة ، فصار
الطاعة أى اطاعة القوايس والسير بموجب السلطة المجتمع على رأس المضائل
المطلبة من الفرد^(١) ، وسدرج الطاعة وتوسع من طاعة الفرد الى رأس عائلته
الى طاعته الى رأس المجتمع والآلهة وبلغ من تهديرهم لفضيلة الطاعة انهم
تجملوا ظهور عهد ذهبي بين الشر تسود فيه الطاعة كما جاء في احد الرايل
الديسة :-

«سأبى أزمان لا يهين فيها شخص شخصاً آخر « والولد سحل اباة «
انام سسود فما الاحرام والطاعة فى السلا « حين يمدد المتواضعون
العظماء ... الخ»^(٢) وتكون السلطة والحكومة من أسس المجتمع وبدونهما
لا يمكن تصور مجتمع ما ، والهنا توجه الطاعة والحصوع وقد ورد فى
امثالهم الكثير مما يعكس لنا بطرهم فى استحالة وعود المجتمع البشرى بدون
سلطة او حكومة وملك : «الجنود بلا ملك حراف ملا راع»^(٣) و «العمال

(١) انظر Jacobsen, *Before Philosophy* (1951), ch VII

(٢) ذات المصدر

(٣) انظر محله A. XVII, P 123

بلا رئيس مساو بدون حدود ولا مراقب»^(١) و «الفلاحون بدون رئيس (سركال) كحفل بلا حارث»^(٢) وقد حرص على أفراد المجتمع ان يشعروا ان السلطة هي على الدوام على الصواب مهما عملت «أوامر القصر مثل امر أبو لا يمكن ان ترد = كلمة الملك هي الحق الصحيح = وكلمته مثل كلمة الآله لا يمكن تحديدها»^(٣) .

وإذا ما تساءلنا عن النواحي التي تحترق أفراد المجتمع الباطني على الطاعة الى الآلهة والسلطة وعما سيخصه الفرد من وراء ذلك فان جواب ذلك يكمن في نظر سكان وادي الرافدين الى مركز الاسان ومكانه في النظام الكوني وعلاقته بالآلهة وسبب حاجته ، فقد انجحا فيما سبق ان العله من خلق الاسان اما كانت لعدد الآلهة اى لتكون عبدا لها = فكما ان السيد المطيع لسيد يتطهر حياء طاعته الحماية من سيده والحرء والتواب منه ، فكاتب هذه الامور هي التي يشدها العبد من الآلهة ، ولكن في هذه الحياة ، وقد رأينا فيما سبق كيف انه كان لكل فرد انه شخصي هو الهه الحامي الذي كان يلازمه ويشجع له عدد الآلهة الاخرى وتوقف علاقة الآله الحامي بالفرد وملازمته له على طاعة الفرد الى الآلهة والسلطة وكل ما تفضيه قواعد السلوك والاحلاق ، ولكن الحرء وما يسيطره الفرد من حير حياء طاعته لست من الحقوق الواحدة الاكيدة التي توقعها الفرد دائما ، بل انها مع طاعة الفرد فصل تفضل به الآلهة والسلطة على الفرد^(٤) . ولكن تطور المجتمع الشري في وادي الرافدين بمرور القرون أحدث آراء الناس تميز في نظرهم الى مفهوم العدالة وهل هي حق من حقوق الفرد على الدولة أو هل هي سىء ، فصل به السلبه على الفرد ، وتلورت الفكرة الاولى وطهرت حلما في شرعة حموراي العظيمة حيث نجد فكرة العدالة كحق من حقوق الفرد واضحة فيها =

(١) المصدر رقم (٣) الص ٢٣٨ .

(٢) المصدر رقم (١) الص ٢٣٨ .

ولكن يلزم علنا ألا تتصور ان آراء القوم فى قيم الحياة وسلوكهم بموجب ذلك قد بقيت ثابتة « أو ان القوم لم يطرُق اليهم الشك فى قيم الحياة والسلوك والاخلاق . فاذا ما رحنا الى آدابهم وقصصهم واساطيرهم وجدنا ذلك جلياً . فمثلاً فكروا وشكوا فى مسألة الموت ومصير الانسان بعد الموت ، وكان هذا أمراً شغل عقولهم بحيث يمكننا عد اعظم قطعهم الادبية « وهى ملحمة جلجامش « قد اوجتها لهم مسألة الفكر فى مصير الانسان فى هذه الحياة (وسنلخص القصة فى مبحث الآداب) ، كما ان فكرة اصل الخير والشر قد شغلت عقولهم فانعكست فى آدابهم . واذا نظرنا الى ملحمة جلجامش على ضوء ذلك وحدنا انها لم توفق الى حل تلك المشكلة الكبرى فى حياة البشر ، تلك هى مشكلة الخلود ومصير الانسان بعد الحياة « فبعد أن ترهن الملحمة بأسلوب مؤثر على ختمه الموت واستحالة الخلود للانسان نجدها تتضارب فى آرائها فى نوع السلوك الذى يجب أن يسلكه الانسان فى هذه الحياة . هل هو سلوك اللذة والتسم فى هذه الحياة كما جاء على لسان صاحبة الحانة ، أو هل هو سلوك ينطوى على الادعان لما لا بد منه وضبط النفس والقيام بما يترتب على الانسان من أعمال لتخليد نفسه فى هذه الحياة كما فعل بطل الرواية جلجامش فى آخر حياته ؟ والجواب على ذلك اننا نجد كلا النوعين من السلوك فى تلك الملحمة الخالدة .

واذا كانت هذه الملحمة لم توفق الوفيق كله فى الجواب على اصل الخير والشر ونوع السلوك الفردى ، فان قطعاً ادبية أخرى من بعدها عاجلت الموضوع نفسه ووجدت له حلولاً محلقة . فأولاً ظهر الشك عند القوم فى ارادات الآلهة نفسها وفى اعمالها ، واذا كان ما يصيب العبد المطيع من الخير فى المصور القديمة يتم باسعطاف الآلهة والسلطة على مجاراته خيراً ، فقد تغيرت القيم فى المصور البالية ، فأولاً اصبح العدل ، كما ذكرنا « حقاً من حقوق الفرد ، وثانياً اذا لم ينل الفرد الحزاء الذى يستحقه من سلوكه الصحيح تجسده الآلهة فانه بدأ يشكك فى ارادة الآلهة ويتجرأ فى السؤال عن اعمالها .

ولعل خير ما يعكس لنا هذا الانجاء الجديد من التشكك فى قيم الحياة والسلوك قطعان أدريان تعدان من القطع الادبية الخالدة = اولهما تسمى بعنوان «لامجدن رب الحكمة»^(١) التى تضاهى كساب أيوب فى التوراة فى موضوعها وفى المشكله التى عالجها ، ويمكن ايجاز موضوعها مثل قصة أيوب بأنها تدور على «العبد الصالح المعذب» • أما القطعة الثانية فهى فريدة فى بابها اذ انها تدور على الشكك والسخرية بميم الحياة والسلوك •

ولما كانت هاتان القطعتان على قدر عظيم من الاهمية فى تأريخ الفكر البشرى وتعكسان لنا عقائد سكان وادى الرافدين فى موضوع السلوك والحياة الفاضلة وخير نموذجين على أدب وادى الرافدين القديم فاننا نوجزهما هنا • فالبطل فى القطعة الاولى ، ولسمه «ايوب البابلى» ، عد صالح اطاع الآلهة وسار بموجب سننها واطاع السلطة فلم يذنب كما يعتقد هو بذلك كما جاء على لسانه :-

«لم اعرف سوى الصلوة والعبادة • وكانت افكارى مشغولة بالضرع الى الآلهة ، والتضحية لها ، وكانت ايام عاده الآلهة أيام سرور قلبى ، والايام التى اسير فيها فى مواكب الآلهة ايام بصرى وكسبى فى الحياة • وكان تمجيد الملك سرورا لقلبى ، وابوسيمى التى تعزف له مصدر حبورى وغطتى • أوصت اهل وبعى ان يراعوا رسوم الآلهة وشعائرها • وعلمت الجند ليطيعوا القصر ، عارفا بذلك ان هذه الاشياء مما تسر الآلهة • الخ •»

ولكن على الرغم من صلاحه وتقواه يجد نفسه وقد حلت بساحته المصائب والشورور اذ يقول : «لقد انى مرض «آبو» على جسمى وغطاه كالرداء • واصبح النوم كالتسبكة التى تصطادنى • اذناى مفتوحتان ولكنهما

(١) وبالبابلية (ludlul bel nemeqi) انظر النص الاصل فى :-

(1) Langdon, *Babylonian Wisdom*, PP. 35—66

(2) Pritchard, *Ancient Near Eastern Texts* (1950).

وانظر تحليلها القيم فى (Jacobsen, *Before Philosophy*, 228)

لا تسمعان • لقد استولى على جسمى الضعف • واصبح السوط الواقع على
يرعبنى ويحيينى • يطاردنى معذبى فى النهار ، ولا يترك لى الراحة فى الليل •
لقد خذلتى الاله • لم يأت اله لمساعدتى ، ولم نعطف على الهتى فتخلصى
من مصائبى • وقد حسبته الجميع انه ميت فأخذ المعلقون به يعملون بموجب
ذلك • «كأن العر مفنوح حين نهوا كوزى ، وحينما لم اكن قد مت فانهم
امطعوا عن الكاء ، وفرح بى حسادى ومبغضوى» •

فهذه حالة واضحة على عبد صالح ولكنه يقاسى العذاب والآلام مما
يأضى عالم الكهنة من ان العبد المطيع يحسن اليه الآلهة • فما هو الجواب
على هذا التناقض ؟ وادا رجعنا الى النص الاصلى وجدناه يقدم حلين لهذه
المشكلة الاخلاقية • حل على موجه الى الفهم والفكر الذى يحاول فهم
المشكلة وحل عاطفى موجه الى القلب الذى جاشت فيه العواطف من جراء
ما أصاب ذلك العبد الصالح من عذاب وآلام لا يسنحها فى الظاهر^(١) . فالحل
العقلى ان مؤلف العظمة الادبية ينكر امكان تطبيق مقاييس القيم البشرية على
أعمال الآلهة • فالاسان صئلى حفير ، فاصر النظر • لا يستطيع اسنكناه
الحكمة فى اعمال الآلهة وتصرفاتها فيحكم عليها بموجب مقاييسه وقيمه
العاصرة . فقد جاء على لسان ذلك المعذب الصالح : «ان ما يبدو صحيحا فيسحق
الثاء بين المرء ، قد يكون محقرا بأعين الآلهة • وما قد يترآى للمرء من
انه فيبع ردىء ، قد يكون حسنا بين انه المرء • فمن ذا الذى يستطيع ان يدرك فكر
الآلهة وقصدها فى أعماق السماء ؟ ان افكار الالهة كالمياه العميقة ، فمن
يستطيع سر غورها ؟ وكيف يستطيع الشر وهم محفوفون بالظلام ان يدركوا
قصد الآلهة وطرقها ؟ • •

وعلى هذا فحل ذلك من الوجهة العقلية ان حكم الاسان ومقاييسه
ليست مطلقة ، فانه مخلوق ابن ساعته ، محدود النظر ، متغير فى حكمه
ومقاييسه فلا سبيل لادراك غور قصد الآلهة واعمالها الازلية التى وضعت

لجميع الازمان « فان من بيننا » . تد يموت اليوم » وفي لحظة واحدة يغمره الظلام ويسحق فجأة » وفي لحظة (تجدد) الانسان يغنى فرحا وحبورا ، ولكنه سرعان ما يبكى ويندب » وبين الصباح والمساء يتغير مزاج البشر » حين يكونون جياعى يصيرون كجثث الموتى ، وحين يملؤن شبعاً يراحمون الههم » واذا سارت الامور معهم سيرا حسا حاولوا العالى والصعود الى السماء ، واذا حلت بهم نازلة نزلوا الى العالم الاسفل » .

ولكن مع هذا التبرير العقلى لحالة العبد الصالح المعذب فان القلب لا يزال متشككا فى الامر . وحل ذلك فى الملحمة ان العذاب الذى يحل بالعبد الصالح لا يظل ملارما له الى الابد » بل انه ، كما جاء فى قصة ايوب » بلوى وامتحان من حاب الآلهة ، التى ترفع عن المعذب عذابه بعد حين وتعيده الى سابق عهده .

أما القطعة الادبية الثانية فعكس لنا مراحا آخر » هو مزاج التشاؤم والتشكك فى القيم الاجتماعية الراهنة ، فكل شئ مهما كان طاهر الصلاح والفائدة الا وله حوايب يمكن ان يظهر بها تافها معدوم الفائدة والصلاح . والحق يقال ان هذه القطعة اطرف مثال على أدب السخرية والتشاؤم ، وهى تمكس لنا حقيقة حضارية مهمة تلك هى ان الحصار اذا شاخت ، كما هو الحال فى حضارة وادى الرافدين فى أواخر عهدها (فى حدود الالف الاول ق . م) » بدأت الشكوك تساور أفرادها فى قيم مجتمعهم وفى قواعد السلوك والمقاييس الاجتماعية فى تلك الحضارة ، ولم يعد فيها ذلك التماسك الاجتماعى المسى على التمسك بالعرف الاجتماعى .

لقد جاءت هذه القطعة بأسلوب أدبى طريف على هيئة حوار (دايلوك) بين سيد وعبد^(١) ، فالسيد يعلن لعبد انه يريد ان يقوم بعمل ما يستحسنه

(١) انظر نصها فى

(Langdon, *The Babylonian Wisdom*, PP. 67—81

(*Ancient Near Eastern Texts*

(*Before Philosophy*, PP. 231 ff.)

واحدث ترجمة لها فى

وتحليلها فى

فيجيبه العبد مجذا له ذلك العمل معددا مزاياء ومنافعه الكثيرة ، ولكن السيد
يرد عليه بانه لا يريد عمل ذلك العمل لانه لا يراه مفيدا فيؤكد له العبد
سداد رأيه معددا له عيوب ذلك العمل نفسه :

السيد : «أيها العبد اتفق معي»

العبد : «اجل يا سيدي ، اجل !»

السيد : «اريد ان احب امرأة»

العبد : «أجل ! حب يا سيدي ، حب»

«فان الرجل الذي يحب امرأة ينسى العوز والشقاء»

السيد : «لا ، ايها العبد ، سوف لا احب امرأة»

العبد : «لا تحب يا سيدي ، لا تحب»

«فالمرأة شرك وفخ ، انها وحرة (للاصطياد)

«المرأة سيف حديد فاطع حاد»

«يقطع رقبة الرجل الشاب»

السيد : «ايها العبد ، اتفق معي»

العبد : «اجل يا سيدي ، اجل»

السيد : «عجل لي واحضر الماء ليدي»

«واجلبه الى » انسى اريد ان افوم بسكب الماء المقدس الى الهى»

العبد : «افعل ذلك ، يا سيدي ، افعل ، فان الرجل الذي بسكب ماء

المقدس لاله بصير قلبه فى سلام وطمانينة » انه يضيف دينا على

دين»

السيد : «لا ! ايها العبد ، لن افوم سكب الماء الى الهى»

العبد : «لا تفعله يا سيدي » لا تفعله !»

«علم الاله ان يركض وراءك كالكلب» ... الخ

السيد : « افعى معى ايها العبد »

العبد : « اجل يا سيدى ، اجل ! »

السيد : « اقول اريد ان اتصدق عن ارضى »

العبد : « افعل ذلك يا سيدى ، افعل ذلك . لان الرجل السدى

« يدفع الصدقات عن ارضه ، فان صدقاته توضع فى راحه (كف)

الاله مردوخ نفسه »

السيد : « لا ! يا ايها العبد ، سوف لا ادفع صدقه من اجل ارضى »

العبد : « لا تفعل ذلك يا سيدى ، لا تفعله ! اربى على اطلال حراب

المدن القديمة وتمش فوقها ، وانظر الى حماجم اهل العصور

القدمية والمأخره . فمن هم الاشرار ومن هم الصالحون ؟ »

وهكذا فيبدو ان كل شىء عث دخل فى فيم هذه انبياء ، كما جاء فى

ديباحه روايه فوسب «عونه» . وراح الخيال تاسد ان يقول لعده « افعى معى

ايها العبد . نى شىء صانع ؟ ، ثم نى شىء . - من ان ادق عفى وعطك ويرمى

بأفيسا الى النهر - وهذا هو الشىء الصانع » . وهما يجد السيد بدل رأيه

فى الموقف الآخر يقول لعده : « يا ايها العبد سوف افلك وحدك وادعك

تسمعى » فحسه العبد « وهل يرد سيدى فى ن بيتى من بعدى حتى لده

ثلاثة أيام ؟ »

وهكذا فان يرى فى هذه القطعه ذلله الغريزه افعى درحات السحره

واسل ، وهى الى ذلك ، كما سبق ان اتجنا ، يعكس لنا ما كان ساور القوم

من سكوك رزب فى انفس الاحمائه . وهى تهره فلنا انها سرز امان انحلال

انحصاراب .

.. الآلهه :

بعد ان ذكرنا حصائص الدين النابلى البارزة واهم المعتقدات الدسة

مذكر الآل شيئا موجرا عن الآلهة النابلية . ومما يحال عن الآلهه فى

حضارات العراق القديم بوجه الاحمال ما سبق ان ذكرناه من انها ذات علاقة ونهى بقوى هذا الكون وظواهر الطبيعة والحياة . فقد رأينا من عقائد القوم فى اصل الوجود والاشياء انهم حسموا السماء والارض والماء والشمس والعمر والهواء وعدوها آلهة أو انها تمثل الآلهة . وعينوا كذلك آلهة مخلفة لشؤون الحياه الاخرى كالحرب والموت والحب والعلوم والمعارف الح . ولذلك كثر آلهه البابله بحيث صارت كما ذكرنا تملأ قاموسا كبيرا . وقد سبق ان ذكرنا انهم خلفوا لنا اثباتا بأسماء الآلهة وعلاقتها بعضها ببعض ونظموها فى مجامع تألف كل مجموعة من اله كبير ومن الآلهة التابعة له كأسائه وروحاته وورثاته فتتح عن ذلك كما عند الاغريق والرومان ما يسمى بمجموعه الآلهه اى (Pantheon) . وفيما يأتى نذكر امرر هذه الآلهه واحمها . وعلى رأسها أربعة آلهة هى التى خلقت الكون ويدها شؤون بديره وهى «آنو» و «الليل» و «ايا - انكى» والهة باسم «سحرسالك» .

١ - آنو :

ويأتى هذا الاله على رأس الآلهه السابله ، وقد ابعوه بأبى الآلهه وملك الآلهه ويمثل السماء هذا الاله كما يدل على ذلك اسمه بالسومريه «آن» ومعه فى السماء فى أعلى نقطة فيها وبسم هذا الاله هو والالهان «الليل» و «انا» فما بينهم الكون . فحكم الاله «آنو» السماء والليل الهواء والحو ول «انا» الارض والماء وقد عد «آنو» فى جميع اسحاء العراق وفى جميع الادوار التاريخيه ، وخصص لعبادته مدن شيدت فيها معابده أهمها مديسه نمر وأور والوركاء ، وقد سمي معبده فى هذه المدينه باسم « اى - انا » ويعنى ذلك بيت السماء أو بيت « آنو » وهو افخم معد فى المدينه ، وقد كشفت النقبات التى أجراها الالمان فى الوركاء عن آثار نفيسة حصصت لهذا المعد . وقد عبت مع آنو فى الوركاء الالهة الشهيرة «عشار» التى دعوها ابنته . وشيد له معبد ثان فى مدينه «دير» القريبة من مدينه بدره الآن وشيد الملوك الاشوريون لآنو معبدا

فى مدينة آشور حصصوه لعبادته ولعبادة اله آخر هو «آدد» .

٢ - انليل .

ويأتى بعد «آنو» فى المرتبة والمرلة . وهو الاله الحصاص بالهواء والجو والظواهر المتعلقة بهما . ويلعب مثل ابو بآبى «الالهة» ولما كان الاله «آنو» قد استقر فى السماء واعزل نوعا ما شؤون العالم والعباد ، فقد صار انليل اعظم اله عند السومريين والبابليين من بعدهم ، ومعنى اسمه «السيد الهواء» او «الرب الهواء» . ويلعب بسيد البلدان أو الارصين وقد صار اسمه يعنى «الرب» او «السيد» (عل) حتى انهم اسفوا من اسمه صفة الربوية والاثوية (اليلونو) . وقد فرض شريعته على جميع سكان العالم . وله شكه مقدسه يحس فيها كل من حلف زورا او بحث نفسه . وكاتب اقصيته واحكامه لا مرد لها وهو الذى يعاقب الملوك على آثامهم وظلمهم . ورد ذكره فى شريعته حمورابى من بين الالهة اعظمه التى دعا الملك حمورابى اسماءها لوقع العقاب على من بدل شريعته . وكاتب يد انليل ألواح القدر . ويوصف انليل بوجهه عاد بقوة وشدة فهو الذى احدث انطوفان بعد ما قررت الالهة انفسهم كما جاء فى قصه حاحامس . وكاتب «عر» موضع عاداته ومقدسه ، وقد حارب سب داب على اربع مكان من المدن السومرية . وحائسا من حراسة كتب معبده اعد الى الملك كتابات منهم حدا فى حصارات العراق القديم . وقرروا الاله «ال» انه مؤنه اسمها (نليل) وجعلوها روحة له ، ومن ابناء الاله المل «سحرسو» السهير ، اله ماسه «لحس» وكذلك الاله «سورنا» اله الحر . والنصد الذى يرحح كثيرا انه نفس الاله «سحرسو» حيث هذا الاسم عى به أى (سحرسو) (وحرسواحدى مختلفات حش المنهم) ، وقد عى مع انليل فى شر سعاد خاص . ونذكر الكهنة البابليون الها بعد انليل هو «دحار» وهو اله دخل عبادته الى العراق من بلاد الشام أى من بلاد الاموريين من رمن سلالة أور الثالثة . ومن وطائف انليل المهمة فى نظام الكون انه عهد اليه بانحافله على «ألواح القدر» الذى

يكون من يحوز عليها ذا مقدرة على التحكم في مصير جميع الاشياء^(١) .

٣ - «ايا» او «انكى» .

والاله « انا » وسمى كذلك « انكى » هو ثالث اله بعد آنو ، وهى الالهة التى اقسمت العالم ، وتمثل هذا الاله المياه الاولى . وهو اله الحكمة والمعرفة فلهب من اجل ذلك برب الحكمة او سيد الحكمة ، ويده أسرار السحر المقدس ولعزم ، وهو الذى علم البشر الكتابة والصنائع والتمور واصول اعماران واسهر بحبه الكثير للبشر ، فهو الذى افشى سر الآلهة عندما عرمت على احداث الطوفان ، واسر دائب الى «اوبوششم» - روح الطوفان عند البابليين - وكان موضع عبادة فى مدينته «اريدو» (ابو شهرس الآن) ابنى تانب سبب ذلك من أقدس المدن السومرية وافدنها . وسمى مدينته «اى - ايسو» اى «بيت العمر او المياه» اشار الى انه ابنى سبه فى اثناء الاولى التى حسموها ، لاله «ايسو» كما ورد فى «اسطورة الخليفة» وسبب البابليون الى هذا الاله روحه اشقوا اسمها مثل اسمه وسموها «ن كى» اى سيدة الارض ، حيث اسمه «انكى» سيد الارض وسمى ايضا باسم «دم - كيان» وودس الاله «انا» فى جميع انحاء العراق وبالأخص فى مدينته «اور» و «لارسه» و «الوركاء» . وودسه الملوك الآشوريون ، ومما يروى ان سحارب فى حملته الحربية على عيلام عندما بلغ شواطئ الخليج قرب الصرّة الآن قدم الى «انا» فاربا وسمّكه من الذهب ورمائها فى الماء ، حيث معد الاله الاصلى .

٤ - مردوخ .

وكان « انا » أباً الاله مردوخ وهو اله بابل العظيم وكان مردوخ فى أول الامر الاها خاصا بمدينته بابل ، ولكن عندما عظمت

(١) وهناك أسطورة سومرية ممتعة تدور على قصة سرفه ألواح الدبر من جانب طر الصاعقة «رو» من الليل وكيف اسرجعها هذا الاله . وكثيرا ما نجد هذه الاسطورة ممثلة فى الاحكام الاسطوائية القديمة حيث سناهد «رو» وقد أسر . وهو بهيئة مركبة ، يصنع انسان ويصنع الآخر طر . وقد وضع أمام الاله الليل ليحاكمه .

مكانة هذه المدينة في زمن حمورابي واصبحت عاصمة الامبراطورية البابلية ارتفع شأن مردوخ وصار مقدسا في جميع البلاد . وقد ظهر هذا التبدل في مركز مردوخ في اسطورة الخليقة البابلية حيث اعطى مردوخ المركز الاول بين الاله وجعل نطل الرواية . واخذ سلطات الالهة اليه (انظر اسطوره الخليفة) . وعرف معده في بابل باسم «ايسا كلا» وموصه الآن في خرائب بابل في المنطقة المعروفة بعمران ، وكانت تماثيل الالهة البابلية تجلب في كل عام في عيد رأس السنة البابلية من معابدها القريبة من بابل وتسير باحفال مهيب في شارع سمي لهذا السبب بشارع الموكب حيث يمر منه في باب عشار الى معبد قرب من الهر (او عر الهر) خصص للاحفال بعيد السنة البابلي . (انظر القسم الخامس ناشعائر الدينية) .

٥ - الاله «نبو» :

وابن مردوخ البكر الاله «نو» وقد عدد البابليون اله الكنانة والعلم وكذلك اله المعرفة والحكمة وسكريير الالهة في محائسها المقدسة ، وقد شيد له معبد فخم في «بورسا» (نرس نمرود الآن) وعرف معده هناك باسم «اي - ريدا» اي السيد المكين . وشيد في «بورسا» صرح مدرج (رقوره) خاص بعباده هذا الاله ، ولا تزال بقايا هذا الصرح شاهقة في خرائب المدينة . وكانت العادة انهم يحصصون ارقاما او درجات الى آلههم ، فحصصوا لآبو اعلى رقم هو ٦٠ ، ولاليل ٥٠ ، ولالما ٤٠ .

يأتي بعد الثالث الاول المكون من الالهة «ابو» و «انليل» و «ايا» بالوث آخر من الالهة في الاثنان التي سمعها البابليون لآلههم وعلى رأس هذا اثنالوث الثاني الاله القمر ثم الاله الشمس «شمش» و «أدد» .

الاله القمر :

واسم الاله القمر عد السومريين والبابليين « سين » و «سمو» «نار» ايضا أو «ننا» (ومعناه رجل السماء) وسمى عرب الجنوب الاله القمر «ود» وعند الآراميين شهر وعد الامهريين ورخ ويرج . وخص الاله القمر

مدينة «اور» منذ اقدم الازمان « وشيد له فيها معبد شهير ، ولا تزال بقايا الصرح المدرج فيها (الزهرة) باقية ، ويمثل الاله القمر بهلال وحده او بهلال مع صوره على هيئة البشر « واشتهر الاله القمر بالحكمة ويشترك مع الاله الشمس «شمش» فى شؤون العدالة « وكان خسوف القمر من الحوادث المهمة التى تطير بها البابليون « وحاء فى بعض الكتابات السحرية ان خسوف القمر يحدث بهجوم سبعة شياطين او ارواح شريرة على القمر « وكانوا يصلون عد الخسوف للاله ويقربون القرابين حتى يظهر مضيئاً مرة اخرى بعد ان يهر الشياطين والظلام اى الموت « وخصصوا له زوجة هى «سحال» وعبدت معه فى معبده فى اور « وانتقلت عبادة القمر الى جهات سوريه وشيد له معبد فى «حران» وقد تلف مدينة الاله «سين» فى «اور» ملما محب ان ملوكا كثيرين قد عيوا ابناءهم وبناتهم ليكونوا كهنة له ، وكذلك فعل الملوك الآشوريون فى معبده فى حران واشترب عبادته من حران الى الفيصيين وهدسه البدو الآرامون والبدو العرب ولعل اسم سينا اى (طورسنا) مشتق بوجه ما من اسم الاله «سين» .

الاله الشمس (شمش) :

ويلى الاله القمر فى المرحلة ، وقد ولدت الشمس عن العمر بحسب المعائد البابليه ، وقد سماه السومريون باسم «اوتو» (ومعناه انصواء والور واليوم) ودعوه كذلك «مار» اى النير وسماه الساميون باسم الشمس اى «شمش» ويلفظ الصرابيون اسمه «شمش» والعرب شمس والعسقيون فى اوغاريت (رأس شمرة) «شفش» وعد العرب الجنوب وكذلك المصريون الشمس الهة بخلاف سكان العراق « وعبد الحثيون الشمس بهيئة اله مذكر « وكثيرا ما مثل الاله الشمس برمز فرس ذى اربعة خطوط تبعت منها حرم الاشعة ومثلوه ايضا بهيئة آدمية كما صور فى أعلى مسلة حمورابى حيث مثل بهيئة ملك جالس على عرشه ويحمل فى يده اليمنى الصولجان والحلقة وهى من شارات السلطان ، وتاجه مزين بأربعة أزواج

من القرون ، وهو رى لباس الرأس عند الآلهة ، وله لحية طويلة مثل الاله القمر وتبعث من كتفيه حزم الاشعة ، ويعت الاله الشمس بانه مضيء العالمين وضوء العالم والاعماق وهو الذى يولد النهار والليل ويجلو الدجن ويهب الحياة ويحيى الموتى . ولانه يبر بضوئه الظلمات فهو اله العدل والحق والشرائع وهو الذى املى على حمورابى شريعته المقدسة وهو القاضى الاعظم وسيد الكهانة والعرافة . وعد الاله الشمس بوجه خاص فى مدينى «لارسه» و «سار» و قدسه الآشوريون وشيدوا له بعض المعابد ، وعبدت معه زوجته «العزيرة» (آى) . وقد حسم البابليون «العدل» و «الحق» وعدوهما ابنتين للاله .

الاله « ادد » :

من الآلهة الحساسة بالحو والمناخ ولا سيما الامطار والرعد والفيضانات وما شاكل ذلك . ويرجح كثيرا ان اصل هذا الاله من الساميين العربيين فى جهاب سورية ، وعادة النحشيون باسم «تشوب» الذى تمركرت عاداته بوجه خاص فى سورية وآسية الصغرى . ويرمر للاله «ادد» عادة شرارة الصاعقة ثلاث شعب . ولم يعين موضع عاداته بالضبط وقد سموه «ست - هرفار» وشيد له معبد فى بابل و «بورسا» وكذلك قدسه الآشوريون وعدوه وشيد له معبد فى بلاد آشور مع الاله آنو .

عشتار :

وعشتار هى الالهة التى اشتهرت بكونها الهة الحب وآلهة الحرب ايضا وتمثلها عندهم الزهرة . وقد احلت مكانا باردا فى ديانة سكان العراق الاقدمين واشترت عاداتها الى جميع انحاء الشرق الادنى وانحاء أخرى من العالم واحذ عاداتها الاعريق وسموها باسم «افروديت» وعندها الرومان باسم «فنيوس» وقد سماها السومريون باسم «اينانا» او «اينى» ومعنى ذلك سيدة السماء ودعاها الاكديون والآشوريون الساميون باسم عشتار وعرفت باسم «عشتاروت وعشتوريت» عند الاقوام السامية الاخرى

ولا سيما فى جهات سورية وعندها العرب فى الجنوب وصار اسمها مرادفا لكلمة «الهة» لشهرتها وتقديسها . وهى ابة الآله القمر وحصها الآشوريون بالقدس ولا سيما بصفها الحرية لانها الهة الحرب والطعان ، وقد ذكر بعض ملوكهم انها سارب معهم فى طليعة حيوشهم وحقت لهم النصر . وهى بذلك «افروديت» الاسارطة المحاربة ، وكان الاسد حيوانها المقدس بصفتها الهة الحرب كما انهم نعوها «باللبوة» المضاربه .

وفرن الآله «تموز» مع عشار بوصفه بعلا لها ولكن حبها له قضى عليه فمات ولذلك كانت عشار تندبه ، ويمثل تموز بوجه عام الخضار والنبات فى زمن الربيع . وقد جاءت ملحمة شعرية تصف برول عشتار الى العالم السفلى فى بداية الربيع من كل عام لعيد تموز من عالم الاموات الذى يذهب اليه فى صيف كل عام ، وعلى الرعم من ان عادة تموز لم يكن لها محل كبير فى العادات البابلية الرسمية ولكن عبادته كانت منشرة بين الشعب وترجع فى اصلها الى عهد قديم فى ديانة حضارة وادى الرافدين ، كما انها اشترت الى اسقاع بعيدة من الارض وكانت عاداته مقرونة فى اغلب الاحيان مع عادة الالهة عشار ، ولكن اهمية كل منهما الى الآخر كانت تنير تما للاقطار الى عدا فيها بأسماء واشكال مختلفة ، مثل ادونيس (تموز) وسيله وقد ذكرت عادة تموز فى البوراة وانشرت فى البلاد الشامية منذ أقدم العهود كما ابانت المصوص الحديثة المكشفة فى رأس شمرة (اوغاريت القديمة) (وسذكر فى محث العادات اشياء اخرى عن عبادة تموز) .

د - نرجال وآلهة الارض السفلى : والارض السفلى هى القسم الرابع من الكون ، اما القسم الاول فهو السماء ، ثم ما بين الارض والسماء ثم الارض الظاهرة ، فالارض السفلى . وفى الارض السفلى مقر أرواح الموتى ويحكم فى هذه الارض الاله «نرجال» ومعه زوجته «ايرشكيجال» ملكة الارض السفلى ، وبساعدهما مجموعة من الآلهة الصغيرة وعدد من الشياطين والعفاريت . واصل نرجال من الآلهة الخاصة بالشمس وهو اله النار واله

الوباء • وقد خصصت مدينة ك. ١٦ ابراهيم الآن) لصادته • وقد ورد ذكر هذه المدينة والهها برحال في البوراء (٢ ملوك ١٧ ، ٣٠) لأن سرحون الآشوري نقل من سكانها خلقا كثيرا واسكنهم في السامرة ، فأدخل هؤلاء شتًا كثيرا من عبادة برحال وعبادة البابليين الى اليهود السامريين • ولأنه إله الاموات وصفت المدة التي عد فيها بمددة الاموات • وشيد له بعض الملوك الآشوريين مثل سحراريب معابد في شمال العراق ، وكذلك وحده له معبد في مدينة (ماري) (تل الحريري الآن في سورية) •

عبادة النجوم والآلهة الكواكب : ذكرنا فيما سبق ان كثيرا من الآلهة البابلية ذات علاقة وثيقة بطواهر الكون والطبيعة المختلفة • وكان من بين هذه الظواهر النجوم والكواكب التي عد البابليون فسما منها آلهة وعدوها ، فاشترت عبادة النجوم • وكانت النجوم عندهم ذات علاقة بالحياء وهي التي تعين لهم الزمن ، وإلى ذلك فإن الآلهة قد تظهر ارادتها في النجوم التي ترصع قبة السماء وقد شبهوا النجوم بالكثبان الآلهية ورفس السماء ونشأ عن ملاحظته النجوم والكواكب الملك والسحيم • ورجع الى السحيم اصل الفلسفة الحورية أي الحتمية ، ومن مظاهر علاقة النجوم والكواكب بآلهة ان العلامة المسمارية التي يعبر بها عن الآلهة يعبر بها كذلك عن الكواكب مكرارها ثلاث مرات • وقد قابل السالمون كثيرا من الكواكب والنجوم بالآلهة • واتحد سكان العراق الاقدمون اربد الاحراء السماوية آلهة ، وعلى رأس هذه الكواكب النيرة الثلاثة أي الشمس والقمر والزهرة وقد عدوا الآلهة القمر اقدمها والقمر ابو الشمس والزهرة •

اسور

وهو الآلهة القومي للآشوريين • ومع ان الآشوريين قدسوا وعبدوا معظم الآلهة السومرية - البابلية إلا انهم حصوا الآلهة آشور بالتعظيم والصادة ورجح ان اسم الآشوريين مشتق من اسم هذا الآلهة • وكان الآلهة آشور مثل الآلهة مردوخ في مبدأ امره الهًا غير ذي شأن اقتصرت عبادته على

مدينة آشور « اقدم العواصم الآشورية ، ولكن بعد ان تدرج الآشوريون في نموهم السياسي وعندما أسسوا مملكة قوية سيطرت على العالم القديم ، عظم شأن الالههم آشور وصار على رأس الآلهة البابلية والآشورية ، وخصصوا له دورا فعالا في شؤون الكون وخلق الاشياء والانسان « وشيدوا له المعابد الفخمة في آشور وفي غيرها من المدن الآشورية المهمة « ويمثل الآله «آشور» عادة بانسان بطير صخاخين وبيده القوس والسهم ، والجحاحان سبعان من فرص الشمس واخذ الفرس الاخمسون هذا الرمز لالههم «اهورا مردا» •

هذه أشهر الآلهة التي عبدها المراقبون الافدمون من اقدم العهود وفي مختلف الادوار « والى ذلك توحد مجموعات كثيرة من الآلهة لا حاجة لذكرها لان الآلهة التي ذكرنا تكون لنا فكرة واضحة عن آلهة القوم بوجه عام « ويدخل في صف الآلهة البابلية بعض الكائنات التي كانت بعد آلهة من الدرجة الواطئة او بمثابة ملاك حارس ، مثل النوع الذي يسمونه بالبابلية باسم «شدو» و«لمساو» (بالسومرية «لما» او «لاما») ، التي كانت تماثيلها توضع في مداخل المعابد والقصور لحفظها ، وكانت كثيرا ما تمثل بهيئة مخلوقات مركبة كأن تكون من رأس اسد وحسم حيوان كالثيران المجنحة الآشورية •

الفصل الثالث عشر

طرف من العبادات والشعائر الدينية

بعد ان ذكرنا أهم الآلهة التي نحشا في ديانة البابليين والآشوريين بأخذ طرف من اعمادات وانتعائر الديانة الموسوعة ، وسنجد ان هذا المبحث الآخر . ما كثيرا على فهم حقائق ديانة البابليين ، وتمهدا بذلك نكرر ما قلناه سابقا حول الغاية التي من اجلها كان الانسان يحسب عبادتهم وهي عباداة الآلهة والعمل بها يقوم به الفرد نفسه وبمكاتها وتقرب الترابين ، واذن قصر العدد في ذلك عن الآلهة . فانه في هذه الديانة عبادا شديدا ، وكانت أولى الساعات المهمة العامة في حضارة البابليين والاشوريين هي انعقاد اعياد اقامتها العرافون المتقدماء من صور . نال . ربح .

والشعائر الدينية كبيرة جدا . . . السلوات والقرابين والاعمال الدينية ومنها ما نجد معرفة صاحب الاسرار والوفوف على المسائل وسحة أعمال الانسان وهو ما يطاق عليه اسد العرافة والسكينة ، ومنها ما نجد لفرد انشغال من جسم الانسان وسوء المرسي ، مما يدخل تحت السحر وانقسام . وبوسعنا ان نقسم أنواع العبادات والنفوس الدينية الى صنفين . فصف عام يقوم به الفرد لاجل الغاية التي خلق الانسان من اجلها ، وهي عباداة الآلهة . وصف يقوم به البشر لاجل امل او حاجة كإزالة الامراض ودرء خطر انشغالين والارواح .

وقد حلف لنا سكان العراق الاندومون مجاميع كثيرة من الصلوات والادعية والتراويل الدينية التي كانوا يتلونونها من معاندهم . وأنواع الصلوات كثيرة منها ما يقوم به الفرد نفسه بدون وساطة كهنة المعبد ، وكانوا الى جانب الدعاء في الصلوات يقومون ببعض الاشارات منها رفع اليد مع الدعاء

وصلوة التوبة والاسفطار ومثلت أوصاع بعض المصلين وهم بهيئة ركوع أمام تماثيل الآلهة ، ومن الماسك ما يصوم به الكهنة كذبح الفرائين وما سح ذلك من رسوم وصلوة وحرق البخور وسكب السوائل المقدسة •

ومن العادات العامة الأعياد والمهرجانات الدنيوية التي كانت تقام في المدن المحلقة منها الأعياد السنوية التي يحتفل بها في رأس كل سنة لمجد اله المدة • وقد اشتهر العد السنوي الذي كان يقام في بابل في عيد رأس السنة (وصادف ربه بين آذار ونيسان) ، وكان سنغرق نحو أسى عشر يوما ، وتقام فيها أنواع العادات والطقوس الدينية من جانب كهنة بابل ، فمن بين ذلك مرور الآلهة في موكب مهيب في شارع في بابل سمي لذلك بشارع الموكب ، ويمر مهرجان الآلهة من باب فحم هو باب عشار الذي هو الآن أفحم ما يسمى من اطلال بابل ، ومنه سير موكب الآلهة إلى مصد قرب نهر الفرات ولعلهم كانوا يمثلون قصة الحلقة النامية وتلاونها ، لأنها بطمت لمجد الآلهة مردوخ وعطيم شأنه •

ويوصح لنا عيد رأس السنة النامية بوصفا مؤثرا نلعل روح الدين في سكان وادي الرافدين العدماء ، وكان العد تقام في جملة مدن ولا سيما في مدنه بابل في الترمع في (آذار - نيسان) ، أما في المدن الأخرى مثل أور والوركاء فكان يقد في الحريف علاوة على الربيع ، وهو يعكس لنا أصل كثير من الرسوم الدنيوية المتعلقة بالزراعة وتدل المواسم الخاصة بها ، ويوصح لنا أيضا أن أصل أهم القوى انعلونه عندهم إنما كان من الظواهر الطبيعية المؤثرة في حياتهم • وتشق معرفنا بهذا العد بالدرجة الأولى حيث كان يقام في مدينة بابل ويدعى بالسومرية سسم • زكموك (Zogmuk) (أي رأس السنة) وبالبابلية • اكيو • (عيد رأس السنة ، حيث كانت معابد معسة تخصص للاحتفال به وسمى • بت اكيو •) •

ويرمر العيد بوجه عام إلى الصراع بين القوى الطبيعية ، وانتصار العناصر الخالقة المولدة التي تمثلها طهور حياة النبات والخصار في بداية الربيع ،

وكذلك انتصار الآلهة الى نظم الكون على آلهة الدمار والتخريب في الكون ، كما يوضح ذلك من اسطورة الحلقة البابلية من انتصار مردوخ على قوى السماء ، ولذلك فان الممثلين الذين يقومون بالادوار الرئيسية في هذا العيد هم الآلهة ، ولكن كان اشراك الملك فيه حراما اساسيا منه . ومن الامور المتعلقة بالعيد عادة الاله تمور ، وهو الاله الذي يمثل الخضار والربيع ، ولكنه يموت في الصيف ويظل محبوسا في العالم الاسفل ، فيقوم العوام بئذيه والتماء عليه ، حيث يعتقدون انه مات في العالم الاسفل ، ولكن العقائد الرسمية ترى انه مأسور في العالم الاسفل ولذلك فقام له شعائر مهمة لضمان فنامه ورجوعه الى الحياة ، وعدت عود روح الطبيعة .

ان النصوص المتعلقة بهذا العيد غير كاملة^(١) ولكن من الممكن بناء على ما جاءنا من وصفه ان يربط بحسب التقويم الآتي ، حيث يدوم العيد من أول شهر نيسان التالي الى النوم الثاني عشر منه بحسب المنهج الآتي :-

١ - ٤ نيسان : الهو لمعيد و'حراء البهيرات الدينية في المعابد .
٥ نيسان : وهو يوم الكفارة عن المالب . ويقوم الشعب بالحرث على الاله المعذب . المأسور في عام الأرواح . ونهيج المدينة باحة عن الهها مردوخ (حب هو ايضا يمثل النجاة في الطبيعة) .

٦ - نيسان : تقصد مدينة بابل حملة آلهة في قارب في الفرات ، من بينهم «نو» ، اله مدينة «نورسا» واس مردوخ ، الذي يأخذ بتأرايه والذي يرحله من الأسر ، وقد حصص له مزار في معبدييه في بابل .

٧ - نيسان : يتمكن الاله «نو» بن مردوخ . بمساعدة الآلهة الأخرى

(١) أنظر البحث في ذلك بالدرجة الأولى في :-

(1) H. Frankfort, *Kingship and the Gods* (1948) ch. 22.

(2) S H Hooke, *Babylonian Assyrian Religion*, 58 ff

من تحرير مردوخ من جبل العالم الاسفل ، ولا نعلم كيف كانوا يمثلون هذه الحادثة في الطقوس الخاصة بذلك العيد .

٨ - نيسان : وبعد تحرير الاله ، بشرع في نقدر مصائر الكون والناس للعام الجديد ، بعد ان تجتمع الالهة وتمنح مردوخ السلطان والحول في تقدير الاقدار والمصائر .

٩ - نيسان : سير موكب مهيب يمثل انتصار الالهة الى معبد رأس السنة (ست اكسو) ، ويكون الملك مسؤولا عن ادارة سير الموكب ويمثل ذلك اشراك المجتمع الشرى ، ممثلا برأسه وهو الملك ، بالنصر الذي احرزته الالهة على قوى الطبيعة المدمرة وعلى قوى السماء .

١٠ - نيسان : يجعل الاله مردوخ بائصاره مع الالهة الاخرى (آلهه العالم العلوى والسفلى) في ولسه هام لهذا الغرض في المعبد المخصص لعبد رأس السنة . ثم يرجع الاله مردوخ الى معابد بابل للدخول بعروسه في ملك اللثة ، حيث تطلق القوى المولاه في الطبيعة والحياة .

١١ - نيسان : يجرى نقدر ثان للمصائر والاقدار البشرية للسنة الجديدة من جانب الالهة .

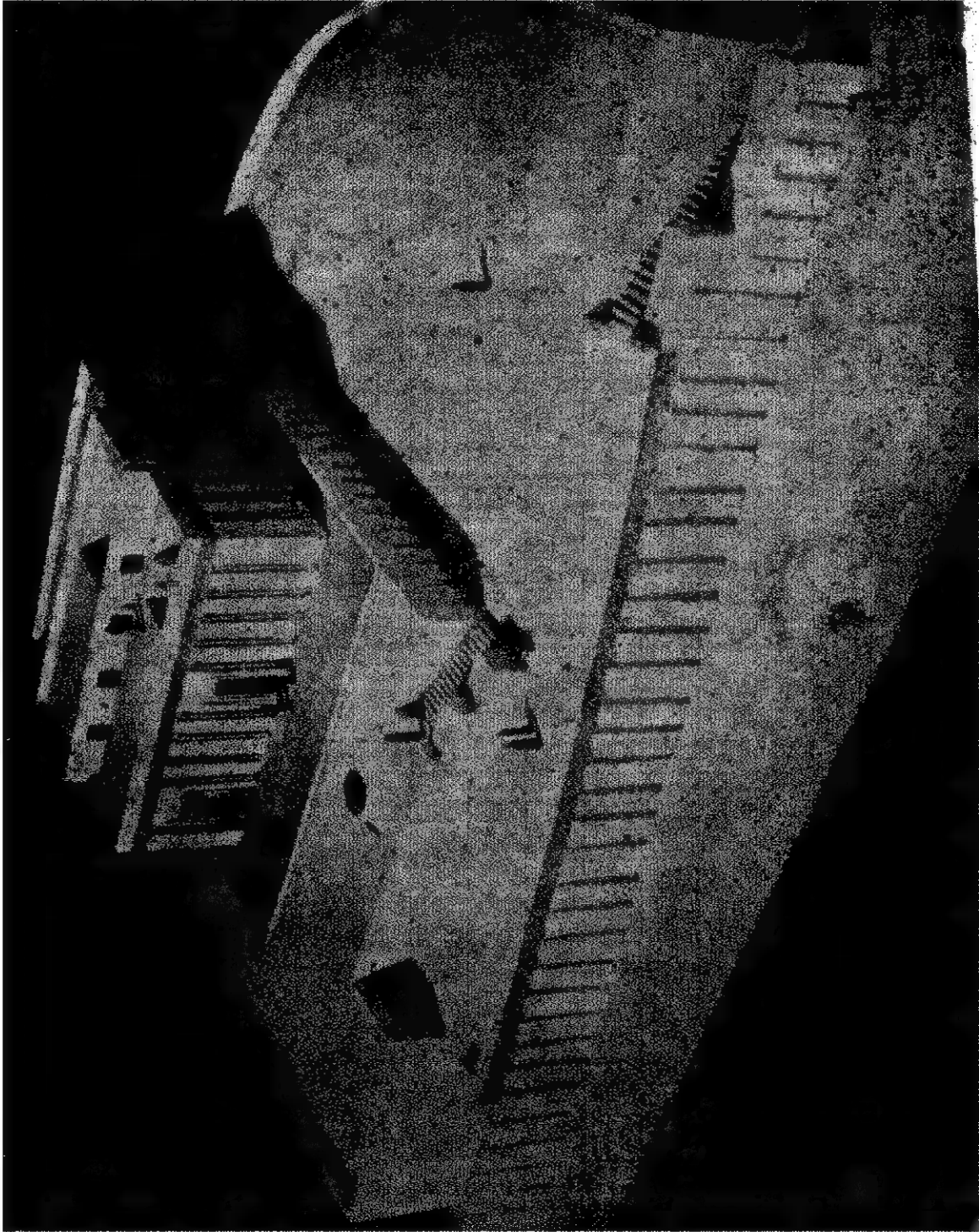
١٢ - نيسان : ينهى الاحمال وعود الالهة كل الى موضعه ومعهده الخاص .

وبالنظر لاهمية هذه الرسوم في عمات. القوم نذكر بشيء من التفصيل بعض طقوسه المهمة . ففي الايام الخمسة الاولى من العيد ، تجرى التطهيرات الدسة في اسا كلا (معبّر مردوخ في بابل) في كل صباح قبل شروق الشمس حيث يدخل الكاهن الاعلى بعد الطهر فصلى لمردوخ وللا الهة الاخرى ، من بعد ذلك يقوم الكهنة الاخرى بالاعمال الطقوسية المقررة^(١) ، وفي مساء

(١) حول الرسائل المقدسة التي يصلى بها لمردوخ انظر :-

(1) Thureau-Dangin, *Revue accadiens*, 129 ff

(2) Zimmern in *Der Alte Orient*. vol XXV (1926), 4 ff



نموذج مصغر للمعبد المشيد فوق مصاطب ، الذي كان اصل الصروح المدرجه
(الزقورات) (وجد في العقير ، من عهد الوركاء في حدود ٣٥٠٠ ق م)

اليوم الرابع تلى اسطوره الخليقة بكاملها فى المعبد ، لان رأس السنة الجديدة كان بمثابة خلق جديد ، فلاوة تلك الاسطورة وما ضمنه من انصار قوى النظام على قوى العماء فى الكون نفوية للآمال فى السنة الجديدة . وفى اليوم الخامس وهو يوم نوبة الملك أو الكفاره عنه يقوم الملك بالدور الرئيسى من الطقوس ، فى الصباح يصلى الكاهن الاعلى لمردوخ اسعاء مرصانه ، ثم يظهر المعبد ومقدم اقرباين وتقرأ الصاوند ، وهوم السحارون الناعون الى معبد «سو» فى بورسنا بصبح مضده للقرابين ومطله من الذهب حيث يقدمها ابن مردوخ هدية لابنه . وحيث كانوا يجرون هذه الاسعادات يدخل الملك الى مرار مردوخ ومعه الكهه ، وحين يصل الى ساحة المعبد سرکه الكهه فيظهر الكاهن الاعلى من حجره الهيكل فى المعبد (وهى أقدس حرة من المعبد حيث تمثال الاله مردوخ - انظر الكلام على المعبد) فيأخذ من الملك شارات الملك ، الصولجان ، والحلقة ، و «العامة» ، والناح ويضعها على مضده اراء تمثال الاله ، ثم يعود الى الملك ، فيلطمه على وجهه ويحمله سجد أمام الاله ، وهول الاعراف الآتى :-

«ام ادب يا سيد الافطار ، ولم اك مهملا ازاء الوهيك . لم اخرب نابل ، ولم اسب لها الهوان . لم احر بابساكلا ولم اعمل ماسكه النخ»
 «وحسه الكاهن الاعلى «لا يحف ولا يحرن . ان مردوخ سيسمع صلاتك وسيوسع من سلطامك ، وعلى من شأن ملوكيك ، وبصرك على أعدائك ومناوئك» . ثم يرجع الكاهن الاعلى شارات الملوكه الى الملك بعد أن يلطمه مره أخرى ، ويسحسحس ان يكون لطمه شديده بحيث اذا دمعت عينا الملك فلك علامة قال حسن على السنة الجديدة وعلى رصا الاله^(١) . وحين يكون

(١) لعل معنى ما يفعله كبير الكهه بالملك يسر الى نظرية أصل الملوكيه وابها خاصه بالآلهه ، أما الملوك فانهم يسوبون عنهم فى حكم البشر، ولكن لا يغير الملك نفسه حقيقه وواحبه فانه كان مجرد من صفه فيكون كسائر الناس فيلطمه كبير الكهه مذكرا اياه بحقيقه بصفه انسانا عاديا . وان اعاده شارات الملك ضمان فى نفوس الاله للملك بحكم البشر ، أما =

الملك داخل المصد « فى الهيكل قرب تمثال الاله ، يكون الناس فى الخارج فى هلع وخوف وحرع ، لانهم يعتقدون ان الاله قد «غاب» أو «اختفى» وانه أسر فى العالم الاسفل (عالم الاموات) . وبالإضافة الى احشاء الاله فان حوى الناس واهلهم يردادان فى هذا اليوم بالطر لفقدان الملك صفة الملوكية . فالمجتمع اصبح بلا اله ولاسلطة، أى بلاملك هو رأس المجمع، فيكون بحرحمه قوى الطبيعة وقوى الشر ، ويكون اول فرج لكربه المجمع اعادة شاراب الملك الى الملك ، تمهيدا لليوم التالى الذى يطهر فيه اله المدينة مسعرا على قوى الموت . ويتم ذلك فى اليوم السادس حيث يصادف ذلك محى «سو» بن مردح ، الذى يهرق قوى الشر وساعد اباه لبحرج من اسر قوى الموت ويأخذ شاره . ولكن قبل وصول «سو» يكون الناس ، كما ذكرنا ، فى هياج ، حيث يراكضون فى انطراف والارفه ، ناخئين عن مردوخ صا: حين معولين «اين يكون سيدنا مأسورا؟» ، ويرجح ان الناس كانوا يتجهرون وهم فى هاجهم فى حارة المصد والرفور . ويذهبون ايضا خارج المدينة قرب معبد رأس السه . كما يرجح ان انمره انخاضه بالاله مردوخ كتاب ترسل وحدها مسيره فى سوارع المدينة حاددا على صاحبها ، ويعصحب ذلك الهه (عشتار ؟) لتقوم بالنوح على الاله ، فى حين ان الجمهور يمثلون حرما فيما سهم .

وفى حلول اليوم السادس يأتى الاله «نبو» كما قلنا ، مع الآلهة

اعراف الملك ويطهره من الذنوب فلكى يكون لائقا للاشتراك بالشعائرالى سدنام عى لانام الاخرى من المصد .

(١) يرجع الى هذه الفعده اى فكره احشاء الاله واسره فى العالم الاسفل جميع الاساطير التى جاءنا من العراق القديم حول موت الاله الموت مثل موت «مور» . ثم فنامته بمساعدته اله او آلهه . كما فى اسطورة برول عشتار الى العالم الاسفل لارجاع مور الى عالم الحياه . فهناك روايات سومريه ونابليه حول ذلك (أنظر ترجمتها فى مجله سومر المجلد ١٩٥٠) وكذلك المرجع **Ancient Near Eastern Texts** كما انه تتعلق بالفكره نفسها مساله الزفوره والاعتماد بأنها ترمز الى قبر الاله بحيث ان المؤلفين القدماء كانوا يسمون برج بابل « قبر بيل » اى قبر الاله مردوخ .

الآخري ، حيث تحمل تماثيلهم من نفر والوركاء وكوني وكيش وبورسبا ،
 وحين تنزل تماثيل الآلهة من سفنها في رصيف بابل تسير من بعد ذلك كما ذكرنا في
 موكب مهيب في شارع سمي لهذا السبب بشارع الموكب ، حيث يمر من
 باب عشار ويحده شمالا الى المعبد المخصص لعبد رأس السنة ، ويكون الملك
 مرافقا للموكب وهو يسكب الماء المقدس امام الآلهة في موكبها . وكان
 الملك الآشوري في بلاد آشور يقوم بدور فعال أكثر من الملك البابلي .
 وحيث انه في الشمال يكون الاله المقذ هو «نورتا» فيمثله الملك وهو راكب
 في عربته الملكية مع موكب الآلهة . أما الاله الذي يحتفل بصره فهو الاله
 «آشور» . ومن المراسم التي كانت تجري عند وصول «نبو» الى بابل قتل
 جملة من الخنازير الرية في عابات القصب العربي (رمزا لقل آلهة السماء) ،
 كما أنهم كانوا يقطعون رأسي تماثيل مزينين بالجواهر (كانا يصنعان في اليوم
 الثالث من نيسان) . هذا ولا يعلم كيف كان يتم تحرير الاله المأسور في
 العالم الأسفل في تلك الطموس ، فهل كان يرمز لذلك بمنيلية خاصة
 أيضا ؟

وبعد تحرير الاله تؤخذ تماثيل الآلهة في اليوم الثامن من نيسان
 وتوضع في حجرة خاصة في معبد مردوخ تسمى «بحجرة الاقدار والمصائر»
 (وقد ورد نفس الاسم في اسطورة الخليقة البابلية وهو يطلق على مجلس
 شوري الآلهة) ، حيث يفوض مردوخ في تقدير مصائر العام الجديد ،
 ويعاين ذلك في اسطورة الخليقة اجماع الآلهة في مجلسها وتداولها عن
 اسمائها وسلطاتها الى مردوخ وانتخابه ملكا عليها وبطلا لها في الحرب مع
 قوى السماء (تيامة واتباعها) . ويصف انا نص جاءنا من مدينة الوركاء^(١)
 كيف كان يجري ترتيب تماثيل الآلهة في «حجرة الاقدار» بحسب مراكزها
 ومراتبها . وكان الملك يقوم بدور «منظم الاحتفال» أو الحاجب حيث يحمل
 بيده صولجانا براقا ويعين مجلس كل اله بأن يأخذ النمثال بيده ويضعه في

(1) Thureau-Dangin, *Rituel Assyrien* P. 103 ff.

مكانه اللائق فى «القاعة العظمى» بحيث تكون تماثيل الالهة مواجهة لتمثال رئيس الالهة «مردوخ» . وحين كانت هذه المراسيم تجرى داخل المعبد يكون الناس فى الخارج ملتزمين الهدوء فلا يحدثون ضوضاء ولا ضجة لئلا يتعكر مجلس الالهة بضوضاء البشر فيحل الشر فى العالم . وىم الاحفال ينصر الالهة على الموت فى اليوم التاسع من العيد ، حيث قلنا ان تماثيل الالهة كانت تسير بموكب فخم من شارع الى معبد رأس السه ، ويجربا بعض الملوك الآشوريين الذين دخلت بابل تحت حكمهم (مثل سرحون) انه ذهب خصيصا الى مدينة بابل للاشتراك فى احفال رأس السه ، وكيف انه امسك بيد الاله «مردوخ» فى الموكب فى سيره الى معبد رأس السنة^(١) ، حيث كان الموكب يسير شمالا ويمر من باب عشار المهيّب (وهو الجراء المهم الناقى فى خرائب بابل الآن) ومن ثم تركب السائيل فى قوارب عبر المزاب الى المعبد الخاص وقد صور لنا سحاريب مثل هذا المشهد (اى موكب الالهة) فى أبواب النحاس الى صمها معبد رأس السه فى آشور ، وكيف ان الملك كان يظهر فى عربة الاله آشور (حيث يكون الاله آشور فى الشمال بدلا من الاله مردوخ فى بابل) ، ومن بين ذلك ايضا صورة للاله آشور وهو فى حربه ونزاله مع «يامة» ، حاملا قوسه وسهمه وكيف يرافقه فى حربه الاله «شمس» و«داد» وبعض الالهة الاخرى . وهناك احتمال فى ان ممثلة كانت تجرى فى ذلك المعبد مثل الحرب بين آلهة الطعام وانجاء وبين آلهة الدمير والموت . والاحمال بوليمة فاخرة بانتصار الاله مردوخ الذى قلنا انها كانت تمام فى اليوم العاشر من الاحمال ، أما ما اشرنا اليه من أمر الرواح المقدس الخاص بالاله مردوخ الذى كان يسم بعد رجوعه من الاحمال فانه كان يتم بحسب معتقداتهم بين الاله والالهة رمزا لاستئناف عملية

Luckenbill, *Ancient Records* (1927, II, sec. 70

(١)

Pellis, *Die Akitu* (1926)

وحول هذا المعبد انظر

الخلق والتجديده في الربيع بديقامة الاله من عالم الاموات ، وهذا هو الزواج المقدس الذي كان يقوم به ايضا الملك بصفته عريس الالهة فيكون عندئذ مؤلها مقدسا . وعادة الزواج الالهى المقدس عادة قديمة في حضارة وادي الرافدين ، فقد سبق ان ذكرنا احتمال تفسير عادة الدفن مما يدعى بالقبور الملكية التى اشتهرت بها عصور فجر السلالات . حيث قلنا ان تفسيرها آخر هو ان الملحودين فى تلك القبور هم بالدرجة الاولى كاهن وكاهنة كانا يقومان بدور الزواج المقدس فى فصل ظهور الانبات ، ولعلهما كانا يقتلان بدفنه ، ويرجع كثيرا ان حجر خاصة كانت تخصص فى المعبد للزواج المقدس^(١) . ومهما كان الامر فانه كان يقب ليلة الزواج أو العرس الالهى ، مراسيم خاصة فى اليوم التالى (اليوم الحادى عشر) ، حيث كان يتم فيها تقدير الاقدار مرة ثانية من جانب الالهة . ولا سيما الاله مردوخ بالنسبة الى مدينة بابل ، وينتهى العيد فى اليوم الثانى عشر برجوع الالهة الى جامد الى بابل الى مواضعها فى المدن البابلية . والى مثل هذه الاعياد الدينية . كانت الصفة الدينية تطلق على الاحتفال العامة الاخرى ، مثل الاحتفال بالنصر أو الاحتفال باقامة تمثال أو انشاء مدينة أو حصر نهر أو بتتويج الملك حيث يقوم الكهنة بقسط كبير من التراويل والشعائر الدينية .

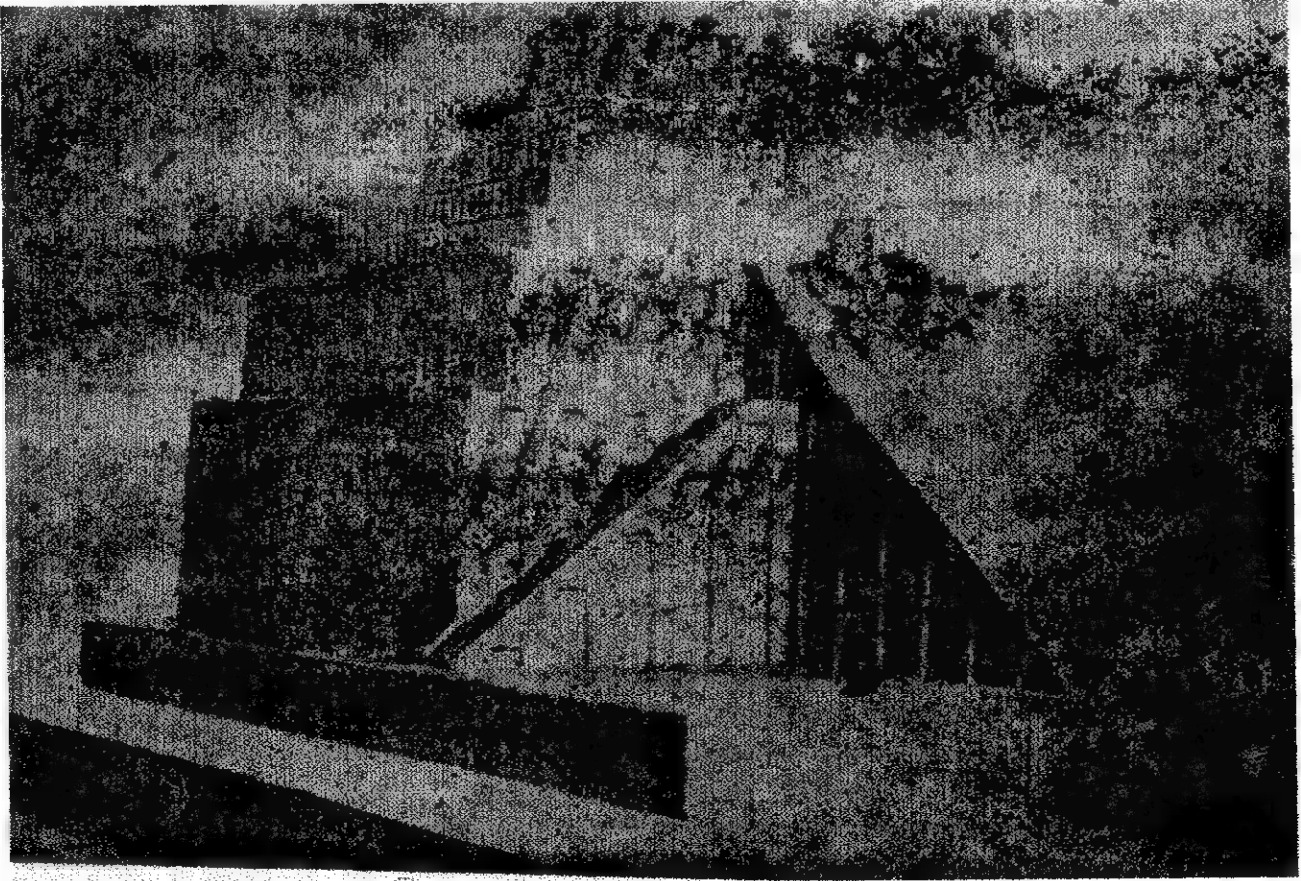
الكهنة

مما لا شك فيه ان الناس كانوا فى العصور القديمة التى سبقت زمن

(١) وبهذه المناسبة يجدر الاشارة الى رواية هيرودوتس حيث يروى لنا ان معبدا كان فوق الزقورة . حيث يوجد سرير ومنصدة من الذهب ، وانه لا يقيم فى هذا المزار سوى امرأة كاهنة كان البابليون يعتقدون فيها ان الاله **اسلاما** له . حيث اعتاد النزول الى ذلك المعبد والاستراحة والنوم .

ولعل مما يؤيد رواية هيرودوتس بالنسبة الى موضع الزواج المقدس ان البابليين كانوا يدهون ذلك الموضع باسم (giginu) ، وهو موضع يرى فيه الباحثون حديثا انه جزء من البرج (الزقورة) ، ولعله فى الطبقة الثانية من الزقورة كما أظهرت التحريات الحديثة فى البرج الخاص بمدينة السوس .

نضج الحضارة يتولون شؤون عبادتهم بأنفسهم ، فيقيمون صور الآلهة فى بيوتهم ويطعمونها من طعامهم ويسألونها بأنفسهم بدون شفيع أو واسطة هى طبقة الكهنة ، ومما يجدر ذكره انه لم يكن فى الازمان القديمة فارق واضح بين الموظفين المدنيين والدينيين ، فكان « الايشاكو » مثلا الكاهن الاعلى للاله وفى الوقت نفسه الحاكم الزمى . وكان الملوك يلقبون انفسهم بكهنة الآلهة ، واستمر الامر كذلك الى آخر التاريخ البابلى ، وكثيرا ما تقلد الحكام والامراء والاميرات منصب الكاهن الاعلى لاله معين . وقد اسوجب تطور الحياة الاجتماعية وضروره تنظيم المعابد بشؤونها المختلفة ان تنشأ طبقات وأصناف من الكهنة لكل صف منها عمله ووظيفه وقد أحصى ما يربو على الثلاثين صنفا من أصناف الكهنة مما جائنا فى المصادر المسمارية . فمن اصناف الكهنة « الكاهن الاعلى » الذى كان يدير شؤون المعبد وهو على رأس الطبقات الاخرى . وطبقة من الكهنة كانت تتولى شؤون السظف أو التطهير الدينى ، ومنهم من كان يقوم بامور الدهن والمسح المقدسين الى الملوك . وتخصصت طبقات من الكهنة فى ادارة شؤون المعابد من احصاء وارداتها واملاكها وادارة شؤونها المحلية . واخصت أصناف من الكهنة باعمال السحر ، العرافة والكهانة . فكان العرامون والراقون يولون طرد الشياطين والارواح الخبيثة بالرقى والعزائم وبالسحر المسند من الآلهة ، ولا سيما الاله « اياه » وسولى العرافون شؤون معرفة المستقبل وتفسير الفأل والاحلام . ومنهم صف المزين والمرتلين والزمارين والى جانب الكهنة كانت هناك طبقات من الكاهنات ، كن يعشن فى العالب فى بيوت خاصة بهن قرب المعبد . وقد ورد ذكر بعض اصنافهن فى شريعة حمورابى . وكان للكهنة والكاهنات البسة وازياء خاصة ولا سيما ابان اقامة المراسم والشماثر الدينية ، وكانت دورهم قرب المعبد ولهم مرتبات وجرايات من واردات المعبد . وكان لصف الكهنة بوجه عام ثروات ونفوذ فى الدولة وفى شؤون الناس الخاصة والعامة .



صوره يمثل الصرح المدرج (الزقورة) في مدينة بابل
كما ينبغي ان تكون عليه في الاصل

الكهانة والعرافة

ان رغبة الشر في معرفة ما سيحدث مهم وما يخوّه
لهم الغيب أمر شغل عمول الناس باختلاف مراتبهم في سلم الحضارة منذ
أقدم العصور . وقد عنت الافوام القديمة بهذا الامر بوجه عام ، فكان
للكهانة والعرافة عندهم شأن عظيم في حياتهم . ولم يشذ سكان العراق عنهم
بل فاقوهم من حيث تعدد طرق العرافة عندهم . وبوسعا ان ندرك اساس
الكهانة باعفادهم ان ما يحدث في هذا العالم اما هو مقدر من الآلهة فلو
عرف الانسان اراده الآلهة لاستطاع ان يقف على نتيجة اعماله . وقد اعتقدوا

ان معرفة اراده الآلهة أمر ممكن لطبقه خاصه من الناس نستطيع أن نفهم على مشيئة الالهة في الطواهر السماوية وفي حركات الاجرام السماوية وفي الرؤى والاحلام وفي المخلوقات الشادة وفي الامارات التي تظهر فسي كبد الحيوان المصحى النج . وكان للمنطق البدائي دخل كبير في تفسير هذه الطواهر ، فسابع الحوادث وبصير الحادثة الاولى علة والحادثة التالية معلولا والقياس على الاشياء والظواهر وتربط الافكار ويداعى المعاني كل هذا وغيره قد حمل أمر العرافة والكهانة يراعى للمباليين وغيرهم من الاقوام حقيقته لا شك فيها ولا رب . والحقيقه ان الطواهر والامارات التي كان البابليون يلاحظونها فسدلون منها على ما سيكون متعددة كثيرة يصعب حصرها ، ولكنا نستطيع ان نصنفها الى صنفين . فصنف يصمن الاشياء التي يقصد حدودها العرافون ، يصنفهم مثل فحص كبد الحيوان المصحى وحلظ الماء بالريب ومل الازالام عند عرب الجاهلية وغير ذلك مما يصح ان يطلق عليه اسم « العرافة المقصودة » . اما الصنف الثاني فدخل فيه طواهر تحدث ولا شأن بحدوثها للاسان واما شاهدها ويفهم مغزاها مما يعلق بارادة الالهة . وهذه متنوعة كثيرة مثل مشاهد الكواكب ورصدها ، وهو السجيم ، او الرؤى والاحلام او في الرلزال او في الحسوف والكسوف الى غير ذلك من الحوارق . وكان الكهنة هم الذين يولون شؤون العرافة كل بحسب احصائه ومعرفة .

ولأخذ أمثلة من العرافة المقصودة ومن ذلك فحص الكبد (Hepatoscopy) وهي طريقة اشترت من العراق القديم الى اكثر الامم العديمة مثل الحثيين والأتروسكيين والاعريق والرومان . وكان أساس هذه الطريقة من العرافة ان البابليين كانوا يرون وجود علاقة بين الاله الذي يقرب اليه الحيوان المصحى والحيوان نفسه ، اد عندما يضحي الحيوان ويقدم الى الاله فانه يكون حراما من الاله كما يكون حراما من أحسام الناس الذين يأكلونه . فتكون روح الاله او نفسه نفس الذبيحة او روحها او ان روح الحيوان تتمثل بروح الاله وعلى ذلك فمن الممكن للنشر ان يطلعوا الى روح الاله ومن

ثم معرفة ارادته بدرس روح الذبيحة . ولكن اين توجد روح الذبيحة الى تمثل بروح الاله ؟ اى فى اى عضو من اعضاء الذبيحة يمكن ملاحظتها؟ والجواب على ذلك ان البابليين عدوا الكد دا علاقة وثقى بالروح والحياة . لانهم رأوا أن فى الدم الحياه نفسها والكبد مسودع الدم (يوجد فيه نحو ١/٢ كمية الدم) ، واذا فبممكن معرفة اراده الاله من فحص كبد الحيوان المصرب وفهم ما يظهر فيه من علامات وامارات عبر عن مشيئة ذلك الاله وارادته وعلاوه على ذلك فان مصدر من العرافة من فحص الكبد من الالهة فالاله « شمش » مثلا هو الذى سطر فى نفس الذبيحة « اى فى كبدها » علامات النبوءة والقأل . والعرافون لم يحصلوا على هذا الفن الا ناراده الاله وبعد رياضة وممارسه . وقد حلف البابليون والاشوريون والحثيون ألواحاً من الطين فيها صور الكبد واسماء احرائه وتعاليم وارشادات فى كيفية ملاحظته هذه الاجزاء والامارات التى يظهر فيها والسوء منها^(١) . وقد اسعمل « عرافه الكبد » كثير من ملوك العراف الاقدمين قبل القيام باعمالهم وحملاتهم الحربية وكذلك فعل غير واحد من اباطرة الرومان . وسمى البابليون احراء الكبد باسماء مخيأة لمشايتها الاشياء التى سمى بها مثل الاصع والهم والطريق والقصر والباب والعرش الخ . وبعد اسحاب الدسحة الصالحة من الوجهة الدسية يقدم العراف « البارو » امام صنم الاله ومعه مودود ومضدود وان من الخمر وشيء من الحبر ومزيج من الزبد والعسل والملح ثم تأخذ العراف بمد السائل المصرب وسلو بعض الدعاء فحواه مخاطبة الاله والاستئذان منه بمزيج الذبيحة اليه ، ثم يحرق الذبيحة ويخصص للاله أحسن أحرائها ثم يفحص العراف الكبد فشاهد اجزاءه وما تظهر

(١) حول ذلك راجع —

- (1) British Museum, **Cuneiform Texts**, Part VI, (1898) Pls 1, 2, 3
 (2) A. Boissier, **Mantique babylonienne et mantique hittite** (1935)
 (3) A. Goetze, **Babylonian Omen Texts** (1947).

فيها من علامات كالفقاييع والخطوط والسفوف ووضع السموات الى تربط المرة الصمراء . وفي احراء الكد علامات صالحة وعلامات غير صالحة وقد تربو الصالحة على غير الصالحة . تكون هي المسره وادا ساونا بعد الفأل بفحص ان وبالث .

ومن اصناف العرافة المقصوده طريقه صب الماء في الاناء مع انريت وهي ما يطلق عليها اسم (Lecanomanancy) من (lekane) ومعناها اناء او طشت و (mancy) اي عرافه او فال وقد اسعمل البابليون هذه الطريقه كثيرا وقد جاء في ماثرهم ان احد الملوك القدامى (وهو ملك لم يذكر الا في انساب الملوك والاساطير واسمه « امداور انكى ») هو الذى اوجد هذه الطريقه من العرافة . قد ورد الماء من زمر حوراني مصدران واسعان في كيفية اسعمال هذه الطريقه ووجدت اوان من الفخار من عصر فجر السلالات (٢٨٠٠ ق م) ترجح انها كانت سعمل لهذه الغايه . ووصف الكتابات المعلمة بهذه الطريقه ما شاهده العراف من كسفة اخلاط الرب بالماء ونشوء حلقات من الرب واجاهها وطوافها في الماء .

التنجيم (Astrology) : والتنجيم من العرافة - المقصوده اي العرافة المبنيه على ملاحظة حوادث وطواهر لا دخل للعراف بحدوثها . ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان سه الى بعض الاوهام السائعه فيما يتعلق بملافة النجوم بالملك ، وان الملك مشأ من النجوم . والواقع ان ذلك يحالف الحقائق المعرره . فلم يكن مشأ علم الملك عند العرافين الاقدمين انرعه في معرفه المستقبل والاخبار عن الغيب التى هي مشأ التنجيم ، واما أصل علم الملك من حوافر وصرورات تتعلق بمعرفة الفصول والمواسم وقياس الوقت وحسب ارمان فيضان الانهر ومواسم الررع النخ . وبوسعنا ان نقسم التنجيم الى نوعين متميزين ، فالنوع الاول وهو الاقدم عهدا يصح ان نطلق عليه اسم معرفة الاحكام (Judicial Astrology) وهو الذى عرفه البابليون واستعملوه ، ويقصد به رصد الاجرام السماوية وملاحظتها والاستدلال من ذلك عما

سجل بالملكة أو ما سجل بالملك أو الحكومة أو المدسه وغير ذلك من الاشياء العامه . اما النوع الثانى فهو حديث العهد بالنسبة الى النوع الاول وهو الشائع بين الناس من كلمة النجيم ، وهو معرفه طالع الاساس وما سجدت له تأثير الروح والكواكب والشمس والقمر مد ولادته ، ويصح ان يطلق عليه اسم الطالع^(١) ولم يعرف هذا النوع من النجوم فى العراق الا فى الارمان المتأخرة فى العهد السلوى مد القرن الثالث ف . م .

ومن أمثلة رصد النجوم لعرض النجيم ان المألوف فى الهلال أن لا يرى منذ اليوم السابع والعشرين ولكن اذا ما طهر مد اليوم السابع والعشرين تطيروا من هذه الطاهرة وعددوا الشرور والكوارث التى يصيب البلدان المحلقة . واسعملوا ألا آخر من احوال رؤية الشمس والقمر معا بين اليوم الثانى عشر واليوم العشرين فمثلا : اذا رؤى القمر والشمس معا فى اليوم الثانى عشر فيكون ذلك بذرا بروال السلالة الحاكمة وفناء السكان وكره السراق . وكانوا يظنون كثيرا من خسوف القمر ، فاحصوا لذلك حالات لكسوف باختلاف الاشهر والايام وكذلك تطيروا من كسوف الشمس . وقد عروا خسوف القمر وكسوف الشمس الى فعل العقارب والشاطين وحرها مع الآلهة فكانوا كما ذكرنا يهيمون بنوع من الصلوة بهذه المناسبة . ومن الكواكب التى كانت تسعمل للنجيم « الزهره » التى تمثل الآلهة عشتار ، فكانوا يلاحظون طلوعها وغروبها وشدة لمعائها فى الاوقات المحلقة ، وكذلك لاحظوا المشرى (الذى تمثل الاله مردوخ) ورصدوا بعض النجوم الأخرى المعروفة مثل الشمعى والحدى والدب الأكبر النخ . وكذلك لاحظوا الظواهر الجوية المخلفة للمأل والتطير كالروابع والصواعق والمطر وهبوب الرياح .

(١) ويطلق على هذا النوع اسم

وقد تظهر الآلهة ارادتها في الرؤى أى فى الاحلام . اذ كثيرا ماتظهر الى الصالحين والابرار فتنخرهم بالحوادث الخفية . ويكون الاخبار اما صراحة أو رمزا فيحتاج الرائي فى الحاله الثانية الى مفسر أو مصر عن الرؤيا ، واختصت طقة من الكهنة فى تفسير الاحلام وهم طبقه « الشائلو » . ومن أنواع الفأل المهمة عند البابليين طسعة الايام المختلفة من الشهر وتقسيمها الى أيام صالحة ومالحة وكان للالهة اعداد خاصة مقدسة وكذلك للأفراد أرقام خاصة مقدرة ، وهذا يذكرنا بطرية فيثاغورس من ان اساس جميع الاشياء العدد ومن الطريف ذكره ان العدد ١٣ كان من جملة الامام الى تطير منها البابليون . وقد حلف لنا العرافون اننا با جميع ايام السنة ونصين الامام الصالحه والنحسة وما قد يحدث فى الايام المختلفة من خير وشر . واستخدم العرافون الحيوانات والطيور وما يلاحظون فيها من شذود فى الحلقة علامات للفأل ايضا ، وكذلك لاحظوا طيران الطيور فاذا طار صقر مثلا ومر من يمين الملك الى يساره فان الملك ينتصر ، واذا طار من يساره الى يمينه فانه يحقق رغبته .

السحر :

كان للسحر عند سكان العراق الاقدمين شأن كبير فى حياتهم العامة فكان عددهم حقيقة لا ريب فيها ، وكانوا يعالجون به الامراض التى تسببها الشياطين والارواح الحية . واساس السحر عددهم مثلما كان عند الشعوب القديمة وبعض الشعوب الحاضرة مسمى على قاعدتين مشؤهما المطلق الدائم الساذح ، فالقاعدة الاولى فحواها « ان الشيء يحدث شبيهه » او ان السبب المشابهة ينتج عنها نتائج مشابهة ، والقاعدة الثانية ان الاشياء التى كانت فى وقت ما مصاحبة ويؤثر بعضها فى بعض تستمر كذلك بعد ان يفصل بعضها عن بعض . ويصح ان نطلق على القاعدة الاولى « قانون التشابه » (Law of similarity) وعلى القاعدة الثانية قانون المصاحبة أو العدوى (Law of contact or Contagion) ويستطيع الساحر مثلا بموجب القاعدة الاولى احداث شيء بنقل حدوته . ويستطيع بحسب القاعدة الثانية ان يحدث شرا أو حرا فى انسان ما باحداث خير أو شر فى أشياء كانت جزءا من ذلك

الاسنان أو انها تعود له ، كشعره وقلامة ظفره أو قطع من لباسه . فيوضح من ذلك ان السحر مسمى على فوائن نسبه بالفوائن المطبقة أو فوائن مزيفة، فهو على ذلك علم ، ولكنه ، كما يدعى احانا « علم غير شرعى » وبالإضافة الى ذلك يعتمد السحر على افراس وجود عوامل خفية « كالارواح والقوى تعمل على تحقيق العمليات السحرية » ولذلك فسمى السحر جميعه بالسحر الانحذابى « (Sympathetic Magic)

والسحر تكاد يكون من العناصر العامة الموحودة فى حضارات جميع الشعوب . والعكر السحرى أو العلية السحرية أقدم طور فى تطور عمل الانسان ولا يزال موجودا فى أعين طبقات العمل الشرى و النفس الشرية، وسجل ذلك فى اعماد الانسان بحدوث الاشياء التى برعب فيها بمجرد رغبه فى حدوثها لان تفكيره قادر على ذلك^(١) . والغريب فى أمر السحر ان اكثر عملياته تكاد يكون مطابقة مشابهه عند معظم الشعوب . فمن الاشياء العامة الموحودة عند اكثر الشر طريقة اذاء العدو بعمل دمية او صورة من مواد معبىه وكسرها او حرقها ، اد بموح قانون الشابه يسبب كسر يد الصورة او اطلاق عينا صررا مماثلا فى الشخص الذى تمثله ، وقد استعمل ذلك سحر « البابليين والمصريين واليهود والنوبان والرومان ، ولا يزال شائع عند الشعوب المتأخرة . وادا أراد اليهود الحمر فى أمريكة اذاء عدو فانهم كانوا يرسمون شخصه على الرمل أو الرماد أو الطين ثم شوهون هذه الصورة أو يلغونها . ومن الاعمال السحرية الشائعة عند البابليين امكان تدمير الاعداء الذين اصرروا فردا بالسحر بحرق صور تمثلهم وتلاوة تعويذه فى مخاطبة الاله الحارس بالنار بان يحرق من أحدث الاصرار بذلك الشخص . وادا أراد العاقر عند بعض القبائل فى سومطره الحمل فانها تضع دمية تمثل طفلا فى حصنها وتضعها على صدرها كأنها ترضعها ويساعدها فى ذلك رجل كثير الذرية بأن تأخذ فرج دحاحه وتقربه من رأس المرأة ويمسم «أوبولير»

يصل هذه الدجاجة ، وأنصرع الذئب ان تسقط في بدي طفلا ، ثم سأل المرأه « هل جاء الطفل ؟ » فحيه « نعم واني الآن ارضعه » ثم يأخذ الدجاجة ويضعها على رأس روح المرأه ثم يذبحها ويذهب المرأه الى فراشها ويقلد حالة النساء فأنى اليها ساحاتها فياركن اليها بالمولود الجديد « ومن الامثلة على القاعده الثامه ومعنى بها قانون العدوى أو استمرار التأثير ، حرص كثير من الشعوب على احفاء السن المفلوع أو شعر الرأس أو فلامه الاصغر مخافة ان يقع في يد عدو يستطيع ان يحدث الضرر بالشخص الذي يعود اليه ، ويعتقد كثير من الافوام بوجود علاقه بين الحريق وبين الاله الى سبب حرقه ، وان هذه العلاقه تستمر ما دام الشخص مريضا « وعند بعض الافوام المأخوذ في « ملائحته » اذا عبروا على السهم الذي سبب الحرق فانهم يصعونه في محل مرطب ليرول اليهاب الحرق ، ويستطيع الحارح ان يطل امسد الحرق بان سرب اشياء مهبجه حاره أو انه يحمي السهم أو العوس بالنار ، وود « مخرج عن السحر نوع سالب من السحر مداره على نخب اشياء ينسج عملها عواقب غير صالحه وهذا هو مبدأ الحرام « الطبو (Taboo) وهو عام عند معظم الشعوب »

وكان السحر عند البابليين والاشوريين من أعقد وانظم ما عرف من أنواع السحر وكان على صنفين صنف صار يقصد به احداث الضرر بالساس وقد حرمه القوانين وفرص على معاطفه عقوبات صارمه كما ورد في شريعة حمورابي ونوع حلال سخذ لمقاصد كثيره من أهمها شفاء الامراض وطرد الشياطين من اجسام الناس حيث سبب لهم أنواعا كثيره من الامراض « وكاتب هذه الشياطين بملا العالم البابلي وهي على انواع كثيرة لا يحصرها عد ، ولكن نوسعنا ان نصنفها الى ثلاثة أنساف بحسب الاصل الذي كان البابليون يعتقدون انها اسفقت منه ، نصنف من الشياطين أصله ارواح نوع من المومي من الشر ، والنصف الثاني «ضمن شياطين بحه وصنف أصله مركب من الشياطين والبشر وهو على الغالب نسخه تزواج البشر مع الشياطين»

والصف الاول هي الارواح التي فارقت اجسادها بعد الموت وخرجت من عالم الارواح فصار نوعا من الشياطين يؤدى البشر ، ومن أسباب ظهورها ما ذكرنا من عدم دفع الميث أو دفعه على غير السن الدينية المبعة ، أو عدم عدم المراسن الى الموتى أو فى حالة شش من الميت واخراج رفاقه وحيثذ يخرج الارواح بهيئة اشباح سموها « الاطمو » وقد عرف البابليون من الصنف البانى ، وهو صف الشياطين الخالصة . أنواعا كثيرة سبب الامراض والويلات للبشر .

وكان السحر الذى يحاربون به الشياطين مستمدا من الالهة . وقد حاف البابليون شيئا كبيرا عن طرق السحر المخلفة والمعاونذ والرفى المذوعة وقد رسوا ذلك بهيئة مجموعات وعمومها معاوين خاصة وتعلق كل مجموعة بعمليات سحرية خاصة اثناء الامراض وطرد الشياطين وغير ذلك من الاعراض .

١٤١٥ : والبتانيات الدينية :

أمد المحاف فما سبق الى أهمية المعابد فى حياة المجتمع فى العراق القديم ، وهى عدا صفها الدسة ذات علاقته ونقى شؤون الناس الدسوية . فكانت مثلا مركزا مهما للنصاء من الدس . وكان أهمية المعابد قصاء ، وكان حرم مهم من المرافعات المضائية يعلق بالمعد وكهنة المعد مثل القسم ، وكان الممد الى كل ذلك مصرفا (أى بك) للمدايات والانداع ، وقد امدنا كثير من المصابذ بكور نمسه من الآثار الصة والسجلات الدسة والدسوة الى كانت تودع فى المعابد وكان المعد كذلك مركزا علميا للعلم والبحث والتألف والنقل ، وفيه يحفظ سجلات الآداب والعلوم الى حاف دور السجلات وخرانات الكتب الملوكية .

وبوسع المرء ان يرض انه لم يكن لسكان العراق القدامى فى بداية أمرهم وفى أطوارهم الدائرة معابد عامة ، واسا كانوا يعبدون آلهتهم فى

يونهم الخاصة وقد رأيا في بحثنا في عهود تاريخ العراق ان المعبد كان أول ما ظهر من البنايات العامة وذلك في عصور ما قبل التاريخ وبوجه خاص في العصور التي سمنها بمصور ما قبل السلالات وقد ظهرت بوادر المعابد لأول مرة في عصر حلف وكرت في زمن النعيد البالي حيث ظهرت نماذج كثيرة من المعابد في الشمال والجنوب ، كالمعابد التي ظهرت في «ته كورا» (قرب الموصل) والمعابد التي ظهرت في «اربدو» في الجنوب وكثير المعابد فيما بعد ذلك في الارمان البالية ، وظهرت أولى الرقورات (جمع زقورة) أو الصروح المدرجة في الوركاء وفي العفر في العهد الذي سميناه بالوركاء . ومما يلاحظ في المعابد بوجه عام انها مشابهة منذ اول ظهورها وهذا يدل بوجه حلي على استمرار حصاره العراق القدم وتدرجها في النمو والطور بدون فترات .

ويمكن ان نقسم المعبد بوجه عام الى قسمين مفصلين ، يطلق على أحدهما المعبد العالي الذي تمثله الرقورة ، والثاني المعبد المؤسس على الارض المسوية قرب الرقورة ، ويشأب الرقورة ، او الصرح المدرج من فكره اقامة معبد الاله فوق مربع صاعى اساره للسمو والعلو (هذا هو معنى اسم الرقورة في اللغة البابلية) وكانت الرقورة مكونة من طبقات من الساء الصلد ، مربعة أو مستطيلة مدرجة السعة ويختلف عدد الطبقات باختلاف المواضع فهي تراوح من ٣-٧ طبقات وشيد فوق الطلعة العليا مرار او معدصعير لعله كان موضع فيه تمثال الاله ، وبرقى الى الرقورة بثلاثة سلالم ، ويوجد قرب القساعة السفلى من الرقورة بعض الحشرات والمرافق ويحيط بها سور مقدس ، ويوجد آثار في اقاص بعض الرقورات تشير الى احمال تلوين الطبقات المختلفة بالوان مختلفة ولعل البابليين تصوروا ان المعبد المشيد فوق قمة الرقورة هو لاسراحة الآلهة عند نزولها من السماء واذا نزل الى الارض فانها تجد بوئا خاصة لها هي المعابد الارصة التي تطهر فيها لاسماع صلوة البشر وتسلم قراينهم والاسماع الى مظالمهم وشكاتهم وان أقدم جزء في المعبد

الأرضى باب غير نافذ فى أقصى المعبد بهينه محراب ، وكانوا يضعون هنا
أصنام الآلهة فوق دكة من البناء أو كرسى من الخشب . وحجرة الهيكل
هذه أهم حرة فى المعبد وقد تكون وحدها معدا قائما بنفسه وكان أول جزء
من المعبد يدخل اليه المعبدون حجرة الحجب أو حجرة المدخل وتؤدي هذه
الى ساحة مكسوفة ومن الساحة يدخل المرء الى حجرة أخرى بجوار سميها
بحجرة « الماس » ثم الى حجرة أخرى هى حجرة الهيكل التى كانت أقدس
حرة فى المعبد حيث يوجد المحراب ودكة المذبح وتكون مدخل هذه الحجرات فى آخر
المعابد البابلية باتجاه واحد بحيث اذا اسحب الأبواب برى الواقف فى حجرة
المدخل المحتراب فى أقصى المعبد وقد يقال لأنه . وتكون حجرة الهيكل
فى المعابد الآشورية فى الجانب وليس باتجاه المدخل . وفيما عدا هذه الاجراء
الرئيسية يوجد ساحات خارجية وحجرات ومرافق أخرى كثيرة بحسب
بالساحة حصص بعضها للمكهة وبعضها لتطهير المقدس . وكان أكثر المعابد ،
مثل معبد « أسا » كتي نابل ، يحوى على سائل آلهة كثيرة يوسع فى حجرات
تأويه مع سائل الآلهة الرئيسى الذى سيد به المعبد .

وسميت المعابد بتوعنها ، أى الرفوردة والمعبد الأرضى ، وأسماها - بالمدنها
وقد وردت اثنان مقلوبه . أسماء المعابد واسماء الآلهة وكانت تسمى جميعها مرميا
مهما صغر لا يخلو من معبد لعادة الآلهة أو الآلهة انبى بعد فى تلك الساحة ،
اما فى المدن الكبيرة فكان بينها امر من معبد واحد . وسادت فى اغلب
هذه المدن الكبيرة الرفوربات أو العسروح المزرحة . ومن أنواع المعابد انبى
ذكرناها فى الكلام على نيد . أس انسه المعبد الخاص الذى كان يخصص
للاحتمال نصر . منهم من سلك المعبد ' ' ، واثبات العادة انبى خارج المدن
المشهورة وقد وجد بعضها ولا سيما المعبد الخاص بمدينة اسور حيث بسب

(1) Pallis, **The Babylonian Akītu Festival** (Copenhagen, 1926)

(2) Parrot, **Archéologie Mesopotamienne** I, 229

فيه المنقبون الالمان^(١) وهو يقع بحوالى ٢٠٠ مترا خارج سور المدينة ، واهم ما يميز به هذه المعابد كثرة الحقائق المحيطة بها ، وحى مساحة المعبد كانت بغرس بالازهار والاشجار النظرة ووجد فى كل جانب من المعبد الخاص باشور رواق طويل ، ووجد فيه ايضا محراب (سسلا) كبير (٢٥ × ١٠٠ قدم) على طول عرص المعبد ، ولعل الاحتمال بانوليمة كن يقام بها ، كما وجدت آثار لمثل هذا المعبد حدثا فى الوركاء .

الفصل الرابع عشر

الشرائع والقوانين

مقدمة :

ظهرت في العراق القديم اقدم سرائع مدونة في تاريخ العالم ، ولدنا من الاشارات الأرشية ما سب ظهور القوانين المدونة في العصور التي سبقتها بصور فخر السلالات . فشرائع العراق القديم تكون بذلك اولى الجهود البشرية في تنظيم الحياة الاجتماعية وفق قواعد واصول مدونة . هذا ولا يقتصر معرفتنا بأحوال العراق الاجتماعية على ما جاءنا من السرائع المدونة مد أقدم العصور بل الى ذلك مثاب الآلاف من العقود والمسندات القانونية والتحريرة والإدارية وهي التي سبقتها في هذا البحث نابوناتي القابونية . فسل هذه المصادر العريقة مع القوانين المدونة صورة لا بأس بها عن تنظيم الهيئة الاجتماعية بموجب العرف القابوني والقواعد المقررة . ولعل أبرز المراتب في حضارات العراق القديم ان الناس امتازوا عن سائر الشعوب القديمة بسببهم بالقواعد القانونية . فكانت المعاملات كافة ، صغيرها وكبيرها وجميع الأحوال الشخصية بحرية وفق أحكام معروفة وان جميع هذه الأمور والشؤون لا تعد ملزمة صحاحه ما لم يوضع أسلوب سرعي قابوني . وبمكنا ان يؤكد مرة أخرى ان السرائع لم تظهر في زمن اقدم وبوجه اوضح عند شعب آخر من شعوب الحضارات القديمة مثل ما كان الحال عليه عند سكان وادي ارافندس . وبوسعنا ان نلمس تعامل النظم والسرائع في حياة العراق القديم في مآثر الملوك والأمراء مما وصل اليها من كتاباتهم وسجلاتهم ، فكاد لا يحلو سجلات كل منهم من اشارة الى شر العدل وقرار سرائع الآلهة وحماية الضعفاء .

أصول القوانين والشرائع :

ومما قوى بمسك الناس بالقواعد الاجتماعية المدونة أى بالقوانين المدونة وبالعرف القانوني والاجتماعي اهتم كانوا يعدون مصدرها واصلها من الآلهة فكان ملوكهم عد اصدارهم القوانين او ذكرهم نشر العدل وشرع الشرائع هولول اهتم مسوفون بارادة الآلهة ورغبتها . وبضخ ذلك جليا فيما جاء فى مقدمه شرعة حمورابى حيث يقول « لما عهد آبو العظيم سيد الآلهة و « الليل » رب السماء والارض الذى بيده مصير البلاد ، الى مردوخ بدر « انا » ان يحكم جميع الشر ، وعندما عظماء بين آلهة السماء وجعل اسم مابل . حيدا شهرا فى جميع الدنيا وأسسافها مملكة راسخة البان رسوخ السماء والارض - اسدبى آشداك « آبو » و « الليل » ، انا حمورابى ، الامير الكرم عابد الآلهة ، لاشر العدل فى البلاد وافضى على الشر والغش وامنصع الهوى من اضطهاد الضعف ... » ومما جاء فى مآثرهم انه اذا لم برع الملك العدل فسور اناعه وحرب ملاده ، واذا لم سر على قوانين بسلاده فسعير الاله « انا » الذى مده القدر مصيره ويصيره الى اسوأ مال .. وكان الاله شمش (الاله الشمس) على رأس الآلهة الذين خصوا بانهم مصدر الشريعة والعدل حيث « يدد الطلعات سوره » والقاصى الاعظم الذى ينظر الى انصحاء على العطف والرصا .

وسبرك معظم الشرائع القديمة بالاعتقاد بابها مسمدة من الآلهة فالقوانين القديمة سواء اكاب صادرة عن العرف والعادة ام منية على الاحكام الصادرة من الملك او الكهنة اما هى أحكام الهة لان الحاكم يمثل الاله فى هذه الارض فاحكامه موحى بها من الآلهة . والاعتقاد بهذا المصدر البطرى جعل القوانين القديمة نصف ماثبات والاسمرار وعدم الغير والتحويل وانها جعلت لجميع الناس فى جميع الاحوال والازمان .

والامر الواقع ان القوانين الى هى قواعد عامه اجتماعية ملزمة « تنشأ فى كل مجتمع من الروابط الاجتماعية الى تنظم بموجب تلك القواعد وعند

ما كان البشر في المراحل البدائية ، قبل شوء الحضارة الناضجة في وادي الرافدين ، لم تكن تلك القواعد الاجتماعية مدونة بهيئة أحكام قانونية ، بل كانت بهيئة عادات ، وإذا عمت تلك العادات واطرد اتباعها من قبل الناس واكتسب صفة الألزام في تنظيم علاقاتهم الاجتماعية فتحول الى عرف أي الى قانون واجب الأساع . وقبل ان تبدأ المواين المدونة في العراق القديم كان القضاء او المحكمون والعارفون الذين يلجأ اليهم المخاصمون للحكومة وقص الراع قد نسوا قواعد العرف باتقيهم ، فصارت الافية السابقة أو السوابق القضائية معدرا مهما للقانون المدون . اد أن هذه السوابق القضائية المسندة الى العرف تكسب حرور الرمن صفة القانون الرسمي . وهكذا شأ قانون حمورابي . الذي هو جمع أحكام سابعه أي يقين الأحكام المتعلقة السابقه وجمعها بهيئة قانون مدون . ومما يدل على أهمية القضاء كمصدر للقوانين القديمة ان الكلمة التي أطلقها العراقيون القدماء على القانون هي نفس الكلمة التي يطلق على الفصه او الحكم الصادر في فصه معه . وكان القضاء والجماعات الأخرى من الكسة والكهنة يشتعلون في المسائل القانونية ، ويدونون بحوثهم ونسود الأحكام ويسجلون هذه الأحكام ، فكانوا بذلك أول علماء في القانون او ما سميهم الآن فقهاء وقد كانت بحوث هؤلاء أي الفقه الذي بحثوا فيه ، من المصادر المهمة للقوانين المدونة التي أصدرها الملوك .

وتماز شرائع العراقي القديم ، الى كونها أقدم شرائع شرعية بانها على قدر عظيم من النضج والرفق بالنسبة لجمع الشرائع القديمة فانها بخلاف كثير من الشرائع القديمة التي حاب من بعدها ، كشرائع ماوالهديه والالواح الرومانية الأسى عشر^{١١} قد دوت بلعه قانونه دقيقه وبأسلوب علمي . وان هذه الشرائع قوانين دسوبة صرفه مقصده على الشؤون المدنية لا معرض للعادات ، ودوت بهيئة مواد مسلسلة ولم تسببط من كسب

مقدسه كما في الشريعة العبرانية والاسلامية ، ومع ذلك فانها لم تخل من نواح فيها طابع السذاجة والبداهة والشدة بالنسبة الى عرف البشر المتمدن في الوقت الحاضر مثل المسؤوليات الاجتماعية والنسبة في الاحسان ومبدأ الفصاح (العين بالعين والسن بالسن) . ومع كل ذلك فانها تركت العرف القائل وراءها بمراحل كبيرة .

مصادرنا عن السرائع ونماذج من هذه السرائع :

ان مصادرنا عن سرائع العراق القديمصوص أصلية ، أي ما جاءنا من الوثائق القانونية والقوانين المدونة من مخلف ادوار التاريخ في العراق القديم وبوسعنا ان نقسم هذه المصادر الى قسمين :- فالصف الاول نماذج من سرائع مدونة من عهود مختلفة بعضها شريعة تامة مثل شريعة حمورابي ، وبعضها أجزاء من سرائع لما يصل اليها كلها مثل القوانين السومرية والقوانين القديمة السابقة لشريعة حمورابي ومثل القوانين الاشورية (٢) . والصف الثاني من مصادر معرفتنا سرائع العراق ، وهو لا يقل حظوره عن الصف الاول . سمي بالوثائق القانونية ويقصد بهذا الصف الوثائق كثيرة من رسم الطين النابوية التي هي عهود وسكوك كعهود الرواج والطلاق والنسب

(1) Lex Talionis

(٢) بدون هنا اهم المراجع الاساسية واحدها عن السرائع في العراق القديم ومنها سمجد القاري- الاسرار الى الدراسات الاصلية ..
(1) Prichard, **Ancient Near Eastern Texts** (Princeton, Un Press, 1950)

وذكر سمجد القاري- احب تراجم الى سرائع العراق القديم

(2) Miles and Driver, **The Babylonian Laws**, 1, (1952)

(3) .. , **The Assyrian Laws** (1935)

وعن الوثائق القانونية

(4) Schorr, **Urkunden des Altbabylonischen Zivil und Prozess rechts** (1913).

(5) Walther, **Das Altbabylonische Gerichtswesen**

وسمى المراجع الاخرى الخاصة بترجمة السرائع المكتشفة حديثا .

والارث ، وكذلك قرارات المحاكم وامضية القضاة ويلحق بذلك رسائل الملوك الادارية وكذلك المسندات الادارية المتعلقة بالضرائب وتقسيم المملكة الى مناطق ادارية وتنص الاحور الى غير ذلك من الشؤون المخلعة . وتكون الوثائق القانونية في بعض العهود التاريخية المصدر الوحيد لمعرفة الاحوال القانونية ذلك لانه لم نأثنا بعد من تلك العهود فواسن مدونة . ومهما يكن الحال فان هذا الصنف من المصادر بعد جزءا مهما للقانون المدون . لانه حتى في حالة وجود القانون المدون فان ذلك لا يعد كافيا لمعرفة النظم القضائية عند سكان العراق القدماء . لان مواطن كثيرة في القانون المدون عامضة عن مفهومه تارة من الناحية اللغوية وتارة من الناحية الفقهية ولكن رجوعا الى الوثائق القانونية ، التي هي تطبيق المعروف القانوني ، ساعدا على معرفة ما انشئ عليها فهمه من القانون المدون . وهو هذا كله لا يكون الصورة التي تكونها الباحث عن العرف القانوني صحيحه ممثلة على الوجه الاكمل لو افصر في تكوين تلك الصورة على انما هو المدون الذي قد لا يبين الا الاحوال المثالية دون الواقع وقد يكون مهملا لا يسار على احكامه . والذي تكشف لنا هذا الامر وتكمل الصورة الواضحة هي الوثائق القانونية . ومن المصادر المهمة لمعرفة شرائع العراق القديم صنف من النصوص المدرسية ، وهذه عبارة عن نسخ وصفت لعرض المدرس وتدرج المسدثن في الكتابة والمعم ، ولا سيما اللغة السومرية . ويحوى الكثير منها على نصوص ومقطعات قانونية سومرية وبابلية تذكر منها مجموعه يعرف ببول عبارة منها وهي « عند الطلب » أو « في حبه » وباللغة البابلية « أنا - ائشو »^(١) اشارة الى العرف المسع آنذاك في ان اندائن عندما يكتب عندما يدين يعين الشهر ولكه ترك اسم اليوم لعله واحفظاره المدين . ومع ان

(١) أنظر

ما جاء من سجع عن هذه المجموعة يرجع عهده الى الرمن الاشوري المأخر ولكن محتوياتها واعمالها السومرية والبابلية تشير الى انها اصلها المسسحة عنه يرجع الى العهد البابلي القديم . ورسب هذه في حملن ، ذكرت في الحمل الاسر المصطلحات السومرية وفي الحمل الاخر برحمها باللغة البابلية ، ومع أن هذه النصوص لا يمكن اعتبارها شرائع صرفة واسما هي بشارين لعونه لدرس المصطلحات القانونية ، الا انها مع ذلك تحوى على معلومات حد مقده عن الشرائع والقوانين والمعاملات التجارية . وثم نوع آخر من النصوص اللعونة التى تلى صوءا مهما على الواحى القانونية ، وهى سمي أيضا بأول حمله منها « راجح » ، فائض « (١) » ، وكان الغرض من هذه أيضا لعونا لدرست الطلاب على فهم اللغتين السومرية والبابلية ولكنها الى ذلك تحوى مثل النصوص الاولى على مصطلحات قانونية ومعاملات تجارية مهمة ، ولا سيما الموحى الاوان من المجموعة ، وهى ايضا مرسمة بحملن ، فى حمل المصطلحات السومرية ونحائه ما برادفه فى اللغة البابلية . ومن مصادر معرفنا بالعرف القانونى فى حضاره وادى الرافدين نوع ثالث من النصوص القانونية يمكن سميها كما جاءت بعنوانها القديم « احكام صادرة » ، اى فصاها حكمها بها المحاكم المخلفة وبعضها محاصر أو سحلاب محاكم ، ورسب - ح معطما (بحو ٢٥٠ وسقة) الى عهد سلاله اور الثالثة وبعضها نصم دعاوى الاملاك والاراضى (٢) وحالات نقص الالزامات . ومن مصادر معرفنا بالحياه الشرعية والعضائه فى حضارة وادى الرافدين ان الملوك اعسادوا اصدار نوع من الانظمة والاوامر الخاصة بملسوا القوانين على غرار المشورات

(١) بالسومرية « حر - را » (HAR - RA) وبالبابلية « حوبلوم »

اى فائض (انظر (Landsberger, ibid, X—XII)

(٢) اسم هذه المجموعة من النصوص بالسومرية (SA - TIL - LA)

(DI - TIL - LA) وبالبابلية « دسوم كمروم » (dînum gamrum)

اى قرار نام أو صادر وقد نشر بعضها فى المصادر الآتية -

Babylonia III 100 ff RA VIII 1 ff Gadd Sumerian

القضائية عند الرومان^(١) . وعدم في ما تبنى عرسا بأربحسا لما جاء من
القوانين وسكون توسعا من هذا العرس المارحي أن حصل على
صورة لا بأس بها عن الشرائع والحسابات القضائية وأحوال المجتمع
بوجه عام .

القوانين السابقة لشرعة حمورابي :

لا سبل لنا لمعرفة القوانين في العراق قبل أن يظهر الكدك فيه نسي
مئصف الألف الرابع و . م . ولكن مما يدعو الى الدهشة ان نجد عند
سكان العراق الأقدمين أصولا قانونية وقواعد مسعة في المعاملات وال
أواحر تصور ما قبل التاريخ منذ العتف الثاني من عتسر انوركاد . وهو
الرمس الذي ظهرت فيه لكاه لاول مر . في تاريخ النسر . وان النواح التي
النس جاءنا من هذا العهد ومن العهد التي تليه (وهو عهد حمورابي) تحتوي على
كبر من المعاملات التجارية والادارية كسجلات الحفول والاراضي والمسندات
التجارية وسجلات الواردات ومب ملكة الاراضي . وكثرت المصادر عن
القوانين في عصور فجر السلالات وهو عهد ازدهار الحضارة السومرية
وموها . ولكن مما يؤسف له ان ما بعد من هذا العهد قوانين مدونة على
طراز شرعة حمورابي أو شرعة مملكة اشبونا المكشعة في بل حرمل .
واسما وردت اشارات من الملوك الذين حكموا في اواحر تلك العصور من
أنهم مكوا العدل ودواوا الشرائع . وكان « ازركا حسا » أمير مدونه
« لحس » أول مسروع في تاريخ النسر . وقد جائنا منه ما نثر نسر الى
اصلاحاته الاحمائية ونظم أسول الادارة وحس الشرائع وازالة الظلم من
الطبقات الفقيرة . وانه مكن العدل في البلاد^(٢) . والى هذه الاسارات جاءنا من
عصور فجر السلالات وكذلك من العهد الآتي الذي تليه مادح مدونه
من الوثائق القانونية . وقد انتهى عصر فجر السلالات وهو عهد دولاب

(Miles & Driver, The Bab. Laws, 23)

Thureau-Dangin, Sum. Königsinschriften (50)

المدن كما رأينا سابقا . بوجد البلاد في عهد السلالة الآكديّة ونشوء
الامبراطورية فاسوجب ذلك نشوء القوانين الادارية لاداره المملكة المرامية
الاطراف والاقالم الناحية لها ، ولدينا من الاشارات التاريخية ما يثبت نشوء
صنف خاص بالعضاء المدبين . وكانوا ذوي مكانة سامية في الدولة وقد سبق
ان عرفنا في كلامنا على الملك سرجون الآكدي انه ادخل نظام القسم باسم
الملل من جانب الاطراف المعافده شيئا لخصوص العقود ، كما انه لعب نفسه
بملاء العدل . وحينما اسازاب كذلك من فرد عهد الكوسين المظلمة من مآثر
حودنه الشهير ما نعسا على فهم شيء عن المصداق والمحاكم في هذا العهد .

• كبرت مصادرنا بالاحوال القضائية في عهد سلانه اور الثالث وكاب
هذه المصادر بالدرجه الاولى من دسف الوثائق البابويه الموسوعة ، ولكن
حينما نالاصافه الى ذلك احراء من سرائع مدونه ، وهي داب علاقه ونيفة
ببابون حمورابي مما ينسر الى أحد حمورابي مصص أحكامها في شريعة
هذا ولا يعرف الملك الذي من هذه السرائع السومرية .

دانون « اور - نمو »

اكتسب الباحثون حديثا من بين الواح الطين التي وجدت في «ميرقبل
بحو ٥٠٠ عام شريعة»^(١) حديثه تب انهما تعود الى الملك « اور - نمو » ،
مؤسس سلالة اور الثالثة . انذى حكم في حدود ٢٠٥٠ ق . م ، فتكون
شريعة ذلك ول شريعة حمورابي بحو ثلاثة قرون . ومما يؤسف له ان
ما عثر عليه من الشريعة ناقص غير كامل فلم يبق منه سوى المقدمة وبصع
مواد قانونية . ومما يذكر عن أحكام هذه المواد النافذة انها كثيرة الشبه بأحكام
شريعة « لب - عشار » وشريعة « اشوبا » من ناحية الاحد بمدأ الدية
والعوض بدلا من مدأ الفصاخص ، كما في شريعة حمورابي ، ونشبه هذه
الشريعة في طريقه بتظيمها السرائع الاخرى ، من حيث تبويبها الى مقدمه

م مواد الأحكام والحاسة ، ولكن شرعه حمورابي اكمل وافرغ من هذه
 الناحية = وبصمغ المقدمة بدرج هو هي السلطة للحكم وشر الشرائع من
 آلهة الى الملك ، فمثلا تذكر المقدمة انه بعد = خلق العالم وبعد ان يمرر
 معير سومر ومدينه اور عن الالهات آنو والليل اله مدينه اور (وهو الاله
 القمر ، با =) ملكا على اور ، ثم عن هذا الاله بدوره ، اور - مو ، ثانيا
 عنه في الحكم ، = ثم بعدد الملك اعماله من توطيد الحاله السياسيه في
 المملكه وتذكر عليه على بعض المدن ولا سيما « لخش » واصلاحاته الداخليه
 وازالة المطامير وشر العدل =

قانون « اسنونا » (١)

يرجع من هذا القانون المدون الى العهد البابلي القديم ، وقد وجد في اناء
 تنقبات مدينه الانبار العراقيه في بل حرمل العرب من بغداد والمرجح
 ان هذا القانون يعود الى ملك من ملوك مملكه اسونا (انظر البحث
 الخامس بالعهد البابلي القديم) اسمه « نالاما » ، وقد اصدر هذا القانون
 نظام شؤون تلك المملكه عندها استقام وما طويلا = سقوط سلاله اور
 انانية = وادا صحت شبه اعنونا الى « نالاما » فيكون زمه قل يدوس
 شرعه حمورابي نحو قريين من الزمان ، فهو على ذلك اقدم شرعه كثيره
 معروفه في العالم (من بعد قانون « اور - مو ») = وقد
 دون هذا القانون على لوحين من الطين باللغه الساميه (الساميه)
 لا شك انهما جزء من مجموعه لم يثر عليهما حتى الآن = وهو
 بحاله الحاضر يحوى على نحو ٦١ ماده من المواد القانونيه ، فمعادل ذلك نحو
 الربع من شرعه حمورابي (الناله نحو ٢٨٢ ماده) ومعنى ذلك ان قانون

(١) انظر ترجمه المؤلف لهذا القانون الى العربيه في محله سومر
 انجلد الرابع ، الجزء الثاني ، وكذلك ترجمه الانجليزيه وكثير النحوب
 الاخرى حوله (انظر)

« حرمل » أوسع قانون مدون من بعد قانون حمورابى « ويتدىء القانون مثل قانون حمورابى بمقدمه ولكنها قصيرة ررحح انها سدا باسم الملك « بلالاما » (ولكن الكتابه هنا عبر واصحه) وباريح القانون ، ثم سدا جملة مواد فى تحديد الاسعار والاحور (وعددها ١٢ ماده) وبذكر القانون الاحكام المجامعه مما يتعلق بالسرفات والاعداءآت والاصرار الواقعة على الاعضاء « دباب الاعضاء والاصرار المسه عن سقوط حدار مداع وحانات الحوانات والذبور والبيع والشراء ومواد محله « فى الاحوال الشخصيه من رواج وارث وملاق ورنا وعمونات « وقد كتب - ان القانون باللغة البابليه القديسه وحسب على طرار قانون حمورابى بهيئه فسه ورتب بهيئه مواد بحسب الاحكام المجامعه « واليك مادح من تلك المواد :-

الماده ١٢ - اذا قص على رجل فى حفل شخص من طقة « المشكس » (الطقه الوسطى) بهازا فانه يدفع عسره سفلاب من الفصه عرامه « ومن قص عليه فى اناء المل فانه يموت وان يحيى «

الماده ١٥ - « لا يحور للناحر أو نائه ، الحمر ان يسلم من عند أو أمه قصه او حيونا أو صوفا أو رنا كرأس مال للمناحره « والسبب فى ذلك ان الروى بحكم القانون لا يستطيع ان يملك شئاً لانه كان هو وما يملك ملكا لسيده «

الماده ٢٧ - « اذا رجل رجل نابه رجل آخر مدون ادن أمها وأمها وام بعدا بعدا بالرواح مع أمها وأمها فلا يكون تلك المرأه روحه شرعة حسي او عاشب فى سه سه واحده «

الماده ٢٩ - « اذا فقد رجل فى أثناء حرب أو غارة أو انه اخذ اسيرا وهى فى بلد عرب : ما طوللا ، فاذا اخذ رجل آخر روحه اى تروحها وولدت له طفلا فاذا رجع الروح الاول فله الحق فى اسرجاع روحه «

الماده ٣٠ - « اذا كره رجل مدسه وملكه فهرب ثم أخذ روحه رجل آخر فاذا رجع الرجل فان يكون له حق بروحه «

المادة ٤٢ - « اذا عض رجل أنف رجل وقطعه فانه يؤدي « منا »^(١)
 واحدا من الفضة ودية العين « من » واحد من الفضة وللسن نصف « من »
 من الفضة وللصنع على الوجه عشرة شقيقات من الفضة » .

قانون « لبث عشتار »

ومن القوانين التي اكتشف حدثا والتي سقت شريعة حمورابي
 بالرمز رماء القرن وصنف القرن قانون الملك « لبث - عشتار » وهو المثلث
 الخامس من ملوك سلالة « ايس » الذي حكم في بداية العهد البابلي القديم^(٢) .
 وقد وصع قانونه باللغة السومرية وهو مثل قانون حمورابي يحوى على مقدمة
 وحاتمة ويوجد بين القوانين تناظر وشابه في كيفية التأليف وفي بعض
 المواد ومع ان ما وجد من هذا القانون - دون في كسر من الواح الطين
 اكتشفت في هرقل ٥٠ عاما فانه توحد اشارات الى ان الملك « لبث - عشتار »
 قد نقش قانونه على صلب أو مسلة من الحجر مثل مسلة قانون حمورابي .
 والذي حائا من هذا القانون لا يحتوى الا على ٣٥ مادة ، ولعل أصل
 القانون وهو بحاله الكاملة نيف ومائة مادة .

ان قانون « اور - نمو » وقانون « اشنونا » وقانون « لبث - عشتار »
 لى على قدر عظيم من الهمية في تاريخ الشرائع المدونة فقد أضاف اكتشاف
 هذه القوانين الى تاريخ الشرائع اكثر من ثلاثة قرون من الزمان ومهد اسيل
 لدراسة القانون درسا مقارنا يمد الى نحو أربعة آلاف سنة . والى ذلك تمت
 الآن ان قانون حمورابي « الذي كان يعد أقدم شريعة في تاريخ العالم » يقوم
 على عرف قانونى مأثور طويل العهد . وانه لم يكن نقطة الشروع بل سارية

(١) مساوى « المن » البابلى نحو نصف كيلو غرام من اوزان العصر
 الحاصر ويعادل الشقل واحد من سنين من « المن » .

(٢) انظر نشر نص القانون وترجمته في مجلة ..

Steele, *American Journal of Archaeology*, vol 53 (1948).

P. 425 ff.

وترجمة المؤلف للقانون في مجلة سومر (١٩٤٧)

و. سنا في دريح التطور الاجتماعي في الشرق الأدنى القديم ، والتطور
السري بوجه عام .

وبالإضافة إلى هذه القوانين الثلاثة السابعة لشرعة حمورابي يوجد
مجموعات صغيرة من المواد القانونية ، وجدت مدونة على نحو أربعة ألواح
وهي مطابقة في أصولها مما يدل على أنها نسج عن أصول أقدم ، ويحوى
على نحو (٢٦) مادة . أما بأركانها فهي معلوم بوجه التأكيد ولكن بالأسناد
إلى الأدلة الداخلية ولا سيما شكل الحدث وأسلوب اللغة يمكن أرجاع عهدها
إلى العصر البابلي القديم ، ولعله بعد زمن سلاله أور الثالثة بقليل ، حيث ظهر
أن بعض موادها مطابقة مع مواد شريعة «لبت عشتار»^(١) .

قانون «حمورابي»

يصح مما أسلفنا من الكلام على سرائع العراق القديم ، أي
سرائع «أور - س» و «أشونا» و «أب - عشتار» وجود عرف وأصول
قانونية في العراق منذ أقدم عهوه وذلك يدل أن تجمع حمورابي شريعته
المشهوره ، وكانت هذه القوانين السابعة مصادر مهمة لبعض شريعته . وقد
«ها بعد التعديل والعصر» ولكن مع ذلك بعد شريعة حمورابي أعظم وأكثر
شريعة . فأصبح الحصارات القديمة . يدل الإشارات الموحدة في شريعته
ب«أورابي» ولا سيما خصوص المقدمة ، على أنه جمع قانونه في السنين
الآخرة من حكمه وذلك بعد أن قضى على خصومه العلامين ووجد المملكة
وهد فوجه إلى خارج العراق . فرأى من بعد ذلك ضرورة لإصدار شريعته
موحدة سري على جميع أنحاء المملكة الكثرة الموحدة .

أب حمورابي شريعته بالله الأكدية (السامية) ورثه برسا منها
فما وقد نكس تلك الشريعة على مسئلة من الحجر الأسود (حجر الديوريت)

يلعب ارتفاعها ثمانى اقدم (٢٤٥ سم) وفطرها قدمين ، وقد نقش فى اعلى المسلة صورة بالحب النار يمثل الاله الشمس (شمش) وهو اله العدل وهو على عرشه وهب حمورابى يحصره وقفه المعبد الحاشع رمز هوض الاله له وسلمه اشرايح المقدسه من ذلك الاله (او انه بتفسير آخر يقدم شر = الى ذلك الاله) = ويرجح كثيرا ان حمورابى قد وضع مسلة الشريعة هذه فى عاصمته بابل فى موضع مقدس منها اعلمه فى « اساكلا » معبد الاله مردوخ ليرجع اليها الناس '' = وقد نلت المسلة فى بابل بعد حمورابى ارما طوبله ، ويوجد دلائل سر الى ان المشعلين شؤون القانون والكسة قد استسجوا عنها كثيرا من المواد والنصوص - سعملوها فى اشغالهم بشؤون المسانور .

وحدث المسلة الاسله منه فرسة المنقبات فى عام ١٩٠١ - ١٩٠٢ مضمورد فى عاصمته بلاد علام وهى مدنة « السوس » ، فحدث اكتشافها رجه حماس فى جميع أنحاء العالم اشهد وتناولها بحوث الناحين والمرحمين فى اور و وامريكا مد اكتشافها حتى الوم الحاصر = أما سب وجودها فى « السوس » فى علام فذلك لان العلامين قد عروا العراق فى اواخر العهد الكسى (فى حدود القرن الثانى عشر ق.م) وقصوا على السلالة الكشيه واحدوا من البلاد عائم كثيره منه من سها مسلة حمورابى ومسلة « ماسوسو » الاكدي ، و « نصب الحصر » المائد الى الملك الاكسدى « براه - سى » . وقد ازيل قسم مهم من الكتابه فى الحر - الاسفل من رجه المسلة ، ويرجح ان الملك العلامى « شورك - ناحى » ، الذى سلب المسلة ، هو الذى حدث ذلك بمصد نقش اسمه والقابه فى محل ما ازاله من الكتابه كما فعل فى آثار أخرى عرافه وحدث مع مسلة حمورابى ، ولكنه لم يفعل

(١) يرجح كثيرا ان المسلة التى عبر عليها المنقون الفرنسيون فى مدنة السوس (فى علام) قد أحدها العلاميون من مدنة سبار حب كات بمامه هناك فى معبد الاله الشمس الموجوده صورته فى اعلى المسلة ، وادا صنع وجود نسجه اخرى فى بابل فلعل الاله المصور فيها هو مردوخ .

ذلك في مسألة حمورابي لانه « على ما يبدو . قد ذعر وتهيب من اللغات
الشديدة التي ذكرها حمورابي في خاتمة مسله على كل من يدل في شريعته
أو يريل نصوصها . ولحسن الحظ اكمل قسم كبير من هذا القص الخطير ،
لانه وجد اجزاء من نسخ للقانون في أمكنة أخرى .

سألف المسلة المعوشة بشريعة حمورابي من ٤٤ حجلا او عمودا من
الكتابه التي تقسم الى ثلاثة اقسام : ١ - مقدمة^(١) تذكر فيها حمورابي
الانساب التي دعه لاصدار شريعته وهي انتداب الالهة له بعد تعظيم شأن
مردوخ وانتداب هذا الاله له لتحكم البشر ومدبه بابل ويشتر العدل بين الناس
ثم بعد في المقدمة الافالم والمدن الناحه الى امبراطوريه وطرفا من اعماله
كالرحاء الذي أحله بالبلاد ونحدهه للمعابد الرئيسة في المملكة = ٢ - المواد
القانونية وعددها ٢٨٢ (ولعلها بالاصل ٣٠٠ ماده) = ٣ - خاتمة تذكر فيها
حمورابي ان هذه هي « الاحكام العاداة التي أصدرها حمورابي الملك العظيم
للبلاد فاردهر فيها العدل والحكم الصائح » ثم سرد ألعابه وحب الاله له ،
وعلمن اكل من أصابته طلامة ان يمثل أمام صورة الملك العظيم ، ملك العدل ،
فسرأ شريعته ثم سرد الصائح الى الاحمال الآتية ان تدبر احكامه وسدر
أعماله وسر موحب احكام شريعته العاداة : وعدد ألعاب الاله الشديدة
على كل من يحرف من شريعته او يريل مسله وسجو أثرها .

'' يبدو من تقسم نصوص المسلة الى اقسام الخاص مواد الاحكام
(وعددها ٢٨٢) موحر مختصر ، واكد مع ذلك قد شمل الاحكام المهمة
ولعل انجارد يعرى الى انه كان بمثابة دستور موحر للاحكام بصمن الحلال
المهمة وأن القضاء التي لم يساولها كاتب معروفة لدى القضاء ومدونه عن روم
الطن بهثة فوانن تفصيليه = وشبه قانون حمورابي القانون المدني الروماني
(Jus civile) من حيث سوب مواضعه حيث تقسم المواد الى ٢٨٢ الى دلالة
أبواب ، اولا - القضاء والقاضي (اصول المرافعات) (المادة ١ - ٥) ، ثانيا -

(١) المقدمة بالدرجة الاولى دنية ومكتوبة بلغة شعريه

فانون الاموال ■ المعاملات ■ « المادة - ٦ - ١٢٦ ■ ثالثا - الاحوال الشخصية
أى قوانين الاسره ■ ١٢٧ - ٢٨٢ «^(١) ■ واحذ بمادج من كل من هذه
الابواب الثلاثة :-

نماذج من احكام سريعه حمورابي :

المادة ٥ - « اذا قضى قاض في حكم وقرر فيه واصدر بذلك وصفا
ثم رجع من بعد ذلك عن حكمه وبداه « فسوف يحاكم ذلك القاضي في
الدعوى التي حكم فيها وبدا ان يدان بذلك العسر . وعزم غرامه يعادل ١٢ مالا
مما في تلك الدعوى « وسوف يطرد علنا من منصب « قصوده « وأن يرجع
اليه ، وسوف لا يجلس في مجلس قضاء مع القضاة »

المادة ٨ - « اذا سرق رجل نهرًا أو غنما أو حمارًا أو حريمًا أو ثيابًا
سوء، كان يعود إلى الإله أو إلى العنصر منه يعطى ثلاثين مرد فسهه المسروق وإذا
كان ذلك، يعود إلى « الشكسكس » فإنه يمتنع عسره أماله . وإذا لم يكن عسره
السارق مال للعبودية فإنه يهل . »

(۱) واما لفائده المستعین برب الکمال فهو ان الله عز وجل
يسهلها على الوجه الانبي -

١ - المخالفات والجرائم الخاصة باصول المرافعات (خمسة
 اذ) . وباصول السراية من عمارة المحاكم . وفي مادة المرافعات
 وبمقتضى الاحكام الخاصة بـ . من جانب المدعى .

٢ - الخوازم المصنعة والاموال (امانه ٦ - ٢٥) . واما اول السيره
سرواب وسلم مال - سري راحهات الال واما الارهاه الا يقى والسقطه
الى الدور . والسروا - الاسرى راحه - ام - سري راحه -

٣ - أحكام خاصة بالأراضي والعمارة (المذبر) (المواد ٢٦ - ٦٠) وفيها مرام الأراضي وواجبات الزراع والمساكن ، والدخول الخاصة بالعلاحيين الحرائم والمخالفات الخاصة بالرى ، والاضرار الناجمة عن الماشية ، وحرائم وطعم الأشجار وشؤون العناية بنباتات البهائم .

٤ - المعاملات التجارية (٦١ - ١٢٦) وسأول السبعة فيها
المفروض التجارية والوكالات التجارية (والسبعة هنا محرومة ولكن أمكن
تكميلها من سبع ألواح الطين) . ونظم المبادئ والخصائص ووسائل التواصل . -

المادة ١٤ - « اذا سرق - احطط - شخص ابن رجل صغير فانه يصل » .

المادة ٤٨ - « اذا كان على شخص دين ، ثم أغرق الاله « أدد » حقله وأتلف حاصله ، او لم ينتج الحقل عله لانتفاء الماء « فسوف يعفى ذلك الشخص في تارك السنة من سليم جوب الى صاحب دين عليه ، وسوف يغير عمده وان يدفع ربا - فائض ملك السنة » .

المادة ٥٣ - « اذا أهمل شخص موية سداده « فانفجحت ثعرة فسي سداده فأتلف الماء حقلًا مجاورًا فسوف يعوض ذلك الشخص عن التلف الذي أصاب العلة وادًا لم يستطيع دفع التعويض فسوف يباع هو وما يملكه ويقسم ذلك الملاحون الذين أتلف زرعهم الماء » .

المادة ١٢٧ - « اذا رفع شخص أصبعه فإشار سوء الى كاهنة او الى امرأة رجل بدون ان شب الهمه ، فسوف يحل ذلك الرجل أمام القضاة وسوف يحرق ناصبه « أي يوسم عدا »

المادة ١٢٨ - « اذا أحد رجل امرأة ولكنه لم يكذب بذلك عفا فلا يعد ملك المرأة روعة شرعية » .

١٢٩ - « ان النجاسة بالرهونات (ومن ذلك اشخاص رهائن) عن الديون ، رجوع والايمان » .

١٣٠ - الاحوال السخصية (١٢٧ - ١٩٤) ، وسأول الاحكام لآله
قد تاعنه علنا أو امرأة محصنه بالربا ، وسرى الامراه المروحه ، والربا ،
« الزواج مر » أخرى في حاله عبات الزوج « وأحكام الطلاق (١٣٧ - ١٤٣) ،
وسرى الاماء ، واعاله روجه الموصى ، وهدايا الروح الى روحه ، ومسؤوليات
الروح عن الديون « وقبل الزوج « والزنا بالمعربات ، وحاله الزواج عبر
الكامل ، واللوله هدايا الزواج بعد موت الزوجه « والهدايا (الهبات)
الى الاولاد في عهد الحباء ، وتربيب سسهم الاولاد في الوراثه ، وحرمان
الاولاد من الارث « والاعتراف الشرعى بالمسوه ، ومال الارمله ، وزواج الحره
بعبد رى وزواج الارمله ، وأحكام خاصه بنساء المعبد ، ونبنى الاطفال =
وارصاعهم » .

المادة ١٢٩ - « اذا فض على روحه رجل وهي مصاحبه رجلا آخر فسوف يكلوبهما ويرمويهما في ماء النهر ولكن يستطيع روح المرأة ان يسبحى امرأته (اى سقو عنها وسيفها حه) والمملك عده » .

المادة ١٩٦ ، ١٩٧ - « اذا تلف رجل حر عن رجل آخر حر وتلف عنه ، وادا كسر عظمه فيكسر عظمه » .

المادة ٢١٥ - « اذا أخرى طسب لرجل حر عمله بمصع بروروشفاه أو انه اخرى له عمله في رأسه وشفى عيبى الرجل فسوف يسلم آخره قدرها عشرة » شللاب « من الفصه » .

المادة ٢١٨ - « اذا عالج طسب رجلا وأخرى له عمله اخرج بمصع برور وسب موت الرجل أو انه اخرى عمله في عنه فاتف عنه » .
يقطعون يده . .

المادة ٢٢٤ - « اذا عالج سطرى (طسب ثور او حمار) ثورا او حمارا وشفاه فمدفع صاحب الثور أو الحمار الى السطار آخره قدرها في الشسل من اتصه . .

٦ - اعدايات وعمويات (٢١٥ - ٢١٤) . وساول الاعدايات على الاب ، وإلى الرجال ، والاسباط .

٧ - دوو المهن الطيبه ومهن أخرى (٢١٥ - ٢٤٠) وساول الازاحكام الخاصة بالحراطين وسدود الحراطين والحلائس والراسم الكي ، والمعمارين وسائى السفن والملاحه .

٨ - شؤون رراعه مسوعة (٢٤١ - ٢٧٣) . ومنها أحكام مدبره ، حاميه بحيوانات المزارع كالبقر ، وبديل العلف بعينه من جانب المامور ، وناحر فلاح ، وبديل الآلات الرراعه وعينها ، وناحر الرعايه وواحساب الرعايه ، وناحر الحيوانات والعربات وناحر عمال في المزارع .

٩ - الاجور والاسعار (٢٧٤ - ٢٧٧) . ومنها اجور الصناع ، واسعار احارة السفن .

١٠ - الرى (٢٧٨ - ٢٨٢) ، وساول السمايات الحاصه بسم الرى وشرائه من الخارج .

كبت بصع قانونية دقيقة بهيئة مواد تسلسل وسابع بحسب الاحكام الى
تعالجها .

وقد يدهش الباحث بان نجد في شرعه حمورابي بعض المبادئ
القانونية التي توحد في اكر الشرائع البشرية الحديثة . فجد مثلا بوجه
واضح المبدأ القانوني الذي يعبر عنه الفقهاء بالقوة القاهرة أو مبدأ الحوادث
الطارئة^(١) . وفحواه ان الملتزم لا يعفى من تنفيذ التزامه الا اذا أصبح تنفيذ
هذا الالتزام مستحيلا بقوه قاهره اى بحدوث شئ غير موقع بحمل بغير
الالتزام مستحيلا . وقد نصت المادة الثامنة والاربعون من قانون حمورابي
على هذا المبدأ (أنظر المادة في ص ٢٩٥) والمقصود بالاله « آدد » المذكور
في تلك المادة فصار أو عرف ذو قوة قاهرة لا حيلة للمدين بدفعها ، لذلك
الاله هو اله الرياح والامطار والعواصف كما مر بنا في بحث الديانة .
وتشير المادة الثالثة والخمسون (راجعها في ص ٢٩٥) الى مبدأ آخر مشهور
في أصول القوانين وهو الذي يعبر عنه بمبدأ عدم حوار العصف في استعمال
الحق الفردي .

وتشبه شرعة حمورابي الشرعة الاسلامية والمراسم^(٢) وبعض
الشرائع الاخرى من ناحية انقصاص أى مبدأ « الس بالسن والعين بالعين »
(lex talionis) والى هذا فقد وجد المتبع لشرعة حمورابي جملة متناقضات
كما ان بعض احكامها شك في انها كانت سارية المفعول وانما ذكرت لمجرد
الناحية الفقهية التاريخية ، ويوسعا أن نعزو بعض استغصات فيها الى حصصه
ان حمورابي قد أشار بصره الى سبع مركب عقد ، على الرغم من انه
كان موحدا في الظاهر . فكان مضطرا الى التوفيق بين ما نرى قانونه مباين .
ولكن برغم كل ذلك وعلى الرغم من وجود بعض الاحكام البدائية مثل
الردة البدائية في ابرال العقاب الشديد الدقيق . ومبدأ احتلاف العقوبات

(١) او بالمرسبة Force majeure

(٢) (سفر الخروج ٢١ - ٢٣ - ٢٥)

بالنسبة الى مراكز المجبى عليهم الاحماعة - يقول برغم كل ذلك فان الملك حمورابى (او مستشاره القانونى) قد قام بعمله خير قام • ولا برال شرعة حمورابى ، كما قلنا ، احدى المعالم البارزة فى التاريخ البشرى^(١) • ومن الامانة الطرقة على ذلك الاحكام التى وردت فى تنظيم مهنة الاطباء والجراحين ، حيث حددت احوالهم بالنسبة الى المرضى من الطبقات المختلفة من المجتمع ، وقد رأينا فى المواد التى اسجلتها من شرعة حمورابى أن الشرعة فرضت عقوبات قصاصية فى حالة فشلهم • ولا سيما فى اتيام بالعمليات الجراحية التى تؤدى الى اطلاق عضو من المريض أو موته وعد ذلك تقطع يد الطبيب والجراح • وعدد حقا أحكام عرصة لو طلع بالحرف الواحد لعقد جميع الاصابات ، انما بهم ، وثمة نهي طيب حتى فى وصال هذا وله بد شفى بها الناس • وسبهم ، وتكون مصدر هذه المواد أن أحكامها لا تطلق الا بعد المحاكمة • وقوة وإتقان السه على الاهمال والاعتير من جانب الطب •

القوانين الاشورية :

لقد جاءنا بمادح من القوانين الى كانت تنظم أحوال المجتمع الاشورى • ومما قال عن هذه القوانين أنها مجموعة مواد أى أجزاء لعلها تعود الى قانون امل لم تأت بعد • ونوسعا ان نضم هذه المادح من حيث رسمها الى مجموعتين تشمل المجموعة الاولى على ما سمي بالقوانين الاشورية القديمة • والثانية على ما سمي بالقوانين الاشورية الحديثة • وقد رأى بعض الباحثين فى هذه القوانين الاشورية القديمة انها لم تكن خاصة ببلاد اسور وانما تعود الى مسعمر • بحارة اشورية تكون فى آسنة الصغرى فى وسط الاناضول هى « كول تبه » وان الاشوريين الذين عاشوا هناك ظلوا مرتبطين بموطنهم الاصلى من الوحه الثقافية فقد استعملوا طرقة القوم الاشورى والطرقة العشرية فى العدد واستعملوا الموازين والمكاسل الاشورية • ومن الصعب تحليل المواد القليلة التى جاءتنا لانها غير

الاشورية القسوة والشدة بالسنة الى العفوبات ، وان الاشوريين بوجه عام لم يصوا عنه المابليين بأمور الشرائع والعواين المدونة . ومما لا شك فيه ان كان في المجتمع الاشوري عرف قانوني سار عليه كان بمثابة القوانين المدونة ، ولكن الاشوريين لم يسموا بالناحية الفقهية ولم ينعوا بالبحث في الشرائع وبدونها كما فعل البابليون .

المحاكم والقضاء (١) :-

١ - ان ما نعرفه عن المحاكم واسواق المحاكمات في العراق القديم امور قليلة لا تكفي لروينا بصورة مفصلة كاملة عن الاحوال القضائية في حضارات وادي الرافدس واول ما يذكر من الامور البارزة في الموضوع أن الملك كان «سوع العدالة»^(٢) والشرعة في البلاد، كما نصح ذلك حلفا من مآثر ملوك العراق القديم ويوحه خاص كما نصح ذلك من رسائل حمورابي اني كان برسلها الى عمال ولاياته لتنظيم شؤون المملكة . ومن بين ذلك شؤون القضاء . فهي بذلك ، كما سبق ان المحاكم ، مثل المشورات القضائية الروماسة ، وكان باستطاعة الملك ان يعالج شؤون المحرمين اداريا ويصدر بحكمهم العقاب ، ولكن المعناد ان الملك كان فصل احالة قضايا المحاكمة الى ولايته في الاقاليم او الى محكمة خاصة ، وكانت قرارات الملك او قرارات من يسهم عنه قطعية . ومع ذلك فكان امكان الداس تقديم استدعاء الى الملك للطرف في شكاوتهم ولا سيما في حالة اعدام العدالة^(٣) ورفض المحاكمة ، ولذا شوهد على فصلين بدخل فيهما «حمورابي» ، لانه تعطيل الطرف فيهما من حاب

(١) راجع أحسن بحث في الموضوع واحده في المرجع الآتي -

Driver & Miles, *The Babylonian Laws*, I, (1952) 490 ff

(٢) وبالمصطاح الفقهى اللاتسي (fons justitiae)

(٣) لقد سبق أن ذكرنا في كلامنا على الدينونة (السلوك والاحلاق)

تطور مفهوم العدالة بمحلف العصور ، فكانت فكره العدالة في العصور القديمة فصلا بفصل به الآلهة أو السلطة على الناس ، ولكن أصبحت في زمن حمورابي حقا من حقوق الرعية .

المحكمة مدة طويلة ، وفي حاله ثالثة بحده يحل قصه خاصه الى محكمة محليه . هذا وقد سبق أن رأينا في كلامنا على العهد الاكدي كيف ان سرحون مؤسس السلالة الاكديه ، بدأ وحده محكمة للاستئناف بصوره عمليه على رأسها الملك ، بادخال اسم الملك في التسميم الموحد في العقود ، وتوضح هذا النوع من المحاكم في عهد حمورابي ، ولكن ذلك لا يعنى وجود محكمة علنا للاستئناف بصوره مستطمة دائمه ، سأنف لها الدعاوى أو بمير بعد صدور الاحكام فيها من المحاكم الواطئه الدرجات ، وانما الاكبر ان سلطه تلقها كان بيد الملك حيث تولفها في قصاصه خاصه (على عرار المحكمة العليا في العراق الحديث) . ومما يظهر اذا كونا الملك هو السلطه العليا في القضاء والعدل ان المادة (١٢٩) من مرسوم حمورابي تجعل من حق الملك الانهاء على حد الرأى اذا عني الروح عن روحه الرايه .

٢ - ومما يعرفه عن القضاء ان اساسي^(١) كان اقرب ما يكون الى المحرف أو المذهب اكبر منه ان يكون موطنيا خاصا ، وكثيرا ما كان القضاء يدكرون بهته جمع أو جماعه مما يبدو ان كانوا بهته بقاءه^(٢) ، وهال اسارات اخرى الى ذكر وصف وهو برأس عده قضاء بهته رئيس المحكمة وشهر المصوص النابله الى انه كان يوحد حمله اصناف من القضاء وصف يطلق عليهم اسم «قضاء معبد الاله ساس»^(٣) . وقضاء الاديرة الجاساسه بالكهان والكاهنات ، والى هذين الصنفين من القضاء الخاصين بالمعابد والدرجة الاولى كان هناك قضاء مدسوس وكان هؤلاء اما قضاء محلين قسمون باسماء المدن الخاصين بها مثل قضاء نابل وسار ونيور سا الحج او قضاء خاصين بالملك (دايو ساريم) . واحتمال ان اصل كلمة القضاء جمعهم من طبعه الكهنه

(١) واسمه بالبابلي (دايانيم) (daiyanum) وبالسومري (دايانيم)
(ديكو) (DI-KU)

(٢) وبمصطلح اللغة الانجليزية النابوني (bench, college)

(٣) وبالبابلي (دايو ساريم شمس)

احتمال قرب من الصحة بالطر لما يعرفه من ان طبقة الكهنة كانت اتقف
 طعة في المجتمع « ويدها أسرار المعرفة » وبدلنا الاحصاء على انه كان هناك
 اسفال تدريجى من القضاء الكهنة الى الاعضاء المديين (العلمانيين) ، ولاسيما
 فى العهد البابلى القديم ، وبوجه ملحوظ فى عهد سلانه بابل الاولى ، وبلغ
 هذا الاسفال طوراً فاصلاً فى عهد حمورابى « ولكن مما يحب السه عليه
 انه لم يكن يوحد اكل من الصنفين من القضاء شرعه دسه كهوته وشرعة
 علمائه »

٣ - وبوسعنا اعتبار المعد انه كان بمثابة محكمة ، يجلس فيها القضاء
 الكهنة وعبر الكهنة « للاثمة بناء المعد من جهة ، ولان حراً من اصول
 المرافعات تعلق القسم فى داخل المعد ، وبالإضافة الى محكمة المعد فقد
 وردت البنا حملة انواع من المحاكم ، ولكن يصعب علينا تعيين وطعة كل
 منها « فذكر « الفصل » فى شرعة حمورابى وفى السرائع الاشورية على
 ان نوعاً من المحاكمة كانت تجري هناك سواء كانت فى العاصمة ، حيث الملك
 أو فى المدن الاخرى حيث الولاة يولون القضاء عن الملك « وورد فى شرعة
 حمورابى ذكر مجلس خاص (نوحروم) وان العقوبات كانت توقع فيه كماوردت
 اسادات أيضاً الى اسم خاص بالمحكمة بهتة «بت القضاء أو الحكم» (يب ديسم)
 وفى وثقه يذكر اسم « بت قضاء اللاد » (م دين ماتم) « وتذكر
 بعض الوثائق ان « بواة المدسة » كانت من المواضع التى يجلس فيها القضاة
 للقصاصي^(١) ، كما ان «شيوخ المدسة» (المشجحة - «شيوخ آلم») كانوا
 يجلسون مع القضاء ، واعل ذلك نصتهم محلفين وفى حالات اخرى تجد
 « شيوخ المدينة » يجلسون وحدهم للتقاضى أو مع عمدة المدينة (رئيس
 البلدة « راسا نوم ») ، وذكر هذا الموطف مرة واحدة فى شرعية حمورابى
 حيث يكون هو ومدسه مسؤولين عن السرقاب التى يقع فى مناطقهم ، ونجد

(١) وارن ذلك بما كان عند العبرانيين ايضا (سفر السبى ٢١ ١٩ ،

في حالات أخرى ان « . انه التجار » (كاروم) تكون وحدها او مع فضاة
خاصة محاكم خاصه .

والى صف الفضاة يعرف أن عدا كيرا من الموطعين المسوعين كابوا
تابعين الى المحاكم ، ولكن ماهية وظائفهم غير معروفة بوجه التأكيد .
ولم يذكر منهم في الشرائع الا القليل ، فمن هؤلاء الملعون (زبدى باسم) .
وسعاء حاصون بالقضاء وملعون والحلاف والحراج (لحر الشعر
وعلم السد أي وسعهم) والمسجل (أو حافظ السجلات)
أو كاتب الصفت (مار كادوم) . هذا ولا يعلم بوجه التأكيد الى أي مدى
كانت السلطة الرسمية تقوم بسعد قرارات المحاكم ، كما لا يعرف بالاداء
المباشر . وجود شرطة أو مدع عام أو جلاد رسمي . ولكن هناك موظف
خاص ورد اسمه في سرية حمورابي باسم « زبدو » ، ان على ما يرجح
مسؤولا عن احصار المحرمين وتعلمه مسئول عن السعد . وفي حالات وردت
في سرية حمورابي سيدل منها أن سعد العقوبة كان يراد الى الجهة
التي عليها ولكن بحضور الفضاة أو الموظفين الرسميين انراوا وحب
عدم بعدى حدود العقوبة التي حكموا بها (انظر المادة ٢٠٢ من سرية
حمورابي) . ومن المحتمل ان راجع الحصة في دعوى حقوقه كان .
الحق في حجر المحكوم عليه او ملك شخصيه (في بعض الحالات) والاحكام
كبره منه زى حتى يؤدي بالعمل ما حكم عليه في المحكمة . والحذر
بأنظاره ان المدعى في اته (في النون) اذا نجح في دعواه كان هو الذي
يعد قرار المحكمة ضمن مدة بحددها المحكمة للمدعى عليه الخاسر .

وهناك حمله أنواع من العقوبات وردت في شرائع العراف القديم
ولكن الملاحظ انرام سرية حمورابي تبدأ الفصائل . واحد السرائع
الأخرى تبدأ انداب والعقوبات المالي . ومن العقوبات الواضحة عقوبة
الموت ومد وردت في أكثر الحالات في سرية حمورابي نصيحه المسي
للمجهول (هل) وفي خمس حالات تبدأ بصيغة الجمع . يملونه . ملزم

ان يكون لذلك مدلول خاص في كلا الجانبين ، ولكن الملاحظ ان كلا
 الشخصين لا يعين من هو الذي نفذ عقوبة الضل . ولا سبل لما الا الحدس
 في ان السلطة الرسميه هي التي كانت نفذ هذه العقوبة في أغلب الحالات . ومن
 العقوبات الأخرى عقوبة الموت الاعراى في الماء . وتعلق هذه بحالات الرنا
 وانرا بالمحارم . وفي حالة قام صاحبه الحانه بعش شرابها . ومن العقوبات
 العجبه الواردة في شريعه حمورابى ان انذى بذهب وسطاهر في احماض
 نار شب في سب فسرق من أنات السب فانه يرمى في نار الحريق نفسها^(١) ،
 وفرص عقوبة الخرق على الراى بالمحرمان ولا سيما مع الام بعد موت
 الاب^(٢) . ومن العقوبات الصارمه التي ورد ذكرها في شريعه حمورابى في
 حانه واحده هي عقوبة « الوضغ على الحاروى » في حانه قبل الروححه روحها
 من أحل رجل آخر (الماده ١٥٣) ، وفي القواين الاشوريه وردت هذه
 العقوبة في أكثر من حالة واحده .

ومما يلاحظ بوجه عام ان قانون النمسانيين يطلى على العرف السابلى
 السامى وقد بلغ في بعض الحالات انواريه في قانون حمورابى حد النطوى
 مثل دل ان المعمار الذى سى بنا فسقط ويصل اس صاحب السب ، كما ان
 المصان الوافع على الاعضاء كان يلاحظ فيه الفصاض بالمقاله بالمثل ، ولكن
 المرحح كثيرا ان هذه العقوبات اما ذكرت كعقوب للمحصى عليهم اد كان
 توسعهم البارل عنها مقابل العوض والدنه . ومن العقوبات العجبه عقوبة
 النهى ولا سيما للراى باسمه (الماده ١٥٤ من شريعه حمورابى) . وقد ذهب

(١) ستر طاهر الحكم الى انه لم يكن لبحرى محاكمه على الشخص
 وادا كانت هناك نوع من المحاكمه فاسمه ما يكون بمحكمه الجمهور أو محاكمه
 السيارع على عرار ما بحرى في أمرتكم بالنسبه الى الروحوح المعدس على
 النساء المنص مما يعرف بعقوبه (Lynch - Law)

(٢) يوجد عقوبه مماثله في الشريعه العبرانيه في حرق الرجل
 الذى يجمع في رواجه بين الام وبنها في آن واحد حبس بحرق وبحرق
 المرأان أيضا (سفر اللاوى ٢٠ - ١٤) وبحرق ابنه الكاهن الذى يصير
 نعا (سفر اللاوى ٢١ - ٩)

شرعة حمورابي على ان الاب لا يستطيع حرمان الامن من الارث الا بعد محاكمته واسات اعدائه على امه • و حجم كلالما على العقوبات مذكر عقوبات دفع العرامات المفروضة في حالة عدم التمام مسند الالتزام ، ، والملاحظ ان العرامات كانت تعرض اصعافا مصاعفه ولا سيما في حالة التعويض عن الشيء المسروق • فاذا كانت السرقة من البعد او القصر فالعرامة تكون ٣٠ مرة بحد المال المسروق وعشره امثاله اذا كانت السرقة من أفراد الطليقة الوسطى ولكن هناك حالات أخرى لا تصاعف فيها العرامة المأله مثل دفع الملاح اجر المبل (بحسب الحقول المتجاوز) في حالة عدم دفعه اثار الحمل الذي اسأخره •



العلوم والمعارف

الفصل الخامس عشر

المعارف اللغوية والتاريخية والجغرافية

مقدمة في الكتابة المسمارية :

لقد مر بنا فيما سبق ان الكتابة بدأت في حضارة وادي الرافدين في
الاطوار الاحمره من العصور الى سمينها بمصور ما قبل السلالات . وقد
حائنا أبسط نوع من الكتابة أي من بداية احراعتها ، من الصف الثاني من
عصر الوركاء في حدود ٣٥٠٠ ق م . وتعد هذه الكتابة اول كتابه في
تاريخ الحضارات البشرية . فكانت ، وهي في أولى مراحلها ، بهشة صور للاشياء
المراد بوسها ، وهذا ما يعرف بالطور الصوري (Pictographic) وما لا شك
فيه ان احراعات الكتابه و استلزمه تطور الحضارة وشؤون الحياة الحضارية
في أواخر عصور ما قبل السلالات ، كالخاچه الى تدوين الورداد وصبط
الحياه الاقتصادية وبرجح كثيرا ان لاداء المعابد التي رأسا ظهورها منذ عصر
العبد ٤٠٠٠ ق م دخلا في احراعات وسيلة للتدوين . فالواقع ان أقدم النواح
مكونه من الطين من عصر الوركاء و حائنا من المعابد التي عثر عليها في
مدسه الوركاء من ذلك العهد وهي سجلات بسطه لأملاك المعبد ووردانه
وقد ظهرت الكتابه أبسط اشكالها في الدلقه الرابعة من الوركاء وكانت في
أولى اطوارها مؤلفه من علامات صوريه كثيره ، نحو (٢٠٠٠) علامه ، ولكن
احراعات واحصرت بمرور الازمان ، حتى انه اصبح عددها في عهد

حمده نصر رهاء ٦٠٠ علامة^(١) ، وقد استطاع الكسبة الاقدمون أن يدوبوا بهذه الكناية الصورية الاشياء المادية وذلك برسم صور موحده لها ولكن يعسر التعبير عن المعاني المجردة بالطريقة الصورية المنحضة . فاهدوا بعد سوء الكناية الى امكان الطريقة الرمزية اى طريقة التعبير عن الافكار والمعاني المجردة بالصور بان يرسموا الصورة المادية بهتة محصورة ولا يبدون بها صورة الشيء المادى وانما المعاني والافكار المنسقة منه أو المتعلقة به . فمثلا أستحب عسوز . القدم . بحسب الطريقة الرمزية ، لا أستخدم المدرس القدم أو الرجل بل بالتعبير عن المعنى المتعلقة بعصو القدم مثل القدم والتمسى والوقوف واندحول والنجروح ، وصارت صورة الشمس لا تعنى حرم الشمس وانما المعانى المشقة منها كالحرارة والضوء واليوم الخ . وصورة النعم وداحلها شئ يعنى « أكل » وهكذا . وجمع الطريقة الصورية المنحضة وانحرقت الطريقة صارت بالامكان التعبير عن معان وحمل كبير ولكن مع ذلك صارت الـ « قصه لا يمكن التعبير بها عن المعاني المنصورة لأحسان التفسيرات وفرائدها ودولتها بحسب اقراء » . فخطى « يوم حقود أخرى وهى الأصـاح على ما يقوم به تلك الصور ويحدد المعاني بصور احكامه ولكن مع . . . يعنى من المستحيل على انكمه ان يعبروا بالطريقة الرمزية راجعاً الى « طريقة المجردة كالتصديق والامانه وعن الألوان الخ كما انه بعدد كانه اسـمـاء لعلام أو الأشخاص فدع الحاجة الملاقي هذا المنص الى تصور أو بحسب حدد هو استخدام أصوات الاشياء المادية المكتوب بالصور كناية الكلمات . . . منه وهذه هى الطريقة الصورية فاستخدم السومريون الاوائل الصور واصواتها لا للدل على الاسماء المادية التى يمثلها تلك الصور ، كما فى المرحلة الصورية ولا على الآراء والافكار

(١) انظر احداث النحوب فى علم الكناية واشكالاتها ولا سيما الكنايات المستعملة فى المحاضرات القديمة فى المرجع الآتى .

المشقة منها . كما فى المرحلة الرمرية ، بل لاستخدامها فى كتابة الكلمات والجميل على هيئة أصوات وجمع عدة أصوات يكون كل منها مقطعا وليس حرفا لانهم لم يصلوا الى الطور الهجائى أى استخدام الحروف الهجائية . فاذا ارادوا مثلا ان يكتبوا اسم شخص مثل « كوراكا » فابهم يرسمون صورة مختصرة للجبل لان لفظ الجبل باللغة السومرية « كور » ثم يرسمون بجسها صورة مخصرة من حطين تمثل موحات الماء للتعبير عن صوت (آ) وهو الماء باللغة السومرية ثم صورة مخصرة للقم الذى يلفظ باللغة السومرية « كا » فيحصلون بذلك على كتابة كلمة « كور - آ - كا » . ولقد وصل العراقيون الاقدمون الى هذا الطور من الكتابة فى الدور الذى أعقب دور الوركاء ، اى أنهم اهتموا الى الطور الصوتى فى الكتابة فى دور « حمدة نصر » فى حدود ٣٢٠٠ ق . م واستمرت الكتابة بالتطور والحسن حتى استطاعوا ان يدونوا بها جميع شؤون الحياة المختلفة .

والى هذا الطور فى الكتابة بعد طرأ عليها تعبيرات وتطورات كثيرة أخرى منها انه بعد أن ابعد الخط المسامرى عن الطور الصورى ودخل فى الطور الصوتى وأصبحت العاية من الصور ليس التعبير عن الاشياء المسادية التى تعبر عنها تلك الصور بل أصوات الاشياء التى تمثلها كما ذكرنا لم يهتم الكسبة فى ضبط رسم تلك الصور بل اختصروا فى أشكالها كثيرا وبمرور الزمان بعد التسه بين أشكالها واشكال الاشياء الى كانت تمثلها ، ودخلت فى الكتابة علامات اصطلح عليها للتعبير عن أصوات خاصة كما انهم ركزوا عدة علامات للتعبير عن معان وأصوات مركبة . وقد أحدثت طبيعة المادة التى كتبوا عليها وهى الطين بالدرجة الاولى تغييرات أخرى فى شكل الكتابة اذ يصب رسم الخطوط المنحنية على الطين . وباستخدامهم قلما مثلنا أصبحت العلامات تسهى بما يشبه المسامير ومن هنا منشأ اسم كتابة العراق القديم أى الكتابة المسامرية . واتخذوا وضعيات محدودة للمسامير . المسامير الافقية والعمودية والمائلة ومسمار بهيئة رأس السهم . وجمع عدة خطوط من هذه

| URUK | SYMDET NUSB | UR III | EARLY BAB | KASSITE | UM ASSURUM | NEO BAB | PHONETIC SUMERIAN | DEPARTMENTAL ABBREVIATION | MEANING |
|------|-------------|--------|-----------|---------|------------|---------|------------------------|---|---|
| | | | | | | | SAG | SEBU ARELU AREDU BUDU BUDU ELU | HAD BLOOD HARE NAME SLAVE FACED TO KILL |
| | | | | | | | SU | QATU MILTU | HAND TRIBUTE |
| | | | | | | | DA | DA | ARM BESIDE |
| | | | | | | | DU GIR RA GUB | ALAKU WASADU WASADU | TO GO TO SMELL TO STAND |
| | | | | | | | GU GUD GAR | ALPU GARADU HACADU | ON STRONG WARRIOR TO DESTROY |
| | | | | | | | UR ZUR | KALBU NABURU | DOG ENEMY NEPHEW FRIEND |
| | | | | | | | HU P/BAG | ISURU ESURU L... to ISURU TEMP LASH | SPARROW BIRD TO SHOOT TO LASH |
| | | | | | | | HA KU | MUNU LU | FISH VERB |
| | | | | | | | DUG KURUN | KAPATU DAMU | POT REMOVING BLOOD |
| | | | | | | | APIN URU | EPINNU ERESU | PILOUGH TO FLOUGH TO PLANT |
| | | | | | | | EN | BELUM SARRU QALU | LORD KING TO SAY |
| | | | | | | | AN D'INGIR | SAMU BELU GILU MILTU | HEAVEN HIGH GOD GODDESS |

صوره بصل نشوء الخط المسامري ونظوره

المسامير كانوا يكتبون العلامات المسماة المختلفة التي بلغت زهاء الـ ٦٠٠ علامة وقد استعمل من هذه الـ (٦٠٠) علامة نحو ١٠٠-١٥٠ علامة استعمالا صوتيا صرفا أى بهيئة مقاطع صوتية ، والباقي من العلامات اقصر فى استعماله على الطريقة الرمزية أى ان العلامة الواحدة كانت تقوم مقام كلمة^(١) ، وبوجه الاجمال كان الخط المسمارى خليطا بين الطريقة الصوتية المعطية وبين الطريقة الرمزية. ومما يجدر ذكره بهذا الصدد ان الكتابة الهيروغليفية المصرية لم تخضع الى مثل تلك التغيرات والتطورات بل حافظت على اشكالها الصورية الى نهاية الحضارة المصرية تقريبا .

وتتجت هذه التطورات فى الكتابة المسماة ان اصبحت طريقه اصطلاحية لا يمكن للانسان ان يعرفها اذا لم يكن قد درسها من قبل ، والواقع ان الحاجة الى تعلم الكتابة وضبط العلامات قد بدأت منذ أقدم العصور ، منذ عصر حمدة مصر وعصر فجر السلالات وقد حاطت اثبات بالعلامات المسماة وقيمها الصوتية ومعانيها وتكون هذه الاثبات على ذلك أقدم معاجم عبد البشر . واشدت الحاجة الى درس فن الخط وتعليمه ودرس اللغة فى الازمان النائية ولا سيما عند الاكديين الساميين الذين اعتمدوا كثيرا على الحضارة السومرية فاحسوا الى معرفة لغة الادب والعلم أى اللغة السومرية وكذلك احتاج السومريون الى مثل ذلك بالنسبة للغة الاكدية ، ويرجح كثيرا ان السومريين هم الذين اخترعوا الكتابة . وقد انتشر الخط المسمارى من بلاد الرافدين الى اوطار كثيرة من الشرق الادنى فاتخذوه الحثيون والاميلاميون واستعمل فى جهات سورية وافيسه الميسون والخوريون وانقرس الاخمينيون وقد استخدمت بعض هذه الاقوام مثل الحثيين لغات العراق القديم الى جانب الخط المسمارى . فقد اشتق عن الخط المسمارى السومرى الخط الاكدي والبابلى والاشورى ، واخذ من الخط الاكدي الخط الحورى والحثى فى حدود الالف الثانى ق . م ، واشتق من الخط السومرى الخط العيلامى

(١) وتسمى مثل هذه العلامة (ideogram) او (logogram)

المسماري بعد ان نطل استعمال الحظ العيلامي القديم الصوري ، ومما نال في الكتابة المسمارية انها على الرغم من انقلاب الساسه طلت مسعملة الى رمز ظهور المسيح تقريبا .

المدارس (١) ودور السجلات وخزانات الكتب :-

وقيل ان نذكر سنا عن المؤلفات والمعاهد النعونه التي حلها لنا سكان العراق الاقدمون نذكر كلمه موحده عن المعاهد التي كانوا يلقون فيها المعرفة والعلوم . ومما نال في هذا الصدد ان المآثر التي حلها لنا النجوم من اشارات كتابيه ومن آثار اسه ستر الى وجود المدارس عدهم وكتاب المعاهد نوجه خاص للمدرس والبحث عدهم مد اقدم عصور التاريخ . وقد حائنا أنواع من المدارس وما نعلق بالتعليم مد عصور فجر السلالاب . ووحدت مدارس التعليم في الارضه المأخذه في حرائب بعض المدن ولا سيما نمر وسار وغيرها من المدن عدا المدارس الخاصه بالمعاهد والظاهر ان المدارس كانت خصوصية أي نم تكن عموميه تحت اشراف الحكومه والدوله كما انه لما نقرر على نابه داب نحفظ خاص منبر تحت نمكسا نعلها نالها نابه مدرسه ، ولكن أي نابه (حتى نوب النسابي) نال احدهم نكون مدرسه . ولعل أول شيء كان يعلمه الطلاب الحظ أي الكتابة المسمارية وكانوا يدرجون فيها لانا من المعارف الصعبة لا سيما وانه نعلق بالكتابة معاني النعه ونحوها ونمرداها . وكان عليهم ان نعلموا النعه وهي اللغه النابله السامية والنله السومريه ، فكان النحصص في مل هذه الامور نحتاج الى زمن طويل ولا سيما اذا أراد الطالب ان نكون من الكسة المطلقين . وفيما عدا الكتابة والنله كان المعلم العالي سما ، المعارف الرابسه والموسقي والمك والطب و... ونور النماون وكتاب هذه على الأكر فروعا للاحتصاص نمرع لها جماعة خاصه من المعلمين ، وكانوا يلقون مل هذه الدروس العاليه في

(١) نوجد تحت مهم نسر الاسناد كرامر نعاون

The Sumerian School A Pre-Greek System of Education in Studies Presented by David Moore Robinson (1952)

معاهد خاصة ، وكاتب لهم بيوت ومؤسّسات خاصة المحب
 العالى نوسما ان سرحمها بدور العلم او الحكمة (وفى البابلية
 «بيت - مومى») مما يعايل الاكاديمية . ومن المؤسسات العالنة الخاصة بالجمع
 والتأليف حرات الكتب (وبسمونها بب الألواح أو الرقم « اى - دبا »
 «السومرية») ودور السجلات لحفظ الوثائق وكان للمعابد الشهيرة مؤسسات
 مل هذه ملحمة بها وكذلك . كان لقصور الملوك ، مثل خزانة الكتب الملكية
 الشهيرة التى وجدت فى قصر الملك الاسورى «أشور باسال» وقد عثر فيها
 المصور على مئات الألوف من ألواح الطين بجمع أصناف المعرفة والسجلات
 والوثائق التاريخية المهمة . ويرجع الفضل الى هذه المكتبة فى معرفة بواب
 مهمة من حضارة العراق القديم وباربعة اد ان هذا الملك قد جمع مكتبة
 من مختلف المدر النامية وجمع النصوص القديمة واستسج كثيرا منها
 وأودعها فى مكتبة ، ومن الجدير بالذكر ان السائح الذى حصل عليها مدرته
 الا نار العرافة من بساتنها فى بل حرمل أظهرت على ان هذا الموضع
 انقرب من امداد كان موصفا لحفظ الوثائق والتأليف والفن أو كان بمثابة
 مدرسه . وقد انقربت الا نار التى وجدت فى على ألواح الطين المكتوبة (وقد بلغ
 عددها رهاء ٣٠٠٠٠ لوح) وهى تحوى على أصناف غير مألوفة فى المواضع القديمة
 الاعساده . اد دوت شى صوف المعرفة كالألواح الرماضة (انظر الكلام
 على الرماضات) والمؤلفات فى أسماء الساب والحيوان والاحجار والمؤلفات
 اللغوية ، والسرائع مما لا بدع محالا لاثبت فى ان بل حرمل (واسمه القديم
 على ما يرجح شادوم) كان معظم سكانه من الكسة المطلقين بالعلوم والمعارف
 التى وصلت اليها حضارات العراق القديم فى العهد البابلى القديم ، وهو العهد
 الذى نوهما باهميته من حيث ضخ العلوم والمعارف فيه وبدونها قد ان كانت
 فى العصور القديمة بداولها الناس بهتة معارف عملة .

وقبل ان سرك الكلام على ألواح الطين والكتابه فى العراق القديم
 نذكر بعض الامور المفيدة الاخرى ، ومن ذلك صلاح الطين ومطاوعه الى

الخط المسماري ، كما ان ألواح الطين لو تركت لشأنها فهي غير قابلة للتلف بوجه عملي^(١) ، وان ضرورة المحافظة على بعض الوثائق المهمة وصمان عدم التلاعب بها قد دفعهم الى صنع ظروف (أو علف) من الطين لحفظ الألواح فيها ، ولما كان الطين يفتقر عند حرقه فلا يمكن فك الوثيقة ويرعاها من علاقتها بدون كسره ، كما انه لا يمكن وضع حرف حديد على لوح حاف . وكان الطين لا يتطوع الصن في الخط كما كان الحال في ورق البردي في حصار مصر ، وآيات اعلمه ألواح الطين صغيرة الحجم ، لان مادة الطين لا تساعد ان تكون حجوما كبيرا ، ولذلك كانوا يكتبون النصوص المطونة على سطوح اشكال محسمة من الطين كالماشير والاساطير . واثرت مادة الكتابة المحددة في الخط المسماري اثرا آخر في حصار وادي الرافدين ، من اجل ظهور النصوص المطونة او ما يصح ان نسميها بالكتابات . فان المصريين القدماء قد ساعدتهم مادة الكتابة على ان يوحّدوا درج البردي (لقاب البردي) وكتب هذه بكتابة « الكتاب » او سدن وادي الرافدين فمع استطاعتهم تدوين نصوص مطونة على اشكال كبيرة محسمة من الطين او على قطع صغيرة مثل سلسلة حيوراي ، الا ان ذلك لا يمكن ان يكون بمثابة الكتاب . ودار النص المطول ، اذا أريد تدوينه في الألواح ، فانه يدون على ألواح كبيرة مفصلة ، ولكي تصمموا سلسلتها كانوا يدورون اسفل كل لوح عازدة لوح كذا من سلسلة كذا . ويصيغون مطلع السفر الاول من اللوح الثاني . ولكن مع ذلك فانه لم يكن من الممكن المحافظة على الألواح الكثيرة التي يؤلف منها واحدا ، بل دُفنت ودفنت ، حتى ان بعض الألواح يوجد منها كسر واحد في محب وكسره أخرى في محب آخر . ولعل اساء ما يصاهي « الكتاب » في حصار وادي الرافدين قد دعاهم الى اساء دور حصاره بالسجلات وحرايات الألواح في أرمان مقدمة جدا .

(١) وللمقارنة بمادة ورق البردي الذي استعملته حصاره وادي

الاسفل يقول ان البردي غير صالح للحفظ ربما طويلا ، وان سبب بقاءه انما كان بسبب حواف مباح مصر .

المؤلفات والمعاجم اللغوية

شأ المؤلف اللغوي في العراق القديم منذ أقدم العهود ، فقد سبق أن ذكرنا أن من حمله الدوايع الى ذات صعوبة الخط المسماري والمصنوع المماثلة المدونة في ذلك الخط وحاحه الكسة والمعلمين الى انما وبنو النماة واللغة . ولعل أقدم المؤلفات اللغوية هي الاثبات والحداول اللغوية التي جاءت من عهد حمورابي عصر فجر السلالات . وكثرت وتوعد في العصور التالية . وكان من بين المؤلفات التي تصح أن بعدها لغوية ويولوجية أيضا اثبات . طواره ، اسما ، الحيوان والياب والاعداد والاحجار . وعندما سسرد الساميون ، استغرد الساسنة منذ العصر الآتي وبعد روال سلالة اور الساسنة كبرت الواضع اللغوية والهل والرحمة لحاحه القوة اعظم اللغة السومرية ورحمة صوصها ، فشأت معاجم من اللغة السومرية الى اللغة البابلية (السامية) ، اذ سرح المفردات بما تقابلها من السامية أو برحمة الحمل والمصطلحات السومرية . واستمرت هذه المؤلفات اللغوية الى العهود المتأخرة . وقد سبق أن ذكرنا أن الحركة الى اثبات والرحمة والتعليل . والاسم من العهد البابلي القديم . وقد ساهدا كتاب يفسن السرائع المهمة ويدرون في ذلك العهد .

وكان اول ما بدأ به المعلم كما ذكرنا العرف على العلامات المسمارية المألوفة فألفوا في ذلك اسما كثره في العلامات المسمارية وبجاسها الايسر لفظ العلامات وفي الجانب الايمن اسم العلامة . وألفوا كذلك معاجم اخرى لتدوين معاني العلامات عندما سسجده بصوره رمزية اى بدل على معاني مختلفة ثم معاجم معاني العلامات في السومرية وما تقابل ذلك باللغة السامية . وقد سبق أن اشرفنا الى المؤلفات اللغوية - السولوجية وهي حداول متصلة بضم بعضها شرح التعابير والمصطلحات الفقهية المستعملة في الوثائق والعقود القانونية وكذلك سجلات باسماء الاشياء والمواد المختلفة كاسماء الحيوان والياب والادوات المصنوعة من المواد المختلفة كالتحشيش وانقصب



صورة تبين كيفية رسم العلامات المسمارية بقلم ملب ، وساعد
في الصورة كذلك طبعه خم اسطوانى على لوح الطين

ب. انهبروعليفنه كذلك وحد السياح آثارا مهمة في برسيوليس (عاصمة
 العرس الاخمينيين قرب درفول الحالية) دون على بعضها بالخط المسماري
 اخباز (دارا) بثلاث لغات احداها ترحمه الاخرى وهى اللغة الفارسيه
 القديمة واللغة العلامية واللغة البابلية . وقد استسخها بعض السياح ونقلها
 الى اوربة حيث اصحب فى مساوئ ابدى الباحثين فكف على درسها
 « كروتهد » المدرس فى احدى جامعات الماية سنة (١٨٠٣) وود اهم باحدى
 الكتابات الثلاث وهى الفارسيه لان حطها كان أقل تعقدا حيث ظهر انه مكون من
 علامات مسمارية تشبه الحروف الهجائية لا يتجاوز عددها الخمسين حرفا فى حين ان
 اللتين الاخرين العلامية والبابلية مدونات بالمقاطع والرموز وقد استطاع ان
 يقرأ اسم الملك دارا وابنه احشويرش وعرف مفردات أخرى من هذه
 اللغة الفارسية ، فشئ بذلك الطريق للساحنين الاخرين وفى مقدمتهم
 « هرى رولفن » العالم الانكلبرى الذى درس الكتابات المسمارية المقوشة
 على نصب آخر هو الاثر المعروف بحجر « بهسون » الواقع بالقرب من
 كرمشاه حيث دون فيه الملك دارا أعماله وفروعاته باللغات الثلاث الآتية
 الذكر أى اللغة الفارسية واللغة العلامية واللغة البابلية وقد استطاع « رولفن »
 بدراسه هذه النقوش ان يكمل العمل الذى بدأ فيه « كروتهد » بفراسته
 الفارسية القديمة أولا والاسعانة بها بوصول الى حل رموز اللغة البابلية
 فعرف منها مفردات أخرى وفهما من علاماتها ، وقد شاركه فى هذا العمل
 العالم الارائدى (هكس) ثم تابعت بحوث العلماء فى أقطار اخرى وادوات
 المعرفة باللغة البابلية وعلاماتها وفى عام ١٨٥٧ أصبح موضوع قراءة اللغة
 البابلية والاشورية علما معسوطا حتى أنه جرى شه امتحان للعلماء فى ذلك
 الحقل ان قدم لهم نسخ من كتابة واحده فترجموها كل عالم على افراد
 وعندما نشرت ترجماتهم فى « المحلة الآسوية الملكية » كات مطابقة فى معناها
 وبذلك اطمأن العالم الى صحة الطريقة التى اتبع فى حل الرموز^(١) ومن ثم

(١) حول كيفية حل رموز الخط المسمارى راجع -

كثرت النحوت والدراسات فأخذ علم الاشوريات وهو معرفة قراءة الكتابات المسمارية وبحوها وفواعدها يسع وبرداد دفه حتى أصبح الآن يدرس في الجامعات المشهورة مثلما يدرس اللغات الشرقية المعروفة، ومما ساعد على معرفة اللغة البابلية وسرع في خطوات فهمها انها واللغات السامية الاخرى مثل العربية والعبرية من اصل واحد أى من عائلة واحدة حيث تشابه في بحوها وفي مفرداتها فامكن بالموارث والمقابلة مع بعض تلك اللغات ولا سيما العربية والعبرية معرفة كثير من مفردات اللغة البابلية وتركيب جملتها .

اما اللغة السومرية فلم تكن من اللغات السامية بل لغة السومريين الذين نسب اليهم اختراع الحظ المسماري . وقد تأخرت معرفة لغتهم بعد حل الحظ المسماري ربما واكن العلماء في اثناء قراءتهم للكتابات المسمارية كانوا يجدون من حين وآخر مفردات لغة عربية حديثة لا تشبه اللغة البابلية الى كانوا يدرسونها فجادوا في أمر هذه اللغة العربية وسموها في بادىء الامر باللغة الاكدية فخصصوا ليهودهم لمعرفة اسرارها فاخذت يوسج شتاً فشتاً ومن حين الحظ ان بعض الكتابات المسمارية التي وجدوها المصون في مدن العراق القديم كانت بعمامة معاجم اشرح مفردات هذه اللغة باللغة البابلية السامية . ومما كان يهده برجمات الكتابات سومرية باللغة البابلية كما ذكرنا فيما سبق، ولما كانت اللغة البابلية قد عرفت فساعد ذلك على فهم نحو اللغة السومرية ومفرداتها حتى أصبحت معروفة الا لا تزال عن اللغة البابلية .

التاريخ والتدوين التاريخي :

سيفسر بحثنا في التاريخ في حصاراب العراق القديم على طرق تدوين الحوادث وهو ما سميناه بالتدوين التاريخي^(١) دون الاصول والمواعيد المبعة في علم التاريخ وهي القيد والتفسير الى غير ذلك مما مر بنا في منهج البحث التاريخي . وهذه أمور لم يعرفها المؤرخون الاقدمون في العراق وغير العراق بل هي بوجه الاجمال من معارف البشر الحديثة . والواقع من الامر ان مفهوم

(١) انظر الفصل الاول حول طرق التدوين السائدة عند المؤرخين

التأريخ بصفه علما من الآراء الحديثة في تاريخ الاسان .

ولكى نفهم طرق التدوين عند مؤرخى ربات المدم سعى لنا ان نبدأ بطرق
النعوم^(١) عندهم لانها على ما سرى صارت مصادر للتدوين التأريخ، وسيد المعوم الى
طريقه تأريخ الحوادث . وأم يكن عند المالمس والاشوريين عهد ثابت يؤرخون
منه (مثل ميلاد المسيح والهجرة) ، وإنما كانوا . مثل العرب قبل اتحادهم
عهد الهجره السويه . يؤرخون بالحوادث المهمة ، يؤرخون السنة من حادثه
مشهوره وقعت فى السنة الساعه ، فسجد هذه الحادته لتأريخ جميع المعاملات
والسجلات وانوفات مما يقع فى السنة ذاته . وقد بعد ملوكهم فى حالة عدم
اتحاد حاد ، من السنة السابقة الى هرب الحاده بعد اتحادها من بين الحوادث
الواقعة فى أول السنة الجديدة ، فجمع هذا التأريخ الحديد الى جميع الاقائس .
كما كان يفعل الملك الشهير حمورابى . وقد ابتدأت طريقه التأريخ من الحوادث
المشهوره فى العراق منذ آدم أزمان التأريخ ونصب الى نهاه سلاله حمورابى
(فى نهاه القرن السابع عشر م .) حيث عدلوا عنها الى طريقة أخرى وهى
تأريخ الحوادث بالنسبه الى سى حكم الملوك . واستمرت هذه الطريقة عندهم
حتى نهاه نابل (عام ٥٣٨ و م .) وطلب فى الاستعمال فى العهود التى أعقب
سقوط نابل . كالعهد الاحمسي وعهد الاسكندر والعهد السلوقي . واحدد
الاشوريون طريقه أخرى هى تاريخ الحوادث وتقومها وذلك سيمه السى
باعظم رجال الدوله ، ابتداء من الملك . فسمون كل عهد من ذلك الدور
أو العهد واللسان الاشورى «نو» يؤرخون بالنسبه اليها .

وقد اتف الكسة انما بالحوادث المؤرخ بها ، حب جمعوا حوادث كل
ملك أو أكثر من ملك فى ثبت خاص مسلسل ابتداء من نوبه العرس ،
وكذلك جمعوا انما من طريقة التأريخ الاشورى وحلقوا لنا من كلا النوعين
بمادج كثيرة . فكون هذه الاسباب أولى محاولات فى التدوين

(١) Chronology . وسيدكر أسماء أخرى عن المعوم والاسهر

فى كلامنا على الملك .

التاريخي = وقد أضاف حامو اثبات العهد الدوربة ، بحسب الطريقة
الاشورية ، ملاحظات تاريخية مهمة = اراهم اعدادوا ان يذكروا ، على نحو
نظام الحوليات في العصور الوسطى ، بعض الحوادث والتعليقات مما حدث في
السنه الخاصة ، من ذلك ذكر حادثة مهمة وهي كسوف الشمس الذي سيق
بالحساب الفلكي الدقيق انه حدث بالصسط في ١٥ حزيران عام ٧٦٣ ق م . وقد
سبق ان ذكرنا كيف ان المؤرخين في العصر الحاضر استعانوا بهذه الحوادث
فاجدوها أساسا اسى في صسط التاريخ الاسورى بالنسبة الى الميلاد بل ان ذلك
في صسط تاريخ العراق القديم وتأريخ الشرق الادنى . وقد اتخذ المؤرخون
الاعتماد هذه الاثبات مصدرا مهما لدوين تاريخ ملوكهم وسلاسل الملوك
المعاصرة ، التي يجوز ان يطلق عليه اسم التاريخ الرسمي . وهي اثبات الملوك
والسلاسل التي تسند في مصدرها بالدرحة الاولى الى سجلات أو اثبات الحوادث
المؤرخ بها ، لان الكتاب يستطيع بواسطتها ان يعرف عدد السنين التي حكمها الملك ثم عدد
السنين التي حكمها سلاله هذا الملك وجميع كل ذلك يكون عندهم ، مادعونه
سماها اثبات الملوك والسلاسل وهي تدون ملوك كل سلالة وعدد سنى كل
ملك منهم ، ثم مجموع سنى السلاله والمدسة التي كانت عاصمة لها ، ثم
تذكر السلاسل الاخرى على هذا الطراز . وقد حاصروا لنا من هذه الاثبات
مادح مهمة ، من سماها جداول مطواه باسماء السلاسل وملوكها التي حكمت
في العراق مما قبل الطوفان ومنذ الخليفة حتى زمن تأليفها ولعل ذلك كان في
مداه سلالة أور الثالثة^(١) وقد حروا في هذه الاثبات المطولة على تقسيم تأريخ
البلاد الى عهدين ، التاريخ القديم وبدأ عندهم منذ الخليفة الى ما بعد حدوث
الطوفان ، والتاريخ الحديث وبدأ عندهم مما بعد الطوفان .

ولم تقتصر حاهو اثبات السلاسل ، لحسن الحظ ، على ذكر الملوك
وسى حكمهم = واسما كانوا يصفون : بن الحن والحن الآخر ، بعلنقات

وحوادث مهمة مقده . فجد المؤلف مثلاً يضيف حاشية بعد السلالة الاكدية فيقول «فصى على مملكه الوركاء بالسيف ، فاستلب الملوكة منها الى (اكد) فتمار في اكد سرحون ملكا وحكم ٦ - سنة . وهو الذى (اى سرجون) تسمه فلاح وصار ساقيا للملك «اور - البابا» ملك بلاد اكد . وقد بى سرحون مدنة اكد . وحكم مانشوسوا الاح الاكر لرموش وابن سرحون ١٥ سنة الخ» ومن الطريف فى أمر ذلك المؤلف ما سبق ان ذكرناه من انه بعد أن يهوى الكلام على السلالة الاكدية ، وقد أن يذكر العهد المظلم الذى أعقب السلالة الاكدية ، يسأل ساجرا « من هو الملك ومن هو غير الملك » مشيرا بذلك الى عهد الفوضى السياسية التى حلب فى البلاد بعد السلالة الاكدية فى العهد الكوتى .

وحاشا لنا الاشوريون كدات اناء باسماء ملوكهم واسدع مؤرخوهم بوعا خاصا أن يسموا الشعب الى حطين ، نذكر فى الحقل الاول الملك البابى وفى الحقل الثانى الملك الآسورى اندى حكم فى زمنه . مال :-

١ - سوزنا - بوكلى - أشور

٢ - موكل - سكو - كدورى - أوصر

٣ - اشور - رش - اشى (وهو يوحد بصر الاول)

أى ان الملك البابى يوحد بصر الاول در عاصره من الملوك الآسوريين لانه ملوك وهم المذكورون فى الحقل الأسر .

والى شأن الملوك والسلالات خلف لنا البابليون والآكدونيون حادح أخرى من شرق الآندون التاريخى ، يصح ان نطلق عليها بوجه عام اسم « الفوضى والكساد التاريخى » التى حصصت بالدرجة الاولى الى تدوين مآثر الملوك والأمراء الذين شعقوا بحلده اعمالهم وحروبهم واحار أسهم الى عمر ذلك من المآثر التى دويوها على الحجر والانصاب والتماثيل وألواح الطين . وقد بدأت هذه السجلات منذ فجر التاريخ (منذ بداية الألف الثالث ق . م) وحاشا من ذلك بمدح كبره مسوعه ، تعد بعد بعدها ، من مصادرنا الأساسية فى معرفة التاريخ القديم . وقد ابتدع مدونو التاريخ

الآشوريون شكلا طريقا من الكتابات التاريخية الحربية ، فكانوا يصوبون
أخبار حملة الملك بهيئة رسالة يرسلها الملك الى كبير الآلهة . فوجد في
أخبار الملك الآشوري « سرجون الثاني ٧٢١ - ٧٠٥ ق م » مثلا ان الملك
بعد أن يحى الآلهة آشور على طريقة دساجه الرسائل ويحى الآلهة الأخرى .
ويحى المدينة وسكانها ويسأل عن سلامة الجميع ، بدأ بمصطلح أخبار حملته
الحربية الثامنة في نحو ٤٢٥ سطرا يفصل فيها عزوته الى بحيره «وان» وبحيره
أورمة في بلاد الارمن ذاكرها فهره البلدان الواقعة هناك ودكه حصونها
وحصونه على الحربه الى غير ذلك من شؤون هذه الحملة . ومما لا شك فيه
انه كان يصحب الملوك في غزواتهم مؤرخون رسميون لدوين أخبار تلك
الحملات الرسميه ، كما جرى عليه بعض الملوك المأخرين مثل الاسكندر
الكبر والامبراطور الروماني حولان .

ومن الكتابات التاريخية التي خلفها لنا مدونو التاريخ من الآشوريين
نظام الحوليات (annals) التي بعد داب قسمه تاريخية لما يحويه من الاخبار
التاريخية المهمة وقد رتبوا الحوليات على السنين . اما برسب سني الملوك أو
برسب نظام التاريخ الدوري . اللمو . (طريقة تاريخ السنة بحسب عهود
كمار رجال الدولة ابداء من الملك) . وادا جمعنا الحوليات الخاصة بكل
ملك فسكون لدينا تاريخ ثمين للدولة الآشورية على الرغم مما فيه من
فراغ . وقد امدنا بعض هذه الحوليات بمعلومات ثمينة عن جغرافية الشرق
المدني وحطاط بلدانه لانها تذكر بالاسهاب وبالترتيب المواضع والمراحيل
التي يمر فيها الملوك يوما بعد يوم في غزواتهم وحملاتهم الحربية ، واشهر هذه
الحوليات ما نسبته الى المعلومات الجغرافية حوليات الملك « توكلي نورتا »
الثاني (٨٩٠ - ٨٨٤ ق م) والملك « أدد - نراري » الثاني ٩١١ - ٨٩١
ق م والملك « آشور - ناصرال » الثاني ٨٨٣ - ٨٥٩ ق م وقد وردت
معلومات ثمينة في حوليات شلمنصر الثالث ٨٥٨ - ٨٢٤ ق م الموحدة المدونة
في مسلة الحجر المشهوره التي نقش بأخبار واحد وثلاثين عاما من حكمه
ولا سيما فتوحاته في انحاء الشرق القديم .

واخص الكسه الاشوريون . . . آخر من السجلات التاريخية يجوز ان سميها « سجلات الدعاية » . وهي : ون اعمال الملوك الحربية بالدرجه الاولى على (الصفاح) أى ألواح الحجر المسية بها جدران القصور الملكية وكذلك على المناسر وورق الطين . ومما يميز بها هذه السجلات التاريخية أنه تم راع فيها التسلسل التاريخي وانما رتب بحسب التسلسل الجغرافي للمواقع والاقاليم التي عرتها حروب الملوك . وكان العرص منها العرس في قصور الملوك لمرأها المعاصرون والمتأخرون فمجدوا الملوك لما قاموا به من أعمال سامية .

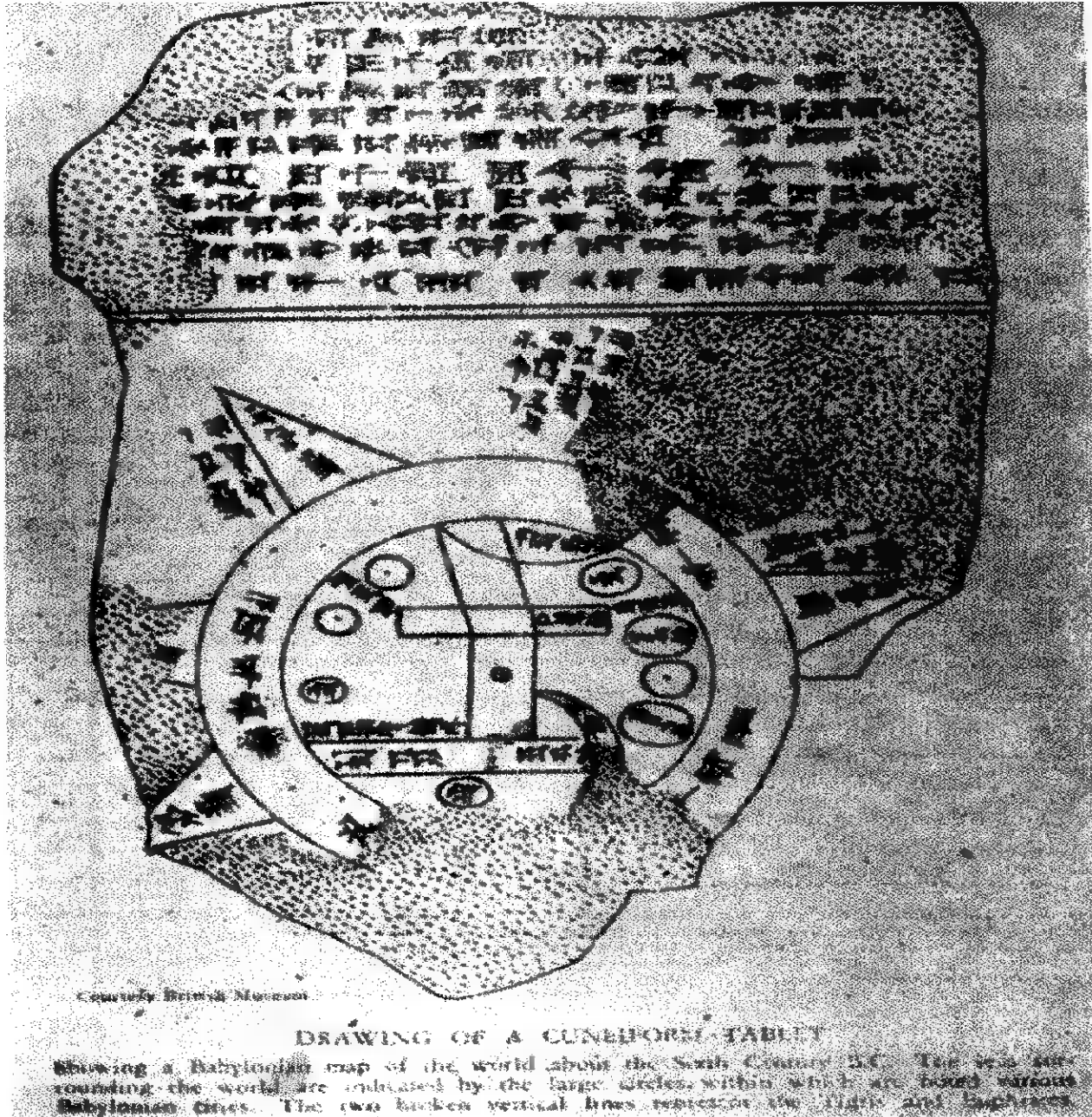
وإذا كان البابليون لم يحفظوا لنا مثل الاشوريين السجلات التاريخية بحروب الملوك . فابهم كتبوا بدلًا منها « التاريخ (Chronicles) التي امتازت على الكتابات التاريخية الاسورية بكونها أقرب الى طرق التدوين التاريخي المعاصرة . وقدنا منها فوائد حليلة عن تاريخ البابليين والبلاد المجاورة وهي بوجه الاحمال تواريخ نامقي الصحيح . إذ أن المؤرخين الذين كتبوا فيها لم يقتصروا على الحوادث المعاصرة وانما سجلوا في حوادث الماضي في بلادهم ودونوها . ولا يستطيع أن يد على وجه التأكيد بالرغم الذي شأت فيه هذه الظرفه في تدوين التاريخ ولكنها جانب اساك كثره من الرمن البابلي المتأخر (٦٢٥ - ٤٠٠ ق . م .) ومع ذلك فان مؤرخي هذا العصر قد كتبوا في تاريخ القصور الماضية ومن جمله ذلك أخبار الدولة الاكدية التي سبق زمانهم بنحو القى عام . وكذلك اذبحوا احراز العلاقات بين بلاد بابل واسور وعرضوا لذكر المعاهدات بين ملوك البلدين في سوية الحدود . والى في التاريخ البابلي ، انما نافع الاهمية تشمل على الحوادث التاريخية في بلاد بابل واشور وعلام من رمن الملك الاشوري « اشور بارسال » ويرقى حتى رمن الملك البابلي « نيناصر » ٨٧٤ - ٧٣٥ ق . م . » وجاءنا منه نسخة من رمن الملك المارسي الاحمسي دارا الاول . ومن أمثلة هذه التواريخ جزء من تاريخ الف في يدانه العهد البابلي المتأخر بدون طرفا من الحروب التي أدت الى سقوط بينوى على أيدي الماديين والكلدانيين . واستمر هذا النوع

من التأليف الى زمن الاسكندر والعهد السلوقي . وقد اشتهر هذا العهد
بالمؤرخ البابلي الشهير « برعوشا » (Berossus) الذي كتب تاريخ البلاد
باللغة الاغريقية في القرن الثالث ق . م . ، وقد فقد الاصل ولكن حطت
مفسات منه في المصادر اليونانية .

الجغرافية :-

نشأ عدد سكان وادي الرافدين الاقدمين بدايه ما نسميه علم البلدان
والجغرافيه وكان أهل المعرفة في تلك الحضارة مولعين بالفكر
في الكون ومركز بلادهم وموقعها منه ، وبالسبب للبلدان الاخرى . وما
قال عن فكره انابلين لما في هذه الارض أنهم تصوروا الارض وما فيها
صوره أو سحبه لما في السماء ، فالعراق ودخله وجميع الارض والبلدان
وحتى المعابد صور باسمه لاصول موحدة في السماء . وتصوروا الارض
بهشبه نصف كره مقلوبه أو شبه طاقه في المحيط (أو فقه مقلوبه) ، وعلو
الارض السماء وهي ثلاث طبقات أو سبع طبقات وهي كذلك بهشبه القبة
وهي السماء كالب فوق أساس موضعه في هذا الافق الذي نراه ، ودعوا
السموات العلوى من السماء بالمركز أو « كبد السماء » واعلى نقطه فيه هو
السموات ويحيط بالسماء البحر أو المحيط السماوي . وسموا الارض الى
ثلاث مناطق ، المنطقه العليا هي الظاهره التي سكن فيها البشر ، والارض
الوسطى « موضع الماء ومنطقه اله المياه » اما « ولى ذلك الارض السفلى
التي فيها موضع ارواح الموتى » وقد جاء في ماثر اخرى يقسم كل من
السماء والارض الى سبع مناطق . وسموا الارض الى اربعه قطاعات او
أجزاء و اربع جهات اصله يقال كل جهة قطرا عظيما من الاقطار
وسمى باسمه ، فالجنوب بلاد عيلام والشمال بلاد اكّد والشرق بلاد
« السومريين والكوشيين » (الاشوريين) والغرب بلاد الاموريين ، أي
جهات سوربه .

وقد اتسعت معلومات العراقيين الاقدمين عن جغرافية الشرق القديم
ما أقدم الازمان بالتجارة والفوح البخارجية والاسفار وقد عرفوا أجراء



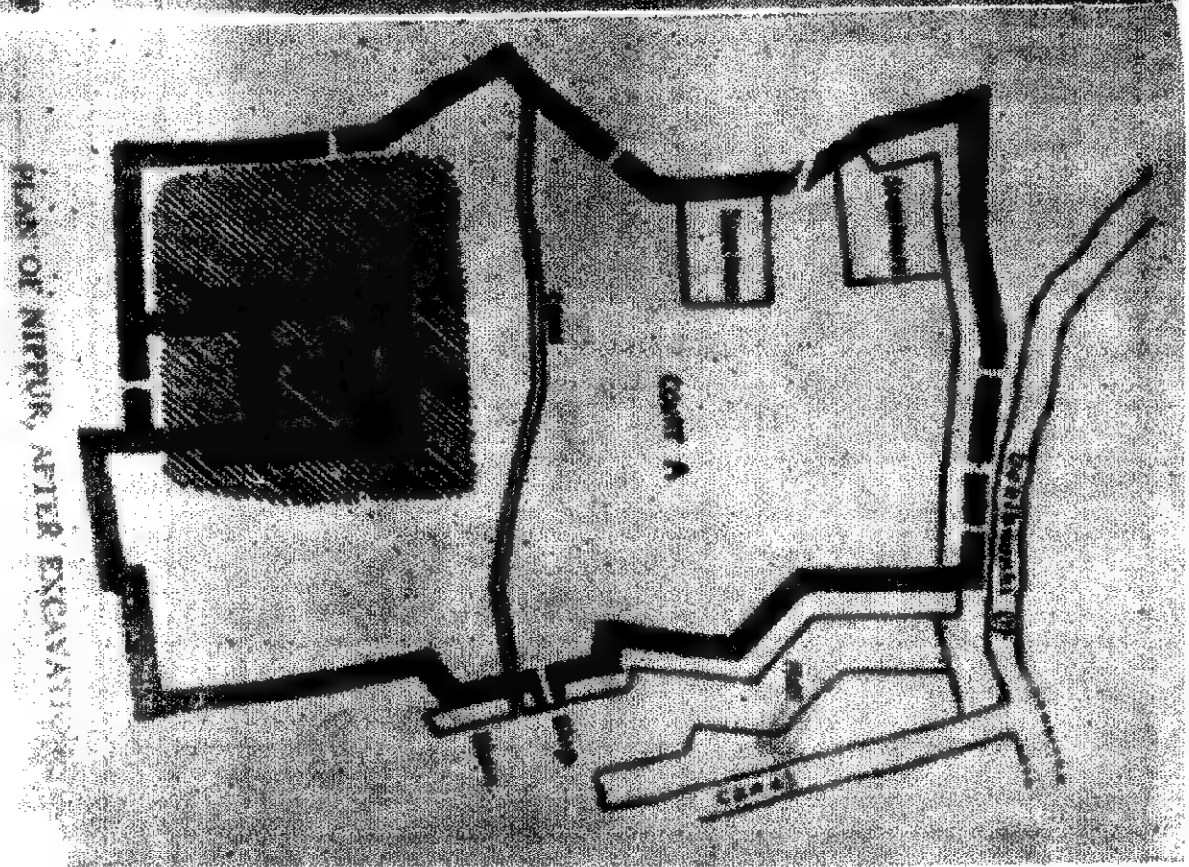
رسم خارطه بابله (من العهد البابلي الحديث) بين العالم
 كما كان معروفا ، حيث ساهد بابل في مركزه
 ويحيط به البحر الاوقيانوس

مهمة من جريرة العرب ولا سيما البحرين وسموها « دلمون » و« عمان » « مجان » و« وملوخوا » ولعلها بلاد الحبشة ووصلوا بفتوحهم ولا سيما في الزمن الأكدي الى حهاب هذه « وقد القوا في الجغرافية اثباتا « جداول » مطولة باسماء المدن والمدن والانهار في العراق وفي الاقطار المجاورة وقد جاءتنا من هذه الاثبات مادح مهمة من الزمن البابلي القديم ، فمن ذلك ثبت مطول وجد في اء تصفات مديرية الآثار العراقية في تل حرمل « وجاءتنا مادج من هذه المؤلفات الجغرافية من الرمن الاشوري المتأخر وكذلك من العهد البابلي الاخير ، وفيها اضافات باسماء المعابد وتفسير أسماء بعض الاقاليم والمدن وهي مدونه باللغة السومرية وباللغة البابلية « ومن الجداول التي تدخل ضمن المؤلفات الجغرافية قوائم قدسه بظمت لاعراض ادارية أي تعداد المدن والمواضع لعانة جمع الضرائب والادارة « ومن الجداول الجغرافية التي ألفت لاعراض عمله مفيدة مؤلفات بأسماء الاقاليم والمواضع المهمة لتسهيل الاسفار وعرفت المسافات فيما بينها^(١) .

واعل احسن ما برسا معدرتهم الجغرافية ما جاءنا عنهم من الخرائط المجملته وقد خلف لنا البابليون مد أقدم ازمانهم طرق مسح الاراضى وفاسها واحذ مخططاتها (أنظر بحث العلوم الرياضية) وعرفوا تنطيط الخرائط لمساحات أوسع أي خرائط المدن والاقطار • ولعل أقدم خريطة من هذا النوع خريطة مدسة نفر الى يرجع عهده الى الالف الثاني و • م ، (أنظر الشكل في ص ٣٢٨) ومما يدهش له حقا ان هذه الخارطة قدسه مصوطة بحيث ساعد المصنن الذين وحدوها في نفهم في المواضع المهمة من المدينة • ومن ذلك خارطة مدسة سبار وخارطة مدسة نابل • وتعدوا الخرائط ذات المساحات المحدودة الى رسم خرائط لاقالم أوسع والامثلة على ذلك خارطة للعالم المعروف لديهم جاءتنا من الزمن البابلي الاخير ولكن يرجح انها نسخة عن أصل أقدم وهي أشبه ما تكون بخرائط



A DRAWING OF THE CITY NIPPUR ON AN ANCIENT TABLET



PLAN OF NIPPUR, AFTER EXCAVATION

خارطة مدينة « نجر » كما رست على لوح من الطين
من العهد البابلي القديم

الجغرافى « الاصطخرى » وفات خرائط الاغريق العديمة من الايونيين
 كما وصفها لنا هيرودوس^(١) « وصور هذه الحارطة البابلية الارض وهى
 مدوره مسطحة وفى سطحها نهر الفرات آتيا من الجبال الشماليه ويصب فى
 منطقة الاهوار فى الجنوب ووصف قرب المركز مدنة بابل وفى حاب
 منها بلاد اشور (وكل شعب يرى عاصمه أو ملاده مركز الدنيا وسر بها)
 وقد علمت فى هذه الحارطة مواضع المدن والبلدان بدوائر كما تفعل فى
 خرائطنا فى العصر الحاضر ووصف فى وسط الدوائر أو بقربها اسماء
 ملك الدن « أما الملك المسهر على المنطقة الخارجة من الحارطة تشير الى
 الاقاليم الاحسه ، ويحيط بالقاره التى تمثلها هذه الحارطة النهر أو البحر
 الملح « ويخرج منه ثمانى حرر وقد بسب المسافات فما سها بالساعات البابلية،
 ومن الطرف ذكره فى هذا الصدد أن الخريطة سسمى الجربة الشمالية
 «الجربة» التى (لا يرى الشمس) حب نسر بعض الباحثين هذه الاشارة
 بأنهم عرفوا الظاهره السماء بالليل القطبى (نظر الشكل فى الص ٣٢٦)

(١) ولم يعن عليها كثيرا الخرائط المسيحية التى كانت تدعى فى
 العصور الوسطى بخرائط الدنيا (mappae mundi)

الفصل السادس عشر

العلوم الرياضية والطبيعية

مقدمة :

سسطع أن سنع من سر تأريخ الحضارة فى العراق تدرج المعارف فى حضارة وادى الرافدين مد عصور ما قبل السلالات وهى العصور التى اطلقنا عليها اسم فجر الحضارة لأنها كانت معدمه وتمهدا للاتصال الى طور الحضارة الناصحه التى بدأت مد مدانة الالف الثالث و... والواقع ان الاسان بدأ بالاحراعات والصناعات ويكون المعارف مد العصور الحجرية فمعرفه النار واهداؤه الى علم الزراعة وتدجين الحيوان وصنع الفخار فى العصر الحجرى الماخى . والاحراعات الاخرى التى وصل اليها فى عهد فجر الحضارة كالكسب ووسائل التواصل الاخرى واعدن والاصناعات وغير ذلك مما كان معارف عملة سبيه عن قوى الطسعه واسرارها وتسجيرها . ومعنى ذلك ان الاسان فى العراق سندا بالعلوم العملية مسد أمد عصور التاريخ وان هذه المعارف العملية التيميه هى أسس العلوم الشرية ونواتها سواء كان ذلك فى علوه الاسان الحاضر أو فى العلوم التى وصل اليها الاسان فى الارمان التى أعصب شوء الحضارة فى كل من وادى الرافدين ووادى اسل وفى الافطار الاخرى التى افسست عناصر الحضارة من هدين المركزين الحضارين كالبون وفلهم أمم أخرى مثل الحثيين واليلاميين وغيرهم من الافوام .

وقد بدأت العلوم والمعارف فى حضارة العراق القدم فى أطوار عمنة كما أنشربا الى ذلك . ومعنى هذا أنها كانت أشبه ماتكون بالحرف والصناعات التى يكون تعلمها عادة تعلمها عمليا بالممارسة واللمذة العملية . فعندما بدأ

المخصص بالصناعات المختلفة الكثيره الى شأن في الحضارات الاولى ،
 نشأت في المجمع جماعات من الصناع المحرفين المخصصين كالمعدنين
 والمحايين والكبة والفنانين والبنائين والمهندسين وكلهم أصحاب حرف
 مخصصين ولا سبل لمعرفة صاعاتهم الا باللمذة والاسباب الى طبقة خاصه
 من الصناع للمعى المعلومات واسرار الصناعة من دوى الاختصاص ولكن
 شأ بعد أزمان طور الحث والدوين والتأليف والحارب ، أى بداية العلوم
 الحصريه . وبوسعنا أن نجد بدايه هذا الطور حتى في الادوار التى سمهاها
 بأدوار المعارف العمله ، اد كات الحاجة تدعو كثيرين من المخصصين مثل
 الكهنة والمعدنين ، الى تدوين أشياء عن صاعاتهم ليسمعوا بها أنفسهم على
 مهتهم وصناعاتهم الخاصه . وبدو أن أول ما بدأ من العلوم فى العراق
 القديم علوم النجوم وما وصل بصون الكتابة . اد جاءنا كما سبق ان ذكرنا ،
 مؤامات لغوية بهته معاحم منذ أقدم الأزمان .

العلوم الرياضيه :

اد سبق أن ذكرنا ان أقدم أرقام وحساب فى تاريخ الحضارات البشرية
 قد نشأت فى أولى الحضارات البشرية فى وادى الرافدين ، وقد رأينا أن هذه
 كانت لصطل واردة المعاد وحساباتها وغير ذلك مما يتعلق بالشؤون
 الاقتصادية . ومما لا شك فيه ان البشر قبل ان بدأ بمرحلة تدوين الأرقام
 فى وادى الرافدين اهدوا الى فكره العدد . وبوسعنا ان نجد أول خطوه
 فى نشوء الرياضيات فى مجرد الأعداد التى احرعها البشر وبصور هذه
 الأعداد عبر مرسومه الأشياء الماديه المعدوده أى أنهم قبل التدوين وصلوا الى
 مرحله مرسوموا فيها العدد (١٠) مثلا عشره مجردة بعض النظر عن ان
 يكون عشره حراف أو عشر حصوات أو أفراس الح . وأعقب ذلك قبل
 احرار الكتابة أو بعد ذلك ، اهداء الانسان الى العمليات الحسابيه
 البسيطه . ولا يعلم بوجه التأكيد متى بدأت هذه المعرفة ولكن الذى نعرفه
 هو أن أقدم حساب جاءنا من النصوص المدونه فى حضارات وادى الرافدين

ووادى النيل = والمرجح أن عمليتي الجمع والطرح كانا أول ما اهتدى إليه البشر ، وأعل ذلك «د. يحيى» فى حصاراب وحهب محلله بصورة مسئلة = ولكن انشك يحوم حول عمليتي الصرب والنسبه من حيث احترائهما فى حصاره أو حصارات محاذيه . وافسائهما عن هذه الحصاره الواحده او الحضارات = يقول ذلك لان الحضاره المصريه مثلا مع هدمها لم تصط عمليه الصرب ولم يهد الى وضع حداول الصرب بل كانت عمله الصرب بحرى بوجه غير مباشر بخلاف الحال فى حصاره العراق القديم حيث وصفت حداول مطلوات للصرب (١) =

بدأت كتابة الارقام والحساب بالارقام فى حضارة وادى الرافدين منذ أزمان بعده = أى منذ شتو الكمانه لأول مره فى تاريخ الانسان فى حدود ٣٥٠٠ ق.م ومن الامور التى ساعدت على شتو الرصاصات فى حصارى العراق ومصر الحاجه الى انقوم = لان كانا الحصارين بعد الدرجه الاولى على الزراعة وصط الفصول والذى ساعد على هدم الرصاصات فى حضارة العراق القديم أكثر من مصر اساع التجار فى انعراق بالنظر لموقعه الجغرافى بالنسبه للبلدان الأخرى = وود رأب الموازين والملاسل وغير ذلك من الأقسه وحساب الارباح والمعاملات التجاريه منذ العهد الاكدي = ووسعا ان يضاف الى هذين العاملين عاملا ثالثا هو الأعمال الهندسيه العمراية كالأبنيه والطرق وشق الانهار ولا يحصى ما لاثرت ذلك فى رقى الحساب والوقوف على خواص الاشكال الهندسيه . وبدأت أولى المدونات فى المعارف الرصاصه والمعارف الأخرى منذ منتصف الألف الثالث ق.م = ترب وضح فى نهاية الألف الثالث أو فى بداية العهد الذى سميته بالعهد البابلي القديم وهو الذى رأسه سمر يصح العلوه والمعارف والبحث وازدوين فيها = وقد عثرت مدينه الآبار العرافة فى تسماتها فى بل حرمل على أقدم قضية هندسة حريرة تضمن مدأ تشابه المثلثات وسشيراتها وتدرسها فى

موضع آخر • وبوسعنا أن نصف ما جاءنا من النصوص والمؤلفات الرصاصية البابلية إلى صفحتين • شمل النصف الأول الجداول أو الأتبات الرصاصية كجداول الضرب وجداول معكوس الأعداد ورفع الأعداد إلى القوى المختلفة وجداول جذور الأعداد • وبضمن النصف الثاني فصانا ومسائل رصاصية وضع لحل بموجب القواعد الرصاصية وكاتب الجداول والآتبات قدم عهداً من نصف الفصانا ويحدوها النصف العملية فهي بذلك مثل الجداول التي حلصها لنا البابليون في الألفية وأسماء المواد • وناحية الحاحات العملية في مثل هذه الجداول واضحة • أما الفصانا والمسائل الرصاصية فإنها عكس ما هو شائع بين الناس قد أعدت استوفاً • عن الحاحات والمسائل العملية • أي أنها وصلت إلى طور العلم النظري • وربما ، كما سيصبح مما سنورده من الأمثلة على ذلك • وحتى الجداول الرصاصية كانت في الواقع مؤلفات مدرسية وصفت لتعليم الرصاصات المقلات ولاستعمالاتها في استخراج نتائج العمليات الحسابية • ومما يقال بوجه الاحتمال أن ما جاءنا من الألواح الرصاصية المضمنة فصانا رصاصية عدد قليل بوجه سبي قد لا يعدي المائة لوح ويضاف إليها نحو مائتي لوح نحوي^(١) على جداول رصاصية •

وقبل أن نذكر طرهما من المبادئ في الرصاصات البابلية نذكر بعض الأسس العامة في تلك الرصاصات • وبدأ من ذلك بنظام العدد المستعمل فيها وأساس هذا النظام خاصتان مهمتان أولاًهما أن أساس العدد في

(١) نذكر فيما نأتي المراجع الأساسية في الرصاصات البابلية —

(1) O Neugebauer, **Mathematische Keilschrifttexte** (3 vo's)

(2) Thureau-Dangin, **Texts mathématiques babyloniens**.

(3) Neugebauer, & Sachs, **Cuneiform Mathematical Texts** (1945)

(*) أما الألواح التي اكتسفت حديثاً في بل حرمل فانظر بحسب

التراف فيها من مجلة « سومر » (١٩٤٩) ، (١٩٥٠) ، (١٩٥١) حبب نجد

• • • • •

الرياضيات البابلية الطريقة السسنة^(١) أى ان رقم (٦٠) هو أساس العد في تلك الرياضيات ومنها مشتق اسم الطريقة السسنة (Sexagesimal System) وثانية هابن الخايسين مدأ المرتبة العددية أى قيمة العدد بالسنة الى مرتبه من الاعداد الاخرى (Place-value) كما في النظام العددي الحديث ، وكان الاهداء الى هذا المدأ على ما يرجح أعظم احراع حققه الرياضيات العالمه، ويرجح أنه أصل المدأ الهندي والعربي الذي اخذته الرياضيات الحديثه . والاساس السسنى للعدد البابلى ومدأ قيمة المرتبه العددية والحداول الرياضه المطوله المسووعه كانت من حملة العوامل المهمه الى سساعدت على رفى الرياضيات في العراق المتقدم . ومما يحذر ذكره بهذا الصدد أنه شأن الى جانب الطريقة السسنية الطريقة العشرية . ولكنهم افصروا في الرياضيات على الطريقة السسنة الى يرجح أن السومريين هم الذين اوجدوها . وبما ان الطريقة السسنة بموائد عملة ومرونة عددية عظيمة من حيث قابلية التحليل الى عوامل كثره أى والميلها للمقسمة بكثرة مصاعفها (مثلا عوامل السسنى ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٦٠) = وسج عن هذه الحاصة أن الرياضيين القدماء تفسوا في وضع الحداول الرياضه ولا سيما حداول معكوس الاعداد وغيرها من الحداول الى مكس الرياضى البابلين من احراء العمليات الرياضه المطوله ووفرت عليهم الرمن المصغى حساب كل نبجة بمفردها .

وعلى مفعى الطريقة السسنية يمكن الاكفاء وضع علامه مسمازة للرقم ١ وهى ٢ (وهو كدالك للسسنى ومصادقاته) وعلامه أخرى للعشرة

(١) لا يعلم بالضبط اصل الطريقة السسنية . وقد طن البعض انها من الفاك ، ويرجح بعض الباحثين انها سبأت من دمج عدددين أو طرفين عددبين احدهما (١٠) الذى هو عدد اصابع اليد ومن عدد ٦ الذى له فائده عمليه فى قابليته للمقسمة .

وهي « (١) وبحسب مبدأ القيمة العددية بالسنة الى المربعه يمكنها مثلا
كتابة الرقم العشري ١٥١ بحسب الطريقة السيسية بالصورة الآتية (من
اليسار الى اليمين) ٢٢<<<٢٢ لان هذا مساوي بحسب المربنة

$٢ \times ٦٠ + ٣١ = ١٥١$ ويكتب العدد ٤٤٧٣٣ بالصورة ٢٢<<<٢٢<<٢٢
أي $١٢ \times ٦٠ + ٢٥ + ٦٠ + ٣٣$ ولكن الغالب ، لاسماء استعمال الصفر
بصوره مطرده ، ان العشرة في قراءة فم الاعداد في الساق والعشرة مثلا

٢ يمكن قراءتها برفم ١ أو ٦٠ أو أي قوة ل ٦٠ موجب او سالبة او
كسرا أو صحيحا والعدد ٣٠ أي <<< يمكن ان يقرأ ١ أي نصف

الواحد أو ٣٠ أو ٣٠ (مع أنه قوة لستين) (٣) . ومما يقال في نظام
العدد السيسى انه بالاضافة الى مروه وقابلية قسمه يمكن التعبير به عن
أكثر الكسور المحلقة فمثلا بينما يكون ١ في الطريقة العشرية كسرا غير منه أي
٣ ، ٣٣ و = فانه في الطريقة السيسية هو ٢٠ (أي ٢٠ من ٦٠) وهكذا =

وبالطريق لاسماء الصفر في العهود القديمة فان القيمة المطلقة لعدد ما
لا يمكن معرفتها الا من الساق ، ولكن طسعه المسائل التي يحل وساق العمليات
الحسابية هناك كثيرا من الالاساس الحاصل ، كما ان مقدار الالاساس سيقن قد
تضاعف ، جدا بد الاحتمال ورفع الالاساس =

ومما يسه ذكرنا الصفر يقول ان الرصاصيين البابليين كادوا يستعملونه
كما يستعمله في الرصاصيات الحديثة = وجاء من الارمان المتأخر = (من
الرياء ان الالاساس في العهد السلوقي) علامة خاصة بالصفر <<<

(١) وبذلك تكون نظام العدد «السومري - البابلي» خلطتا من
الالاساس العشري والالاساس السيسى ، ويظهر ان اقدم رصاصيتهم قد ابتدأوا
بالالاساس العشري مع وجود السيسى ففصلوا الطريقة السيسية لميزتها
ومرونها كما ذكرنا =

(٢) ونوح الاحتمال فان عددا مثل أ ب ح د هـ (بدون فراغ

بدل على الصفر) يمكن قرائته على انه ١ (٦) ٥ + ٦ (٦٠) ٥ + ١
حـ (٦٠) ٥ + ٢ (٦٠) ٥ + ٣ (٦٠) ٥ + ٤ (٦٠) ٥ + ٥ (٦٠) ٥

حيث يمكن ان تكون قيمة ٥ صفرا او ايه قيمة صحيحة موجبه او سالبة

ولا سيما في الحسابات الفلكية الرياضية ، واستعمل كما يستعمل الصفر
 ولا سيما في الحسابات الفلكية والرياضية ، واستعمل كما يستعمل الصفر
 الآن أى لحفظ المرتبة العددية الحالية من العدد . ومما يقال فى هذه العلامة
 ان تاريخها مجهول وهى من ناحية كونها علامة مسمارية كانت تستعمل
 للفصل بين الكلمات والحمل فادا أريد كتابة العدد ٣٦١٠ العشرى بالطريقة
 السبسية وموجب استعمال هذه العلامة المتخذة للصفر كانوا يكتوبونه بالصورة
 ٢ ٤ ٤ ٢ عادا زمربا لهذه العلامة (و . و) فكون كتابته الرقم السابق
 ١٠ + ١٠ أى ٢٠ + ١٠ = والحديث نأذكر عن احتراع الصفر العظيم أن
 الرياضيين الهنود عرفوا استعماله ووضعوا له علامة خاصة وقد أخذ العرب
 الصفر عن الهنود كما أخذوا عنهم أيضا الأعداد ومن العرب أهل العدد
 الهندى الى اوزبة = وعرف « المانا » فى امرئ الكه الوسيطى أيضا الصفر
 واستعملوا له علامة خاصة (٢٠٠-٦٠٠ للميلاد) وكانت قاعدة العدد عندهم
 « ٢٠ » أى أنهم اسعوا الدالة العشرية .

وأهل أعظم امداع فى الرياضيات البالية ادراكهم ان الكسور
 (السبسية) لم تكن سوى نوع من الأعداد الصحيحة لا يفرق عنها وحده
 أساسى (كما ان الكسور العشرية ما هى فى الواقع الا مجرد نوع من
 الأعداد الصحيحة العشرية) فاستطاعوا بتقريبه فده أن يسعوا عن معظم
 الكسور اى كانوا يكتوبونها بنسبة اعداد هى اجزاء من النسيب ومن دلائل
 عمرهم الرياضية انها أنهم طبعوا نفس المبدأ على المقاس (وهو مبدأ
 لم سم ادراكه فى الحصار العربى الا فى القرن السادس عشر للميلاد ولم
 يلق النظام العشرى فى المقاس عمليا الا منذ الثورة الفرنسية) .

وقل أن نذكر سادج من المعاصم الرياضية يؤكد أهمه الجداول
 الرياضية فى صحيح الرياضيات البالية والملك البالى فقد مكث هذه الجداول،
 كما ذكرنا ، الرياضيين من توفير الجهد والوقت فى الحساب ومن الانصراف
 الى القضايا الرياضية ، فهى مثل بعض الجداول الرياضية فى الرياضيات

الحديثة مثل اللوغاريتمات ومثل الآلات الحاسبة التي توفر الوقت والجهد العقلى . فقد استطاع البابليون بهذه الجداول اجراء عمليات الضرب والقسمة فى الاعداد الكبيرة . ونذكر منها جداول الضرب المطولة وجداول فى رفع الاعداد الى القوى المختلفة وجداول اخرى بحذور الاعداد من الاسس المختلفة . ومنها جداول مهمة بمعكوس الاعداد (Reciprocal) بمعكوس العدد بوجه عام هو الكمية التى اذا ضرب بها ذلك العدد يتبع الواحد (أى معكوس العدد هو $\frac{1}{x}$) وبالطريقة السينية يكون معكوس العدد هو الكمية التى اذا ضرب بها العدد يتبع ستين لان رقم ستين كما ذكرنا « هو أساس العدد فى الطريقة السينية » واستعمل البابليون مبدأ معكوس العدد فى اجراء عملية القسمة فلقسمة عدد على آخر كانوا بدلا من عملية القسمة المعتادة يضربون العدد المراد قسمته بمعكوس العدد المراد القسمة عليه أى $\frac{1}{x} \times y = \frac{y}{x}$ ويؤخذ معكوس العدد المراد من الجداول المهيئة التى كانت فى متناول اليد^(١) ويؤخذ حاصل ضرب العدد بمعكوس العدد الثانى من جداول الضرب الخاصة أيضا . ومن الجداول الطريقة التى جاءتنا عن رياضى العراق القديم وبحث فيها حديثا ما يشير الى معرفة القوم بالمداد المعروف باللوغاريتيمات . فقد جاء فى بعض ألواح الطين من العهد البابلي القديم سؤال رياضى يطلب فيه الى أى قوة يجب رفع عدد معين حتى تكون النتيجة

(١) لقد توسعوا فى هذه الجداول الى درجه كبيرة بحيث اوصلوها الى مرتبه ٦٠ مرفوع الى القوة ١٩ ، وبمناسبة كلامنا على ولعهم بالارقام الكبيرة نذكر أنه يوجد عدد خاص كثر وروده فى الألواح الرناضية وهو (٦٠) وبساوى (١٢٩٦٠٠٠٠) وهذا هو عين الرقم الخاص بافلاطون المعروف برقم « افلاطون الهندسى » . وان (١٢٩٦٠٠٠٠) يوما تساوى ٣٦٠٠٠ سنة لكل سنة منها ٣٦٠ يوما ، وهى ما تعرف باسم « السنة الافلاطونية العظمى » ، كما ان عمر اسنان بعمر (١٠٠) عام يحتوى على ٣٦٠٠٠ يوما أى بقدر ما يحتويه السنه العظمى من السنين . وهكذا فان العدد الهندسى الافلاطونى الذى تسير بموجبه الارض والحياة على الارض بحسب رأى افلاطون « انما هو من اصل بابل » (Sarton, History of Science, ch III. P. 72).

عددا معينا آخر . ومعنى هذه القضية ايجاد لوغاريتم عدد معين من قاعدة أو أساس معين^(١) ولكن الفرق بين معرفة اللوغاريتمات في الرياضيات الحديثة وبين معرفة البابليين لها هي ان البابليين لم ينتخبوا أساسا او قاعدة عامة مشتركة يرتبون بموجبها الجداول لاستعمالها في الحسابات العملية كما في الوقت الحاضر . ولعل منشأ اللوغاريتمات عند البابليين من حساب الربح والمسائل المتعلقة به وعلى كل فانه كان نتيجة منطقية لمعرفتهم الواسعة في ضرب الاعداد ورفعها الى القوى وأخذ جذورها^(٢) . وقد درست حديثا ألواح صغيرة فيها أرقام عجيبة على هيئة جداول ثبت انها جداول باللوغاريتيمات فجدول منها بالشكل الآتى :-

| | |
|----|---------------|
| ٢ | $\frac{1}{2}$ |
| ٤ | $\frac{1}{4}$ |
| ٨ | $\frac{1}{8}$ |
| ١٦ | ١ |

ومعنى هذا الجدول :

$$٢ = \frac{1}{\frac{1}{2}}$$

(١) وهذا هو مفهوم اللوغاريتم في الرياضيات الحديثة اذ ان اللوغاريتم لاي عدد من اساس معين هو الاس او القوة التى نبغى ان نرفع اليها الاساس حتى تكون النتيجة مساوية للعدد المعروض اى اذا كان $١ = ٢^٠$ فان س هو لوغاريتم ٢ من القاعدة ٢ أى لوغ ٢ = س ومن المسائل التى خلعوها على مبادئ اللوغاريتمات مسائل يطلب فيها تحديد الزمن المقضى لمبلغ معين من المال حتى يبلغ ضعفه بنسبة معينة من الربح المركب (٢٠ / ٠) وهذه المسألة تضمن ايجاد المجهول (س) فى المعادلة :- $(١ + ١٢ / ٠) = ٢$ اما السجدة الصحيحة (٣ سنوات و ٥ / ٤ السنة) فقد حلها الرياضى القديم بدرجة تدعو الى الدهشة .

(٢) ومن الجداول الطريفة التى جاءتنا من الرياضيات البابلية جداول بالمعاملات المختلفة (Coefficients) او النسب الثابتة المعينة سواء كانت نسباً مطلقه مثل نسبة محيط الدائرة الى قطرها أو نسبة حاصل ضرب ارتفاع المثلث بقاعدته الى مساحته أو انها نسب وجدت ثابتة بالتجربة كالعلاقة الموجودة بين وزن كمية معينة من الاجر بحجمها أو نسبة مقدار الزيت المطلوب (لتقير) سطح معين من المساحة الخ

$$\text{■} = 2^1 16$$

$$\text{■} = 2^2 16$$

$$16 = 2^4 16$$

اى ان الاعداد التى فى جهة اليمين ما هى الا لوغاريتمات الاعداد
التى فى جهة اليسار من القاعدة ١٦ . والجدول الثانى :

| | |
|---|----|
| ١ | ٢ |
| ٢ | ٤ |
| ٣ | ٨ |
| ٤ | ١٦ |
| ٥ | ٣٢ |
| ٦ | ٦٤ |

وتفسير هذا الجدول :

$$2^1 = 2$$

$$2^2 = 4$$

$$2^3 = 8$$

$$2^4 = 16$$

$$2^5 = 32$$

$$2^6 = 64$$

اى ان الاعداد التى فى اليسار هى لوغاريتمات الاعداد التى فى
جهة اليمين من القاعدة ٢ .

شئ عن الهندسة :

تمدنا القضايا الرياضية التى جاءتنا من الرياضيين البابليين بفرعين
مهمين من فروع العلوم الرياضية وهما الهندسة والجبر . والذي يجدر

ذكره ان معظم القضايا حتى الهندسية منها انما وضعت لتطبق على القواعد الجبرية التي استنبطها القوم وعلى القواعد والمبادئ الهندسية من ناحية خواص الاشكال الهندسية . وبعبارة أخرى استطاع رياضيو المراق القديم ان يجمعوا بين العلوم الرياضية ، ولا سيما بين الهندسة والجبر وهذه مهارة ومرحلة ناضجة في تاريخ العلوم الرياضية تستحق الاعجاب والدهشة وكانت تعزى الى رياضى الغرب الحديث مثل « ديكارت » و « فرما » وغيرهما من رياضى الغرب . والجدير بالذكر ان بحوث العرب فى الجبر والهندسة وفى الجمع ما بينهما كانت سابقة على بحوث الرياضيين الغربيين أيضا .

وبوصفنا ان نقف من القضايا الرياضية التي خلصوها على مبلغ ما وصلوا اليه من معرفة فى خواص الاشكال الهندسية ومساحاتها وعلاقة أجزائها ببعضها ببعض فقد استطاعوا أن يحسوا سطوح أشكال هندسية معينة وحجوم بعض الاشكال المجسمة مثل حجم متوازي المستطيلات القائم وحجم الاسطوانة القائمة وحجم المخروط المقطوع وحجم الهرم الرباعى المقطوع ، وقد حلوا هذه المسألة الهندسية بدستور يختلف قليلا عن الدستور المصرى (اطر الكلام على حضارة مصر فى الجزء الثانى) ، ويمكن تمثيل ذلك بالدستور الآتى :-

$$ح = ع \left[\left(\frac{ب}{٢} \right)^2 + \left(\frac{أ}{٢} \right)^2 \right]$$

باعتبار ان ح = حجم الهرم المقطوع ، وع ارتفاعه ، وأ ، ب طول ضلع كل من القاعدتين السطى والعليا ، ومع ان الحل المصرى أبسط ، الا ان كلا الحلين متعادلان . ومن المهم ذكره ان الرياضى «هيرون الاسكندرى» (القرن الاول والثانى للميلاد) قد اتبع فى حله دستورا شبيها بالدستور البابلي . ولاخذ حجم الهرم المقطوع اذا عرف منه ارتفاعه (ع) ، ومحيط قاعدته العليا (أ) ومحيط قاعدته السفلى ب اتبعوا الدستور الآتى :-

$$\text{الحجم} = ع \left(\frac{أ}{٢} + \frac{ب}{٢} \right)$$

فرض ان قيمة النسبة الثابتة (٣) ، فتكون مساحة الدائرة = مربع المحيط

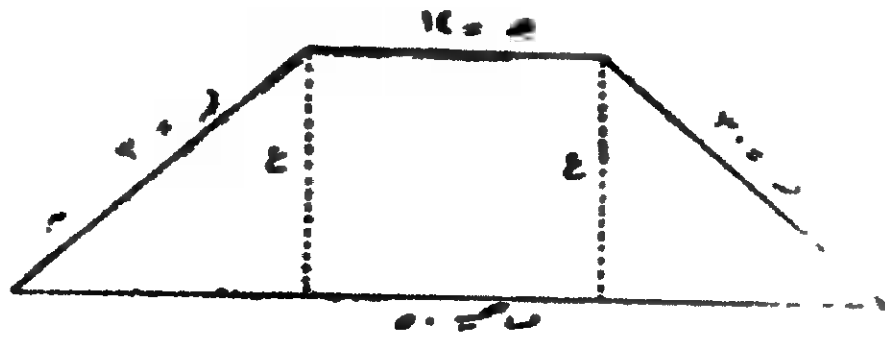
مقسوما على ١٢ كما سيأتى ذكره . وقد أوجدوا الطرق الصحيحة فى قياس بعض الاشكال واستعملوا فى بعضها التقريب بالنسبة الى الطرق الحديثة ، فمن ذلك الدائرة وخواصها فقد عرفوا محيط الدائرة وعلاقته بالقطر ثم مساحة الدائرة واكتفوا من العلاقة بين محيط الدائرة وبين قطرها بعدد تقريبي هو (٣)^(١) وقد عثر حديثا فى ألواح الطين على قيمة أخرى لها هى $\frac{256}{81}$ وحائثهم دسور طريف لمساحة الدائرة وهو للمساحة = مربع المحيط مقسوما على ١٢ وتفسير هذا الدسور فى تلك النسبة الثابتة التى

$$\text{حلوها } ٣ \text{ لان مساحة الدائرة} = \text{فق} \times \text{ط} = \left(\frac{2}{3} \text{ ق ط} \right) = \frac{2}{3} \text{ ق ط}^2$$

وعرفوا من الدائرة قطعة الدائرة ومساحتها بعد معرفة قوسها ووترها كما وصعوا بعض التقضايا فى علاقة بعض الاشكال الهندسية المرسومة داخل الدائرة وخارجها وحائثهم بعض الجداول والتقضايا فى الاعداد الفيثاغورية تطبقا على نظرية فيثاغورس المشهورة الخاصة بعلاقة مربعات أضلاع المثلث القائم الراوية . والواقع ان نظرية فيثاغورس كانت معروفة فى الرصاص البابلية فى جميع أدوارها وحائثهم قضية حبل تطبقا عليها ومن ذلك قصة صها « باب مستطيل عرصه ١٠ وطوله ٤٠ فما هو قطره » . وقصة أخرى طريقة تحصى مساحة حقل على هيئة شبه منحرف (أنظر الشكل) يطلب فيه إيجاد المساحة بعد حساب الارتفاع من المعلومات المعطاة بالعرض فبعد أن يجد الرياضى القديم الارتفاع (ع) بالدستور

(١) وما يحسن ذكره فى تاريخ النسبة الثابتة (ط) ان المصريين القدماء (انظر البحث الخاص بالرياضيات المصرية) وصلوا الى نتيجة اصح من العدد العرسى البابلى . ووصل الرصاصيون العرب الى نتيجة اصح فقد ذكر الخوارزمى فى رسالته « حساب الجبر والمقابلة » ثلاث قيم لتلك النسبة وهى $\frac{256}{81}$ و $\frac{256}{81}$ و $\frac{256}{81}$ وان القيمة الاحرة اسنعملها أهل

البحر اى الملكيون (انظر تراث العرب العلمى لعمدري حافظ طوقان (١٩٤١) الص ٤٧)



$$ع = \sqrt{ر^2 - \left(\frac{ب-ر}{2}\right)^2} = \sqrt{30^2 - \left(\frac{50-14}{2}\right)^2} = \sqrt{900 - 36^2} = 24$$

يُجد المساحة بالدستور :

$$\text{المساحة} = ع \times \frac{ب+ر}{2} = 24 \times \frac{14+50}{2} = 768$$

باعتبار أن ب، ر، هـ الصلعان المتوازيان و (ر) كل من الصلعين الآخرين المتساويين و ع الارتفاع .

وتربيا هذه القصة عدا معرفة القوم بطريقه ونعورس انهم عرفوا دستور المساحة الصحيح لنسبه المحرف وهو حاصل ضرب الارتفاع بنصف مجموع الصلعين المتوازيين . وكانوا قد استعملوا الى جانب هذا الدستور الصحيح دستورا تقريبا وهو انهم كانوا يصرون بنصف مجموع الصلعين بنصف مجموع الصلعين الآخرين . ومن القصايا الطريقة التي تحصى بطريقه فيثاغورس قصيه حاسة بعلاقة قطر المربع بصلعه . فاذا فرضنا ان القطر ق والصنع ل فيكون ق = $\sqrt{2}$ ل والحد التريبي للعدد 2 من القصايا العددية التي بحث فيها بعض الفلاسفة الرياضيين من اليونان حيث قالوا بامكان ايجاد $\sqrt{2}$ انتمثل الهندسي اما الباليون فقد فربوا $\sqrt{2}$

الى 1 صحيح + $\frac{1}{2} + \frac{1}{4} + \frac{1}{8} + \dots$ ام كيف استطاع الباليون ان يحدوا هذه الكمية التقريبية لـ $\sqrt{2}$ فدل على تقدم الجبر عندهم ! تدل على معرفتهم بما يعرف بالاعداد الصم (surd) وقد استعملوا طريقه

القريب في ذلك واستنبطوا لها بعض القواعد العامة^(١) لايجاد القيم التقريبية المتابعة لجذر عدد غير مربع كامل .

وقد سبق الجبر السابلي في معرفة مبدأ المتواليات الهندسية الذى كان يعزى فيما مضى الى « أرخميدس » اليونانى من القرن الثالث ق.م. وقد اسعملوا المتواليات الهندسية فى حساباتهم الملكية ، كما اسعملوا مبدأ مهما من مبادئ الرياضيات يخص القواعد الصحيحة فى مبدأ الاشارات (الرائد والناقص) فى الصرب .

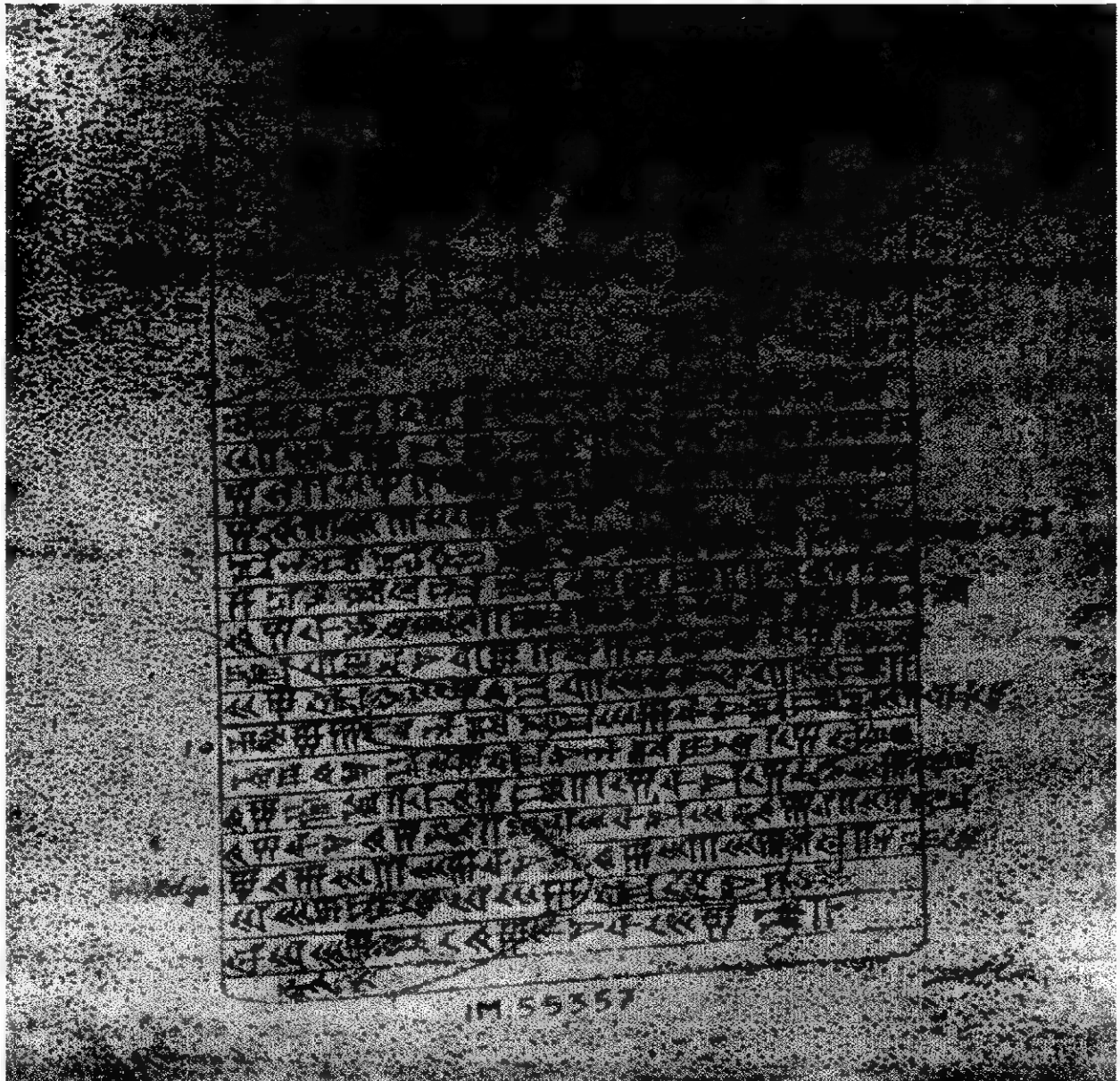
واسعوا فى مساحات الاشكال غير المسطمة اى فى مساحة الاراضى والحقول بان يسموها الى أشكال هندسية منتظمة . وتفصوا فى وضع القضبان الراسية الخاصة بتقسيم الاشكال الهندسية حسب معلومة . ولكن كما سبصح من كلامنا على الحر كات هذه قصايا حرية وضعت لحل بموجب المادى . الجبريه وتؤدى الى المعادلات الحرية المختلفة .

ونذكر الآن قصة رياضية وجدت حديثا من تنقيبات مديرية الآثار نى بل حردل (١٩٤٩) وهى ذات أهمية خاصة فى تاريخ العلوم الرياضية . ووجد الأهمه فيها انها نصية « هندسة حرية » تتضمن معرفة بحسواس المثلث القائم الراوية (نظرية فيثاغورس) ومعرفة بالمبدأ الهندسى المعروف مشابه المثلثات والى ذلك فان هذه القضية حالة خاصة من حالات تشابه المثلثات الناشئة من ابرال عمود من الراوية القائمة فى مثلث قائم الراوية على وتورد فكون المثلثان المحدثان على حاسى العمود متشابهين ويشابه كل منهما

(١) ومن ذلك الطرق طريقه نصاهى طريقه أرخميدس (القرن الثالث ق.م) وطريقه هرون الاسكندرى (فى حدود ٦٢ او ١٥٠ للميلاد) فاذا كان (س) الحذر الربيعى للعدد ١ وكان ١ س ١ - ب فنكون اقرب قيم لحذر ١ الربيعى هى -

$$\frac{1}{2} + \frac{1}{2} = 1$$

$$\frac{1}{2} + \frac{1}{2} = 1$$



صورة لوح رياضي وحد في قل حرمل وفيه قضية هندسية حرة
 على مبدأ مشابه انكسار (ويمثل لقصورة 'مسماخ اللوح'
 من جانب مؤلف الكتاب)

المثلث الاصلى = واذا تذكرتم ما درستوه من الهندسة فى الدراسة
الاعدادية وجدتم ان هذه الحالة هى احدى النظريات الهندسية المعروفة
النسوية الى اقليدس^(١) والمستتجة من نظرية فيثاغورس فى خواص المثلث
القائم الزاوية . ولكن تاريخ قضية « حرمل » يسبق زمن اقليدس ب ١٧٠٠
عام ، اذ يرقى تاريخها الى بداية العهد البابلى القديم (فى حدود ٢٠٠٠ ق.م)
ومن الطريف ذكره فى هذا الصدد انها وردت فى قضية « حرمل » وقد
تفنن بها الرياضى القديم حيث كرر رسم العمود المقام من الزاوية القائمة
ثلاث مرات وبذلك انقسم المثلث الكلى الى أربعة مثلثات صغيرة = وبمداعطاء
أطوال المثلث الكلى $a = 60$, $b = 40$, $c = 70$ (الوتر) = 75
ومساحة المثلث الكلى ومساحة كل من المثلثات الصغيرة الاربعة يطلب ما
الرياضى القديم ايجاد احوال الاصلاع المقطوعة (انظر الشكل ص ٣٤٦)
أى ب و د ه الح ثم اطوال الاعمدة المقامه . اما حل الرياضى القديم
فانه على غاية من الوضوح والبراعة وهو يجمع بين مدأ تشابه المثلثات وبين
دستور مساحة المثلث القائم الراوية وستخرج من ذلك معادله آنة =
فلاستخراج ب و مثلاً بحده يتبع خطوات يمكن جمعها بالمعادلة

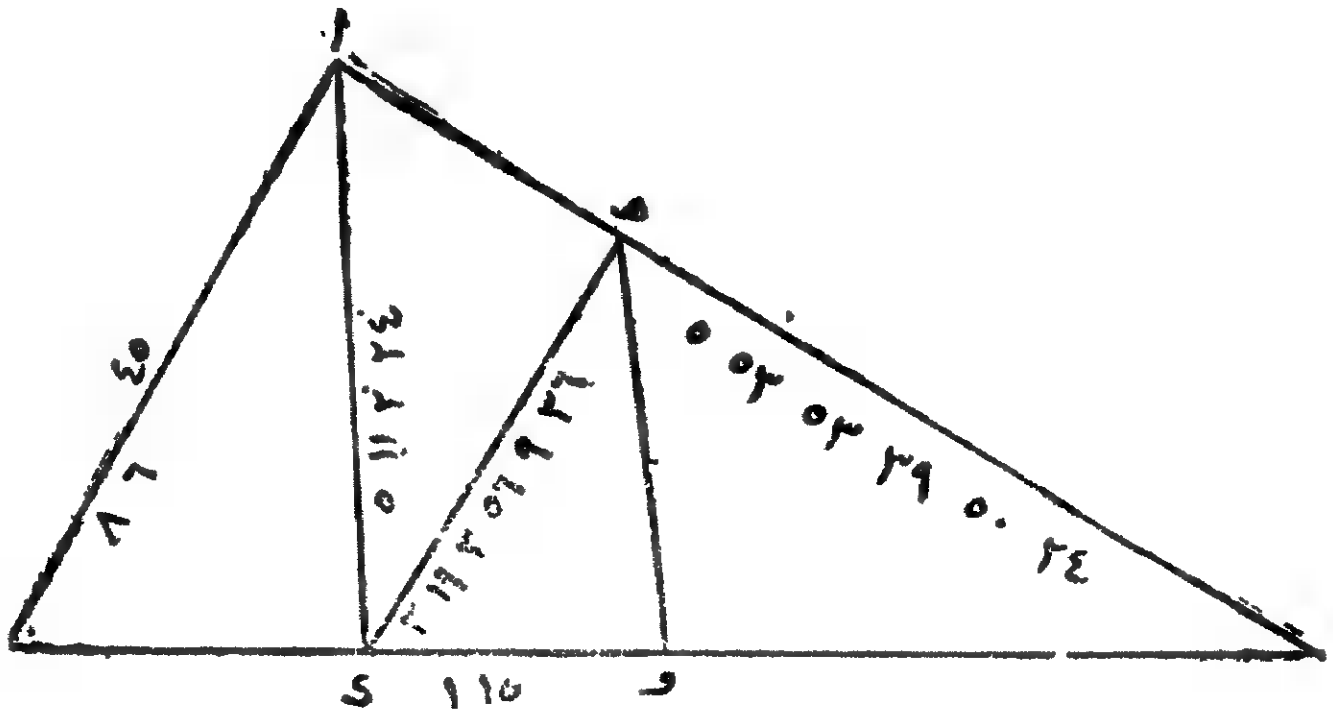
اب - x ملاحظة اب اب و x

وأنحليل ذلك مرجع الى مبدأ مشابه
$$77 = 2 \times 486 \times \frac{1}{4} \div \sqrt{\quad}$$

المثلثات = فما ان المثلثين (ا ب د) و (د ا ح) متشابهان (بحسب نظرية

اقلیدس) فيكون اضلاعهما المتناظرة ماسة أى $\frac{ab}{ac} = \frac{cb}{ca}$

(١) وبص هذه النظرية كما وضعها اقليدس اذا انزل عمود في مثلث قائم الزاويه من راويه القائم على الوتر فان المثلين المحدثين على جانبي العمود يشابه كل منهما المثلث الكلي وشابهان الواحد مع الآخر (اقليدس - الكتاب السادس - النظرية السامه عن



ولكن $\frac{اب}{ام} = \frac{ب و}{ا و} = \frac{ب و}{ا و}$ (١)

ومن دستور مساحة المثلث $ا ب و$ أى $ا و \cdot ب و = ٤٨٦$ (٢)

وإذا ضربنا المكونه رقم ١ بمعده ٢ قم ٢ ثم ضربنا الناتج ب ٢ حصلنا على

$$ا و \cdot ب و \cdot ا و = ا و \cdot ب و \cdot ا و = ٢ \cdot ٤٨٦ \cdot ٢$$

$$ا و \cdot ب و \cdot ا و = ٢ \cdot ٤٨٦ \cdot ٢$$

$$وكون ب و = \sqrt{٢ \cdot ٤٨٦} = \sqrt{٧٠٩٢} = ٨٤$$

(١) والتك بوجهه القسم الخاص بهذه العمليه من اللوح الرصاصى .
 « عند حلك للمساله حد معكوس العدد ٦٠ واصربه ب ٤٥ (اى قسم
 ٤٥ على ٦٠) ثم اصرب $\frac{٤٥}{٦٠}$ ب ٢ فحصل على $\frac{١}{٢}$. اصرب $\frac{١}{٢}$ ب ٤٨٦
 (اى مساحه المثلث $ا ب و$) فحصل على ٧٢٩ . ما هو الجذر التربيعى
 لـ ٧٢٩ ؟ ٢٧ هو الجذر التربيعى وهو فيه صلح المثلث الاعلى » (اى قيمه

ومن المسائل الطريفة التي تدل على معرفتهم بخواص الدائرة وبمبدأ مشابه المثلثات مسألة تتعلق بحساب ارتفاع قوس الدائرة بعد معرفة طول وتره وطول قطر الدائرة (فكانوا يعرفون ان الزاوية المرسومة في نصف الدائرة هي زاوية قائمة) « واتبعوا في ذلك طريقة يمكن وضعها بالمعادلة الآتية :-

$$ع = \frac{1}{2}(ق - \sqrt{ق^2 - و^2})$$
 باعتبار ان $ع =$ الارتفاع وق القطر و (و) الوتر ويمكن تفسير هذا الدستور الذي وصل اليه الرياضيون القدماء باسعمال نظرية فيثاغورس في علاقة مربعات اضلاع المثلث القائم الزاوية

الجبر (١)

لقد اشرنا فيما سبق الى مصج المعارف الجبرية التي بلعها الرياضيات في العراق القديم وقلنا ان أغلب القضايا الرياضية التي حلوها لنا قد وضعت لتحل بالطرق والمعادلات الجبرية التي عرفوها ، فهي بالدرجة الاولى قضايا في الجبر وان كان بعضها يدور على الاشكال الهندسية وخصائص هذه

(١) مع ان كلمة الجبر العربية وضعها الرياضي السهر الحوارزمي من اهل القرن التاسع للميلاد فان مبادئ الجبر نفسها أقدم من ذلك بفرون عديده كما هو واضح من الرياضيات في العراق القديم . وكان «دوفونطس» (Diophantos) اليوناني الذي عاش في الاسكندرية في القرن الثالث للميلاد اول عربي كتب في الجبر وسيسبر الى الصلة الموجوده بين بعض طرقه الجبرية وبين الطرق الجبرية البابلية . ومما يقال بوجه الاحمال ان الفصل في «دم الجبر الحديث يعود الى البابليين والهنود والعرب أكثر مما يعود الى اليونان الذين يعرّفون عبقرتهم بعلم الهندسة . ولما كتب الحوارزمي رسالته المشهورة في الجبر المعنونة « حساب الجبر والمقابل » واطلع عليها العرب في القرون الوسطى سموها هذا العلم محصرا بالكلمة العربية الجبر أي (Algebra) ومشتقا مصطلح الجبر عند الحوارزمي وعمره من رياضي العرب من طرف حل المعادلات الجبرية وهي نقل الحدود من طرف من المعادلة الى طرف آخر بتغيير العلامة السالبة أو الموجبة . واعبر القدماء هذا النقل أعاده أو تعويضاً أو صما حديداً أي « جبراً » اما مصطلح المقابله فيشير الى العمل الجبرية التي بموجبها نحذف كعبه أو رمز موجود في طرفي المعادلة بنفس العلامة الموجبة أو السالبة فمثلاً في المعادلة $ب س + ٢ ج = س ٢ + ب س - ح$ تصح بالحبر $ب س + ٢ ج = ب س$ وبالمقابله تصير $س ٢ = ٣ ج$ (An Outline of Modern Knowledge; P. 159)

الاشكال والعرب في أمر الرياضيات البالية انها بلغت في الجبر مرتبة اعلى بكثير مما بلغه في الهندسة . بل بوسعا ان نذهب الى أبعد من ذلك فنقول ان الجبر عندهم^(١) كان أرقى مما بلغه اليونان الذين تفردت عقريتهم الرياضية بالهندسة حتى أنهم استخدموا الاشكال الهندسية في حل المعادلات الجبرية وتمثيل جذور الأعداد غير الكاملة بالاشكال الهندسية . و خلاصة القول بلغ الجبر عند البابليين طور العلم الصحيح تقريبا . ومما يقال عما اسماه البابليون في تقدم الرياضيات أنهم بدأوا فيه البداية الحسنة في اهتمامهم بالعدد قبل الشكل (أى الاشكال الهندسية) في حين ان اليونان ولا سيما من بعد فتاغورس اى ابتداء من القرن الرابع ق . . . كرسوا عقريتهم على الاشكال دون العدد . ويعد هذا اسكاسا في سير تطور الرياضيات وتقدمها ، ولكن رياضي العرب وفيلهم اليهود ان . . . الانحسار الصحيح باهتمامهم بعلوم العدد والبحث في علم الجبر مستقلا واسمر تطور الرياضيات في أوربة في القرن السابع عشر للميلاد حيث اهتم الرياضيون بالعدد والهندسة التحليلية اى اخضاع الشكل الى العدد . اى ان العصر الحديث سار من حيث انتهى البابليون واليهود . ونعرب بعد التوقف ، الذي طرأ على العلوم الرياضية في العهد النبوي .

والواقع ان مهارة رياضي العراقي تقدم في آخر قد احسب في عهد الهندسة اليونانية . ولكنها عادت الى الظهور في . . . ا . . . (مصنف القرن الثالث

(١) ومما يجدر ملاحظته عن طرق الجبر البالية حلوها من استعمال الرموز التي تستعملها في الجبر الحديث . والواقع ان استعمال الرموز والحروف ليعوم مقام الأعداد المعروءة حديثا ونعله لا يفسد القرن الخامس عشر أو السادس عشر للميلاد وحتى الى القرن السابع عشر للميلاد . ولكن الرياضيين العرب استعملوا بعض المصطلحات المساعدة لتيسر العمليات الجبرية فقد استعمل الخوارزمي مصطلح الجذر ليعادل (س) في الجبر الحديث واستعمل كلمة شيء أيضا والمال لـ (س ٢) والعدد المفرد الحد الحالي من المجهول . (انظر في ذلك « نوات العرب العلمى » ص ٣٢-٣) وانظر حساب الجبر والمقابل للخوارزمي نشر الجامعة المصرية (كلمة العلوم) .



صورة اللوح الرياضى المكتشف فى قل حرملى الميسخ فى ص ٣٤٤
والمبحوث فيه فى ص ٣٤٥ فما بعد

ق.م. (وفى « هرون » (بين القرنين الاول والثانى للميلاد) وفى عهد
الرياضى الشهير « ديوفنطس » (منتصف القرن الثالث للميلاد) ثم اختفت
مرة اخرى فى اوروبا اختفاء تاما طوال قرون طويلة الى ان احياها العرب •

وكان المعتقد الى ١٩٠٠ للميلاد ان واضع أصول الجبر هو الرياضى
اليونانى «ديوفنطس» من أهل القرن الثالث للميلاد • ولكن بدأ هنا
الاعتقاد يزول منذ ١٩٢٩ حيث أخذت معرفتنا بالرياضيات البابلية تزداد ومنها
الوثائق المتعلقة بالجبر البابلى وقد أصبح فى متناول ايدينا الآن من هذه

الوثائق ما يشمل زمن الفى عام من أواخر الالف الثالث ق.م الى بداية العهد المسيحي تقريبا ولكن الوثائق المهمة تقع بين ٢٠٠٠-١٢٠٠ ق م م . ومن العهد السلوقي فى العراق ايضا .

وسيتضح مما سنذكره من الامثلة ان البابليين عرفوا أسسا مهمة فى خواص الاعداد وفى العمليات والطرق الجبرية الاساسية ، وعرفوا المعادلات الجبرية الاساسية ، فمن ذلك معادلات الدرجة الاولى بانواعها المختلفة ومنها ما نسميه الآن بالمعادلات الآتية (Simultaneous equation) ومعادلات الدرجة الثانية والثالثة أيضا واتبعوا فى طرق حلها عمليات مدهشة لا تكاد تصدق لمطابقتها الطرق الصحيحة الحديثة .

وقد خلفوا امثلة وقصايا غير قليلة على كل نوع من هذه المعادلات . فمن أمثلة معادلات الدرجة الاولى لوح رياضى يحتوى على ٢٢ قضية جبرية غير محفوظة كلها حفظا جيدا الا ان استى عشره قضية منها سالمة تقريبا ، من نماذجها القضية التى تسأل : « لقد وجدت حجرة فلم ازنها . ولكن بعد ان أضفت اليها سعتها (سعة وزنها) و « من وزنها ثم ورتها فكأت « منا » واحدا . فما هو الوزن الاصلى للحجرة ؟ » ومن هذه المعادلات ما يتضمن مدأ المتواليات الحسابية كما ان بعضها قد تضمن أحد عشر مجهولا . اما عن المعادلات الآتية فكتفى بقضية حرمل نموذجها لها .

ونأخذ عن معادلات الدرجة الثانية ثلاثة نماذج ستخبرها من اللوح الرياضى المهم الموحود فى المتحف البريطانى الذى يحتوى على قضايا رياضية تحل بمعادلات الدرجة الثانية .

فالنموذج الاول مكون فيه معامل س^٢ ومعامل س الوحدة . فمن ذلك مسألة تقول « لو أضفت مساحة مربع الى طول ضلعه كان الناتج $\frac{1}{2}$ » (فمأهو

فاذا فرضنا طول الضلع s فتوضع المسألة بالمعادلة : $s^2 + s^2 = \frac{1}{2}$
وقد حلها الرياضى القديم بطريقة مهمة تعرف فى الجبر الحديث بطريقة اكمال
المربع فوصل بذلك الى دستور لايجاد المجهول وهو $s = \sqrt{\frac{1}{2} - \frac{1}{4}} + \sqrt{\frac{1}{2} + \frac{1}{4}}$
 $= \frac{1}{2}$ وذلك لانه اذا أضفنا $\left(\frac{1}{2}\right)^2$ الى طرفى المعادلة لاكمال المربع يحدث
عندنا : $s^2 + s + \frac{1}{4} = \frac{1}{2} + \frac{1}{4} = \frac{3}{4}$ أى $\left(s + \frac{1}{2}\right)^2 = \frac{3}{4}$ أى $s = \sqrt{\frac{3}{4}} - \frac{1}{2}$
 $= \frac{1}{2}$ وس $\frac{1}{2} = \frac{1}{2}$ كما فى جواب المسألة . ومن هذا النموذج مسألة تؤدي
الى المعادلة : $s^2 - s = b$ ويتبع فى حلها الرياضى القديم طريقة اكمال
المربع أيضا .

والنموذج الثانى الذى نتخذه عن معادلة الدرجة الثانية قضايا يكون
فيها معامل (س) أكبر من الوحدة (أو غير الوحدة) أى من نوع المعادلة .

$$s^2 + bs = a$$

ونجد الرياضى البابل يفتح فى حلها أى فى ايجاد (س) المجهول
الدستور الآتى :-

$$s = \frac{-b \pm \sqrt{b^2 + 4a}}{2}$$

وهو دستور مستند كذلك الى طريقة اكمال المربع . وذلك لانه اذا
أضفنا $\left(\frac{b}{2}\right)^2$ الى طرفى المعادلة $s^2 + bs = a$ نحصل على
 $s^2 + bs + \frac{b^2}{4} = a + \frac{b^2}{4}$ أى $\left(s + \frac{b}{2}\right)^2 = a + \frac{b^2}{4}$
وس $s + \frac{b}{2} = \sqrt{a + \frac{b^2}{4}}$
وس $s = \sqrt{a + \frac{b^2}{4}} - \frac{b}{2}$

وفى الرقيم نفسه المعادلة نفسها بتغيير الاشارة أى المعادلة $s^2 - bs = a$
 $=$ ويحلها الرياضى القديم بطريقة اكمال المربع أى :

$$س = \sqrt{\frac{1}{2} + \frac{1}{2} + \frac{1}{2}} = \sqrt{\frac{3}{2}}$$

والنموذج الثالث الذى بورده عن معادلات الدرجة الثانية قضايا يكون فيها معامل (س) اكر من الوحدة (أو غير الوحدة) ولهذا النموذج من معادلات الدرجة الثانية أهمية تاريخية خاصة . وقد اتع رياصيو العراق القديم فى حلها طريقين . فالطريقة الاولى ، وهى أقل شيوعا عندهم هى الطريقة المعروفة فى الجبر الحديث بطريقة الارحاع الى الوحدة وهى المتبعة فى الجبر الحديث وترجع فى أصلها الى الرياضى الشهير الخوارزمى اما الطريقة الاخرى ، وهى الأكثر شيوعا ، وهى ان البابليين كانوا يجعلون معامل (س) مربعا بأن يصبوا طرفى المعادلة بمعامل (س) نفسه . وتشبه هذه الطريقة البابلية الأكثر شيوعا طريقة الرياضى اليونانى «ديوفنطس» الذى أشرنا اليه وتوجد أمثلة أخرى على الشابه الموحود بين الطرق الحصرية عد هذا الرياضى وبين الجبر البابلى .

واذا مثلنا للمعادلة من هذا النموذج بـ $اس^2 + س = 1$ فتكون طريقة الحل البابلية العامة بحسب الدستور من

$$\sqrt{\frac{1}{2} + \frac{1}{2} + \frac{1}{2}} = \sqrt{\frac{3}{2}}$$

أما كيفية استخراج هذا الدستور فهى ، كما قلنا يجعل معامل (س) مربعا كذلك أى بضرب طرفى المعادلة فى $اس^2$ فينتج $اس^2 = 1$ وبإضافة $(\frac{1}{2})^2$ الى طرفى هذه المعادلة لتكميل المربع ينتج عندنا

$$اس^2 + \frac{1}{2} = 1 + \frac{1}{2}$$

$$اس^2 + \frac{1}{2} = (\frac{1}{2} + اس)^2$$

$$اس^2 + \frac{1}{2} = \frac{1}{2} + اس$$

$$اس = \sqrt{\frac{1}{2} + \frac{1}{2} + \frac{1}{2}} = \sqrt{\frac{3}{2}}$$

ومن هذا النموذج أيضا قضايا يكون فيها معامل (س) وكذلك معامل

(س) أكثر من الوحدة (او غير الوحدة) أى من شكل المعادلة الآتية :
 $اس^2 + بس = ج$ وقد حلها الرياضيون البابليون بالدستور الآتى :-

$$\frac{\sqrt{ب^2 + ٤اس} + ب}{٢} = س$$

وكيفية استخراج هذا الدستور لا تختلف عما سبق أى بطريقة جعل معامل (س) مربعا وطريقه اكمال المربع أى :
 $اس^2 + اس = ا$ (بضرب طرفى المعادلة فى ١) وبإكمال المربع
 مضافة (-) الى طرفى هذه المعادلة نحصل على

$$اس^2 + اس + \frac{١}{٤} = \frac{ب^2}{٤} + ا + \frac{١}{٤}$$

$$\text{أى (اس + } \frac{١}{٢} \text{)}^2 = \frac{ب^2}{٤} + ا + \frac{١}{٤}$$

$$\sqrt{\frac{ب^2}{٤} + ا + \frac{١}{٤}} = اس + \frac{١}{٢}$$

$$س = \frac{\sqrt{\frac{ب^2}{٤} + ا + \frac{١}{٤}} - \frac{١}{٢}}{١}$$

ووسمنا ان نسمح من هذه الطرق فى حل معادله الدرجه الثامه ان
 نرى انهم المائلين كانوا يعرفون الدستور الرياضى الحاصل بمربع مجموع
 عددين ومربع الفرق بين عددين على الرغم من عدم الرموز لديهم أى
 $(ب + ١)$ و $(ب - ١)$

وقد وردت بعض الحالات الطريقه فى معادلات الدرجه الثامه شبه
 الحالات انبى أشار اليها الخوارزمى مثل المعادله $س^2 + ٢١ - س$ حيث
 تكون لها حواتان (٧ و ٣) بالتراده والفصل ولا توجد لها حالة ثالثة أى جواب
 الت وشبه هذه الحالة ما ورد فى رقيم رماضى فى المصحف الرىطابى سع
 فى حل مثل هذه المعادله (اى $س^2 + ج = بس$) حالة الطرح ، اما حالة
 الجمع . . . طهر اهم انها تؤدى الى سحه مسجله =

وحاءنا من معادلات الدرجه الثالثة بعض القضايا فى رسم مهم فيه

المسحوق الربطاني = ويدور بعض هذه القضايا الحربية على الأبعاد الثلاثة
 لاشكال محسمة (حجر أو صواب) وبعض المحجوز الرابعة إمبارية السطوح =
 وللأمثلة على معادلات الدرجه الثانية السطحة في الحجر المائلي سحب
 مسألة (١) سلق ما عدد ومكوسه أي العددان اللذان يكون حاصل
 ضربهما ٦٠ .

• يريد عدد على مكوسه ٧ فما العدد وما مكوسه ؟
 • علمك ان نصف ٧ الذي بر = ٣٠٠ العدد على مكوسه فيحصل على
 ٣١٠ • أصرب ٣١٠ ب ٣١٠ فيحصل عدد ١٢٠ أصرب الى ١٢٠ الذي سح بالتدريج
 ٦٠ (أي حاصل ضرب العدد) يكون الناتج ٧٢٠ • هو انجدر
 التريعي : ٧٢٠ ؟ انجدر التريعي هو ٨٠ • سح ٨٠ أصرب واضرب من
 احدهما ٣١٠ (وهو نصف المعامل الذي ربه) وأصرب الى الآخر
 ٣١٠ ، فيكون الناتج الأول ١٢٠ وناتج الثاني ٥ فيكون ١٢٠ العدد و ٥ مكوسه •
 ولتفسير خطوات التريعي اعد = ضرب ان العدد س ومكوسه س •
 ويكون بحسب القرض س س ٧ وس س ٦٠ وحصل من ذلك
 على المعادلة س (س ٧) ٦٠ أي س ٧ س ٦٠ ومبا •

$$س ، س = \overline{٧(٢)} + ٦٠ + ٢$$

وخلقوا لنا طريقه في حل معادلات الدرجه الثانية بعد على قدر عظيم
 من المهارة والأهمه ففي معادله مثل س^٢ + ب س^٢ = ح كانوا يصرون
 حدود المعادله ب $\frac{١}{٣٠}$ فصير $\frac{١}{٣٠} = \frac{٢}{٢٠} + \frac{٣}{٣٠}$ فادا عبرا
 عن س ب ٢ وعن $\frac{١}{٣٠}$ عدد معلوم هو ع فيكون المعادله الشكل الآتي :-
 $٢ + ٢ = ع$ وكانوا يسبحون فيه ٢ من جداول خاصه مجموع
 مكعبات ومربعات الأعداد هناؤها لهذا الغرض • وهذه براعه مدهشه في

(١) المثال المتاحود من

الاحترال الجبري (انظر مجلة «سومر» ١٩٥١ = ص ١٥٤) .

ان الامثلة التي أوردناها عن الجبر في العراق القديم تكفي لتكوين صورة عند الطالب عن العلوم الرياضية التي اوجدها سكان العراق الاقدمون، فلن نطيل الكلام اكثر من ذكر طريقة اتباعها الرصاصيون القدماء في حبرهم لمثل المجهول في المعادلات الجبرية حيث لم يهتدوا الى استعمال الرموز المستعملة في الجبر الحديث وعرف هذه الطريقة بالوضع الكاذب (False Position) وحقواها بمثل المجهول بالوحده كما فعل المسدثون الآن بالرصاصات فل دراسهم الجبر = وود كتاب هذه الطريقة شائعة في اوربة في العصور الوسطى = ومع انقضاء الرموز عند رصاصي العراق القديم الا أن براعهم الجبرية قد مكسبهم من القام بكثير من العمليات الجبرية المألوفة لدينا مثل احترال الحدود المتماثلة ، وحذف كنه مجهوله بالمعوض وادخال كنه مجهوله مساعد = (ونلاحظه على ذلك وتحليلها أنظر بحث المؤلف في مجلة سومر المجلد ١٩٥١ = الجبر - النامي الص ١٥٢ فما بعد) .

١- دلتا ان الجبر عند البابليين بلغ مرسته العلم تقريبا . والسبب في وسعها هذا انهم لم يهتدوا الى طرق حل ما جاءنا من المسائل الجبرية هي امثلة كثيرة ولم يحلوا لها قواعد عامة اي انهم عرفوا حل أنواع من المسائل التي تؤدي حلها الى أنواع محلولة من المعادلات الجبرية الا انهم لم يحلوا لها ما يشبه وضع القواعد العامة أو الترائين على نحو ما هو معروف في الرياضيات الحديثة والرياضيات العربية = ومهما يكن من أمر فان المسائل الجبرية التي حاوها على أنواع المعادلات المحلولة نشر الى أنهم كانوا يعرفون القواعد العامة في فكاهم وان ما جاءنا من النصوص الجبرية ما هي الا مسائل ومسايرين مدرسه حلب بموجب القواعد التي كانت معروفة عندهم ، وانهم لم يدكروا هذه القواعد العامة في الحل لان حال المسألة لا يتطلب منه أن يذكر البرهان أو الدستور أو القاعدة التي حل بموجبها . هذا كما هو مع في الوقت الحاضر

لو حل طالب حدث مسألة حرره على قاعدة اكمال المربع مثلا أو انه اتبع
الدسور العام .

والامر المدهش في صلح رياضي العراق القديم تعلم العدد انهم لم
يحشوا الأعداد اساله ، وهذا شيء مدهش لا سيما اذا علمنا ان فكرة الكمة
السالة لم تدخل في عقول رصاصي العرب الا الى زمن القرن الثالث عشر للميلاد
وقد اقصى بطور العكس وبموها فروا اخرى^(١) .

الملك :

من الامور المجمع عليها في تاريخ المعارف البشرية ان البابليين هم
ابن أسسوا علم الملك ، وقد أشهر الملك البابلي شهره عظيمة بين الاعريق
حتى ان أسماء من مشاهير الملكيين البابليين قد عرفوها ويرحموا عنها فمن
ذلك الملكي البابلي « سورمانوس » و « كندسو » (٣٦٧ أو ٣٤٠ ق م) ،
الذي نحو ان يوضع اسمه مع علماء الملك المحدثين امثال « كلر »
و « كوبريكوس » و « غليلو » . والواقع ان العراقيين القدماء قد عوا
بملاحظته الاحراء السماوية في سماء العراق انصافه مد أفده الزمان .
وعندما بدأوا بدوين ملاحظاتهم وادصادهم وحساباتهم مد العهد الاكدي
والعهد البابلي القديم انقلوا من خور المعرفة العملية الى طور علم الملك
الحقيقي . ومن الأقوال الشائعة ان منشأ علم الملك البابلي من السحيم . ان
رصد النجوم لتأثيرها في طائع الشر ومضارهم ، ولكن ذلك وهم كبير
اد الواقع ان العكس هو الصحيح وأن الملك شأن من حاجاتهم ليعطوا الفصول
والرسم والنجوم^(٢) . هذا وقد رأنا في بحث الرياضيات ملع ما وصلوا
انه في المعلومات الرياضية الواسعة المتقنة أي أنهم وضعوا الأسس الرياضية
التي لا يمكن ان تكون ملك علمي بدونها فساعدتهم ذلك في عدم بحوث
الملك حتى أنهم كثيرا ما استدلوا بالملاحظة المباشرة والارصاد بالحساب وصدق هذا

(١) Sarton, Op. Cit., ch III, P 73

(١)

(٢) انظر البحث الخاص بالسحيم في ديانة العراق القديم

بالدرجة الاولى على العهود المتأخرة حيث شأ الملك الرياضى وقد اشهر من
 الملكيين فى العهد السلوى فى العراق فلكى اسمه « سلوقس » الذى قال بان
 الشمس مركز الكون كما انه علل المد تاسبات علميه وارحمها الى اثر العصر
 وهذا أمر يدل على هدم علم الملك عندهم ووضحه . ومن الاشياء المدهشة
 حقا ان الملكيين فى الوقت الحاضر لم يستطيعوا أن يلعوا شأو الملكين البابليين
 فى كثرة ارضادهم وطول رمها فان أطول أراضاد فى الوقت الحاضر هى التى
 بدأت فى « عرسوش » فى العام ١٧٥٠ ، ولكن طول هذه الارضاد لا يمكن
 ان تأس بالارضاد البابليه انى اسعرف فروبا طوليه مد أقدم العهود
 وكانت هذه الارضاد الأساس الذى استند اليه القواعد العامه لعلم الفلك ،
 واستعملوا فى ارضادهم الملكيه طرفا فيه يستحق الذكر ومن ذلك نوعان
 الآلة التى سمها بآله « البرابر » . فقد استعمل الملك الاشورى « نوكلسى -
 سوربا » الاول (١٢٦٠ - ١٢٣٢ و . م) مثل هذه الآلة عند بناء قصره فى
 اشور^(١) ، ومع ان الراج المدرج « الزفوره » قد بى لأعراض دسه بالدرجه
 الاولى إلا انه كان الامكان استعماله أيضا لارضاد الاحرام السمنويه .
 فاستعادوا منه للأعراض الملكة .

أعد قسم البابليون اليوم الفلكى الى ١٢ قسما كل قسم ساوى ساعه
 مصاعفه من ساعات . والساعه الى ٣٠ جزء أى أن يومهم الفلكى كان مقسما
 الى ٣٦٠ قسما مساويا ، كما ان فى السنة الواحد ٣٦٠ يوما . فكانت الدقيقه
 ساوى أربع دقائق من دقائقها . وقد جاء هذا التقسيم مد السلاله الاكديه .
 ومما قال عن القوم فى العراق القديم أنه كان يسند بالدرجه الاولى الى
 الشهر القمرى ، وقد مروا بين الشهور القمرية المؤلفة من ٢٩ يوما ومن ٣٠
 يوما بصورة متعاقبه ، وكان معدل مدة اثنى عشر شهرا قمريا (٣٥٤) يوما
 أى أقل من السنة الشمسيه بحو ١١ يوما ، وإذا جعلوا سهم ثلاثه عشر

شهرًا فمر ما كان معدل طولها (أي ٣٨٤ يومًا) أكثر من السنة الشمسية من الناحية الأخرى . ولتلافى الأسحاح بين الدوره القمرية والدوره الشمسية استعملوا اثنى عشر شهرًا فمر ما كانوا يكسون شهرًا ثالث عشر عدا قضاء الحاجة، وقد قاموا بذلك منذ عهود قديمه ، فهي عهد سلاله اور الثالثه مثلا كتاب تلك الأصناف يعاد في دوره كل ساني سواب . وقد صار هذا القوم البالي يهود حيا لافساح شعوب اخرى كالقوم اليهودى والفاوم اليونانيه والرومانه فل ادخال القوم الحولاني (في ٤٥ و ٥٠) ولا يزال اثر القوم البالي ملحوظا في هويم الكسبة . وقبل ان سرك هذه الملاحظات على القوم البالي يد لى قصة تأريخيه مهمه هي أصل الاسوع ، ومع ان احراع الاسوع يعرى في أصله الى العراق اندم ، الا أن أصله معقد ويرجع الى أكثر من مصدر واحد . وولا ان الشهر القمري افضل بواح لقاوم في امكان تقسيمه الى مدد بحسب اوجه القمر . وكان سكان العراق القدماء يطلقون أهمه خاصة باليوم السابع والرابع عشر والواحد والعشرين والثامن والعشرين من الشهر من ناحية السعد والحس . وهكذا فسوا الشهر بصورة عمله الى أربعة أسابيع . ولكن كتاب أسامعهم عبر مسمره لى بخلاف اسامعنا . ويطورت فكره الاسوع من بعد ذلك في القرون الخلال لاجره فل المسيح وصار اسوع مسميا بجمع من المكاره اساميه واسم اليهودى وقصه خلق الماء في ستة أيام كتابه . في السوراد (ابحروج : ٢٠ : ١١) والساعات القمريه . وكذلك فسوا دائره السماء الى ١٢ ساعه من ساعاتهم و ٣٦٠° وفسوا سمب الشمس أو دائره العروج (Ecliptic) الى اثنى عشر سماء بواسطه اسجوه النوات وسموا كل قسم بحجم من تلك السجوه . وهذا ما يعرف بالروح الاثنى عشر (Zodiac) ومثلوا كواكب تلك الروح بعلامات ورموز هي الى ورثها العالم عن البابليين وسموحت هذا النظام قسم البابليون السنه اشتمسه الى اثنى عشر قسما مقابل كل قسم شهرًا و ٣٦٠ درجه ولا يزال تقسيم الدائره الى ٣٦٠ درجه مستعملا الى هذا اليوم . وتكون الشمس في

كل شهر في حرة خاص من السماء أو في برج خاص من البروج الاثني عشر وقسموا كل برج الى ٣٠ درجه مطابق عدد أيام الشهر . واستخدم الرماصون الفلكيون هذا النظام التالي في جميع الارمان ، وقد استعمل البابليون في فلكهم أقصى ما وصلوا اليه من المعلومات الرياضية ، حتى انهم استخدموا الموالب الهندسة والحساب في تعيين مدة اليوم والنهار واطوابهما بالنسبة للفصول الاربعة . وكذلك استعملوا الموالب الحساب المصاعده والمساواة في معرفة ازمان طلوع القمر وعروبه وكذلك في رصد بعض الكواكب مثل كوكب الزهرة . وقد جاءنا ارساد مطوله عن هذا الكواكب من زمن سلاله نابل الاولى . وشعر الاحبار الى أن الحركة العلميه في الارصاد الفلكيه اشهدت مد العهد التالي تقدم كما ذكرنا فقد وصل الفلكيون مد ذلك العهد الى ارساد مبسوطه عن ظهور الحجوم النوبت وعروبها في كل عام . وكذلك آمنوا الاسطرلاب وحسبوا ابعاد الحجوم بالدرجات وعندما ظهر من الاسطرلاب "عد النابلس مد الزمن البابلي القديم بدأ العهد العلمي في الملك البابلي . وفدسق هذا العهد ازمان المعارف العملة والحارب والملاحظات . وكان الاسطرلاب أول محاوله علميه في تاريخ الشر لوصع المعلومات الفلكيه عن الحجوم التي يظهر في الفصول المختلفه من السنة في نظام وترتيب علمي . والاسطرلاب المألوف عار عن سب علمي بعدد من الكواكب (٣٦ كوكبا) من الكواكب التي يظهر في الاشهر الاثني عشر وقد حصصوا لكل شهر ثلاثة نجوم يظهر فيه . وقد جاءنا بعض هذه الاسطرلابات على هيئة قرص دائري رسم الكواكب فيه في ثلاث دوائر ذات مركز واحد وقسم القرص الى اثني عشر قطاعا كل قطاع لشهر من الاشهر وخصص

(١) انظر البحث القيم المسور في المرجع الآتي :-

O. Neugebauer, "The History of Ancient Astronomy" in *Journal of the Near Eastern Studies*, vol IV (1944), 1 ff

لكل قطاع الكواكب الثلاثة الى تظهر فيه . ومن الارصاد المهمة التي جاءتنا عن البابليين الارصاد الخاصة بالزهرة اشهرها التي جمعت في أيام الملك السابلي «امى صادوقا» (الملك العاشر من سلالة بابل الاولى) فلقد رصد الفلكيون من ذلك العهد أول شهر ر ر و آخر ظهور لها في حروب الشمس وشروقها وطول مدة احتفاظها مرفعين بذلك اسؤات الملائمة لكل حاله ، كما عرف الفلكيون البابليون مدة اقتران الزهرة وهذروها بـ ٥٨٤ يوما ، وكانوا عارفين بمدى التماهي سواء نسي تظهر فيها الزهرة خمس مرات في نفس الموضع ، كما شاهد من الارض . وحسبوا مدة قران عطارد بخطأ لا يعدي انحسبه اياه (فقد كان عددهم ١١١ يوما وامتدة الصحيحة ١١٥:٨) .

واسعمل البابليون آلات خاصة بقياس الزمن . وهي الساعات المائية لقياس احراء الليل والساعات الشمسية او المراويل بقياس ساعات النهار . ولعل هيرودوس اصاب الحققة عندما قال : « تعلم الاعريق ان « يومون » وال « نولوس » ، « ونقسم اليوم الى اثني عشر قسما من الساعليين » . و « اليومون » أي المروية التي أشار إليها هيرودوس نوع من الساعات الشمسية ، مدؤها انقلاب الليل التي يشرها ميل مست على قوس . اما « النولوس » ، فهو كذلك من الساعات الشمسية بقياس الزمن بآلة . وكانت هذه عارة على نصف كره شب في مركز جوفها سف (ميل) ترس بها ١٢ طبعا على الجواب ان احله المدرجة نصف كره حسب سر الشمس . وقد استخدموا طريقه حرمان كميات معلومة من الماء في اناء مدرج لمعرفة احراء الليل اي ساعات الليل . وقد استخدم بعض ولاسفة اليونان وعلمائهم جداول الارصاد الساعلي لمعرفة انكسوف والنكسوف قبل حدوثهما . وقد اثر ذلك تأثيرا بالغا في الاتجاه العلمي عند اليونان وغير من عقائدهم بالنسبة الى الطواهر الكونية ، وهذا مثال آخر على اتصال اليونان بحضارات وادي الرافدين . وسرى من

بحثنا في تاريخ اليونان ان علم اليونان وفلسفة اليونان قد بدأ بين جماعة منهم يعرفون بالايونيين في السواحل الغربية من آسبه الصغرى = واشتهرت من هذه المسوطنات اليونانية = ملطية = عاش فيها في القرن السادس و٥٠٠ م. جماعة من العلماء والمفكرين يعدون مؤسسى علم اليونان وفلسفتهم وكان على رأسهم طاليس = وقد استطاع هذا ان يحدث ايرا عظيما في آراء رومه في طواهر الكون الطبيعية ، فقد استخدم طاليس الارصاد الفلكية البابليه وتنأ لاهل مدسه بوفوع الحسوف والكسوف قبل وفوعهما فاستطاع ان سرهن لهم ان مثل هذه الطواهر تحدث بموجب قوانين طبعه وليس بآثارا تشاطين والارواح و القوى العلويه = وملخص القول ان فلكى انراق القديم قد اسسوا الملك العلمى ، وانولا هذه الاسس لما امكن لفلكيين المتأخرين كاللوان أن يصلوا الى نتائجهم المهمة ، والمرجح كثيرا انهم ابروا ايضا في أهم شرفه أخرى كثره كاليهود والاراسس والفلسس =

العلوم الطبيعية والمعارف الصناعية الفنيه ا -

لقد ألمحنا فيما سبق الى ان معارف المصريين الاقدمين عن الكون والطبعه قد بدأت منذ نشوء الحضارة المسمحة في بدايه الالف الثالث ومما لا شك فيه ان دور تلك المعارف - عرست في الاطوار الممهديه السى سمب نشوء الحضارة ، وصدق ذلك على العلوم الطبيعية كالعلوم السى تساول حياه الحيوان والنبات (و اوجنا ، كما فرستها = علم الحيوان (Zoology) وعلم النبات (Botany) . وابتدا أصحاب المعرفة من الكتبة والكهنة والمعلمين يجمعون هذه المعلومات ويبحثون فيها مد بنائه الالف الثالث و٥٠٠ م. اى مد بدايه العصر البابلى القديم = وه خلصوا لنا جداول واثباتا مهمة في الحيوان والنبات والاحجار = ومع ان هذه الاثبات كانت كلما قلنا سابقا تحقق أغراضا لغوية أيضا ولكنها في الوقت نفسه معارف مهمة عن عالم الحيوان والنبات وعن المعادن والاحجار كما سذكر في موضوع الكيمياء =

ومما يشير الى أنهم بدأوا بطور العلم أنهم تناولوا اهم معطه من معاط هذه البحوث وهي التصنيف (Classification) اى تصف عالم الحيوان والنبات الى مجموعات وأصناف وتدل على معرفتهم بعالم الحيوان والنبات حمسه وثائق متنوعة حث خلفوا لنا اثباتا مسوعة بالحيوانات والنباتات . والغالب فى هذه الاثبات انهم يكتوبها بحقلين . يوجد فى حمل المصطلح السومري وفى الحمل الثانى المصطلح البابلى^(١) وقد اس البحث انحدث ان اسما حمله من النباتات بالاحلريه اصلها من الاسماء البابليه مثل

(kasû), cassia (kurkû) hyssop (kamûnu), Cumin
(kurkûnu), Crocus (zûpu), hyssop (murru) myrrh
(lardu) nard

والمهم فى محاولاتهم ليس الدقة ومطابقتها لما وصلت اليه العلوم الحديثه ولكن الاهميه ناشئه عن انهم بدأوا فى مهج البحث العلمى واثبت عاديهم فى تصف الحيوان والنبات انهم كانوا يرمزون لكل صنف باسم عام او رمز يطلق . بحسب الطريقه المسمايه ، على ذلك النصف مثل صنف الاسماك والحيوانات المتصله وصف الالهاعى والطيور ودواب الاربع وكأوا اذا أرادوا التعبير عن فرد من هذه الانواع و الاصناف بعلومه يرمز الصنف العام ، ويكنون ذلك بحسب الحيوان او النبات قبل الاسم او بعده وميروا من بين الاسماء العامه أنواعا أو أحسا محمله . وكأوا فى حالات كثيره يحشرون عدة أفراد وان لم يكن فيما بين بعضها شابه أو علاقته فذرحوا مثلا بحسب الحنك لذب واهصح ولاسرها ، وبحسب حنك الحمار الفرس والحمل ، وعدوا جميع ما ينشئ فى الماء بحسب صنف السمك وكذلك دوات الاصداف والسلاحف . وميروا فى عالم النبات أنواعا

(١) للمؤلف بحوث فى اسماء النباتات والاعشاب الواردة فى المصادر المسماريه نشرت فى محله سومر (المجلد ١٩٥٢ - ١٩٥٣) انظر ايضا المراجع الآتية -

(1) C. Thompson, *The Assyrian Herbal* (1924) .

(2) ———, *Dictionary of Assyrian Botany* (1947).

(3) Landsberger, *Die Flora des alten Mesopotamien* (1934)

وأجاسا من الأشجار والحشويات والأعشاب وأحبوب وصفوا هذه إلى
مجامع مشابهة في أشكالها وأثمارها ، وميزوا في بعض الأشجار جنس
الذكر والأنثى ، مثل الخيل . وقد أخطأ هيرودوتس في عد أصل هذه المعرفة
من الأغريق ، وسذكر في مبحث الطب استعمال النبات والأعشاب والحيوان
والمعادن في أدويةهم .

الكيمياء :-

استدأت معرفتهم العملية الناصجة في الكيمياء منذ أن عرفوا التعدين ،
وسبق المعدن صمغ الفخار الذي تعلموا منه أشياء مهمة عن خواص المواد
وتأثير الحرارة وخواص الطين وغير ذلك . وعندما بدأوا يروفسون أواني
المحار وتصنعونها رادب معرفتهم بعض المواد الكيميائية أيضا ، وكذلك
عرفوا في طور المعرفة العملية في الآلات التي طرعه المرحح وصمغ
الحجر من العتائن واللدائن الكيميائية ، وعرفوا في هذه الصناعات قابلية
النسالة الكيميائية كما هو الحال في المعادن . ومن هذه الطريقة
صنعوا نوعا من المرحح المصنوع . وعرف المراقبون القدماء خصائص معادن
كثيرة مثل عصور حجر السلاط وإزداد معرفتهم في عصور حجر السلاط
فقد صنعوا البروير مدبهد حديد صبر وأنشوا عديد البروير في عصور
حجر السلاط ، وكذلك أنشوا مريح السلاط (Alloy) فصنعوا بهذه الطريقة
مثلا معدن مريح من الذهب والفضة هو (البروير) (Electrum) وقد حلف
لنا السومريون من المشرق المأوكة في ور سراج حمله من الأواني المصنوعة
من هذا المريح . وكانت بعض المعارف العملية السمه في الفيرياء والكيمياء
العملية قد حصلوا عليها من صهور المعادن ويطبقها ويسكنها . كما برعوا في
فن السك والعص وصمغ السكابل منها مدرجه فيرد من المهازه ، وصنعوا
سائل قوية من الخحاس يحلظه بالخصائص والآلهه ، وحلظوه كذلك
بالفسدير ، بحث أنهم استدلوا الخحاس المصروف بأنواع محله من البروير .
واستعملوا الحديد بقله في المصور القديمة ، ولم شمع استعماله بكثرة إلا
مد الآلاف الأول في م وشاع كثيرا في العهد الآشوري الحديث ، فمثلا حرن

سرجون الثانى الاشورى (٧٢١ - ٧٠٥ ق م) فى قصره فى خرسباد كميات كبيرة من الحديد لصنع الاسلحة وقد عثر فى التنقيبات هناك على كتلة من الحديد الممتاز المصنوع تقدر بـ (١٦٠٠٠٠) كيلو غرام .

ان هذه المعلومات العملية المهمة : حدث بالبابليين فيما بعد الى تجربته فى المعادن والبحث فيها ، فقد فكروا مثلا فى صنع المعادن الثمينة : تحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة وهذا هو « السماء » الذى سبق علم الكيمياء الحقيقى ، وقد وصلوا لمحاولاتهم تلك الى معلومات مهمة عن خواص المعادن وبعض الطرق الكيماوية المهمة . ولم تقتصر محاولتهم فى تحويل المعادن على الذهب بل تناولوا بعض الاحجار المهمة عندهم مثل حجر الالارورد (lapislazuli) وحصلوا بطرق اسوية واستلبد على أشياء مقلدة تشبه المواد التى حاولوا صنعها . وبوسعنا ان نحشر فى هذا الموضوع المعلومات الثمينة التى وصلوا اليها فى صنع الاسماع وسبع العقاقير والادوية والعساوون والمندور والجمعة والمشربات الاخرى والمسا المرححة واستجداء ذلك فى الصنع والرس . وكذلك فى تزيين الآجر والفسيفساء .

ومع ان معظم هذه الصناعات الكيماوية عملية الا انه جاءنا من العراق القديم بعض المؤلفات والكتابات فى الكيمياء ووجدت من ذلك سجع فى خزانة كتب الملك الاشورى « اشور ايبال » وهى ذاك سجع عن أصل أقدم وجاءتنا مؤلفات مهمة عن صنع الترحاج والترجيح اقدمها من القرن السابع عشر ق م^(١) ويوجد صعوبات فى فهم المؤلفات الكيماوية ناشئة عن جهلنا بتعيين المواد المذكورة فى تلك المؤلفات وبلاسن وصف العمليات

(١) نذكر من ذلك نص مهم من عهد الملك المسمى « حولسارسار » من القرن السابع عشر ق م) يصف العملية الخاصة بصنع نوع من الترحاج من النحاس والرصاص لطللى الاوانى الفخارية . وكيفية صنع جسم احضر مع الطين المخلوط بالزجاجه (كبريتات النحاس) وهذا اللوح موجود فى المتحف البريطانى انظر سره والتعليق عليه فى محله (Iraq) المحلد الثالث (١٩٣٦) الص ١١ فما بعد)

الكيمائية في بعض المؤلفات الطرق الدينية والسحرية. وقد خلفوا لنا وصفة كيمائية في عمل حجر الازورد أى تقلد الحجر الطبيعي ووصفة في عمل الرجاج والترجيح والمسا . وجاءنا من مؤلفاتهم المتأخرة انهم كانوا يحصلون على النار بطريق القدح بالصوان ولكن خواص الكبريت الطبيعي كانت معروفة لديهم ويرجح بعض الباحثين انهم عرفوا صنع نوع من الثقاب (أى الشخاط) . وعرفوا بعض الطرق الكيمائية كالتصعد واستخرجوا بذلك ما يسمى بالسليمانى المصعد والرئق وذلك عن طريق استخراج ملح الامونيا من السماد المحروق ثم اكشاف الرئق واستحراجه من الزنجفر وهو كبريت الرئق الاحمر الموجود في منطقة كركوك وبعض المواضع في كردستان . وعرفوا الرصاص الابيض (اى كاربونات الرصاص) وهو الناتج من تفاعل الحبل مع الرصاص وبالسخين اسحرحوا الرصاص الاحمر . ومن الامور المهمة التى وصل اليها الباحثون حديثا هى ان البابليين خلفوا لنا وصفة في استعمال الذهب في الرجاج لاستحراج الرجاج الارجوانى واستنتج هؤلاء الباحثون انهم عرفوا التراب أو «الماء الملكى» الذى يذيب الذهب ، وهو الحامض الذى استحرحه الكيمائى العربى حابر بن حيان فى القرن الثانى للهجرة . وقد استخدموا معارفهم فى الكيماء فى استخراج الادوية المعدنية وذكروا لنا ما لا يقل عن ١٢٠ نوعا من أنواع هذه المواد المعدنية المستعملة فى الطب^(١) .

الطب :

ومما يقال عن الطب القديم ان الفوم مع ما وصلوا اليه من معلومات مهمة الامراض وشخصها ومعرفة بالاعاير وتركيبها واشياء عن الجسم الاساسى والجراحة ، فان الطب عندهم بقى يخالطه الكثير من العمليات السحرية كاستعمال الرقى والتعريم . ومشأ ذلك بالدرجة الاولى الاعتقاد بمصدر

الأمراض التي تسببها الشياطين والأرواح^(١) . ومصدر الطب عند العراقيين القدماء مثل غيره من المعارف البشرية الأخرى من الآلهة التي يرجع إليها في الشفاء والطب . وكان الآلهة التي حصصوه للطب والأطباء هو الآلهة الحكيم «ايا» الذي سبق أن ذكرناه علاوة على «إله» و«إلهة» كان سيد الماء ، ولهذا السبب ولأنهم استعملوا الماء في الطب فقد سموه الطيب بكلمة معناها العارف بالماء (وباللعنة السومرية «أرو» ومنها الكلمة البابلية «أسو» ، التي استعملت في معظم اللغات السامية ومنها الكلمة العربية «الآسي»^(٢) . ومن الآلهة التي حصوها بالطب والأضياء أيضا الآلهة المسمى «نازو» (ومعنى اسمه سيد الحكماء والأضياء) وله ابن خاص ذكرناه «ناتب» هو الآلهة «نحشربدا» . ومن الطريف في أمر هذا الآلهة بعض الرموز المقدسة الخاصة به وهي العصا الملقبة عليها حة أو حنان . وهذه هي الشجرة المتحدة عند الأضياء في العصور الحديثة ومثل هذه الشجرة اعتقدوا أن الحة رمز الحياة الدائمة لأنها لا يموت وإنما تجلح حلتها كل عام فيعود إليها الناس^(٣) .

(١) والواقع أن قسما كبيرا من السر لم يعمل من ملوك المسح والرفى إلى طور الطب الخاص في الحضارات القديمة ومما جدر ذكره أن الإنسان الحديث لم يرل كذلك في طئه إلى عهد غير بعيد ولعل القسرى الجوهري بين العراقيين القدماء والآلهة أن الحديث في شأن علاوة الطب المعروف والرفى هو أن الامور الدينية والمسيسة التي تلتحق بها الناس الآن في المعالجة دعوم ديا سخاس مخصوصون عبر الأطباء . ولكن الأطباء أنفسهم في الأزمان القديمة كانوا عمومون بالعمل في آن واحد . أي الطب واستعمال الرقى والامسة الروحانية . وإلى هذا القربى كان البابليون لا يحدرون من اعمل الطباعة المسيسة للأمراض ومن ما يعرفون إلى فعل الأرواح والشياطين . فإذا مرض مريض في عائلة وأصاب المرض نفسه فردا آخر من العائلة كانوا يعرفون ذلك إلى انقال الشيطان أو الروح المسيسة للمرض إلى الشخص الباني اما نحن فنقول أن المكروب الخاص بالمرض قد أنقل من شخص إلى آخر . هذا ونحن لا نعرف بوجه التاكيد كيف كان البابليون يصورون شياطينهم . على الرغم من أنهم خلصوا لنا بعض الدمي والصور التي تظن أنها تمثل بعض الشياطين والعفاريت .

(٢) وللطبيب اسم آخر هو (نارو) بالسومرية ومعناه العارف

بالزيت .

(٣) اعتبار مسند هذا الاعتقاد في قصة حلحاش في بحث الآداب

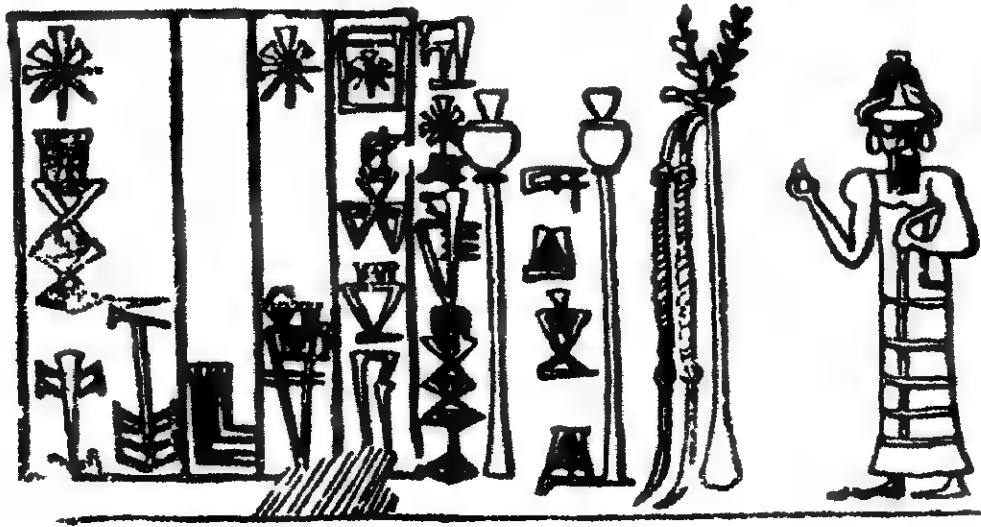
ويمكننا حصر طرق العلاج والدواى عدهم ثلاث وسائل : (١) العلاج الطبى وما يتعلق به من عقاير وتمريض (٢) العمليات الجراحية (٣) الرقى والعريم لطرد الارواح والشياطين التى تسبب الامراض . وقد سبق ان ذكرنا شئنا عن الوسيلة الثالثة فى محث الدابة فى قسم السحر والصادات وندكر الآن شئنا موحرا عن الطريقتين الاخرتين اللتين هما موضوع الطب الصحيح . ومما لا شك فيه ان أصل الطب عدهم من المعارف العملية والمعلومات الشعبية عند الناس وكذلك من السحرة الذين لم يقتصروا فى طرد الارواح على الرقى والعريم بل استعملوا العقاير لانهم كانوا يرون أن مثل هذه العقاير هل الشياطين أو تصطبرها على الاول الى معادرة الجسم لقوتها ونفرة الشياطين والارواح منها (ولا يرال عدد كثير من الناس فكرة تتعلق بان الدواء كلما كان محار أو مرا أو قويا ، ينافه النفس كان تأثيره قويا فى مغالبة الممرض وشعائه . وهذا مما لا شك فيه من شأنا آراء الشر الاقدمين فى الطب والادوية والامراض) .

وإذا كان فى العلاج واشتاء من الآلهة فان الآلهة ايضا مصدر الامراض لانها خالقه كل شئ . من حير وسر . كما ان الامراض ايضا كانت مظاهر او امارات على شحط الآلهة على البشر ، ولذلك فالدواء الصحيح الشافى يكون فى برصه الآلهة وسكين جسمه ، اما العلاجات فقد تعد فى سكين الداء وانحصفت من شدة . ولذلك فقد كان الطبيب كاهنا فى الوقت نفسه . أى انه عدا استعماله للعقاير والادوية المسكنة فانه يقوم بالعريم والسحر واستعطاف الآلهة وطرد الارواح الحسنة واستئسسه للمرضى سبب ام الممرض وسحط الآلهة . ومن نتائج ذلك أيضا ان الطب البابلى لم يقتصر فى أسائنه عن فن الشحط والوصف والعلاج وانما ستمد ايضا الى طرق العرافة والكهانة والسحر مما مر بنا سابقا فى الكلام على الدين ، كما أن

مصدر بعض الامراض كان من «العين الشريرة» وهذه خرافة مشيرة منذ القدم انتشارا عالميا^(١) .

ويسدل من المصادر التي حلقها الاطباء الاقدمون على انه شأ عدهم منذ الارمان تقديمه أصناف من الاطباء « مهم الاطباء الخاصون يتداوى الامراض بالعقاقير وسأ عدهم كذلك الجراحون والباطنة » . وستال من شريعة حمورابي على ان الطب لمع في العهد البابلي القدم مكانه مهمة في المجتمع اسلره بطلمه بحمله مواد في قانون حمورابي مصها يتعلق بتحديد الاحوز الخاصة بالاطباء والجراحين والباطنة وكذلك تحديد العقوبات الخاصة في حاة اساءه الاطباء استعمال مهتهم . فمن حمله ذلك الاحكام الاته : ان الجراح الذي ينجح في شفاء العين بعمله خراجه فانه يأخذ أجرة قدرها عشرة شللات من العصفه من الحر و (٥) شيللات من فرد من العلقه الوسطى ، ما اذا فشل ذلك انقضى الجراح فحسب موت المريض أو أنه سب فقدان عيه وقطع يده ولكنه يعوض عدا بعد ادا كان المريض عدا ويدفع نصف ثمنه اذا فقد عيه^(٢) . ونعاضى انقضى بحسب قانون حمورابي في جرحه عظاما مكسورة او عسلات مريضة ١٥ و ١٣ و ٢ شقل من العصفه بحسب طبقه

- (١) فان الكلمة اليونانية الخاصة بذلك (bascania) ومنها الكلمة اللاتينية (fascinum) التي منها الكلمة الانجليزية (fascination)
- (٢) مما لا شك فيه ان هذه المواد تبدو لأول وهله صارمه وعبر معموه ولا فائدة للطبيب فلو طمعت في « واقع » وانطب القدم على ما علمه من المدايه لعهد الاطباء والجراحون في الغرامات ليس امواتهم حسب بل انديهم ولما نهى طبيب مجازس مهمه فيكون التفسير المفعول لهذه المواد الواردة في قانون حمورابي . ان احكامها لم تكن لتطبق الا على الحالات السياده المتطرفه التي تبسب فيها الفصل بسببه اهمال الجراح والطبيب المعمد ، وان الغرامه والعقوبه لا تعرضان بدون محاكمه رسميه وانساب وادابه . ومن الطريف ذكره بهذا الصدد انما نجد أثر هذه الاحكام في الحيله السديده التي كان يركن اليها اطباء ذلك الزمان . فكانوا لا يقدمون على حاله لاظمانيون الى سبائنها وقد ورد في المآثر والامثال الخاصة بالاطباء انه يسعى للطبيب « أن لا يصعب يده على مريض قد ناكذ من عدم شفاؤه وموته » .



ختم اسطوانتي يعود الى طبيب سومري نقشته فيه بعض آلاته الطبية
واسمه (اور - لوغال - ادنا)

المريض = ويقاضى البيطار $\frac{1}{3}$ شغل من العضة في عملية جرحها على نور
أو حمار ويموض في حالة الفشل $\frac{1}{3}$ ثمن الجبوان (المادة ٢٢١ من قانون
حمورابي) = والملاحظ في الاحكام الواردة في شريعة حمورابي عن تنظيم
شؤون الطب انها تنص على الجراحين والساطرة ، ولم يرد ذكر للطبيب
الاعنادي الذي يداوى بالعقاقير ، ولعل تفسير ذلك ان الطبيب كان شخصية
ذا قدسة فلا يمسه القانون لان علاجه كان بالدرجة الاولى بالتمريم
والرفى واسعطاف الالهة = اما الجراحون فقد اعسرتهم الشرعة من دوى
الحرف فجازون خبرا أو شرا بحسب نتيجة عملهم =

تشير الكتابات المسمارية الى ان عدد الاطباء المحرفين لم يكن قليلا ،
والى هؤلاء كان حمله من الاطباء الموظفين الرسميين بعضهم خاص بالملوك ،
كان الاطباء ينقلون من بلد الى بلد آخر ومن قطر الى قطر آخر حتى ان
الملوك كانوا يرسلون اطباءهم الحاصين الى الملوك الآخرين لمداوتهم =
كانت هذه العادة متبعة في افطار الشرقة الادنى ، وجاءت عنها اخبار طريفة

من العهد الذي سمي به «عهد العمارة» من زمن الامبراطورية المصرية .
ومن الامور التي نعرفها عن اطباء العراق القديم أن الواحد منهم كان يحمل
على الدوام حقنه أو كساً يضع فيها ادواته . وحاء في بعض الاخام
الاسطوانية الخاصة بطلب سومري اسماء وصوره بعض الآلات الطبية
العائدة له كالابر والمناصع واحقاق الريت (انظر الشكل في ص ٣٦٩)

وقد عرف الاطباء البابليون جملة من الامراض والابوثة وصنفوها
بحسب الاعضاء التي تصيبها فافردوا للرأس والقلب وللعين والحنجرة والانف
والبمدر الامراض التي تصب هذه الاعضاء ، وذكروا بعض الامراض التي
مشؤها العوامل النفسية كمقدار الهمة والحرع والجنون ، كذلك ذكروا
بعض الامراض التي اسفست عليهم مثل السرطان وامراض الرئة مثل
السل ، وكذلك الامراض الناجمة عن كآبة وانحدام ، وعرفوا بعض
الامراض السائلة مما تصب عصى ذكر والانثى والامراض الخبيثة
بالشرح ولا سيما الواسر وذكروا من بين الامراض السسم المسبب عن
لدغ العقرب والحية .

لقد وردت الامراض في المؤلفات الطبية التي حلتها لنا الاطباء الاقدمون
ووجدنا الكثير منها في مكتبة اناب الآشوري آشور ناسال التي هي لا سل
نسج عن كتابات قديمة من العصر البابلي القديم فكانت مصادرها عن طب
العراق القديم الى عهد قرب مقصوده على العهد الاشوري المأخر . ولكن
مما يؤيد ما ذهبنا اليه من ان هذه النصوص الطبية التي وجدت في حراة الملك
الاشوري « آشور ناسال » ترجع في اصولها الى العهود القديمة ما اظهره
البحث حديثا اد وجد نص طبي مهم باللغة السومرية ، ويحمل ان عهد
أقدم من ذلك ، حيث يعتقد انه من عهد سلالة اور الثالثة (في حدود ٢١٠٠

ق.م) ، وبذلك يكون هذا أقدم نص طبي في «أريج الحضارات البشرية»^(١) ان مصدر هذا النص من «نمر» وقد وجد قبل نحو ٥٠ عاما ولكن لم نعين ماهه الا حديثا ، وقد وردت فيه جملة وصفات طبية عفايرية ومن حملة هذه العفاير المعروفة العاشيا (cassia) والحلتيت الذي يسمى في العراق باسم «الجوبفة» اي المعروف علميا (Asafoetida) والزعر (Thyme) ونترات البوتاسيوم وكلوريد الصوديوم والعسل الخ = وجاء في مؤلفاتهم الطبية تلك شخيص الامراض. وكان الشخيص ذا خطورة عظيمة عددهم ، وطريقتهم في الشخيص هي أنهم يصفون الاعراض التي يشاهدونها الطب في المرض ثم يصفون ما يفعله الطب ونوع الدواء اي الوصفة التي قد تعدد وكذلك الاوقات الخاصة التي تؤخذ فيها = ومما يلاحظ في هذه المآليف ان اعلها يصر على الشخيص ووصف الدواء دون نسيان عمله المرض وسبب ذلك جهلهم بها كما هو الحال في كثير من الحالات في الطب الحديث = وكانوا يردفون الوصفة بإرشادات في كيفية الاستعمال ومن طرائف هذه المؤلفات الطبية حداول مقسمة الى ثلاثة حقول ذكروا في الحقل الاول الدواء وفي الحقل الثاني اسم المرض وفي الثالث إرشادات بكيفية الاستعمال والمآخذ المثل الآتي :-

| | | |
|---------------|-------------------|--------------------------|
| عرق السوس | دواء للسعال | سحق وشرب مع الريب والخمر |
| عرق ورد الشمس | دواء لوجع الاسنان | يوضع على الاسنان = |

وربوا الوصفات الطبية الواردة في كتاباتهم الطبية بحسب اجزاء الجسم والأمراض التي تصبها ، وهذا شر الى بدانة طور التصنيف والبحث العلمي كما انهم كانوا يعرفون بعض الشيء عن تشريح الجسم الاساسي ،

(١) أقدم نص طبي جاءنا من مصر مؤرخ في حدود ١٦٠٠ ق.م . ويعتمد فيه أنه نسخة عن اصل أقدم (١٩٠٠ ق.م) - انظر البحث في النص السومري الطبي في

وان كانت معرفتهم بالشرح ووظائف الاعضاء معرفة بدائية على وجه العموم، فقد سبق أن رأينا ان من أهم طرق العرافة عندهم طريقة فحص احتشاء الحيوانات ونوحه خاص طريقة فحص الكبد، فاستفادوا من شريح الحيوان وبمنزله كما ان ما كان يصبب الافراد من اصابات في الحرب جعلهم يقومون على اهم أعضاء الجسم الانساني، واهموا نوحه خاص، مثل الرومان، بعض الاعضاء البارزة كالكبد الذي عدوه مسودع الحياة والطحال والمعدة والكليتين والقلب والرئتين، وبلغوا في معرفتهم المسلحة درجة أعلى من ذلك فقد ذكروا ان القلب مسودع انهم، الكبد موضع العواطف ومسودع الحياة نفسها حسب احواله على كمنه كثيره من الدم (بحو ١/ ده الجسم) وقد كتبوا اثنا باسماء الاعضاء والاحتشاء^١.

وكانت الادوية عندهم من ثلاثة مصادر بحسب المادة المسحرج منها الدواء، وهي (١) الادوية الباردة (٢) والادوية الحارة (٣) والادوية المتعدية. وتأني الادوية المسحرجة من النباتات والاعشاب على رأس الادوية عند أطباء العراق العمام^٢. وحلف لنا هؤلاء الأطباء مجموعات كثيرة باسماء الاعشاب والنبات والارهاز التي استعمالوها أدوية، والعادة في استعمال النباتات والاعشاب انهم يصنعون شروطا لاستعمالها منها المكان الذي ينبت فيه واوراق قطعها، كما أنه لم يكن جمع النبات هو المستعمل للدواء بل قسم منه او مادة تسحرج منه كالعرق والملح والساق واللب والورق والسع والزهروالعصر والندور والمحسن والطحن والشراب الخ. والملاحظ في النبات المستعمله عقاقير طيبة يشاء استعمالها عند سكان العراق القدماء وعند شعوب العالم القديم مثل الطب اليوناني الذي اشتهر في الشرق الى ازمان متأخرة، ولعل من صحة استعمالهم لحملة نباتات أن الباحثين المحدثين استدلوا في تعيين الكثير من اسماء النباتات الواردة في النصوص المسمارية الى استعمالها الطبية المذكور.

(١) انظر المرجع المهم -

فى تلك المصادر^(١) . ونأتى بعد المواد المستخرجة من عالم النباتات المواد المستخرجة من عالم الحيوان ، ومما تذكر فى صدد الحيوان ان اسما كيره مما ورد فى مؤلفاتهم الطسة لا يمكن تعيينها فى الوقت الحاضر وكذلك الحال فى كبر من أسماء النبات والاعشاب ، واستعملوا فى أدويةهم أعضاء وأجزاء ومواد مستخرجة من بعض الحيوانات اللينة ، من بين ذلك الانسان والقر ولا سيما القر الاصفر والحرير والاغنام والعمر والحمار والكلب ولا سيما الكلب الاسود والاسد والذئب والثعلب والايال والغزال ومن الطيور النعام والصقر والسر والعرب والوومة والدجاج والحمام والمصفور ومن أنواع الحيوانات السطى الحية والسرطان والنحل . وكانوا يأخذون نتاج هذه الحيوانات أو أجزاء خاصة منها كالعظام أو الشحم أو الحليب أو اللسان أو الشعر أو اللحمية الخ . واستخدم البابليون أدوية غير قليلة استخرجوها من المعادن والاحجار وكسوا فى ذلك انما وحداول مطوله . ولم يستعملوا هذه بهئة مواد حام بل كانوا يستحضرون منها الادوية بطرق كثيرة متعددة كالسحق والحلط والركب مع مواد اخرى بسبب معنه وكذلك السحق وذكروا بعض الادوية والالات المستعملة فى هذه العمليات ، والى اوصاف الادوية ذكرها بعض المبرهات الخاصة كالضماد والمرحج ودهن الجسم ومسحه بالرب ، ورفروا بنوعين من استعمال الادوية ، نوع يستعمل استعمالا داخلا (أى شرب) ونوع يستعمل استعمالا خارجيا كإدهن والمسح الخ . وورد ذكر بعض الادوية والآلات التى استعملوها فى ذلك فى المصادر السامرية ولكنها لا تعرف كثيرا منها وتنبه استعمالها من بين ذلك اسود من الحاس أو التروتر سموه « المصاح » نوصع اندزاء سى

(١) ان أحسن ما ألف فى النباتات الواردة فى الكتابات السامرية المرحج الآتى -

C Thompson, **Dictionary of Assyrian Botany** (1946).

ولؤلف الكتاب بحوث فى الموضوع شرب فى حمله اعداد من محله سومر مجلد (١٩٥٢) و (١٩٥٣)

العين وفي الاعضاء الناسلية وآلة اخرى يسمونها «الزراقة» (ولفظها في البابلية مثل العربية) يدخلون الدواء بها الى الاذن وآلة اخرى مثل مباحض التشريح والاحقاق والابر « واستخدموا بعض الاحجار الزجاجية ولا سيما البلور اصنع العدسات التي استعملوها لتكبير ويرجح أنهم استعملوها « بطارات » أيضا . وقد وجد في مدينه كالح «عديمه (سرود) عدسة من اللور من النوع المسوى المحدث »

ومما يلاحظ في النصوص الطبية القديمة ان لها اللغة السومرية . واستعمل الاطباء دساير سومرية كما كان الاطباء الفرنسيون يستعملون اللاتينية ، ولا تزال اللاتينية اللغة العلمية في انصططحات الطب ، واما اطباء العراق القدماء كانوا يصعدون في استعمال السومرية الى « فهمها الرضى فيرداد يهودهم وشهرتهم كما ان تلك النصوص تعاب عليها «الاحجار والاحصار ، بل ان الكثير منها كان مجرد الدكرة أو الخلاصة مما نشر الى ان التعليم الطبي كان «الرحه الاولى سفيها من الاساد الى التلميذ او من الاب الى الابن » بسني من «ك لوح مدون بعض طبي مدلول محفوظ الآن في القسطنطينية»^(١) .

(١) حول الطب في حضاره وادي الرافدين راجع اهم المراجع

الآتيه -

(1) G Conteneau' **La Médecine ■■ Assyrie ■■ ■■ Babylonie** (Paris, 1938)

(2) Kuchler, **Assyr. Bab. Medizin.**

(3) Miles & Driver, **The Babylonian Laws.**

(٤) René Labat, **Traité akkadien de diagnostics et Pronostics médicaux** (Paris, 1951)

وحول اللوح الطبي المحفوظ الآن في القسطنطينية انظر المراجع الرابع .

الفصل السابع عشر

الدولة والمجتمع

١ - نظام الحكم

نشوء نظام الحكم وتطوره :-

احلف آراء الباحثين في أصل الدولة والحكومة عند البشر ، وعلى الرغم من نشوء أولى أنظمة الحكم في حضارات الشرق الأدنى ، ولا سيما حضارة وادي الرافدين ووادي السيل ، فأننا نجهل أصل أول الحكام والملوك في العراق . ومع قدم الاخبار المتعلقة باوائل الحكام من العصور التي سميها بمصور فجر السلالات فإن هذه الاخبار لا تفسر لنا بوجه واضح كيفية نشوء أقدم الحكام والمديرين في ماربج المجتمعات البشرية .

١٠٠٠٠ سنة عصور فجر السلالات اطوار من عصور ما قبل التاريخ لم تدون فيها العرافون القدماء شؤون حياتهم ، أي أنهم لم يخرعوا الكتابة ولا سجل ما لمعرفه شؤون المجتمع السياسية وكيفية تنظيمه وإدارته ، اد من المحتمل انه وحدث نوع من نظام الحكم البدائي في تلك الازمان التي سعت نشوء الحضارة الناصحة في بداية الالف الثالث ق.م . وتؤيد وجود نوع من أنظمة الحكم في عهد فجر الحضارة الاشارات الواردة في الاحبار التاريخية مما يخص جداول الملوك وكذلك انقصص والاساطير . فهناك حمله ملوك حكموا في مدن معلومة ذكرتهم جداول الملوك بأنهم حكموا ول الطوفان ، وورد في الاساطير اشارات الى ملوك لا نعرف عنهم سوى تلك الاشارات ولعل عهدهم يرجع الى عصور ما قبل التاريخ قبل نشوء الحضارة . في وادي الرافدين وسنذكر ذلك بعد قليل .

وبرجح كثيرا ان للمعابد التي نشأت في العصور القديمة من عهود ما قبل السلالات علاقة بنشوء الحكام الاوائل . فقد رأينا فيما سبق كيف كان

المعبد أهم بناء عام نشأ في العراق قبل عهد « العبيد » وكان مركز المدينة ومدار حياتها الاجتماعية = فلعن كهنة المعابد كانوا في الوقت نفسه أول حكام في الهيئة الشريعة أو كان الكهنة على الأقل دور مهم في إدارة المجتمع وقيادته ومما شير الى هذا الاحمال الصفة المقدسة التي اتصف بها الملوك في الادوار الأثرية في كوبهم كهنة الالهة ووابها في حكم الشر : ورحح ان حكومه الكهنة استقام وما بعد عندما يعقد الحضارة ونشأ الحروب المنظمة الى الحكومة الثرمية ، ولعل هذا الاسقال لم يسم الا بعد براع بين الكهنة وبين القواد والافراد المسفذين الذين أكسوا رعاية المجتمع بما اماروا به من حكمة وقوة واصارات حربه^(١) ولكن اكسب هؤلاء الحكام الذين أحدوا الرعاية صفة دسة أيضا وصاروا هم الكهنة الاعلون لاله المدينة = وسق ان ذكرنا ان الاسم السومري للملك (نوكال) أى الرجل العظيم او المدر قد يكشف لنا حاما عن أصل الملوك والحكام ، فقد صار هذا الرجل عظيما لمدرته وقابليته الى مكته من ان يكون قائدا ورعيما على سكان مدينته أى مجتمعه ، أولا بالاسحات ثم صارت وطيته دائمية =

ومهما يكن الحال في أصل نظام الحكم فان الاخير عن الامراء والملوك وما يتعلق بالدولة قد بدأت بالظهور منذ عصر فجر السلالات وهو العصر الذي شأت فيه أولى الحضارات في العراق . وقد رأينا فيما سبق ان نظام الحكم بدأ في هذا العصر في أولى مراحله ، فقد كان العراق مقسما الى امارات ودويلات قوام كل منها مدينة وما يحاويها من المدن والقرى والاراضي وهاء هي دويلات المدن (City-States) انى كانت أولى أشكال الحكومات في العراق وكان يحكم في هذه الدويلات حكام كانوا يلصقون اسمهم بكلمة

(١) ومن الطريف ذكره بهذا الصدد الاشارات انوارده الى هذا الانغال فيما نقرؤه في العهد القديم (ساموئيل ، الكتاب الاول ٨٠ . ١٠)

تعني وكل الاله أو الفلاح المسأحر (أي اشاكو أو انسى) وهي كلمة تشير الى ان سلطة الحاكم مستمدة من اله المدينة وانه ممثل عن الاله وبحكم الشر باسمه . ووردت أسماء بعض الحكام بهيئة ملك (أي «لو كال») ولكن هذا اللقب كان أقل وروداً من اللقب الاول في مبدأ الامر . وفي العصور الأثرية اناله عم لقب الملك وقل لقب « الاشاكو » الذي صار يستعمل فيما للملوك بعضهم اندسه وعلاقاتهم بالآلهة وكذلك استعمل للتعبير عن الولاد والحكام الذين كان بعضهم الملوك . والمرجح كثيراً أن الاشاكو في الاصل كانت وطعمه أمت وأدوم من وطيفة الملك الذي كان بالاصل ذا سلطة موقفة حسب سجد في رمن الارمات كما ان واردة الاشاكو كانت تأتي من الارامى المائدة الممد انى كان يلزم على الناس ان يشغلوا فيها بالسحرة . ومن السلطات الكهوية الى كات يحكم الجميع قل سلور نظام الحكم وبلور نظام الملكية الكاهن الاعلى (سكو ماح) ، ومهما كان الامر فقد ساد وطعمه الملك وصار اللقب لا يستعمل حتى في عصر فجر السلالات الا عندما سجع نظام حكومة دوله اندسه فيكون معنى لقب « الاشاكو » الحاكم المعان من قل انه المدينة أو الممل لانه المدينة ، حتى ان اللقب ظل مستعملاً حتى في العصور الأثرية المأخرة في رمن الامبراطورية الاشورية حيث كان الملوك الاشوريون يلصقون اعينهم بلقب « حكم الاله اشور » اشارة الى ان سلطتهم مستمدة من الاله اشور .

وقد سبق أن ذكرنا أن دولاب المدن كانت كثيراً ما تنازع فيما بينها على السلطة السياسية وتوسع حدودها وعلى توزيع مياه الارواء الى كان بهوء عليها كتابها الاقتصادية . وكان العراق بوجه الاجمال يسير من طور دولاب المدن الى طور المملكة الموحدة حتى أواخر عصور فجر السلالات حين استطاع سرجون الاكدي مؤسس السلالة الاكديّة أن يقضى على نظام دولاب المدن ونشأ المملكة الموحدة الى شملت جميع العراق وانتقلت هذه المملكة بالفوح الخارجية الى الامبراطورية وسار على خطى سرجون

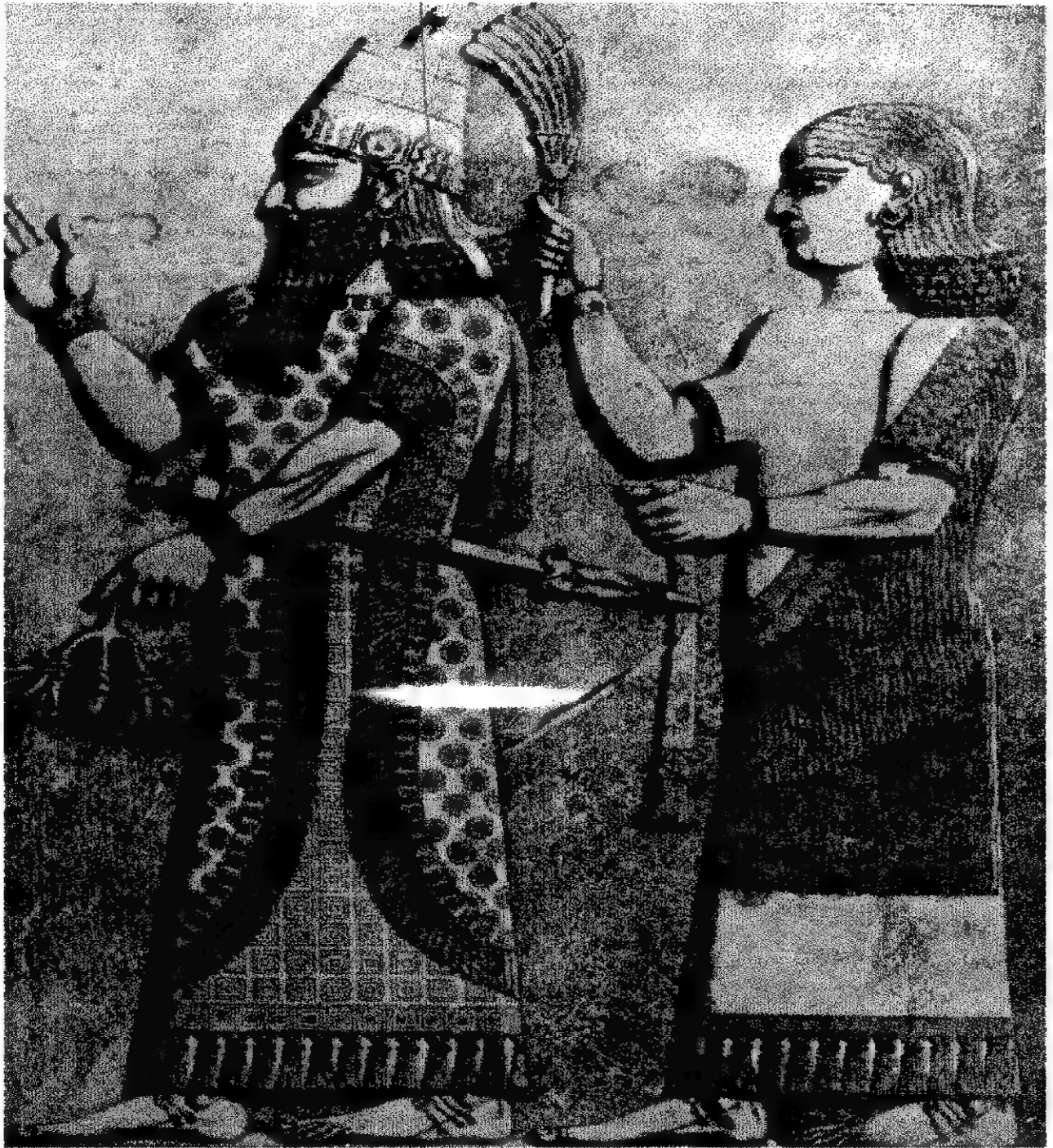
القاتح بعض السلالات الاخرى مثل سلالة أور الثالثة وسلالة بابل الاولى والدولة البابلية المأخرة في توسيع المملكة وبسط سلطاتها في معظم أنحاء الشرق الادنى . ولعل من حملة العوامل المهمة التي عملت على انتقال دويلات المدن الى طور مملكة القطر الموحدة نسّم انتقال هذه الى طام الامراطورية ما ذكرناه سابقا من الحاحات الاقتصادية فيما يتعلق بالحجارة الخارجية . فقد رأينا ان حصار العراق الاولى شأت في موطن يفرضه كثير من المواد الضرورية للملك الحصار وسموها واردهاها كالمعدن والاحجار والاحشاب وغير ذلك مما شاهدته في حضارة العراق القديم . وكانوا يحصلون على هذه المواد في نادية الامر بالحجارة الخارجية مع الاقطار المجاورة انى تكثر فيها المواد الضرورية وبدأت اتصالاتهم التجارية منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ . وعندما اردادت الحاجة الى المواد في ابان تضج الحصار واردهاها بطلب ذلك بظم التجارة الخارجية وبوحيد مصالح المدن المحلية وامداد وسائل المواصلات وحمايته الطرق والقوافل . وكان كل ذلك لا يتم على الوجه الاكمل بحسب نظام دويلات المدن المسارعة المتصارعة في مصالحها . فأقصى بوحيدها بالحرب والقوة وهذا ما فعله لوغال زاكري . آخر ملك من ملوان عصر فجر السلالات وحققه سرخون بصوره أده وأسس . وعندما اتحدت دويلات المدن تحت ادارة واحدة وسلفن واحد واتحدت مصالحها رأى الملوك الاوائل أن الحصول على المواد من مابعها غير معصون دائما بالحجارة الخارجية فعمدوا الى الاسلاء على مواطن تلك المواد بالحرب واتحافها بدولهم أو فرض سلطتهم عليها .

شكل الحكومة وادارتها :-

كان شكل الحكومة في جميع أدوار التاريخ في العراق القديم الحكومة الملكية الاوتوقراطية ، اى تتركز السلطات جميعها بيد الملك او الامير الحاكم وحكومته التي يكونها هو . وكان هذا هو الشكل السائد منذ نشوء الحضارة

فى عصر فجر السلاط أى عهد دوبات المدن الى نهاية حاة البابليين
السياسة . وتلاحظ من سير تأريخ العراق القديم ان الاتجاه السياسى فى
سكل الحكومه كان سير الى مركز السلطة أكثر فاكثر بيد رأس الدولة
أى الملك وساحب السلطان المطلق . ولكن لدينا من الادلة والاشارات
التاريخية ما نثبت أن نظام الحكم فى العراق القديم بدأ بهيئة ديموقراطية
بدائية قل فجر التاريخ عندما نشأت أولى الممالك فى بداية عصر فجر
السلاط . وبوسعنا ان نضع شوء ذلك الحكم الديموقراطى بوجه التخصيص
فى العهد الذى سميء بالعهد النسيه بالتأريخى أو الكابى (أى النصف
الثانى من طور الوركاء وعهد حمده مصر) . وعلى الرغم من زوال ذلك
النظام الديموقراطى فانه قد ترك صدى وآثارا فى العصور التاريخية اللاحقة
فمن هذه الآثار بعض القصص التى تشير الى وجود أقدام نظام ديموقراطى
فى العراق القديم ، ومن هذه قصة طرعه بدور حوادثها على العلاقات بين
دولى مديين هما كيش والوركاء يمكننا ان نعوها بقصة « أجا وحلحامش »
حتى زمن من الارمان ساءت العلاقات السياسية بين هاتين الدولتين . وأنس
« أجا » مات كيش من نفسه القوه فأراد بسط حمايه على الوركاء ، ولكنه
ول ان يعلن الحرب أرسل وفدا دبلوماسيا الى ملك الوركاء يحمل معه انذارا
بالخضوع الى كيش . ولما كان حلحامش ملك الوركاء لا يستطيع أن يقرر
فى أمور الدولة الخطيرة كالحرب والسلم فانه استدعى اولا مجلس الشورى
المكون من أعيان المملكة وشيوخها وعرض عليه مطالب ملك كيش وختم
على رفضها ولكن « مجلس الاعيان » هذا على ما يبدو لم يوافق على رأى
رئيس الدولة . فاستدعى الملك مجلس الشورى الثانى المؤلف من جميع
الرجال القادرين على حمل السلاح فرفض هذا المجلس مطالب مدي كيش
وقرر الحرب اذا اقصى الامر ذلك فشبت الحرب بين المديين وانتهت بغلبة
« كيش » وطلب حلحامش الصلح .

ومهما يكن من سجة النزاع فان الذى يعنينا من هذه القصة وغيرها من



نماذج من المعارك البارزة تمثل الملك الآشوري سرجون
(من العاصمة حرسباد)

الاحبار والاشارات هو ظهور الطام الذي نسميه الان بالحكم الديموقراطى فى العراق منذ فجر التاريخ . وكما يبدو من الفصه الى لحصاها كاتب شؤون الدولة وادارها مورعة بن الملك ، رأس الدولة ، وبين مجلسين للشورى ، تألف المجلس الاعلى من أعيان المملكة وشيوخها (السنا) ومألف الثانى من جميع الرجال القادرين على حمل السلاح . وعلى الرغم من جهلنا الشئ الكثير عن هذه المجالس ولا سيما كيفه تأليفها وصلاتها وعلاقتها بالملك وبمعضنها بعض فان الاشارات والاحبار يدل على ان هذين المجلسين كانا يهتمان على الشؤون المهمة فى الدولة كالحرب والسلام والصراىء . ووردت اشارات الى ان هذه المجالس كانت تملك حتى حق انتخاب الملك . ويوسعا ان شبه هذه الشورى أو الديموقراطية الاولى بما ساءت الاغريق والرومان ولا سيما عند الرومان فى العهد الجمهورى وبخاصة مجلس « السنا » أى مجلس الشيوخ ومجلس « الرسون » أى مجلس العوام^(١) ومما يجدر ذكره بهذا الصدد أن مملكة صغرى من الاشوريين شأب فى آسة الصغرى فى أواخر الالف الثالث ق.م كان نظام الحكم فيها على هذا الطراز وفوق ذلك كانت أسسه ما تكون بالجمهوريه . وآسسه الصغرى كانت طريها مهما لا اشار التاثير الحضارة الى حرر بحر انحه والى النوان .

ومن الامور الطريفة التى سبى الى طام الحكم الديموقراطى فى العراق منذ فجر التاريخ أن العراقيين القدماء كانوا ، كما مر بنا فى مبحث الدانة ، يصورون آلهتهم كالنشر وكانوا يصورون اجتماع الآلهة فى مجالس شورى مما ساه فى السماء بجمع فيها الآلهة للبحث فى شؤون البشر الهامة ومناقشتها فيما سها ويمرر بالآراء القرائات المفضية ، وادا علمنا ان الالهات كن شريكى فى هذه المجالس فلا بعد ان نكون للمرأة نصيب فى مجالس الرجال بين الشر ويصح ذلك حلنا من اسطوره الخلفة البالبة ، وتصدنا

هذه الاسطورة ايضا بامور اخرى عن الملكية واصلها فاوول شيء يسنجد منها ان الملكية ليست جزءا أساسيا من نظام الكون وانما هي طارئة شأت من الارمة الى وقع فيها مجتمع الآلهة في حربهم مع الآلهة القديمة فاضطروا على اسحب احدهم (وهو مردوح) ليكون ملكا وبطلا يحارب عنهم . وبالمقابلة مع هذه الفكرة نجد ان الملكية في حضارة وادي النيل كانت منذ الحلقة ، فان الآلهة الذي خلق الكون والاشياء كان أول ملك على الخليفة وأول ملك في وادي النيل وهو الآلهة « رع » الذي خلقه في الملكية اوسيسيريس وهورس وانرعون اس الآلهة الملك .

ومهما يكن الامر فان سير الاحوال السياسية في تطور العراق التاريخي كان سجه الى الانقال من عهد دولاب المدن ذات النظام الديموقراطي البدائي الى عهد الممالك الموحدة والامراطورية فكانت تلك الديموقراطية البدائية نظاما جهضا لم يسر في نمو الطسعى فيطور الى نظام من الحكم التمثلي على عرار الديموقراطية الآتية في اليونان مثلا ، اما الاسباب التي منعه من النمو والتطور فلا نعرف^(١) اسبابها على المسع لسير حضارة وادي الرافدين ، فيمكن تلخيص تلك الاسباب بأمر واحد هو انه لم يكن مستحيا مع الظروف والامكانات التاريخية ومع اتجاهات تطور المجتمع في حينه فمن أوجه تافره مع الامكانات التاريخية انه كان يحول دون التوسع السياسي من دوله المدنية الى دوله أكبر تشمل موطن الحضارة السومرية جمعية ، وهو التوسع الذي كانت تقصده الاحوال التاريخية التي أوجرت لها سابقا (الصفحة ٣٧٦ وما بعد) كما ان الديموقراطية البدائية شكل من الحكم لا يليق انان الارمات التي كثيرا ما كانت تقع فيها دول المدن الحلقة ، لا سيما وان طريقة الحكم بموجب ملك الديموقراطية كانت صوب واسحب المحال ومبدأ الاكثرية والاقلية لم يكن

(١) حول المسح في هذه الديموقراطية البدائية انظر المرجع —

الآتي —

Jacobsen, "Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia" in JNES, vol II, (1943), 159 ff

معروفة مما دعى الى الحاجة الى الحسم فى القرارات بطريق السلطة الفردية، وقد صاحب هذا التحول السياسى اتجاه نظام الحكم الى تمركز السلطات جميعها بيد الملك وحكومته ، وبعبارة أخرى كان التطور السياسى من النظام الديموقراطى الدائى الى النظام الملكى الاوتوقراطى ولكن مع ذلك فان مجالس الشورى الى شأب منذ فجر التاريخ لم تمت بل تحولت من مجالس للشورى تهتم على شؤون الدولة المهمة الى مجالس قضائية وتشريعية ، واستمر وجود هذه المجالس بصفتها الجديدة التى انتقلت اليها الى أحدث العصور التاريخية فى العراق القديم . فالى جانب المحاكم المخلفة الدرجات المؤلفة من القضاة المدسین والقضاة الكهنة كان سطر فى الدعاوى والقضايا المهمة مجلسان عامان فى كل مدسة أحدهما تألف من شيوخ المدينة واعيانها ، وكان هذا يساعد المحاكم فى القرارات المهمة وأشبه ما يكون بهيئات المحلفين . واما المجلس الثانى فيتألف من معظم سكان المدينة الرجال وينظر فى القضايا الهامة كوضع عموية العمل وبمذمها ولعله كان أشبه ما يكون بالمحاكم العليا وقد ورد ذكر هذا المجلس فى كثير من الوثائق القابوية كقرارات المحاكم وحاء ذكره فى قانون حمورابى فى مناسبات كثيرة منها انه كان يتم بمحضره وبموافقه طرد القاصى وتعريمه اذا سب عليه جرم . وذكرت فى رسائل حمورابى الرسمة حالات كان يحصل فيها بعض الدعاوى الى مجلس المدسة للطرف فيها ، وكانت هذه المجالس تحكم بموجب العرف المحلى المسع فى المدن المخلفة وكانت أحكامها مما لاشك مصدرا مهما للشرائع فى العراق القديم .

الملك وحكومته :-

ومن مظاهر اتجاه نظام الحكم الى حصر السلطات جميعها بيد الملك، النظرية الدسة التى فسر فيها العراقيون الاقدمون نظام الملك وأصل الحكم . وبوسمما أن تلخص هذه النظرية «بالحق الالهى» للملوك والحكام ، فموجب هذه الفكرة أن البلاد وجميع ما فيها ملك للآلهة أو للاله الخاص

بالمدينة ، لان مصير الشر وحكم الشر بيد الآلهة . وقد جاء فى الآداب والمآثر الديسة انه « قبل ان تبدأ الملوكية فى الارض كتاب شاراب الملك فى السماء عند الاله «آبو» ولكن الآلهة التى فى السماء لم تحكم البشر مباشرة بنفسها فعوض الملوك والحكام ليووبوا عنها ويمثلوها فى حكم الشر فى هذه الارض . ومما يحذر ذكره يصدد أصل الملوكية ان المآثر العرافية القديمة تنص على ان نظام الملوكية هبط من السماء من عند الطوفان .

فمعنى هذه العبارة معنى آخر عدا الاصل الا نهى لنظام الحكم . ذلك هو ان الذى هبط من السماء ليس الحامل لنظام الحكم أى الملك واسما بنظام الملوكية فقط ، اى ان سلطة الملك ومقوده طارئان بسبب هبطه وحمله لنظام الملوكية ، بعكس المرعون المصرى الذى كان يصبه انها من السماء وسلطه من يصبه بصفه الآلهة . أما الملك البابل والاشورى فكان مشرا ولكنه يحمل وطبيعة الهية او حملا الهيا . ومما يؤيد ذلك ما تنص عليه ما ترهم من انه حين برلت وطبيعة الملوكية وشارات الملك من السماء الى الارض . بحث الاله انليل والآلهة عشائر « عن راع للمشراد لم كان فى الارض ملك فصص الاله انليل ملكا من الشر . وبذلك لم تكن الملوكية من نظام المجمع البشرى فى الاصل بل اضافها الآلهة اله . ويحد فى شرائع العراق القدم ولا سما فى مقدماتها فكرة اسحاب الآلهة للحكام الاربيين واصحة .

كما يحد ان ذلك الاسحاب يكون بصورة سلسلة . فالاله الاعلى سحب اله الدسة ثم سحب هذا ملك المدسة وطلت فكرة الاسحاب هذه أهم مرر للمحى . الى الحكم الى زمن كورش الفارسى الذى برر حكمه لئلا بابل بقوله : « لقد اسعرص الاله مردوخ كل الافطار لبحث عن ملك ، وفق رعيات فله . . . بعد سمي اسمه « كورش » صاحب الشار وحمله ملكا على الكور . » وفى الخصومات بين الدن كتاب الآلهة ، على ما رأنا فى معحث الدبابة « هى التى سارع فيما سها وتفاوض . فمثلا فى « انمنا » التاريخى يحد انليل هو الذى سوى النزاع بين الاله «نجرسو» ،

اله لجش وبين الالهة شاره الهة «اوما» ويحدد الحدود ما بينهما ، ثم قام «مسلم» ملك كش بشبب الحدود ووضع صا هناك بأمر الهه «سران» . كما ان اله المدنه هو المسئول عن الشرور الى تقوم بها حاكم المدبنة كما جاء ذلك بوجه صريح فى بدمر « لوكال زاجرى » لمدبنة « لجش » .

وقد بلغ هؤلاء الوكلاء والبواب مكانة مقدسة واصبح بعضهم ولهم صفات الالهة نفسها . حتى كسب اسمائهم وهى مسوقة بعلامة التالة الى نسق عادة أسماء الالهة . ولكنهم مع ذلك لم يصيروا آلهة حقيقيين كما كان فراعنه مصر . وشهد لبعضهم معابد لعبادتهم بعد مماتهم كما هو الحال فى ملوك سلالة اور الثالثة ، ولكن ملوك العراق القديم بوجه عام لم يعدوا طور القديس والشبه بالالهة أى لم يصيروا آلهة كما حدث فى تاريخ مصر القديم ، حيث صار الفراعة آلهة وابناء الالهة بالمعى الحرفى وكاد بعض ملوك العراق القديم سقلون الى مثل هذه الدرجة فصاروا أبناء الالهة ولكنهم أسماء بالسى وليس أبناء طبيعيين .

فقد سى اله من الالهة ملكا وقد تعنى الهة بعض الملوك فرصعهم وتسميهم اسمائهم . ولذلك فقد كانت وراثة العرش من الامور المهمة المندسه ، فسفى أن يكون الملك الحديد من صلب سسلاله الملوك الحاكمة ، وعندما نعصب رجل العرش يعمد الى شى السبل لجعل حكومته شرعة بأن يدعى مثلا ان الاله او الالهة العلانة قد احبسه واخارته ليكون ملكا ، وهكذا فعل سرحون الاثنى الذى لم يكن من صلب الملوك بل كان من أصل وضع ولكن الالهة عشار أحبه فقلدته حكم البشر ، وقد بعد بعض العاصيين الى الحاق سبهم بالملوك السابقين كما فعل بعض الملوك الآشوريين . ومن مظاهر بطور نظام الحكم واتساعه ما نلده فى بدرج ألقاب الحكام منذ أقدم العصور التاريخية فحين كان العطر محزراً الى دولاب المدن كان اللقب الغالب «حاكم المدبنة المعبنة» واقل منه لقب «الملك» الخاص بمدنة معيه أيضا مثل اللقب الشهير ملك «كيش» . وفى أواخر عصر فجر السلالاب ظهر لقب مهم فى نظام الحكم هو لقب ملك « البلاد » .

والسومرية «لوكال كلاماء الذى كان اول من اسعمله لوكال زاحرى ملك او ما الذى بسط سلطانه على أكثر دول المدن » ويشير لقب « لوكال كلاما » أى ملك ملاد سومر ، الى الوحدة السياسية التى اجراها هذا الملك ، وقد برر لوكال زاحرى ادعاءه بهذا اللقب بان الاله الملل هو الذى منحه اياه^(١) وهذا سرير لاهوتى لاسماع ساطة الحكم فى أواخر عصر فجر السلالا وبعدما تلب سرحون الاكدي على لوكال زاحرى احفظ باللقب الذى اجراه حصمه ولكنه أوجد تعبيرا سياسيا آخر بلقب نفسه «ملك الجهات الاربع» . وهو لقب انتهى كان حاميا لبعض الآلهة اعظام ولا سيما « آنو » و « الملل » و « شمش » رمزا لسلطانهم على كل الكون حيث يعنى الجهات الاربع (باللعنة الاكديه « كراب ارمم » والسومرية آن - اوب - دا - لمو - نا) الكون والعالم المكون من أربع جهات أو روايا . وبهذا اللقب الجديد صار لسلطة الملك مدلول دسى حيث أصبح انكسار الارضى للحلقة كما يدل أيضا على اسماع 'نحكم من دواة صغيرة الى مملكة كبرى ثم امراطوريه . على ان المعب الجديد لا يعنى محبة اة الملك معادته نفسه بالاله بل يعنى احباب الاله وتمويصه نه ليكون ممثلا نه فى حكم الكون . واسعمل الاشوريون لهما ممثالا هو « ملك الكون » (شازكشى)^(٢) . وطهرانم ثالث مهم هو لقب « ملك سومر واكد » ، الذى يرجح فيه كثيرا ان أول من اسعمله فى العراق القديم ملوك سلاله أور الثالثة الذين احفظوا بالانقلاب السياسى الساطة وأصافوا هذا اللقب الجديد محاولين على ما يرجح التوفى بن الساميين (الاكديين) والسومريين . هذا وان السلالا التى اعقب سلاله اور الثالثة لم تصف سثا الى الانقلاب التى ذكرناها . اما الاشوريون فقد رأوا أثر الحصاره السومرية التى اشترت شمالا فيهم ،

(١) انظر النص الحاص بلوكال زاحرى المنشور فى المرجع الاخير
Thureau-Dangin, *Konigsinschriften*, 219

(٢) H. Frankfort, *Kingship and the Gods* (1948) ch 16

ولذلك فلم يحدث الاشوريون تغييرات أساسية فى الالعاب السياسية عند ملوكهم ، ولعل أول لقب للملك واضح فى تاريخ الاشوريين كان فى زمن ملكهم «شمسى - أدد» المعاصر لحمورابى ، واستعمل ايضا لقب «ملك الكون» الذى فلما انه يعادل ملك «الجهات الاربع» ، وطل لقب ملك الكون مستعملا من لدن الملوك الاشوريين الى آخر عهودهم .

وبوسعنا ان نلمس تطور الحكومة وسلطات الملوك الى السلطة المركزية منذ نهاية عصر فجر السلالات ونشوء الدولة الموحدة والامبراطورية فى زمن السلالة الاكدية . فشاهد أنه على الرغم من محاولات بعض دويلات المدن ولا سيما فى أواخر عصر فجر السلالات بسط سلطانها وتوسع ذلك السلطان الى الاقاليم الخارجة لم تكن ذلك التوسع دائما . وكاب الحروب الخارجة أشه ما يكون بغارات النهب والسلب ، ولكن تبدل الحال منذ العهد الاكدي اذ وجه الفتح الخارجى بهتة دائمة وحكمت الاقاليم النابعة من قبل الملك الذى عين حكاما وولاء لملك الاقاليم تابعين له . واسطم أمر ادارة الاقاليم النابعة الى المملكة وكذلك ادارة المملكة الداخلة . واما عهد سلالة أور الثالثة بمركز الادارة المركزية فى رسمها ، وراد الامر اكثر فى عهد امراطورية حمورابى وفى عهد الامراطوريات الآشورية . ومما يعال عن الملوكية والامبراطوريات التى شأب فى العراق القدم انه لما تأتتا عنها اشياء تشير الى تنظيم امور المملكة والامراطورية بنظام مدون . ولكن مما لا شك فيه انه كان عند القوم عرف مستمر طويل العهد حول طريفة الحكم وتنظيم شؤون الملوكية وامر ورأته العرش وعين الولاة والموظفين . ويغلب على الطن وجود انظمة مكتوبة لتنظيم شؤون المملكة وخلافة العرش . واذا كان لم يأتا بعد مادح من هذه الانظمة المدونة ، فنستطيع أن سنسج وجودها على وجه الاحمال فاسا على ما وجد من الوثائق المكتوبة فى «بوغازكوى» فى آسية الصغرى الى دونهما الحثيون بالخط المسمارى واللغة البابلية اذ كان من بين

هذه الوثائق ما يصح ان يعده أقدم دسور مدون لتنظيم الحكم وخلافة
العرش وحقوق الناس وعلاقاتهم وحقوق النبلاء وبيان سلطات الملك
وبحديدها . وبالطرق لتأثير حضارة العراق القديم في هذا الجزء من العالم
واشتغال الحصار الحثي من حضارات العراق القديم فلا يسعد وجود ما
يشبه هذا الدسور أو القانون الاساسي أو أن اصله في حضارات العراق
القديم^(١) .

واجبات الملك :-

ومهما يكن من أمر فقد كان على الملك ، منصبه مفوضا من الآلهة
لتحكم الناس . واحبات كثيرة مسوعة . فكان حامى الناس والبلاد . وهو
الذى يهود الحش وف الحرب وبشر العدل من الناس ويقوم بالمشاريع
العامة من حصر الآفة واقامة المعابد . وكان عليه بحام الآلهة كذلك
واحبات كثيرة . إذ يجب عليه أن يعنى بآفة الشعائر لها ويسى معابدها
ويصم لها الساميل الضحمة وهو وان كان مطلق السلطان إلا أن سلطته
مسمدة من الآلهة فهو مسؤول تجاهها في حكم الشر . وقد حلف لنا كثير
من الملوك ما نرى كناية يؤكدون فيها أنهم شربوا العدل وحافظوا على الحدود
واقاموا الشرائع وحفروا الحداويل والآفة والانهار وصور بعضهم أنفسهم
وهم يحملون سلال الراب والآحر رمز قدامهم ساء المعابد . ولم تألف الملك
البابى . سو ولاسر . في ان يحمل هو واساء الآحر والسلال عد تحديد
ساء صرح بابل النشير . هذا ولم يكن ملك الافوال عد الكثيرين منهم
محرد ادعاء أو تباد وقد خافتا منهم ما روادله شير الى عايتهم النامنة
بأمور المملكة والنشير على مصائح البلاد ووحدتها وعلى كمال حال فلم يسمع
قدسه الملوك أن شور الناس على بعضهم فنقص التوار عروشهم كما
حدث مرارا كثيرة في بلاد بابل وبلاد آشور .

(١) ولعل مما يؤيد هذا الظن ان هذه الوثائق بحوى على كثير
من آداب العراق القديم كفصه حلحاش المرحمة الى الحنة واحبار سرحون
و . برام سس . الاكدين ووثائق العرافة والكهان وغير ذلك .

وكان يساعد الملك فى ادارة شؤون الدولة جمهور كبير من الموظفين كان أمر نظامهم ودرجاتهم وتوزيع الاعمال فيما بينهم قد بلغ درجة رافية، فكان للملك حملة وزراء ورؤس الوزراء يساعدونه فى الادارة الداخلية. ويدبر شؤون السياسة الخارجية رئيس الوزراء . وكان اخطر منصب فى الدولة وزارة المالية ، حيث بعدها تنظيم التجارة والحياه الاقتصادية وجمع الضرائب وحرث العلاب والواردات . ويأتى بعد طبقات الوزراء فسواد الحش ، وقد تطور نظام الحش فيما بعد عهد دويلات المدن (أى عصر فجر السلالات) وصار لدى الملوك جوش قائمة حراره كما سنذكر ذلك فيما بعد . وكان الملك يعين من قبله حكام وولاة الاقاليم . وكان نظام هؤلاء يحلف بحسب العصور التاريخية ، فكانوا فى الازمان القديمة شبه ما يكونون بأمراء الاقطاع ، ربون ماصهم ، ولكن صار الملك يعيهم مد السلالة الاكده . وقوى الحكم المركزى فى زمن سلالة اور الثالثة وسلااه حشوراني وبلغ أوجه فى عهد الآشوريين ابداء من زمن القرن التاسع ق.م . وكان للملك طعة من المواطنين خاصين بلطاه وهم كىرون . شعبة اعمالهم فمن بينهم ناظر القصر أو رئيس الديوان الملكى ورئيس السفاء ورئيس الخازن ورئيس الحصان ومدير الحرم الخ . وكان معظم هؤلاء يرافقون الملك فى حملاته الحربية وأسفاره . وكان للملك سفراء خاصون (ويعرفون باسم «مارشبرى») يرسلهم الملك ليمثلوه لدى الدول الأخرى وهم مربوطون باللائ رأسا . ويصحب السفراء عادة مرجمون (برحماء) وكهه وفضاء .

ومن طبقة المواطنين صنف القضاة ، حيث كان الملك يعين قضاة مدين يدرباب مخلعة . وكان الكهنة ، بالإضافة الى أعمالهم الدينية . يولون يطبق أحكام الشرائع وتفسير خصوصها فى معابد المدينة ، والى جانب هؤلاء كان للبلاد جمهور غير من الكسة والاطباء والمضين والعرافين والكهنة والسماخ والموسيقين والسقاة الخ .

ومما يذكر عن شؤون الملوك واعمالهم الادارية ان لدينا عن ذلك مصادر وفيرة مهمة كالشرائع الى اصدروها والوثائق الرسمية الادارية والكتابات الملكية التاريخية المتنوعة والرسائل الملكية الخاصة باداره المملكة مثل رسائل حمورابى الى ولاته ورسائل الملوك الآخرين من سلالته ورسائل ملوك الامباطورية الاشورية الثانية^(١) . فمسح من رسائل الملوك البابليين نشاط الملك البابلي وملغ درايد ووقوفه على شؤون المملكة الكثرة والصغرى ، فكان سطر حتى على الموظفين غير الكبار في مدن امباطورية البعد . وطر حتى في الشكاوى النافذة ، ونجد حمورابى بالسدات في احدى رسائله بعد دعوى لاعاده النظر فيها لاسبغاء بعض الاصول المسعة في المحاكمات^(٢) كما ان كثيرا من الدعوى كان يت فيها بقرار مسه . وندرس من تلك المصادر ايضا ما كان يخصه الملوك من الجهود الكبيرة في شؤون الارواء وتطهير الانهار وكريها وفي شؤون الشعائر والاحتفالات الدينية . والى واحبات الملك الادارية كان الملك مسؤولا امام الاله عن حسن الصماء بوضعه المعين فيها من قبل الآلهة . وهناك رسائل طريقه اشهر بها الملوك الاشوريون كانوا يعونونها الى الاله اسور عند اشروع بحملاتهم ومشارعتهم الحربية ، فكانت تلك الرسائل بمثابة التقارير الخاصة التي يرفعها ماع الى رئيسه عن سير العمل الموكل به^(٣) . وكان يقع على عاتق الملك تفسير ما يررد الالهة ويمثل زعمه لدى الآلهة بالاصافة الى ادارة المملكة . وكان الوطاس الدينية كانت اول مما كان ينقله الملوك الاشوريون ، على ان

(١) حول هذه الرسائل الملكية راجع المصادر الاصلية المسورة

فيها -

(1) Harper, **Letters and Inscriptions of Hammurabi.**

(2) Pfeiffer, **State Letters of Assyria.**

(3) Harper, **Royal Letters of Assyria.**

L W King, **A History of Babylon, P 160**

(٢) انظر

(٣) انظر مثلا أخبار حملة سرجون الاشوري البامه المشهورة

(Thureau - Danguin, **Une relation de la huitième Campagne de Sargon (1912)**)

الملك كان في جميع الازمان على رأس رجال الدين وهو الذي يعين الكاهن الاعلى ، وكان هذا العيين حدنا مهما بحيث كان يتخذ حاديه يؤرخ بها ، والظاهر ان الآلهة كانت يؤخذ رأيا في أمر ذلك العيين ، فهناك نص طريف جاءنا من الملك انكلداسي « سو يهد » بصف فيه كيف عين ابنه كاهنه علما للاله العمر في اور فسروى لنا ان الاله العمر ارسل علامات نذر بان « سود حسمه السماوى في النوم الثالث عشر من ايلول » وفسرت تلك الظاهره (اى حسوف العمر) بانها امار « على ان الاله العمر يريد « عروسا الهة له » (أى كاهنه علما) « فأطاع الملك ارادة الاله ولكنه أراد أن يؤكد من مسحها فرار معدى الاله « أدد » « وشمش » الحاصين بفسير الفسأل والمعائب والآلهة « وبعدها اخذ يقدم بالاعقاب افراد عائلته فرفضوا جميعا حتى اسمر « احسار الاله على اسه » « وكان ملوك العراق الافدمون ، ولاسما الملوك الاشوريين ، سسخدمون في تفسير اراده الآلهة جماعات كبره من الكهنة والعرافين ، وكانوا يرسلون بعض هؤلاء الى الجهات المخلصه المرشد الحمى والملكى وقد جاءنا عن هؤلاء تقارير فسمه في الرسائل الى كاهنوا يرسلونها الى الملوك من مركز الرصد^(١) . كما ان الآلهة قد سابع اادنها الى الملوك عن طريق الرؤى ، والاحلام والمسال المشهور على ذلك رؤيا حوديه الخاصه بتحديد معبد الاله سحرسو في لحش^(٢) « وعلاوه على راحب معرفة اراده الآلهة وسعيه مطالسها كان الملك مسؤولا أمام الآلهة عن سلوك الشر وأعمالهم كما انه الوسط بينهم وبين الآلهة . وكان يصوم في بعض الاحاسين الكفر عن ديوب انسر « وفي رساله حد الملوك الاشوريين وحب على الملك ان يصوم وبقدم الصلاة الى الآلهة

(١) انظر المرجع رقم ٢ الهامس رقم ١ ص ٣٩٠

(٢) لقد دون جوديه خبر ذلك في نص يعد خبر ما يمثل لنا الادب السومري واللغة السومريه في ذلك العهد انظر تحليلها والمراجع المنصوره منها في

لوفوق خسوف نلصمر فسر مانه بدر شؤم ووصف لنا نص آخر ما نسمى
 للملك أن يفعله في حالة حدوث زلزال فكان عليه أن يقدم الفرائين الى
 ابو وانليل وانا . ويلزم عليه بعد الصلوة ان يحلق ويزيل شعر حسمه ويضع
 انشعر في اثناء خاص يضعه في حدود بلاد الاعداء^(١) . وقد وجد على ملك
 اشوري آخر ان يقوم بطقوس مجهدة صارمة فمن ذلك مثلاً ماؤه معكماً
 في كوخ سعة أمان وفامه في اثناء ذلك يحمله . بواع معقده من الكفارات
 واضطهر^(٢) ، وفي بعض الطقوس الدسه كان من الممكن للملك ان يرسل
 رداه بدلاً من حظوره الشخصي . اما لعادات اليومية في المعابد فكان انكبه
 هم الذين يمثلون الملك في اديانها . ومن الشعائر الطريفة التي تحضن الملوكيه
 عادة تعيين شخص بديل من الملك ليقوم ببعض الشعائر المحظرة ، حين يظهر
 نذر محقة عامه من الآلهة تهدد الناس والمملكة ، ولما كان الملك ودعه
 الآلهة عند الشر فلا يسعى ان يعرض شخصه الى المخاطر بحضور الشعائر
 انخاصه فممن بديل عنه او يؤخذ شيء يعود له كصورته أو حسه أو رداه
 البج^(٣) . وفي حالة القاء احراء العملات السحرية على حش العدو ول
 بدء المعركة كان محظوراً على الملك الاشتراك فيها مثلاً بعرس لاسر
 انسحر . فسوف عنه بديل عنه او شيء خاص به ، وفي بعض الحالات
 المحظرة التي تفسر بالشر ، كظهور خسوف أو خسوف عين كدلك بديل عن الملك ،
 وقد جعل هذا البديل بحكم مائة يوم في بعض الحالات ثم قل من بعدئذ
 ليخلص شخص الملك من اشر وكان البديل يجعل ملكاً مع وجود الملك
 حيث يذهب الى الموضع المخصص لاحراء النطقوس الخاصة بدفع الشر
 ويعامل كما يعامل الملك . ومن طرف آخر هذه العادة ما سبق أن ذكرناه
 في الآلهة على العهد البابلي انهم من ان البديل المعين بدلاً من الملك و سوا

Thureau - Danguin, *Rituels Accadiens*, P 37 (١)

الطبر (٢)

Pfeiffer, *Op. Cit.*, No 270, Harper *Op. Cit.*, No 370

René Labat, *Royaute Bab. et Assyri.*, 309, 352 ff (٣)

العرش فعلا حيث مات الملك في أثناء القيام بعمله المراسيم الخاصة ولعله
أُعمل أو سم من حاسب الدبل^(١) وهناك بعض الباحثين من يفسر ما يسمى
بالصور الملكة في اور في أواخر عصر فجر السلالات بهذه العادة ، أي ان
الصحابا الذين وحدوا مع حلاهم واثانهم هم اشخاص عسوا ابدالا عن الحكام
في ذلك العهد^(٢) . وانحدد بالملاحظة بهذا الصدد ان عادة تعيين بديل عن
الملك لم تكن معروفة في حصاره وادي السل لان وجودها يناقض مسدا
الوهة الملك .

ومن اراحات المهمة التي كان يلزم على الملوك تحصيلها اراء الآلهة
بناء المعابد وتحديد بنائها واعانها وادامها وما يتعلق بذلك من تخصيص
الاناب والاولاد والسمائل الخ . وكان بناء المعابد سم بعد احراء شعائردسه
. مهمه فكان بناء المعابد من أهم واجبات الملوك بل هي أهم مطهر لملافة
الملوك والآلهة . وكانت هذه الاعمال تسرف موارد كسره من واردات
الدولة ومن جهود الملوك ، وكذلك كان الحال في حصاره وادي السل ولكن
مراعاة مفسر نصصهم آلهه لم يكونوا مدفوعين للصام بها ، دافع الخوف أو
الواحب اراء الآلهه بل انهم كانوا يسمون المعابد لهم وللآلهه من تلقاء أنفسهم .
ولنحنا ملوك وادي الرافدس في أمر بناء المعابد الى أصول النسو والقال
نلاسرشاد رعه الآلهه والكفيه التي برعون ان سى فيها « بيوتهم » ،
وبعد الوقوف على رعبه الآلهة نهى موضع المعد ويطف تظطاطقوسيا بانثار
وبالعرم والرفى . وقد شمل العملية مساحات كبيرة غير موضع المعبد
الحاص ، سم بأمر الملك بهشة « اللن » (الآحر) ، وكانوا يسمون كثيرا
باسجراح أول ليه آحره من « القاب » . وبعد ظهورها بهشة جده من
الامازاب الحسه على فعل الآلهه لعمل الملك . وقد جاءنا عن ذلك مشاهد

(١) انظر النص الاصلى حول هذه الحادثة في

L W King, **Chronicles Concerning Early Bab. Kings**, II 12—14

Frankfort, **Op. Cit.**, 400

(٢)

مصوره فى الخزوم الاسطوانية وفى المحونات ، وفى أحد الخزوم من عصر فجر السلالاب شاهد شخصاً وهو يهيس لسة «مسويه - محدبة» بمسطرة يمسكها انه خالس على عرشه^(١) ، وربما يحب بارر ملك لحش « اور - ناشه » وهو يحمل على رأسه سلة نحوى على طين نصع اول آحره للمعد^(٢) . وقد صور أغلب ملوك العراق القديم الى العهد الاشورى المأخر بهمة ضاهى صورده « اور - ناشه » أما على اصنامهم المحونة أو بصور من الروبر^(٣) كآب تدفن فى أسس المعابد « وآاب اللسه الاولى فهو يصعبها الملك نفسه ويحمل طابها فى السله على رأسه . ووصف لنا حوده فى كتابه الاحمال نصع أول لسه للمعد بحرسو وكف انه نصي الملك السامية نفسه اماها فى المعد وهو منظر لكون على اتصال بالهمه ويسلم اوامره^(٤) . ويحد فى مسله « اور - نو » (المعروضة سحها فى المتحف العراقى) شهداً فى طريقا تصور الملك وهو يسلم زمر الهه أسماء معد الاله القمر وزفرورده فى أور ، وفى التحمل الثانى من النحت يسلم الملك من الاله بعض آلاب السماء مثل « انخبط » و « انشاوول » والقدس ويرجح أنهم كانوا يصنعون فى قالب اللين زبادا وعملا ويحرقون الاعشاب دواب الرياح العظيمة بخارذ الارواح الشريرة . ثم نصى عمله وصنع الطين فى اناب من قبل الملك نفسه . ويعرض الله امام الناس ليعلموا على نجاح الشعائر الدينية وعلى أن آلههم راضيه غير عاصيه .

اعمال العرش والتبويج

وهى آله ، على بناء الملوكة فى حصاره وادنى الترافدس تدان أشياء موحده مما عرته عن اسمه اعمال العرش ومراسم التبويج . وأول

Frankfort, Op. Cit.,

(١) انظر الصورة رقم ٤٧ فى

(٢) الشكل ٤٦ فى داب المصدر

(٣) فى المتحف العراقى مجموعة طريقه من هذه الصور (انظر

دليل المتحف العراقى ١٩٤٢) ودليل المتحف البريطانى للآثار المائلس والاشورية .

(٤) Thureau - Dangin, *Konigsinschriften*, P 63, — 11 — 61 — 67

ما نذكر مسألة ولاية العهد ، ولكننا لا نعرف شيئاً مؤكداً عما اذا كان ملوك العراق القدماء يسرون على قاعدته تعيين ولي العهد وشاركه في الحكم في عهد الملك كما كان يحرق في مصر القديمة حيث كان نظام الـ (Coregency) مسماً على انه مما يؤيد احتمال وجود ذلك في العراق القديم ان الملوك الاشوريين من عهد الامبراطورية الثانية كانوا يسعون هذا العرف . وكانت الآلهة تستشار في أمر بعض ولي العهد^(١) ، ولم يكن من الضروري ان يكون ولي العهد أكبر أبناء الملك ، كما ان الاخوة الباقين نحددهم في بعض الحالات لا نضعهم فسمهم بالولاء له من الثورة عليه بعد موت الملك ، ولكن كانت مشكلته وراثته العرش بغير محلولة من الوجهة الرسمية بمجرد بعض ولي العهد . ويروي لنا الملك الاشوري «اسر حدون» قصة تعيينه لولاية العهد في عهد أنه اد يقول : « كنت أصغر أخوي » ولكن ابني الذي ولدي كرمي في مجلس أخوي بأمر الآلهة اشور وشمش ومردوخ وبنو عشتار سوى وعشتار از ملا مصرحاً بقوله : هذا هو خلفي . » لقد سأل الآلهين شمش وادد بطريق النال فاجابا الموافقة : « انه هو الذي سقى ان يكون حليمك » ، وبالأصياح الى هذا الاعلان جميع أهل بلاد اشور ، وكذلك أخوي الذين ولدوا في بيت الابوة ، وحملهم بقسمون على الاعراف اولوسي امام الآلهة اشور وشن وشمش وبنو ومردوخ ، آله بلاد اشور الساكنين في السماء ، الأرض . وفي شهر نيسان ، في يوم صالح منه . وبموح اراده الآلهة السامية دخلت فرحاً الى « بيت ولاية العهد » وهو قصر مهيب حليل للمصائر الملوك^(٢) . وفي هذا القصر كان

Labat, Rayouté, 40—42.

(١)

(٢) بيت ولاية العهد أو بالاشورية (بيت ردوي) حول النص

انظر محله

ZA (Zeitschrift für Assyriologie), X L II (1934), 170 ff

Frankfort, Op. Cit., 245 — 246

ولى العهد بدرب على شؤون الملك ، وكان مهم بدور فعال فى ادارة الدولة والحكومة ، فيمثل الملك فى الاحفالات الرسمية ، ويشرف على اقامة الشعائر ائدسة ويؤد معات رسمة ، وبها بحث يكون لائفا لولى مسؤولياته بعد موت ايه .

وكاتب المراسم الخاصة بالسويج بعد موت الملك تحم وتب باعلاء ولى العهد عرش الملكة ، وهى مراسم مهمة حيث سم فيها سلم الملك الجديد شارات الملك المقدسة من الآلهة . حيث سلمه لها سم اسحاب الآلهة له ملكا كما احازمه لولاية العهد . والعاد ان الملك الجديد كان يسلم شارات الملك فى معد انه المدسة الرئيسى . وقد حسم السومرون الناج والصولجان وجعلوهما بهيئة الهين سموهما « سيد الناج » و « سيد الصولجان » وكما يوسفان على ذكة مدبح العهد . وقد جاء نص مهم كتب لنا حفلة السويج الى حرب فى مددة النوركاء فى معدها الشهر « اى ا » : « امد دحل (الحاكم) الى « اى - ا » واقرب من معصه العرش المقدسة . فاحد الصولجان انسى . امد اقرب من معصه العرش (سدة العرش) ووضع الناج الدهى على رأسه ، امد اقرب من المعصه فدل « سدة الصولجان » اسمه الحفير ودعه باسم الملوكه »^(١) وانرحح ان المقرة الاحيرة على الرعم من احرازه النص معنى ان الملك الجديد عهد بسويجه معنى اسمها غير اسمه الشخصى الاعصادى »^(٢) . واندا نص اشورى فى وصف حفلة السويج التى اديت فى سويج احد الملوك الاشوريين . ولكن لا تذكر مسألة تدل اسم الحاكم الجديد . وملخص الاحمال اما جاء فى ذلك النص^(٣) « بعد الملك الجديد معد الآله اشور فى مدسه اشور^(٤) حيث الشارات الملكة مودعة فى المعد فى معصها الخاصة . وكان الملك يحمل

Frankfort, Op. Cit., 245 - 246

(١) أنظر

(٢) داب المصدر النص ٢٤٦ فما بعد

(٣) وهذا معنى ان موضع الاحفال بالسويج عند الاشوريين كان سم

فى العاصمة القديمة اشور ولبس فى العواصم الاخرى مثل بسوى وكالغ .

على عرش على اكشاف الرحال بموكب حافل ، ويسبق الموكب
 كاهن ضرب بطل و صبح : اشور هو الملك ! اشور هو الملك !^(١) ، وبعد
 أن وصل الموكب الى المعبد بدخله الملك وأول ما فعل انه بقل الارض ويحرق
 السحور ثم صلى منصة عانة في بهانه المعبد حيث يقوم بمال الاله . وهنا
 سجد أيضا ولبس الارض باصه وهدم امام بمال الاله هدايا يحملها
 حصصا لهذه المناسه ، مؤلفه من اياه من ذهب وورب بمين وكمة من الفضة
 وحنة موشاه مطرره ، ثم بها مصدر الفرائين الخاصة بالاله اشور في حين
 ان الكهنة يواون اعداد مناصد الآلهه الاخرى التي بعد مع اشور في
 معده ، وثم تنهى الاسماء الاحمره للابوج ، ولكن مما يؤسف له
 ان البعض في هذا الموضع مشوه ولا يمكن معرفة ما كان جرى بوحه
 التأكيد ولكن يحمل كثيرا أن الملك كان يمسح بالرب الموصوع في اياه
 ذهب . ثم يصف لنا البعض من مد ذلك انهم كانوا يحضرون تاج الاله
 اشور وأسلحه الآلهه ليل (روحه اشور) ويوضع على كراسي عند قدم
 معبه الاله ويحمل الكاهن الاعلى الماح والصولحان وهي على وسائد من الوبر
 والصوف ويحلبهما الى الملك وسوح بهما الملك ويقول مخاطبا اياه :
 « تاج رأسك - عني اشور وليل . سدا تاحك ، صمابه على رأسك طوال
 مائه عام . ان قدملك في « انكور » (وهم اسم معبد الاله اشور) وتديك
 ممدان الى الهك اشور ، عني ان سالا الحصوه والرصاص . وامام الهك
 آشور عني أن تحدد وطيفك الكهوتة ووطيفة أسائك الحضوة .
 وصولحانك المسقيم احمل بلادك واسعة . وعني ان يمسح آشور رصاصه
 وعداله وسلامه » . وبعد أن نهى الكاهن خطابه صلى عظماء المملكة
 ووجهاءها الذين جاؤا مع الملك ، وعندها رجع موكب الابوج الى القصر
 الملكي تجتمع اوائك الوجيهاء امام عرش الملك لهدموا الولاء والطاعة الى
 الملك ، وهدموا له الهدايا ، وكانوا يخلعون شاراتهم وأوسمهم المميزة ويضعونها

(١) وهذا اشارته الى ان الملك الجديد لم يعن بعد من لدن الاله

امام الملك ، وهم دون انفسهم بهيئة غير مظلمة بدون مراعاة فواعد « الروتوكول » المؤلف في البلاط بالسبب الى ماصبهم ومراكرهم والمقصود من ذلك انهم تخلوا عن ماصبهم في الدولة بماسه بموجب الملك الجديد لسحب هو أقطاب حكومه وكبار موطمها ومن سهم وريره الاول انذى يسعمل معهم أيضا . وور ورد في النص الخاص بالنويج الذي لحصاه ان المال (اذا شاء الامراء على وررائه وموطمه) يقول لهم : لسرحع كل واحد نصه ووطمه . فأخذ الوحهاء شارائهم واوسمهم الممر . لردهم ثم يأخذ كل منهم برسه بمصفي اسمعه وممرله بالنسبة الى عرف البلاط .

الجيش :-

كان الجيش من الانظمة المهمة في المجتمع والدولة مد افده عهود التاريخ وبدأ معروفا نظام الجيش مد عصور فجر السلالات حيث كانت دويلات المدن المحلقة تسارع فيما سها على السلطة . ويرجح كثيرا أن الحوش النظامية القائمة لم تبدأ بهيئة منظمة الا في أواخر عصر فجر السلالات مد زمن السلالة الاكديّة ، فان الفوج الحارحة التي قام بها ملوك تلك السلالة قد اسلمت منهم تكوين حوش مدربة قائمه . وكان لطور معرفة العراقيين القدماء المعدن واستعمال المعادن مكررة دخل كثير في نظام الحرب وتلعب الحوش والأسلحة . وور رأيا فيما سبق ان العراقيين القدماء قد عرفوا المعدن في عصور ما قبل السلالات (ولا سيما في عهد العمد) وبدأوا يعرفون صناعة البرونز مد عصر حمده نصر ، فصنعوا من هذين المعدنين آلاتهم وأدواتهم ومن بين ذلك القوس ورؤوس السهام والرماح وازدادت معرفة انقوم بصنع هذين المعدنين منذ عصور فجر السلالات الى حدود المصنف الثاني من الألف الثاني و . . . حيث بدأوا يعرفون الحديد واستعمل الاشوريون الحديد بعد استعمال فصعوا منه أنسخم آلاتهم الحربية . وقد ساعدهم في شر سلطانهم الرهب في جميع أنحاء الشرق القديم . فصنعوا من النحاس البرونز والحديد المحلاب ووسائل

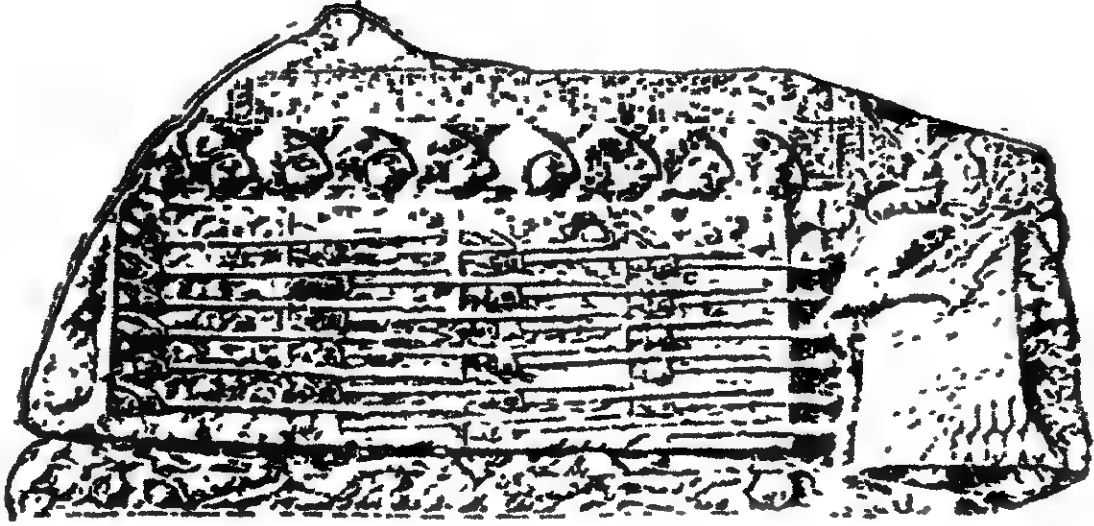
المواسلات الاخرى وادما أدلة سب أن استعمال العربات قد بدأ منذ
عصور ما قبل السلالات ولكن لا نستطيع ان سب في أمر استعمالها للحرب
كما كان الحال منذ عصور فجر السلالات . ولدنا من الأدلة ما يشير الى ان
الحروب المنظمة الواسعة قد بدأت في تاريخ الاسان منذ نشوء الحضارة . في
عصر فجر السلالات وقد سبق ان ذكرنا احتمال أصل الملوك بانهم كانوا
قواد حرب منصرين حاربوا على حكم الشر بسب قدرتهم الحربية .

و قد حلف لنا اوائل الملوك من عصور فجر السلالات قطعاً من المسحوتات
انني بصور نظام الحرب في تلك الازمنة البعيدة فمن بين هذه الآثار المهمة
نصبت سمي ، نصبت انيسور^(١) . وقد افاده في مدسة لجيش احد ملوكها
المسمى ، اناام ، تحلدا لاصحاره انجربى على المدسة المجاورة المعاصرة
« أوما » . ودين لنا هذا النص نظام الجيش السومري واسلحته في عصر
فجر السلالات . فشاهد فيه الملك وور صور على رأس الجيش وهو يقوده
وور درع ، درع خاص ، وفي رأسه بضة ويحمل رمحا وسيفا ومسدرا
مهيما ، وشاهد خلفه الجيش وقد صف صفه نظام « صف (Phalanx) »
كعظيم قسم من الجيش في عهد الاسكندر الكبير والاعريق ، ولبس الجنود
بمصابيح حروشه برحج أن يكون من النحاس ، وقد مسك كل جندي
برمح يديه وحمى نفسه بسجن برحج أنه بمسكه خنود خلف الصف ، السلاح
الرمح . وكان هذا صف الجيش المسلح بالاسلحة الثقيلة الشديدة الرفع
في الهجوم والدفاع وور صور في حمل اسفل المشهد الاول تعظيم آخر
الجيش ، يمدهم الملوك اذالك في عرشه الحربية . وحلله صف من الجيش
مسلح بالاسلحة الخفيفة لمطارده الاعداء . وصور في وجه آخر من
المسلة مشهد يمثل اله مدسه لجيش « سحرسو » وهو في حرب اذالك

(١) ونعرف The Stele of the Vultures وهو الآن في متحف

اللوفر في باريس . انظر المرجع الاصلي الآتي .

E de Sarzec and L. Heuzey, *Découvertes en chaldée* (1884)



صورة من الحت البارز تمل الملك السومري انانام بقود حشيه
الذى يسير حلقه على هيئه نظام الصف .

مع جيش « أوما » وقد أمسك الاعداء فى شبكه المقدسة ، ومن الما ظر
الطريقة فى هذه المسلة ان أحد الاعداء الذين صادهم الاله فى شبكه قد أخرج رأسه
من الشكة محاولا الهرب ولكن مثل فوقه صولحان الاله الضخم (رأس
الدبوس) وهو على وشك السقوط لت هشيم رأسه « وحاءنا من عصر
فجر السلالات كذلك مشهد حرب على قائمة فنية وحدث فى اور من مقبرتها
الملوكة وتعرف « بعلم اور » نشاهد فيه العربات الحربية وكتائن السهام «
ومما يلاحظ فى العربات كما ذكرنا فى موضع آخر ، ان عجلاتها صلبة ،
وطلت كذلك حتى الالف اثنائى حيث شأت العجلات المشبكة السريعة
فى المواصلات والحرب ، وكات العربات سواء كانت تستعمل للمواصلات أو
للحرب تحرها الحمير أو الخول الوحشية « لان استعمال الحيول المدجنة
لم يشع استعمالها كثيرا الا منذ اواخر سلالة بابل الاولى ، فمع وجود عدد
من الخول فى عهد حمورابى الا أن المخل بوجه عام كات شيئا نادرا
فى عهده ، والمعروف ان استعمالها بكثرة اما كان فى العهد الكشى ، حى

انها كانت تصدر الى مصر كما تشير الى ذلك رسائل العمارنة (انظر ترجمة الرسالة الخاصة بالموضوع فى البحث الخاص بمصر فى الجزء الثانى) . وبمناسبة ذكر استعمال الحيل يجدر بنا ان نشير هنا الى نص طريف مدون باللغة الحثية ولكن بالخط المسمارى كتب فى حدود ١٣٦٠ ق م واكشف فى العاصمة الحثية (فى بوعاركوى) وهو عبارة عن مقالة فى تربية الحيل ومنها بعض المصطلحات الهندسية الاوربية . وقد وصفت تلك الرسالة تربية الحيل والعناية بها لمدة سنة أشهر يوما فيوما وساعة فساعة . وتدل هذه المقالة على الرمن الذى اشهر فيه استعمال الخول كثيرا^(١) فى اسسة العربية ولعل اصلها من الاقوام الهندية الاوربية . ومع ذلك فقد اشهر استعمال الخل فى الحرب والمواصلات منذ المتصف الثانى لئالف الثانى ق م^(١) .

ومع جهلنا بأحوال الجيش فى العهد الاكدي ونظام بعشه واسلحته فانه قد طرأ عليه منذ هذا العهد تغيير أساسى من حيث العدد والدوام والتدريب وذلك تماشا مع التبدلات السياسية التى حدثت فى عهد السلالة الاكديّة من توحيد البلاد ونشوء الامراطورية . وقد اخبرنا سرجون فى احدى كتاباته أن حشا خاصا (الحرس الملكى ؟) قوامه (٥٤٠٠٠) رجل كان يتناول الطعام من الملك نفسه . ولعل هذا الجيش جزء من جيشه القائم المكون من صفوفه المحاربين من انواع سرجون . وخلف لنا « نرام سين » الشهير مسلة مشهورة تعرف « نصب النصر » نحتت لخليد احدى انصاراته الحربية على بعض القبائل الجبلية المسماة « لولوبو » وفيها نشاهد بعض الاسلحة الحربية كالرماح الطويلة والقموس والسهام ونشاهد الملك على رأس جيشه قاهرا الاعداء وتم هذه المسلة من أعظم القطع الفنية فى العراق القديم عدا أهميتها التاريخية وقد سبق أن لا حظنا فى كلامنا على العهد

الأكدي الحسيات الى أدخلها الأكديون الى نظام الحرب ولا سيما في أساليب القتال والصلة فقد أدخلوا عنصر الخفة والحركة والمناورة في الهجوم والدفاع مستعملين أسلحة خفيفة كالقوس والسهم والرمح وتركوا القوس الثقيلة والروس الثقيلة كما أوجدوا طريقة المارزة رجلا مع رجل . وجاءنا من العهد الأكدي لوح فيه ذكر اصنع بعض من عدة الحرب مثل الخوذ المصنوعة من الجلد (جلد القر والماعز) وبوع آخر من الخوذ مصنوعة من البرور وجاءنا اشارات صريحة تشير الى نظام الحديد من زمن الامراتورية في عهد سلاله أور الثالثة ، وقد وردت في شريعة حمورابي جملة مواد لتنظيم شؤون الحند ، فمن ذلك صفان من الصباط أحدهما يسمى « ريدوم » والصف الثاني « النايروم » ولا نعرف بوجه التأكيد وطائفيهما الخاصة ولكن يبدو أنهما كانا يظمان شؤون التحنيد . كما وردت في شريعة حمورابي أحكام تنظم الخدمة العسكرية أو كما سميتها الشريعة « خدمة الملك » (الكسو) وتخصص الاراضي لاعالة الداخلين في تلك الخدمة وتنظيم تلك الاراضي من « حوار » معها وزهايا وحوار اعطائها الى الأس على شرط انفسام « خدمة الملك » كما وردت حملة أحكام حول صباط « الريدوم » و « النايروم » ومن ذلك الترام معبد المدينة « دفع المدينة في حالة اسرهما وعدم تمكنها من الدفع » وفي حالة عدم وجود المال في المعد « فيلرم على المدينة ان تقوم » « الدفع » وتشير طواهر الاحوال الى سوء طبقة من المواد العسكريين أو المرساين التابعين الى سلالة بابل الاولى من الطبقة الحاكمة العليا « من طبقة » الاويلم . « وجاءنا اشارات من الزمن البابلي الاخير الى فرص بعض الصرائب الخاصة على السكان لإدامة الحند .

وقد أصبح الجيش والحرب على رأس المؤسسات الاجتماعية عند الاشوريين . وقد سبق ان ذكرنا في البحث الخاص بالاشوريين كيف ان عوامل البيئة ولا سيما البيئة البشرية قد جعلت من الشعب الاشوري جيشا قائما فتاكا . وقد طغت الحياة الحربية على الحضارة الاشورية فكانت

بلاد اشور اشه ما تكون بمروسيا فى المانية . وكان الملوك الاشوريون قواد حرب بالدرحة الاولى اكثر من ان يكونوا رجال دولة فى أمور السلم، وتطفى على احبارهم الرسمية توارىخ الحروب والحملات الحربية الى كانوا يقومون بها فى كل عام . ومن الطريف ذكره بهذا الصدد أن بعض ملوكهم (وهو توكلتى تنورتا الثانى) لم يكن عنده فى احدى السنوات مشاريح حربية ، ولكنه مع ذلك سار بجيشه باستعراض ورحلة من عاصمته الى الشمال ثم الى بلاد بابل . وكانت العادة أن الحملات الحربية يقودها الملوك انفسهم، وقد وضعون فى القيادة القائد الكبير المسمى (تورتان) و « الرابشافة » الوارد ذكرهما فى التوراة . وقد استغل الاشوريون تعدين الحديد فصنعوا منه أسلحة وآلات حربية فاكدة . وكانت من حملة هذه الآلات الحربية آلات الحصار لدك الحصون المنيعة وهى عبارة عن برج من الحديد مصمغ يكمن فيه رماة السهام والمهاجمون وفى مقدمته عمود كبير من الحديد لقض الجدران . وهذه هى الدبابة أو الكبش . وقد خلف لنا الملوك الاشوريون احبار حروبهم مدونة تدونا مفصلا فى سجلاتهم الرسمية ، وفيها كثير من الفصائح والدمير والقسوة . وخلدوا مشاهد حروبهم كذلك منحوتة فى ألواح الحجر الكبير . الكثيرة فى قصورهم ، وهى منحوتة بمختلف مشاهد الحرب ومشاهد فيها حصار الحصون واخذها ، وسلخ جلود الامراء الثائرين وهم أحياء واحراق المدن والبشر أو وضع الثائرين على قضبان الحديد وهم أحياء . وبوجه الاحمال روع الجهار الحربى الرهيب الذى انشأه الاشوريون معظم احياء الشرق القديم . وكانت حروبهم وعزواتهم الحربية لا تنقطع تقريبا فى جميع سى الملوك المشهورين .

المجتمع والحياة الاجتماعية

إذا استشينا الملك وطبقة الكهنة الذين كان لهم مركز ممتاز خاص فإن المجتمع البابلى (ولا سيما فى الزمن البابلى القديم) كان مؤلفا من ثلاث طبقات :

العليا في المجمع . والطقة الوسطى وكانت تتألف من الاحرار الذين كانت حريتهم مقيدة . وتتألف الطقة الثالثة من الارقاء . وقد وردت هذه الطبقات واصحة التقسيم والميراث في شريعة حمورابي فوجد فيها في رأس المجمع البابلي الطقة الاولى التي تسمى عادة بطبقة « الاويلم » و « مار اويلم » ومعنى كلمة « اويلم » الاعتادي « رحل » و « مار اويلم » ابن الرحل . ولكن كان لهاتين الكلمتين معنى آخر اجتماعي يدل ، كما ذكرنا ، على مواطن من الطقة الممتازة . او من مولد رفيع وبوسعا أن يطلق على هذه الطقة اسم « الطقة العليا » ولعل صهوة هذه الطقة حماة المسيحة الذين كان لهم مركز ممتاز في الادارة وفي انقضاء فكدوا بدور في حص القضايا بهشة محلفين أو محكمين . ومن امتيازات مواظين الشراف كما جاءت في شريعته حمورابي « ان العقوبات التي تفرض على الانحراف المرتكة ارادهم أصره من العقوبات في حالة ارتكابها اراد ان ينقذ الاخرى » ولكن كان يقابل هذه الامتيازات عقوبات صارمة على الاحرام التي ترتكها هذه الطقة . وكان من هذه الطقة الحكمة وقواد الجيش وكبار الموظفين ، وفرض احرامها على الطبقات الاخرى . واتقاعدة اسمها ان اسراوح بين الطبقات الثلاث فلل وقوع مد أنه وردت حالات يسروح فيها الفرد من الطقة الاولى بعدة بهشة سرية أو كروحه شرعية او ان « اسم » الطقة انصاره تسروح فرد من عمر منقته حتى حد رو ولا سمع عنه يكون قصره لا يسعها الرواج باحد أفراد طقتها .

ويأتى بين الطقة الممتازة ومنقة انرو الطقة الوسطى وقد ذكرت في شريعة حمورابي وشريعة مملكة « اسونيا » اسم « المشكيو » وهي جمهور الناس ، ولكن افرادها كانوا احرارا أي لم يكونوا أرقاء مملوكين . وقد وردت معاملة خاصة بهم في باب العقوبات في شريعة حمورابي ، فمثلا اذا كان أفراد الطقة الممتازة يعاقبون في حالة احداث الاضرار في أعضاء فرد من الطقة الوسطى يدفع دية أو يعويص . (اي التعويض)

والسن بالسن) كان يطبق لو وقعت هذه الاصرار على فرد من الطبقة الممتازة .

أما طبقة العبيد (أردو أى العبد وأمو = أمة أى العبد) فهم الارقاء المملوكون . وكان نظام الرق موجودا فى المجتمع منذ أقدم العصور . ومن معاملة الارقاء الصارمة ان البابليين لم يظفروا الى العبد كاسان ذى شخصية بشرية بل كانوا يعدونه شئاً من الاشياء أو من مواد الملكية فلذلك لم يذكر فى التسجيلات باسمه أى آية وانما باسم صاحبه كما انه اذا وقع عليه صرر فان العويض يدفع الى مالكه ، وكانوا يسحلون العبيد بهيئة عدد من الاشياء للمقننة أو عدد من الرؤوس (كما يقال اليوم كذا رأس من النغم) وكانوا يميزون من بقية أفراد المجتمع بقص شعر رؤوسهم وسخ احسامهم وعاقبت شريعة حمورابى من يريل العلامة الموسوم بها العبد ، كما ان العبيد كانوا يحملون فى رقابهم لوحاً صغيراً من الطين معلق بحيط فيه اسم مالكهم ، وقد خصصت شريعة حمورابى نحو ست مواد فى أحكام الآبقين والعقوبات التى تقع على من يؤهم وكان مهم صف يلحق باملاك القصر لخدمة انبلاط والطبقة الحاكمة فيكون مل هؤلاء دوى مركز احسن من الارقاء الآخرين ، ومن أصناف العبد صف الملحقين بخدمة المعابد الذين كان معظمهم من اسرى الحرب والذين يذرهم الملك بعد انتصاره فى حملاته الحربية .

وكان المجتمع يحصل على صف العبد من مصدرين أحدهما من داخل البلاد والثانى من خارجها . أما المصدر الداخلى فممنشوءه أفراد من الطبقة الوسطى يؤول مصيرهم الى الاسرفاق فى حالات منها عجزهم عن ايفاء الديون فيحجز الدائن عليهم ويستترهم أو أنهم يبيعون اماءهم أو زوجانهم لمدة معينة يكونون فيها فى خدمة الدائن . وإذا أنكر الولد المبسب أباه الذى ساء فانه يباع عبداً ، ويجور للروح ان يسرق روحه اذا انكرته . ومهما كان الحال فان هذا المصدر كان ضئيلاً ! لا فيس بالمصدر الثانى أى المصدر

كثيره كالاسر والشراء والنهب الخ نة. كانت هناك حاجة عظمى الى العبيد للانتاج بحيث يصح القول ان العبيد كانوا من اهم مصادر ثروة الامبراطورية الاشورية والبابلية ولعل أحسن ما يمثل لنا مصدر العبيد الخارجى المحتوتات الاشورية الكثيرة فى قصور الملوك الاشوريين حيث شاهد فى الكثير منها الصفوف الطويلة الغفيرة من الاسرى حيث يسوقهم الجيش الطاهر وهم موقون ووراءهم نساؤهم وأطفالهم = كما نجد اخار ذلك مدونة فى حوليات الملوك =

العائلة :-

كانت العائلة أساس المجتمع والدولة وأشبه ما تكون بالدولة نفسها فكما كان يحكم الملك البابلي فى مملكته كأب فى عائلته كذلك كان مركز الرجل فى أسرته = وكانت حقوقه وواجباته تجاه عائلته أشبه ما تكون بحقوق الملك تجاه رعيته وواجباته إزاءها = وبلى الرجل المرأة فى سيادة متها ولكن كانت السلطة العليا للاب وسلطته على روحه وأولاده غير محدودة تقريبا . وكانت أكثره السنين من الأمور المرعوب فيها فى انشرق انقدم ، كما هو الحال فى الرمان الحاصر ، وكانوا كما هو الآر بذلك يوصلون الأولاد الذكور = ومن المعتاد انه بعد أن يولد الولد يقر الوالد بابوته له باعترافه به ، ويأخذ المولود الحديد مكانه فى المجتمع والدولة مد الايام الاولى حيث يحتمل أنه كان سحبل فى السجلات = والعائلة التى لا سحب أولادا كانت معمد الى طريقة السى اى اتحاد واد او سب من عائلة أخرى = ويكون الولد المتسمى فى هذه العائلة كالولد الطبيعى من حيث الحقوق القاوية وكان المتسمى سب معمد ، وادا أنكر الولد المتسمى عائلته فيحق لمتنيه أن يسترقه ويبيعه = وقد سطمت الشرائع أحوال الاسرة من زواج وطلاق وارث وتنس واسبست فى ذلك كما تؤيد ذلك شريعة حمورابى = ولعل أبرز ما نقف عليه من دراستنا للشرائع القديمة تحديد علاقات افراد الاسرة بعضهم بعض كالروح مع الزوجة من حيث الطلاق والاموال العائلة لكل منهما وعلاقة الاباء بالاب

من ناحية الاحترام والارث . وكانت حقوق الارث محفوظة ولا يستطيع الاب حرمان أحد أولاده من الارث الا اذا أثبت أمام القاضي انه اساء معاملته كأن اعدى عليه او صر به الخ .^(١) وعندما يتجاوز الاولاد سن الطفولة يبدأ اعدادهم للحياة . فكان الفقراء منهم يلتجأون الى العمل منذ الصغر ، ويرسل المتكئون ابناءهم الى المدارس الخاصة أو الى المدرسين الخصوصيين في المعابد وغير ذلك لعلم القراءة والكتابة والحساب ومنهم من يستمر في التحصيل فيكون كتابا مضملا اما في الرماضيات أو الفلك أو في أمور القضاء ، فيكون كتابا في اللط أو قاضيا . ومن الجدير ذكره انه كان يوجد مؤسسات للحرف والصناعات المخلقة يلتحق بها الاولاد لعلم الصانع المخلقة^(٢) .

اما الرواج فكان أساسه عد البابليين يقوم على مبدأ الزوجة الواحدة أي عدم تعدد الزوجات وذلك في أغلب عهود التأريخ المعروفة ومن الوجهة النظرية على الأقل ، كما يستدل من شريعة حمورابي . فالقانون والعرف كان يسمح للرجل أن يتخذ سراي (جمع سرية) كما ان الاماء التي يملكها الرجل كن سراي له حكم ملك اليمين ، وله أن يتزوج زوجة أخرى عندما تصاب بروحته مريض خاص يعذر معه القيام بالحياة الزوجية أو كانت عاقرا . وتوحد امارات تشير الى جواز تعدد الزوجات في حالات خاصة في الازمان العديسة التي سقت العهد البابلي القديم وكذلك في الازمان المتأخرة كالعصر البابلي الحديث .

وكان من مظاهر نمسك البابليين بالاصول القانونية صحة الرواج وشرعيه عدهم ، فقد كانوا لا يعدون الزواج شرعيا ما لم يشت بمقد مدون

(١) حصصت شريعة حمورابي ٨٧ مادة من موادها البالغه ٢٨٢ الى الاحوال السخسه اي للعواين التي تنظم الاسرة (انظر شريعه حمورابي المواد ١٣٧ - ١٩٣)

(٢) لقد عر بعض الباحثين حدينا على لوح مكتوب باللغة السومريه نصف وصفا ممنعا حياة تلميذ في المدرسه لتحصيل المعارف المخلقه ليكون كتابا محترفا (انظر مجله

ومصدق بالشهود وكذلك الامر فى الطلاق = وتبدأ مراسيم الزواج كما هى الآن فى مجتمعات الشرق الحديث بالخطبة وتقديم الخطيب هدايا للمخطوبة، وكانت الخطبة جزءا مهما من الزواج ، وفى حالة موت الخطيب فى أثناء الخطبة كان يحق لاحد اقربائه أن يكمل المراسيم الاخرى ويروج بها واذا رفض ابو الست فعليه ان يعيد الى عائلة الخطيب الهدايا التى سلمها . كما انه فى حالة موت المخطوبة كان بإمكان الخطيب التزوج من احدى اخواتها فاذا لم يتم ذلك استطاع اسرجاع هدايا الخطبة = وبعد اتمام مراسيم الخطبة بدور عقد بشروط الرواح المفق عليها ويعقب ذلك وليمة من قبل الروح = وكان الرواج الشرعى يتم بالاضافة الى العقد بتعيين ثلاثة أنواع من المبالغ احدها سموه «ترحات» يدفعه الروح الى أسرة الروحة وهذا هو المهر وهو ملك خاص بالروحة ويرثه أبواؤها . والثانى مبلغ من المال يهديه عائلة الروحة وسموه «شيريقيو» وقد حرت العادة أن يكون هذا المبلغ وديعة عند الرجل لروحه يحوز ان تصرف فيه ولكنه ملك لروحة ويرثه أبواؤها أو أهلها ان لم يكن لها اولاد ويرجع الى اروحة فى حالة الطلاق = والمبلغ الثالث مال كان بمثابة هدية من الروح الى زوجها ويدعى (الهبة أو العطية من المصطلح النابى « بوديو ») ومما يقال بوجه الاحمال فى علاقة الرجل بالمرأة أن ائيد العليا فى الطلاق كانت للرجل = فوسعه الطلاق شرط أن يدفع لروحه مئلا من المال واذا رفضت المرأة روحها بدور عذر مشروع فان ذلك من الحرائم الكبيرة التى عاقب عليها القانون بالموت فى بعض الحالات (١) =

ومن الامور التى تلاحظ فى الرواج والعائلة أن الرواج لا يتم الا برضا الابوين وعندما يتم الاتفاق بين عائلى الخطيب والمخطوبة يرسل الخطيب الى ابى روحته هدية هى مقدمه الرواج ثم المهر ، وليس للمهر حد معين ، واسما نستطيع أن نحدد تلك المبالغ من زمن سلالة بابل الاولى حيث كانت

(١) أطر انواع العلية من شريعة حمورابى المعلقة بعلاقه الزوج بالزوجه =

الأحشاب ، والحياكة والنسيج وقد سبق أن ذكرنا . بحث الكيمياء بعض الصناعات الكيماوية كالترجيح وسك المصايد ومطلائها وصنع الدهان والاصباغ ، النسيج والمقايير والمساحيق والعنود والجعة والمشروبات الروحية المحمرة وصنع الادوات اليبية . ومع ذلك فلا ينبغي لنا ان نقيس هذه الصناعات بمقياس الصناعات الآلية الحديثة ولكنها تحولنا أن هذا العراق القديم بالنسبة الى الحضارات القديمة مركزا صناعيا ومركزا زراعيا أيضا . ولكن الازدهار الاقتصادي كان يعتمد على التجارة الخارجية .

وبعد هذه المقدمة ، نلمح بعض الشيء عن هذه الأركان الثلاثة التي قامت عليها حضارات وادي الرافدين وهي الزراعة والتجارة والصناعة . واد كما قد نظرنا الى بعض الصناعات القديمة هنا وفيما مر بنا من المباحث السابقة فسكون نحنا مقصورا على الزراعة والتجارة .

الزراعة :

لعل أول شيء يبرز في تأريخ الزراعة في العراق هو طعان شهرة هذه البلاد الزراعية على غيرها مما امتازت به الحضارات التي قامت فيها وطلت هذه الشهرة التأريخية حتى الأرومان الأحرار من تأريخ الحضارة . وقد ساء كثير من أدب الأعرابي والرومان ، إلا ما ساء ، النهرين بانها « الدرادو » أي بلاد الذهب والحرير في الزراعة . وبما هم في المحصول الزراعي الناتج ، حتى ان هيرودوتس المؤرخ اليوناني المشهور « قد وده » بمائة أومانتي مرة . وهذا يذكرنا بسمية المؤرخين العرب لأرض العراق السواد أكثره زرعها وحصرتها . ولكن الشيء المهم الذي ينبغي السيه عليه هو ان هذه الشهرة لم تكن لحصل ، إلا بجهود الإنسان وعمله ، ولا سيما في طرق الري والسهر على تنظيم شؤون الزراعة .

والشيء الثاني الذي يمكن قوله عن تأريخ الزراعة في العراق هو امكان تقسيم العراق بالنسبة الى زراعتيه الى قسمين عظيمين : القسم الاول وقد عرف في تاريخ العراق باسم ملا « سومر واكد » وكان هذا يمتد من شمالي بغداد

زوجته رقابيد الدائن وكانت هذه عادة قديمة وقد حددها قانون حمورابى
تحيديدا كبيرا .

وإذا لم يسج الروحاح اولادا فكانت باستطاعة الزوج ان يختار احدا
أثنين اما أن يأخذ روجه أخرى تكون منزلها دون الروحة الاولى او أنه
يطلق روجه الاولى مد دفع مبلغ من المال ، وكثيرا ما نعين مثل هذه الاحوال
بشروط خاصة يدرجها الروحاحان فى عقد الزواج . وقد تصمد الروحة لحل
المشككة فان تقدم لروحها سرية من امائها لسحب له اطفالا ، ومتى ما ولدت
هذه السرية فانها تصبح حرة وإذا اصابته المرأة عاهة أو مرض يعيقها عن
اداء واجبات الروححيه فلا يحق لروحها ملقها . ولكنه يستطيع أن يتزوج
زوجه أخرى ويكون من حق الاولى ان تطلب فى بيت الرحيل وإذا
أرادت الرجوع الى بيت ابيها فانها تسرحع المال الذى حله من عائلتها .

وقد عاقبت الشريعة على الرما عقوبات صارمة . فكانت الروحة الراهية
التي يقض عليها ملسة بالحرم ترمى فى الماء ما لم يعف عنها
زوجها فيستحييها وعد ذلك كان الملك يعفو عن الرابى . وإذا لم يقض عليها
ملسة بالحرم فستطع الرهمه على براءتها وتسم ويوجد حالة يلزم على
الروحة المهمة ان ترمى نفسها فى النهر فإذا عرفت فشت حريمها وإذا
سلمت فانها برثة .

وورد حصص شرعية حمورابى جملة مواد لطفه من النساء كن يلحقن
بالمعد بهيئة كاهنات . لا يعرف وطائف بمصنن نوحه الوسوح وقد اشار
هيرودوتس الى أن بعض النساء كن يخصصن بنايا ويلحقن بالمعد بعض
الشعائر الدينية الخاصة بالآلهه عشتار ، ومما يقال عن البغاء انه كان معروفا
فى بلاد بابل وفى بلاد آشور كما تشير الى ذلك القوانن البابلية والآشورية
والمصادر الاخرى التى يستشف منها أن نوعا من البغاء المقدس كان تابعا
الى المصابد .

ويستدل من القوانين الآشورية ان الآشوريين كانوا يمارسون

التحجب عن النساء . ولكن لا يعلم بوجه التأكيد ما المقصود من الحجاب الوارد في القوانين الآشورية ؟ هل كان لستر الرأس وحده اى لبس ما يشبه العباءة ؟ المرجح أنهم مارسوا نوعا من حجاب الرأس فقط . ومن الطريف ذكره فى هذا الباب ان القوانين الآشورية حرمت الحجاب على البغايا حيث كان ارتكاب ذلك من الجرائم الكبرى التى تستحق العقاب الشديد . اما أمر الحجاب بالنسبة الى بلاد بابل فلا يعرف بالضبط لانه لا توجد اشارة الى الموضوع فى القوانين البابلية أو فى الوثائق القانونية الاخرى . ولعل البابليين مارسوا كذلك نوعا من حجاب الرأس كما فعل الآشوريون والى ذلك اشارت التوراة فى موضوع واحد (اشعيا ٤٧ : ١ - ٣) . (١) .

ولما ذكرنا سذكر بعض الامور الاخرى الاساسية عن المجتمع فى كلامنا على الحاد الافصادة فكتفى بما ذكرناه فى هذا الباب ، كما ان ما ذكرناه فى المواضيع المخلفة السابقة وفى كلامنا على عهد العراق القديم فه نواح مهمة عن محسمات العراق القديم . ففى علنا ان سوه باليوت التى كان يعيش فيها الناس (وقد تطرقنا الى وصف بعضها) ، ومما يقال بوجه الاجمال فى هذا الصدد ان هناك شها كبيرا بين اليوت المسعملة فى العراق وفى الشرق الادبى الى عهد قرب وبين اليوت فى العراق القديم ، كما ان اطراد المناخ وعدم وجود تغيرات اساسية ونقلات عنفة قد جعلت بيوت السكى ثابتة تقريبا فى أشكالها وتصاميمها فى أثناء العصور المختلفة ، ولكن الملاحظ أن سكان العراق الافدمين قد وفقوا كثيرا فى حمل بيوت سكاهم تلائم الاحوال الماخة من حيث تصاممها ومواد بنائها (اللبن والآجر) ، واول ما نلاحظه فى اليوت النمودجية ساحة (حوش) مركزية مكشوفة محاطة بعدد من الحجرات ضوها وهواؤها بالدرجة الاولى من هذه الساحة ، وكانوا يضمون أنابيب فخار متقوبة للتهوية (على هيئة ما يعرف بالبادكير) ، والسقيف عادة بحذوع الخل او باعمدة الخشب . والغالب فى اليوت انها ذات طابق

(١) انظر بحث ذلك فى :-

واحد ، ولكن البيوت ذوات الطابقين كانت معروفة أيضا بل أكثر من طابق واحد ، وكانت حدران البيوت بطلى عادة من الخارج والداخل . هذا وقد جاءنا من السقييات المختلفة نماذج مسوعة كثيرة من الآلات المرلة كالأواشي الفخارية والمعدية والسرحة للصاغة بالزيت وكذلك بالقط الخام الذي سموه باسم « بقط الحجر » (واسم البقط معروف بهذا اللفظ في اللغة البابلية) كما استعملوا المشاعل ولا سيما حملها من قبل الحوود ومواقد النار . وذكرنا المصادر المسماة بأنواع كثيرة من الأسر، والكراشي والانسنة المسوعة من محلف المواد كالصوف والقطن (والقطن من العهود الاثورية الماضية) والكنار وانقب . وبالإضافة الى المصادر المكونة عن الآلات السة الأخرى فان السقييات قد رويها نماذج عن أدوات الرمة كالمراما وأدوات رية النساء (أنظر بعض هذه الأدوات المسوعة من الذهب في المحصف العراقي المملوء أيضا بأنواع الحلى المختلفة) .

الفصل الثامن عشر

الحياة الاقتصادية

مقدمه في خصائص الحضارات القديمة من الناحية الاقتصادية :

لقد نوها مرارا في الكلام على نشوء اولى الحضارات في العراق وسير الحضارات فيه بجهود المستوطنين الاوائل في تغلهم على البيئة الطبيعية في القسم الحوى من العراق وكيف ان الزراعة في هذا القسم تعتمد على الارواء الصناعى بالسيطرة على الانهار واقامة السدود وتحفيف الاهوار وقد سبق لنا ان حملنا هذه المشاكل الى حانته العراقيين الاقدمين في بيئهم الطبيعية الصعبة العنة العامل المهم في ظهور الحضارة الناصحة في القسم الحوى من العراق . وقد صاحب نمو هذه الحضارة نشوء الصناعات الاولى ونشوء الحارة الحارحة الواسعة لحلب المواد الحام التى اعتمدت عليها تلك الحضارة كالمعادن والاحشاب والاحجار مما لا وجود له في القسم الحوى من العراق . فصارت حضارة العراق القدم تقوم على الالة اركان أساسية وهى « الزراعة والصناعة والحارة » . وطل هذا الطابع يميز جميع الحضارات التى قامت في وادى الرافدين .

ونحن لو اردنا معرفة الاسباب التى جعلت الحضارات الغابرة تتصف بكونها حضارات « زراعه ، صناعة ، تجارية » لما احصنا الى جهد كبير في البحث عنها . فالواقع انه مر بنا بعض هذه الاسباب فيما درسناه من تاريخ العراق . ولو اننا كنا مكان العراقيين القدماء لفضلنا البيئة التى عاشوا فيها وعيش فيها كما فعلوا مع الفارق طعما في تقدم الاساليب الفنية الحديثة وكون العراقيين الاقدمين قد اوجدوا اول حضارة في تاريخ البشر في أرض بكر وحشة لم يسمينوا بسابق بسيررون على خطاهم . فهذه التربة

لا تزال كما كانت عليه منذ أن قامت فيها الحضارات منذ فجر التاريخ بل
 انها زادت في الامكانيات الطبيعية من حيث اتساع رقعة الارض (أنظر
 البحث الخاص بـرى العراق) ومن حيث كثرة المياه . فاول شيء كما
 نهتدى اليه . كما أدركه المستوطنون الاوائل قبلنا ، هو ان البيئة التي يعيش
 فيها تمتاز بخصبها المتناهي ، ولكن يقابل هذا الخصب الذي منحته
 الطبيعة شح في الامطار في أكثر من نصف الاراضي القابلة للزراعة تقريبا .
 بد أن الانهار العظمى عوضت عن ذلك ولكن هذه الانهار تحتاج الى
 السيطرة والسظيم ولذلك فان اولى الحضارات التي قامت في هذه البلاد اما
 قامت على أساس الري فكانت اراضي ما بين النهرين ، ولا سيما المنطقة
 الوسطى والسفلى ، شبكة من أنهار الري . ونظر القوم فوجدوا ان الارض
 التي يعيشون فيها يقصها معظم المواد الاساسية في ماء الحضارة الراقية
 فالتجأوا ، كما ذكرنا ، الى جلب هذه المواد الضرورية من الخارج من الاقطار
 المجاورة بالسجارة الخارجية وكانت هذه السحارة في مبدأ أمرها ضيقة
 مقصورة على سد الحاجات الضرورية وعلى السادل في المسوحات الزراعية
 مع الاقطار التي تكثر فيها المواد الخام . وقد رأين فيما سبق كيف ظهرت
 الصناعات الابتدائية منذ عصور ما قبل التاريخ واتسعت وتعددت الصناعات
 في أثناء نمو الحضارة ومن ذلك صناعة الاواني الفخارية . والعدين الذي
 عرفه العراقيون الاقدمون منذ عصور ما قبل التاريخ كعدين النحاس وصنع
 الادوات والالات المختلفة مه وقد سبق أن ذكرنا ان السومريين الاوائل
 اتصلوا لجلب النحاس بأقطار نائية ومن ذلك بلاد العرب . وصنعوا
 البرور . وبدأ استعمال الحديد منذ الالف الثاني ق . م واتسع صناعته
 منذ أواخر الالف الثاني ق . م . وقد رأينا في بحثنا
 عن الاشوريين كيف أنهم استعملوا الحديد فصنعوا منه
 الاسلحة الثقيلة كالعربات والدبابات والاسلحة المماكة . ويذكر كذلك
 الصناعات المختلفة في المعادن النفيسة كالصياغة وكذلك الفنون الجميلة
 في الاحجار المختلفة وصناعة الاختام الاسطوانية والصناعات المختلفة في

الاحشاب ، والحياكة والنسيج وقد سبق أن ذكرنا . بحث الكيمياء بعض الصناعات الكيماوية كالرجيح وسك المصايد وطلائها وصنع الدهان والاصباغ . الخبثون والعقاقير والمساحيق والمغشور والجعة والمشروبات الروحية المحمرة وصنع الادوات اليبية . ومع ذلك فلا ينبغي لنا ان نقيس هذه الصناعات بمقياس الصناعات الآلية الحديثة ولكنها تحولنا أن مدالعراق القديم بالنسبة الى الحضارات القديمة مركزا صناعيا ومركزا زراعيا أيضا . ولكن الازدهار الاقتصادي كان يعتمد على التجارة الخارجية .

وبعد هذه المقدمة ، ألم بعض الشيء عن هذه الاركان الثلاثة التي قامت عليها حضارات وادي الرافدين وهي الزراعة والحجارة والصناعة . واد كما قد نظرنا الى بعض الصناعات القديمة هنا وفيما مررنا من المباحث السابقة فسكوا . نحنا مقصورا على الزراعة والحجارة .

الزراعة :

لعل أول شيء يبرز في تأريخ الزراعة في العراق هو طبعان شهرة هذه البلاد الزراعية على غيرها مما امتازت به الحضارات التي قامت فيها وطلت هذه الشهرة الأثرية حتى الارمان الآخرة من تأريخ الحضارة . فقد شهد كثير من كبار الاعراب والرومان بلاد ما بين النهرين بأنها « الدرادو » اي بلاد الذهب والحرير في الزراعة . ونام « مصهم في المحصول الزراعي الناتج ، حتى ان هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير ، قد وده بمائة أومائتي مرة . وهذا يذكرنا بسمية المؤرخين العرب لأرض العراق السوداء لكثرة روعها وحصرتها . ولكن الشيء المهم الذي ينبغي السيه عليه هو ان هذه الشهرة لم تكن لحصل الا بجهود الاسان وعمله ، ولا سيما في طرق الري والسيطرة على تنظيم شؤون الزراعة .

والشيء الثاني الذي يمكن قوله عن تأريخ الزراعة في العراق هو ان كان تقسيم العراق بالنسبة الى رراعتة الى قسمين عظيمين : القسم الاول وقد عرف في تاريخ العراق باسم بلاد « سومر واکد » وكان هذا يمد من شمالي بغداد

لررعها واسعلاها ، ولكنها لا يمكن بيعها ولا رهاها ولا نقلها الى مآلة. آخر
الا الى وريث شرط أن الورث يقوم بالواجبات المتعلقة بالعانة بملك الارض
واسعلاها . وقد راعى الشرائع القديمة المحافظة على الملكة الفردية بالنسبة
الى العائلة الى سلكها حتى أنها وضعت ما شئسه حق الشفعة بالنسبة الى
الوارثين .

ومن الملكات الاحماعة ان بعض المدن في العهد الكشي كانت تسلك
أراضي مشاعه فيما بينها . وشاع في هذا العهد أيضا مسندات خاصه لتشير
ملكه الاراضي وتحدددها ، وهو ما سميء باحجار الحدود (الكدروماللسان
البالي) . وكانت هذه عباره عن أحجار مهمامة كبيرة نقش في أعلاها بعض
الرموز والصور الدسه ونقش بصومس كتابه بين اسم المالك والارض
المملو له وحدودها . ويرجح أن مثل هذه الاحجار كانت تودع في المعابد
لسجل الملكة والمحافظة عليها . وكانت الاراضي العامرة التي لم يشعلها أحد
ملك أول من شعلها وسعلاها . ومن الملكية الخاصة بالاراضي السابن التي
ذكرناها وأراضي المراعي ، وسطيع المرء أن ينف على شؤون الاراضي
وسطلسها وملكسها واسعارها من درس شرعة حمورابي ودرس الوثائق
الجارية .

الخلاصة : -

يذكر ما أن بعض مناجا موحرا عن التحيل الى اشهر العراق
برراعها واحص بها مد أعد عصور ما قبل التاريخ . والى أهمه البحث
في المحل داما سسعد مما سذكروه عنها أنشاء مهمه عن اعناء القوم شؤون
الزرع والفلح .

ومن المحتمل أن يكون موطن المحل الاصل في الحر - الجنوبي
الشرفي من الحريرة العربية أو انها من أفريقيا أو
الهند . أما في العراق فتشير الادلة الآثارية الى ان زراعة
الخل قد بدأت في القسم الجنوبي من العراق منذ بدايه اسيطان الاسد

الكثير عن الزراعة في شرائع العراق القديم كما مر بكم سابقا ، فنجد حمورابي وقد خصص جملة مواد من شريعته لتنظيم شؤون الزراعة والرى وفيها معلومات مفيدة عن كيفية فلاح الارض والآلات المستخدمة في ذلك وعن حقوق الزراع واجور الفلاحين وقسمة الحاصل بين صاحب الارض والفلاح الى غير ذلك من الشؤون الزراعية . ونجد كثيرا من ذلك في الشريعة التي عثرت عليها مديرية الآثار العراقية حديثا في تل حرميل . وهناك كثير من الاشياء الطريفة عن الزراعة والفلاحة في الاساطير الدينية وفي القصص الادبية ، وكان يحلو لكثير من ملوكهم انهم يذكرون في ألقابهم ادعائهم الاهتمام بشؤون الزراعة . فوجد « سوخذ نصر » مثلا باني الجنائن المعلقة في بابل ، يفاخر في تلقيب نفسه « بروى الحمول وفلاح بابل » . ومما يشير الى أهمية الزراعة عندهم انهم حصصوا جملة من الآلهة التي عدوها لشؤون الفلاحة والزراعة . ويرى الباحثون في الاديان القديمة ان عبادة آلهة الزراعة والخصب هي أقدم أنواع العادة في تاريخ الانسان . وعثر حديثا على بعض الألواح في نمر ثبت أنها تأليف في الزراعة على هيئة ارشادات للزراع منذ بذر الحبوب حتى عهد حسها .

وحدث حديثا بعض الآثار المهمة وهي تصور لنا المحراث العراقي القديم وهو يكاد لا يختلف عن المحراث الذي يستعمله فلاحو العراق الحديث الا أن المحراث البابلي كان أحسن من المحراث الحديث البدائي ، اذ كان من حملة احراؤه آلة أو أبوب على هيئة القمع لبذر البذور منه في أثناء الحرث^(١) في آن واحد . وكان المحراث في عصور ما قبل التاريخ آلة ساذجة وجدت له نماذج في بعض القرى القديمة في العراق من العصور التي سميناهم بعصور ما قبل السلالات وهو عبارة عن قطعة من الحجر لملهم كانوا يشتونها

(١) لقد جاء بعض هذه المحارث وهي مصورة في الاخام الاسطوانية

(1) H. Frankfort, *Cylinder Seals* (1939)

(انظر)

(2) Ward, *Cylinder Seals* (1910), Nos. 69, 108.

انظر كذلك دليل المتحف البريطاني الطبعة الثانية الص ٢٢١

بمقبض من الخشب ، وكانت هذه تكفي - ر - لعدة صغيرة من الأرض يوم كانت الزراعة محدودة لا تشمل رقعا واسعة من الأرض . ومن آلات الزرع التي جاءت نماذج منها من المواقع القديمة في العراق أنواع المناجل المختلفة التي لا تختلف في هيئتها عن شكل المنجل الحديث وقد جاءت ثلاثة أنواع منه : منجل من الصوان صنع من قطع عديدة من الصوان المحدد وجمعت كلها ونسب بالقيصر مع مقبض من الخشب ، ومنجل مصنوع من الفخار (الاسيما من عهد العبد) ، ومناجل مصنوعة من المعادن المختلفة مثل النحاس والبرونز ، وقد كثرت هذه في العصور التاريخية عندما كثر استعمال المعادن واتقن من التعدين في العراق القديم . وإلى هذه الآلات فلدينا مجاميع كثيرة من المؤوس المختلفة التي لا شك في ان بعضها كان يستعمل في شؤون الزراعة في الحقول وفي الساتين . ومن الطرف ذكره ان بعض آلات الحفر جاء ذكرها في المصادر السومرية باللفظ والمعنى المستعملة فيها الآن في العراق مثل « المر » و « المسحاة » و « المنجل » ويوجد الكثير من المصطلحات الزراعية التي حازنا عن البابليين فما نعلق بالسجيل مثل أسماء البحر وطريق الصبح الصاعى (وضع الملح الاصفر في الشمس) والتسال و « التلبة » المسعملة الآن في التسلق على اشجار الخيل . ومن الآثار المهمة افرير ماء في المتحف العراقي وجد في معبد في العبد وقد زين بمشاهد منها مشهد حميل يمثل لنا بعض الشؤون الزراعية كحلب الابقار وخض الحليب في رق كبير (يشبه السقاء المسعمل الآن) .^(١) ومما يجدر ذكره بصدد الثروة الحيوانية في العراق القديم ان الحيوانات ، مثل البقر والغنم والحمار والفرس والحيوانات الداجنة الاخرى ، كانت تؤلف اساسا مهما في الحياة الاقتصادية عدا أهميتها في الشؤون الزراعية وفي المواصلات . ومما يقال في الحيوانات الداجنة ان الانواع الاساسية منها كانت معروفة في العراق القديم . باستثناء الدجاج الذي يرجح أنه دخل العراق ولعله من الهند في

(١) ان هذا آدم مشهد كما سمي الان (Dairy) اي صناعه الالبان ومسخر حايها .

الازمان المأخرة في العهد البابلي الاخير أو ما قبل ذلك بقليل .

هذا ولا نستطيع ان نقول عن تعيير خصب الاراضى وانساجها وهل كثر أو قل . كما اننا لا نستطيع أن نصدق بقول هيرودوتس الذى ذكر أن الانساج الزراعى يصل فى بلاد بابل الى مائة أو مائتى مرة ، لاننا لا ندرى هل يقصد من ذلك ان الحاصل كان يبلغ هذا المقدار وزنا ام عدا . ومهما يكن من أمر فان الثابت من الوثائق التاريخية القديمة مما جاءنا من الادوار المختلفة ان معدل سبة المحصول الى الذر كانت تبلغ بوجه عام نحو ٣٠ مرة وزنا ، وقد تصل السبة الى ٤٠ مرة . وكان هذا يتوقف طبعا على عوامل كثيرة من جودة الارض وحس الارواء وشغل الارض وانتقاء الافات الرارعية النخ . وقد تصل السبة فى ازماننا الحاضرة الى نحو ٤٠ مرة فى أجود الاراضى وتحت أحسن الاحوال ، ولكن المعدل المصاد هو نحو (٢٠) مرة . فالدوم العرامى الآن (أى المشارة وقدرها ٢٥٠٠ منرا مربعا) يسج نحو (٢٠٠) كيلو عرام (أى نحو $\frac{7}{4}$ البوشل) فى الرراعة المطربة ونحو ٢٥٠ كيلو عرام ($\frac{1}{4}$ البوشل) فى رراعة الرى .

ولا تشير الادلة والوثائق التاريخية الى تغييرات كسرة فى أحوال النبات والحيوان فى العراق القديم والعراق الحديث^(١) ، فمن ناحية الجبب ، اذا استنسا بعضها مثل الرز ، فان الجبب الرئيسية فى العراق القديم كانت كما هى فى الرمن الحاضر . ويأتى على رأسها الحنطة والشعير . وحن مديون بهاتين الغلين العظميين الى فلاحى العصر الحجرى المتأخر . وأصلهما من الشرق الادبى ، حيث يوحد فه الشعير والحنطة وهما ينبان بهيئة برية . والى الشعير والحنطة فاما عرف وحوود بعض الجبب الاخرى منذ أقدم الارمان مثل الدرة والدخن والسمس (واسم الدحن والسمس باللغة البابلية

(١) حول السباب والاشجار التى كانت معروفة فى العراق القديم

وحول الحيوانات اطر

C. Thompson, Dictionary of Assyrian Botany (1946)

Landsberger, Die Fauna des alten Mesopotamien (1934)

اطر

مثل العربية) . ووصفت نباتات الدخن والسّمسم بطولها المتناهي . أما الرز فلم يكن معروفا في العراق القديم الا في الازمان المتأخرة ولعله أول ما أدخل الى العراق عن طريق ايران من العهد الاشوري المتأخر وكثرت استعماله في العهد الفارسي الاخمني . وكان أصله من الشرق الأقصى ومنه اشتر الى الهند ، ويرجح أن الفرس القدماء تعلموا زراعة الرز من بعد غزوهم الهند ، وعنهم دخل الى العراق .

ونشأ في العراق القديم منذ أقدم الازمان نوعان من الاراضي التي تررع وهي الحقل (واسمه بالبابلية مثل العربية) لررع الحبوب وما شابهها وآلاته الرئيسية : المحراث . كما ورد على لسان البابليين ، والبسان لررع الاشجار المثمرة وآلاتها : المسحاة ، أو المأس ، كما قال البابليون أيضا . ومن صف الساتين الحداثق العامة ، كالجائن العامة الواسعة التي عرسها مثلا الملك الاشوري سنحارب في يسوى والحنائن التي اشتهرت بها مدينة بابل ، واتخذوا نوعا من الحداثق والساتين كانوا يررعونها في نوع خاص من المعابد حصصوها للاحتفال بأعياد رأس السنة البابلية (انظر البحث الخاص بالمعابد) والمرجح كثيرا ان من الساتين قد نشأ في العراق في عهود ودمية جدا ، ولعله بعد العصر الحجري المتأخر بعد أن تعلم الانسان الزراعة^(١) ، وقد سبق أن نوها بأن السنان قد ساعدت الانسان كثيرا في استقراره حيث جعله يرتبط بالارض أكثر من زراعة الحبوب وكانت العلامة المسماة التي تقوم مقام كلمة سنان (شار) قد نشأت منذ ظهور الكتابة الصورية في النصف الثاني من عصر الوركاء . وقد جاءت في احجار ملوك العراق القدماء ذكر ولعهم بفرس الساتين نذكر منهم ستان «مردوخ بلادان» حيث دونت أسماء الحضرات والنباتات التي كانت تست فيها وكذلك بسان تحلاثلرر واشور ناصر مال والخلة ، على ما يرجح ، أقدم شجرة واهم شجرة في تاريخ العراق .

(١) حول موحز تاريخ البسانين انظر بحب المؤلف في مجله الزراعة العراقية (عدد مارس - حزيران ١٩٥٣) . وحول البسانين العاصه بالسعائر الدسه انظر مجله Welt des Orient (1953)

وكانت العادة أنهم يررعون الفراغات ما بين السخيل بالاشجار المثمرة وقد استطاع البحث الحديث أن يبين كثيرا من أصناف هذه الاشجار مثل التين والكرم والرمان والمانج والكمثرى والفستق واللوز وغيرها . ومن الاشجار التي جلبها الملوك الاشوريون الى العراق الزيتون . وكذلك القطن الذي يرجح أنه جلب من الهند . ومن الطريف ذكره بهذا الصدد أن سنجار الذي أدخل القطن الى شمالى العراق يخبرنا أنه غرس فى حدائقه الملكية فى سوى أشجارا غريبة جلبها من أقطار الدنيا المختلفة ومن ذلك شجرة وصفها بأنها تحمل الصوف ويعنى بذلك القطن ، ويمال هذا القول ما ذكره هيرودوس حيث يقول ان من بن أشجار الهند شجرة تحمل الصوف بدل الثمر !

وقد انهاء الكلام على الزراعة فى العراق بقول كلمة مختصرة عن وضع الارض من ناحية الملكية والتوزيع . فكانت ملكية الاراضى فى العراق القديم منذ أقدم العهود بيد الافراد أى كانت الملكية الفردية بخلاف الوضع العال في مصر القديمة حيث الارض ملك الفرعون . والى الملكية الفردية الاراضى فى العراق انقدم كات بعض الهنات الاجتماعية كالمعابد والقصور (أى الملك والطبقة الحاكمة) سلك الاراضى أيضا . وقد جاءتنا وثائق عن كلا النوعين من ملكه الاراضى من عصور فجر السلالاب ومن العهود الى أعقت ذلك . ومما يقال فى ملكية الاراضى بوجه عام ، بوعيهها الفردى والاحماعى ، انها كانت تغير بالنسبة الى السلالاب الحاكمة والنسبة الى الفصح والعرو ، فالملك القاتح مثلا كان يمنح أتناعه اقطاعات من الارض ، وقد جاء تنظيم تلك الملكية والحيازة فى مواد خاصة من شريعة حمورابى . وجرت العادة تحديد الاراضى المملوكة بالحدود ونعين مساحتها وتشت ملكيتها بالسندات المدونة . وقد مبرت شريعة حمورابى بين نوعين من ملكية الاراضى : ملكية مطلقة وملكية حيازة ، وهى ما يهبها الملك أو الحاكم من الاراضى الى الافراد لغرض المنفعة العامة ، فيهب الملك مثل هذه الاراضى الى أفراد معينين

لررعها واسعلاها ، ولكنها لا يمكن بيعها ولا رهاها ولا نقلها الى مآلة. آخر
الا الى وريث شرط أن الورث يقوم بالواجبات المتعلقة بالعانة بملك الارض
واسعلاها . وقد راعى الشرائع القديمة المحافظة على الملكة الفردية بالنسبة
الى العائلة الى سلكها حتى أنها وضعت ما شئسه حق الشفعة بالنسبة الى
الوارثين .

ومن الملكات الاحماعة ان بعض المدن في العهد الكشي كانت تسلك
أراضي مشاعه فيما بينها . وشاع في هذا العهد أيضا مسندات خاصه لتشير
ملكه الاراضي وتحدددها ، وهو ما سمي باحجار الحدود (الكدروماللسان
الباي) . وكانت هذه عباره عن أحجار مهممة كبيره نقش في أعلاها بعض
الرموز والصور الدسه ونقش بصومس كتابه بين اسم المالك والارض
المملو له وحدودها . ويرجح أن مثل هذه الاحجار كانت تودع في المعابد
لسجل الملكة والمحافظة عليها . وكانت الاراضي العامرة التي لم يشعلها أحد
ملك أول من شعلها وسعلاها . ومن الملكية الخاصة بالاراضي السابن التي
ذكرناها وأراضي المراعي ، وسطيع المرء أن ينف على شؤون الاراضي
وسطسها وملكسها واسعارها من درس شرعة حمورابي ودرس الوثائق
الجارية .

الخلاصة : -

نجد ما أن بعض نحا موحرا عن التحيل الى اشهر العراق
برراعها واحص بها مد أعد عصور ما قبل التاريخ . والى أهمه البحث
في الحل داما سسعد مما سذكروه عنها أشياء مهمه عن اعناء القوم شؤون
الزرع والفلح .

ومن المحتمل أن يكون موطن الحل الاصل في الحر - الجنوبي
الشرفي من الحريره العربيه أو انها من أفريقيا أو
الهند . أما في العراق فتشير الادلة الآثاريه الى ان زراعة
الخل قد بدأت في القسم الجنوبي من العراق منذ بدايه اسيطان الاسدين

في العهد الذي سمي به بطور العبد في حدود ٤٠٠٠ ق.م . ولا تقصر أهمية النخلة على العراق فقط بل انها تحل المكان الاول في معظم بلاد الشرق الادنى ، فلقد ورد ذكرها في آداب الامم السامية وما نرها وآداب العراق بوجه خاص . وجدها مثلاً نسعمل في الفنون القديمة وتعتبر شجرة مقدسة عند الامم والشعوب التي اقيمت من حضارات العراق القديم . ونجدها على أهمية عظيمة في بلاد العرب ، تكثر من ذكر فضلها والآداب العربية في جاهلتها واسلامها^(١) .

ومهما كان موطن النخل الاصلى فنستطيع ان نقول ان زراعة النخل واستغلالها استغلالاً كسراً في الحياة الاقتصادية اما احصى بها العراق منذ فجر التاريخ فيه ، ولا يزال العراق يعد أعظم وأوسع مركز لزراعة النخل ولا سيما المنطقة الجنوبية منه حيث نجد اكد منطقة في زراعة النخل^(٢) . وان أقصى ما تمد اليه منطقة زراعة النخل في العراق الى تكريت على دجلة والى عانة على الفرات . وكان هذا هو الحال كذلك في الازمان القديمة . بيد أن المعتقد ان زراعة النخل تمد في بعض لازمان القديمة الى ما فوق هاتين النقطتين الى جهة الشمال ، اذ يروي التاريخ ان بعض الملوك الاشوريين حاولوا عرس النخل في المنطقة الشمالية ، ويحصرنا بعض الملوك القدماء ممن حكم في الفرات الاوسط قرب الحدود السورية العراقية أنهم غرسوا النخل في ذلك الاقليم .

(١) لقد رويت بعض الاحاديث النبوية مما يشير الى اهمية النخل في بلاد العرب فمن ذلك ما يروي عن النبي (ص) انه قال « يحب العمه لكم النخلة ، تزرع في ارض حوارة وتسرب من عن حواره » . وانه قال « المطاعم في المحل والراسخات في الوحل » وفي الفرات الكرم « اصلها نائب وفرعها في السماء » الى غير ذلك من المآثر التي تشير الى اهمية النخلة وحطورتها في الحياه الاقتصادية في جميع بلاد العرب وفي حياه الاقوام السامية .

(٢) فضلاً عن ذلك ما ينتجه العراق نحو ٧٥-٨٠ بالمائة من نمور العالم ويوجد نحو اكثر من ٢٣ مليون نخلة في العراق ، وقد يصل علو شجرة النخل نحو ١٠٠ قدم كما انه يعمر كثيراً (نحو مائة الى ثلاثه قرون) .

لقد جاءتنا أخبار طريفة عن رراعة الحبل في العراق من مآثر العراق القديم . فمن ذلك ما يروى عن ان البابليين القوا قصيدة في مدح شجرة النخل ذكروا فيها ٣٦٥ فائدة أو منفعة لتلك الشجرة . وهذا يؤيد لنا مانعرفه عن فوائد النخل في زماننا الحاضر وأهميتها الاقتصادية ، فثمرتها طعام فيه كثير من المواد الغذائية (كما أثبت ذلك التحليل الحديث)^(١) ثم هي فاكهة لذيذة . والشجرة نفسها مأوى وملس ووقود ومادة للبناء . ويستخرج من ثمرها منتجات كثيرة . كالدهن . (وهو من الكلمات القديمة وسماه البابليون « دشبو ») وأنواع الشراب والخمور . ويمكن استخراج الشاء والسكر والورق والریت والشمع والدباغ والأصباغ والصمغ وعدد كبير من المنتجات الثانوية . ويروى لنا الكاتب الروماني « سسترابو » عن فائدة النخل عند البابليين بعبارة طريفة اذ يقول « ترودهم شجرة الحبل بجميع الاحتياجات باستثناء الحبوب » .

وليس أدل على أهمية الحبل في حياة العراق الاقتصادية من ان حمورابي قد حصص في شريعته مواد كثيرة لشؤون الحبل والمعاملات المحلقة المتعلقة بها ، ومن ذلك مادة تشير الى أهمية هذه الشجرة ، حيث فرضت عقوبة على من نقص نخله دون اذن صاحبها بدفع غرامة قدرها نحو ربع كيلوغرام من النعص . وهذه غرامة كبيرة بالنسبة الى عرف ذلك الزمان . وتذكر لنا الأحبار أن كثيرا من الملوك الآشوريين كانوا يعمدون للقضاء على الشعوب المعادية الى نفس سائين الحبل عدهم ، فحرموهم من قوتهم الاساسي .

وعائلة الحبل أكثر الأشجار تنوعا ، فهي تضم ما لا يقل عن الـ ١٧٠ صنف وما لا يقل عن (١٥٠٠) نوع ويوجد في العراق نحو ٢٥٠ شكلا من

(١) والواقع ان الممر من المواد الغذائية القليلة التي يمار بمطعم مقدار طاقمها الغذائية ، حيث يحوى على العناصر الغذائية الاساسية كالبروتين والشحوم والأملاح والكاربوهيدرات ، ويحوى الرطل من الممر (أي نحو نصف كيلوغرام) على نحو ١٢٧٥ سعرة وهذا يعادل أكثر من ثلث السعرات الضرورية للعامل .

أشكال التمور = وكلنا نعرف أنواع النخل الكثيرة الموجودة في العراق الآن وقد جاءنا في الجداول النباتية القديمة ما يؤيد تنوع أصناف النخل وأنواعه^(١)

وسطيع من كثرة ما جاءنا من الوثائق المختلفة عن شؤون النخل وغرسه والعناية به ان نستخرج أمورا مهمة عن أحوال النخل في العراق = وما يجب له ما نحدده من الطرق الصحيحة في غرس النخل = تنظيم البساتين الواسعة التي كانت تشغل مساحات كبيرة من الأفدنة ثم المسافات الصحيحة التي يجب تركها بين شجره وأخرى ، وكذلك طرق التلقيح الاصطناعي بمقدار ما تحمله النخلة الواحدة من الثمرة وكيفية تقدير بساتين الحقل بعدد الأشجار وليس بمساحة أرض البستان = وجاءتنا المصطلحات الزراعية المخلقة وهي شبيهة بما يستعمله فلاحو العراق الآن فيما يتعلق بشؤون زراعة الحقل = فمن ذلك كانت الطريقة المبسطة في تكثير النخل بعرس « الفسيل » أو اللال، وليس النوى وهذه هي الطريقة المثلى المتبعة في الوقت الحاضر لأن الأشجار النامية من أصل النوى الغالب فيها ان معظمها يكون من أشجار « المحول » أو أنها اذا أثمرت فنمر ثمرا رديئا . وقد نصب الماده السور في شريعة حمورابي على انه « اذا أعطى رجل أرضا الى فلاح بستانى لعرض عرسها بالبحيل فعلى البستانى أن يغرس البستان ومعنى بها مده أربع سنين » وتقاسم صاحب الأرض والبستانى ابتداء من السنة الخامسة ثمرة البستان ماصفة = فهذه الماده وكذلك الوثائق تشير بوجه واضح الى أن سمة البحيل كانت تتم بعرس الفسيل أو اللال ، فقد حددت الماده المده التي يمكن لللال المروع ان ينمر فيها وهي أربع الى خمس سواب . اما النخل الذي ينبت من أصل النوى فيحتاج الى زمن يتراوح بين ٨ - ١٥ عاما = وأصح العراقيون الاقدمون في غرس النخل الطريقة الصحيحة في أمر المسافة التي ينبغي تركها بين نخلة وأخرى فكانوا يتركون

معدل ٣٠ قدما بين شجره وأخرى ويفرسون في « الايكر » الواحد نحو ٥٠ شجره^(١) . والمعروف من التجارب الحديثة ان كمية الثمر وجودته توفعان الى حد كبير على مقدار المسافة الكبيرة بين أشجار النخيل ، وأصل مسافة نحو ٢٥ قدما . وتشير الوثائق القديمة الى أنهم كانوا أيضا يحصرون تربة البسان ويعلبونها في أزمان مخلعة ، ولا يدعون « الفسيل » (التال) يسمو بكثافة .

ومن الامور المهمة في زراعة النخيل مسألة التلقيح الاصطناعي . فمن البديهيات التي يعرفها الآر وعرفها سكان العراق الاقدمون منذ أقدم الازمان ان أشجار النخيل بخلاف كثير من الاشجار الاخرى تكون من جنسين مفصلين - الشجرة الذكر (الفحال) والشجرة الانثى . والنخلة التي لا تلقح بطلع الذكر ان انمرت فيكون ثمرها رديئا ولا ينضج النضج الملائم ويكون عادة عديم النوى (ويسميه العراقيون الآن الشيص) . وكذلك كان التلقيح الاصطناعي من أهم الامور التي أعتنى بها في العراق القديم وجاءتنا عن ذلك وثائق مهمة ومن ذلك بعض المواد القانونية في شريعة حمورابي ووثائق المعاملات الخاصة بشؤون النخيل ، وتدل هذه الوثائق على أنهم كانوا يراقبون النخيل ابان فصل الطلع ويلاحظون باهتمام ما يظهر من الطلع . اد المعروف ان الطلع لا يظهر جميعه جملة واحدة ولذلك فلا يسعى أن يعمل عن بعض الطلع بدون تلقيح^(٢) .

الرى -

نقد سبق أن المخنا مرارا الى أن الرى كان الدعامة الاساسية في حياة العراق الاقتصادية . ونوسعا أن نذهب الى أبعد من ذلك فنقول ان عبقرية الاسان وجهده في اشاء الحضارة في العراق يتحليان باجلى مظاهرهما

(١) والمسح في البصرة عرس نحو ١٠٠ نخلة في الجرب الواحد .
والجرب اقل من « الايكر » بقليل .
(٢) انظر بحث المؤلف في أشجار العراق القديم وبياناته في محله سومر (المجلدان ١٩٥٢ - ١٩٥٣) .

فى الارواء الصناعى ، وان نشوء أول حضارة فى وادى الرافدين قد تحقق بعد أن تغلب سكان وادى الرافدين الاقدمون على الانهار وضبطوا الرى فيها باشاء السدود وحفر الانهار والجداول وتجفيف الاهوار ، فذللو الييثة الطبيعية الوحشية واستغلوا امكاناتها العظمى بقدر ما كان متوفرا اديهم من وسائل العمل والفن . هذا وقد سبق ان ذكرنا ان ما يزيد على نصف مساحة العراق الزراعية يعتمد فى رراعها على الارواء الصناعى . وأنه لولا الانهار والارواء لاصح هذا الحرء بادية حرداء أو أهوارا ومستنقعات .

وقد حل سكان العراق الاقدمون هذه المشكلة الكبرى بأن انشأواأوسع طرق لئرى عرفها العالم العديم واسطاعوا ان يحولوا بجهودهم تلك الييثة الوحشة الى حة رددت شهرتها الشعوب والاقوام . ولعد درت الجهود التى بذلها سكان العراق الاقدمون لضط شؤون الرى خيرات البلاد الرراعية وقد عملت الرراعة الواسعة ووفرة القوت على تكاثر السكان وزيادة النفوس والى رالك فان الاناج الرراعى لم يقصر على الاستهلاك المحلى بل كان أهم دعامة فى الحارة الحارجية . وسطيع أن يدرك الجهود التى بذلها سكان وادى الرافدين الاقدمون فى تنظيم الرى فيما نشاهده الآن من قيمان الابر القديمه المدرسة التى كات جداول شقوها من الانهار العظمى ، ونجد هذه مشة فى جميع أنحاء العراق وقربها الالوف من الاطلال التى كانت فيما مضى مدا عامره تقع على تلك لابر . وكان بعض هذه الانهار جداول كبيرة ربط الفرات بدحلة . فقد اسفل القوم طاهرة طبيعية فى خصائص رافدى العراق وهى ارتفاع وادى الفرات بالنسبة الى دجلة فشقوا أنهارا عظمى من الفرات الى دحلة كات تروى أراضي واسعة . وقد طفت أخسار شق الانهار والجداول على غيرها من أخسار الملوك وأعمالهم منذ أقدم العهود وكان حفر نهر جديد حدثا هاما يؤرخون به الحوادث . ولو اما أردنا أن نحصى عدد الانهار والجداول التى ورد ذكرها فى الكتابات المسمارية لاحتجنا الى معجم خاص . وخصصت شريمة حمورابى جملة مواد لتنظيم شؤون

المسمى باسم « يوريم » أو « يواريم » أي الفرات « ولعل الاسم الأعلى ومنه
 العربي « الفرات » - شق من كلمته « الفراع » . أما دخله فقد ورد اسمه بهيئة
 « ادقلاب » أو « ادكالات » ، ومن معاني اسمه الأصلي « الحاري » أو « الراوي » .
 وقد عرف الآشوريون مسج دخله وعبوه في ارميسه حيث يذكر لنا الملك
 الاشوري « شلمنصر » الثالث (القرن التاسع ق.م) انه اقام في عام حكمه
 الخامس عشر مسجاً عند مسج دخلة وانه سار من بعد ذلك الى منابع الفرات
 حيث قرب هناك الصحاحا وغسل سلاحه في مياهه « ويمتاز دخلة عن الفرات
 بكثرة روافده التي سمع من بعد ابران وتجرى الى الجهة الجنوبية الغربية
 ويصل بدخلة « وأبعد هذه الروافد « الرابان » ، حيث يصب الراب الكبير ،
 الذي ذكره المسادة المسماة باسم « زاو ابو » (أي الراب الأعلى) في
 ٤٠ في موضع حيوي نسوي بنحو ٤٠ ميلا في الموضع
 المسمى بالمحلف قرب « مرود » ، وإلى الجنوب من ذلك مسج
 ٨٠ ميلا يصل الراب الأسفل بدخلة . وقد سمي الآشوريون اسم هذا
 الراب بالراب الأسفل « رابو سوبالو » ، وإلى الشمال من بغداد بنحو ٦٠
 ميلا يصل نهر العظم بدخلة وسماه البابليون باسم « رداو » ، ودكسر -
 باب اليونان والرومان باسم « فسكوس » . ويرجح كثيرا ان دخله قد عبر
 مجراه الى العرب من مجراه القديم فمثلا كان يمر في العصور الاشورية
 بمحاذات العاصمة الاشورية القديمة « كالح » (مرود الآن) « وقد وجد
 المنصور حديثا آثار رصيف كبير في الجانب الغربي من الخرائب كان ميناء
 مقدسة على دخلة « ولكن يجري النهر الآن بعيدا عن مرود حيث يمر بالقرية
 الحديثة المعروفة باسم « السلامة » . وكان يمر دبالى أهم روافد دخلة الآن من المرتفعات
 الشرقية « وقد سماه البابليون باسم « ترابة » ، ويصل بدخلة جنوب بغداد
 « مال موضع سلوقية (تل عمر الآن) ويكون دبالى مع دجلة مثلثا كبيرا من
 الاراضي الواسعة الخصبة كانت تقوم فيها فيما مضى مملكة قديمة عرفت باسم
 مملكة « أشونا » كما ذكرنا من قبل ، وعاصمتها الآن في الخرائب المعروفة

الفرات فوق بابل بقليل شط النيل العظيم ويمر بمدينة كيش (تل الاحيمر الآن). وكان نهر الدجل أيضا مربوط دجلة بالفرات، ولكنه اسد في القرن العاشر، فسمى باسمه جدول آخر تأخذ من دجلة جنوبى القادسة (قرب سامراء) = وقد تفرعت من هذه الجداول الكرى جداول فرعية كثيرة جعلت السهل الجنوبى شبكة من الانهار تروى مساحات شاسعة وتعيش حلقا كثيرا وهى الآن أغلها حراب = وقد بدأ فى الارمان الحديثة بشق بعض الانهار من الفرات الى دجلة مثل اليوسفية واللطيعة واعلمها تكون عربوا لازدهار مماثل = ومن الامثلة على كثرة الاحار الواردة عن شق الانهار أن أخار ملوك سلالة لحش (فى طور فجر السلالات الاحير) ملأى بحوادث شق الانهار واقامة = حرانات = المياه، ومما لا شك فيه ان شق الانهار واقامة الحرانات والسدود ومصارف المياه اما كانت تتم بموجبه دراسات وحطط ومسح قبل الشروع بمثل تلك المشاريع = ومما يؤيد ذلك انه حاتنا من حكام عصر فجر السلالات بعض الصور المرسومة على ألواح الطين تمثل مخططات الجداول والانهار، ونذكر على سبيل المثال صورة الجدول المرسومة فى لوح من عهد «ايا» اتم» ومعه صورة حران تريدسعه على (٢٢٠٠) «حاور»^(١) ومن أخار شق الانهار ما حاءنا من حمورابى من مشاريعه الواسعة فى الرى ومن ذلك شقه نهرا عظميا سماه « نهر حمورابى » ودعاه « ثروة اللاد وحالب الماء الصغير الى سومر وأكد »، وكان هذا نهرا عظميا تأخذ من الفرات القرب من « بورسسا » (برس نمرود الآن) وتذهب بعدا الى « اوما » والى « لارسة » حيث يعطف منها الى جهة خليج فارس^(٢) كما أن فى رسائله الشىء الكثير مما كان صدره من الاوامر الى ولاته وعماله بأمرهم بها بكرى الانهار والمحافظة على ادامتها والمحافظة على الآلات المستعملة فى الرى^(٣).

Delaporte, *The Babylonian and Assyrian Civilization* (1925) 106

ibid.

(٢) داب المصدر

(٣) انظر نماذج من هذه الرسائل فى المرحع الآتى -

Ungnad, *Babylonische Briefe*, 42-4-1

هذا ولم يقتصر الامر على ان الانهار التي شقوها من العرات الى دجلة كانت تستعمل لغرض الارواء فحسب بل انها كانت تخفف من وطأة الفيضان، ولا سيما فيضان الفرات الذي كانت تتركز فيه المستوطنات القديمة اكثر من دجلة على ما سنين فيما بعد . والى ذلك فانه لدينا من الادلة الآثارية ما يشير الى أنهم لم يكتفوا بملك الوسائل لدرء خطر فيضان الفرات وانما قاموا بتأسيس مصارف لآخذ المياه ابان الفيضان والاستفادة منها من بعد ذلك طوال أيام السنة ، ومما لا شك فيه انهم اسفلوا بعض المنخفضات الطبيعية القريبة من الضفاف الغربية من العرات مثل محمص الحبابية وهور . أبو دبس . وبحر الملح وبحر النحف ومنخفض عقرقوف حيث جعلوها حارات ومصارف للمياه^(١) وكذلك اسفادوا من مثل هذه الخزانات لاغراض الدفاع، ويمكن مشاهدة المحار الهري مشرا في أطراف هذه المنخفضات في الوق الحاضر .

وهناك نهر عظيم ذكره الكتاب الرومان (ولا سيما اريان) حيث يذكر نهرا كبيرا بسم «بالوكوناس» (أو بالوكوناس) الشسه باسم الفلوحه القديم (أي بالوكات أو بلوكات) وان ماء العرات يصرف فيه في أيام العصفان، وادا انخفض مستوى الماء فيلزم سد فم هذا النهر والا فان العرات يهرع ماء فيه ويذكر لنا أيضا أن الاسكندر الكسر أمر بان يبنى سد من الحجاره الصلدة بالقرب من مصب نهر العراب نهر «بالوكوناس» للاحتفاظ بالمياه في فصل الجفاف^(٢) ويجعل المؤرحوون هذا النهر وهو يأخذ ماءه اما من قرب هت أو الفلوحه ويسير محاديا للعراب الى حمة العرب الى أن سهى في البحر أى أن طوله نحو

(١) انظر تقرير « وبلوكوكس » عن رى العراق (الطبعة العربى - ١ - الص ٦ - ٥ المسار اليه في كتاب الدكتور سوسه « وادى العراب ومسروح بحيره الحبسه » (١٩٤٤) الص ٨١ وما بعد) .

(٢) انظر كتاب « اريان » المسمى « صعود الاسكندر »
 Arrian, **Anabasis of Alexander**, VII, XXI, 2—5.

(٩٠٠) كم = هذا ولا يعلم من شق ذلك النهر العظيم^(١) كما لا يعلم بوجه التأكيد أى الانهار الدراسة الآن ما يمكن ان تكون ذلك النهر = وقد اتست الحريات الحفرافية الحديثة التى قام بها «الوا موسيل» فى منطقة الفرات الاوسط^(٢) آثار هذا النهر ببضع كيلومترات جنوب هيت ، ولاحظ ان ضفافه هنا مرصوفة بالحجارة كما شاهد آثار جدار ضخيم على الحجاب الايسر ، وكذلك رسم مجرى هذا النهر « ويلكوكس » = والمرجح كثيرا أن النهر المندرس الآن المعروف باسم « كرى سعدة » هو أكثر ما يطبق على وصف ذلك النهر العظيم ، اذ انه يسير بمحاذاة الفرات غربا الى الجنوب قرب مصب نهر الفرات القديم (غرب شط العرب قرب بوبيان) =

وسجدد بنا أن نختم كلامنا على الرى بذكر نذرة موحرة عن نهري العراق دجلة والفرات وهما الرافدان العظيمان اللذان هما عصب الحياة فى العراق = ومما يؤثر عن هيرودوتس قوله عن مصر «انها همة النيل» = ويصح أن هول عن بلاد ما بين النهرين انها كذلك همة نهرها العظيمين وروادهما = وإلى أهمية الرافدس الثالثة فى رى العراق وخصه فان لهما شأنًا خطيرا آخر اذ استفادت منهما جميع الحضارات التى قامت فى العراق فى المواصلات والحجارة^(٣) كما نسدل على ذلك من أخبار بناء الارصفة والموانىء فى المدن المهمة =

ولا بقصر الامر على ذلك فان الرافدين بكيسان لارض العراق أراضى جديدة اذ الرأى السائد كما ذكرنا ان القسم الحوبى من العراق دلتا عرينية

(١) نسبه بعض المؤرخين العرب (مثل نافع) الى «نبوخذ نصر» أو الى «ابو سروان» . ويرى بعض الباحثين المحدثين ان «بلوكوباسن» هو مجرى الهندى الآن .

Alois Musil, *The Middle Euphrates*

(٢)

(٣) لقد أدرك هذه الامكانيات الخلافة العباسية = وبرى فى هذا الصدد عن المصور انه قال بعد ان اخبر موضع بغداد وبدأ ببنائها . = هذا موضع معسكر صالح . هذه دجلة لبس بسا وبنى الصبى شىء . ناسا فيها كل ما فى الصحروا بسا المر = من الحزيرة وارمبسه وما حول ذلك . وهذا العرب بجى = فيه كل شىء من الشام والرفه وما حول ذلك» (طبرى ٣ ، ص ٢٧٢) .

كونها ترسبات الغرين المحمول بالنهرين منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ .
وقد خص البابليون الرافدين بالتعظيم وجعلوهما الهين من جمة الآلهة
التي تمثل القوى الطبيعية ولا سيما نهر الفرات . وجاء ذكر النهرين في
المصادر السامرية وقد نعتا بالنهرين الاخوين^(١) . وذكرتهما التوراة من حملة
الانهار الاربعة التي تخرج من جة عدن (كما جاء في سفر الكوين) .

ويمتاز نهر الفرات عن أخيه دجلة بكثرة طوله وتعرجاته واسطافاته
واتساع واديه وعمقه . وبعد أن يصل فرع الفرات البعيدان « قره صو »
و « مراد صو »^(٢) قرب كندوكية سع الفرات في محراء طريقاً حوساً
ويسير متعرجاً الى الغرب قليلاً حتى يصل الى أقرب مد له عن البحر المتوسط
قرب « كركميش » القديمة (حرابلس الآن) . ويكاد يستمر في اتجاهه
الى ذلك البحر . وعندما يصل الى بعد نحو ١٠٠ ميل عن البحر يحده لحسن
الحظ يغير مجراه ويسير الى الجنوب منحرفاً الى الشرق ويسمر كذلك حتى
يدخل سهل سورية وما بين النهرين بالقرب من « سميساط » (سموساتة
المذكورة في المصادر اليونانية والرومانية) . ويصل به في محراء الاعلى
رافداه المهران وهما « البليخ » (أو البليح)^(٣) الذي يروى اقليم اديسا
القديمة (اى الرها) وحران ويصل بالمراب اسفل الرقة قليل والثاني
« الخابور » (واسمه القديم حورو وسماء اليونان حاوراس) الى الجنوب
بنحو ٩٠ ميلاً ويصل بالمرات بالغرب من قرقيسية . ويأخذ الفرات الى
الجنوب من ذلك بالاقتراب من دجلة حتى يصل الى أقرب مسافة من دجلة
قرب بغداد حيث يكون عرض الارض ما بين النهرين نحو ٢٠ ميلاً . ونصل

Reisner, Hymnen, 136, 29

(١) أنظر

(٢) وهو فرع الفرات الجنوبي وقد عرفه العراقيون القدماء حسب

ورد في المصادر السامرية باسم (ارضابا)

(Meissner, *Bibl. and Assyriol.*, 1, 2)

(٣) واسمه القديم « بليخو » وقد جاء اسمه في بعض المراجع

اليونانية ، ولا سيما « ديسفون » بهمنه « خالسيس » (Chalcis)

ها الى الاقليم الذى كان يدعى فيما مضى ببلاد أكد ، وتبدأ من هذا الموضوع أيضا آثار الارواء القديمة وهى الانهار العظمى الى ذكرنا انها شقت من الفرات . وتوجد أدلة تاريخية قوية على أن الفرات قد غير مجراه الى جهة الغرب وانه كان يجرى الى الشرق من مجراه الحالى . وبوسعنا ان نعين مجرى الفرات القدم من مواضع أطلال المدن القديمة الى كانت فيما مضى على هذا المجرى ولكنها الآن فى بادية جرداء ومن ذلك نهر والوركاء والسكره (لارسة القديمة) ، ولا يزال فاع الفرات المندرس يشاهد الآن قرب هذه الاطلال ويعرف قسمه الشمالى بشط النيل قرب النيل الحديث والجنوبى بشط الكار . والجدير بالملاحظة عن تأريخ الاسيطان البشرى فى وادى الرافدين ما سبق ان لمحا اله من أن سكان العراق القدماء قد تحاشوا الاستيطان فى عصورهم القديمة فى وادى دجلة وتركزت السكى فى وادى الفرات لاسباب واضحة منها أن الفرات أقل غنفا وطفيانا فى فيضانه لعله الانحدار فى نهر الفرات كما ان منابع الفرات أبعد كثيرا من منابع دجلة والى ذلك، فان الفرات يجرى فى ضفاف منخفضة وذات انحدار قليل بعكس دجلة مما كان سهل الارواء بالسيح وكذلك وفره المياه فى الصيف فى الفرات لان فيضانه متأخر عن فيضان دجلة بسحو شهر واحد . وقد ذكرت وحود المحفصات الطبيعية فى حوالب الفرات العرية الصالحة لجعلها خزانا لصراف مياه الفيضان . ولا نعلم بالضبط أصل اسم الفرات ، وقد كان يكتب بنفس العلامات المسمارية التى يكتب بها اسم مدينة « سبار » القديمة (أبو حنہ الآن)^(١) . ورجح أن اسمه سمرى وقد عربه البابليون بلفتهم

(١) أى بالعلامات المسمارية (UD KIB NUN) وسببها العلامة الدالة على النهر (ID) ونقرأ هذه المجموعة من العلامات بصور محتملة . بل (buranun) و (burununa) وذكر لها مرادفات بالأكدي منها (Pu - ra - ti) و (Pu - rat - tum) وهذه لا شك محرفة عن الصيغة السومرية . اما دجلة ~~سمر~~ كبة البابليون بالصيغة (I - di - iq - lat) اما اسمه بالابجلرية (Tigris) فالمرجح أنه مأخوذ من الفارسية العهلوية (Tirgah) التى تعنى السهم او الحاء . السهبة .

المسمى باسم « يوريم » أو « يواريم » أي الفرات « ولعل الاسم الأعلى ومنه
 العربي « الفرات » - شق من كلمته « الفراع » . أما دخله فقد ورد اسمه بهيئة
 « ادقلاب » أو « ادكالات » ، ومن معاني اسمه الأصلي « الحاري » أو « الراوي » .
 وقد عرف الآشوريون مسج دخله وعبيوه في أرميسه حيث يذكر لنا الملك
 الآشوري « شلمنصر » الثالث (القرن التاسع ق.م) أنه أقام في عام حكمه
 الخامس عشر مسجاً عند مسج دخلة وأنه سار من بعد ذلك إلى منابع الفرات
 حيث قرب هناك الصحاحا وعسل سلاحه في مناهه « ويمتاز دخلة عن الفرات
 بكثرة روافده التي سمع من بعد ابران وتجرى إلى الجهة الجنوبية الغربية
 ويصل بدخله « وأبعد هذه الروافد « الرابان » ، حيث يصب الراب الكبير ،
 الذي ذكره المسادة المسارية باسم « زاو ابو » (أي الراب الأعلى) في
 ٤٠ في موضع حصوي نسوي بنحو ٤٠ ميلا في الموضع
 المسمى بالمحلط قرب « مرود » ، وإلى الجنوب من ذلك مسج
 ٨٠ ميلا يصل الراب الأسفل بدخلة . وقد سمي الآشوريون اسم هذا
 الراب بالراب الأسفل « رابو سونالو » ، وإلى الشمال من بغداد بنحو ٦٠
 ميلا يصل نهر العظم بدخلة وسماه البابليون باسم « رداو » ، ودكسر -
 باب اليونان والرومان باسم « فسكوس » . ويرجح كثيرا أن دخله قد عبر
 مجراه إلى العرب من مجراه القديم فمثلا كان يمر في العصور الآشورية
 بمحاذاه العاصمة الآشورية القديمة « كالح » (مرود الآن) وقد وجد
 المنصور حديثا آثار رصيف كبير في الجانب الغربي من الخرائب كان ميناء
 مقدسة على دخلة « ولكن يجري النهر الآن بعيدا عن مرود حيث يمر بالقرية
 الحديثة المعروفة باسم « السلامة » . وكان يمر دبالى أهم روافد دخلة الآن من المرتفعات
 الشرقية « وقد سماه البابليون باسم « ترابة » ، ويصل بدخلة جنوب بغداد
 « مال موضع سلوقية (تل عمر الآن) ويكون دبالى مع دجلة مثلثا كبيرا من
 الأراضي الواسعة الخصبة كانت تقوم فيها فيما مضى مملكة قديمة عرفت باسم
 مملكة « أشونا » كما ذكرنا من قبل ، وعاصمتها الآن في الخرائب المعروفة

بيل • اسمر • • وقد حمل أهل هذه المملكة نهر ديبالى من جملة الآلهة الى
عدوها^(١) •

التجارة :

لقد قلنا فيما سبق ان الحضارات التي قامت في هذه البلاد تميزت جميعها باعتمادها على ثلاثة أسس في حياتها الاقتصادية ، وهي الزراعة والصناعة والتجارة وقد أوحرنا لكم بعض الاشياء الأساسية عن الزراعة وشؤون الري وبوها بعض الصناعات القديمة فنذكر الآن الركن الثالث من الحياة الاقتصادية في العراق وهو التجارة = وشهرة العراق القديم ولا سيما بلاد بابل في الامور التجارية لم تقل عن شهرتها الزراعية عند الاقوام القديمة ، وقد ذكر ذلك الكتاب اليونان والرومان = والواقع ان الطرق والمعاملات التجارية انى سار عليها سكان العراق الاقدمون قد اثرت في الشعوب التي

(١) وبالنظر لفائده المغاربه بين وضع الهريين وفروعهما في الزمن القديم المجارى الحديثه، ولبعده هذه المجارى ولا سيما فروع الغراب يذكّر فروع الغراب الحديثه ولا سيما بعد اسدهم رارها بانشاء سده الهنديه (١٩١١-١٩١٣) . فعلى مسافه ٨ كم الى الجنوب من المنسب يصل الغراب الى سده الهنديه، فيمرع الى فرع فرع شرقي هو فرع الحله وفرع عربي هو شط الهنديه (الذي صار محرق الغراب الرئيسي) . وتمرع من شط الحله فروع أيضا منها شط المدعاه الذي نصب في هور عك وبعد أن يمر فرع الحله بالدوانيه والحمره والرميه يفرع من محرق الغراب الرئيسي شمال السماوه بعليل ويصل فرع الهنديه . وتمرع شط الهنديه شمالي الكفل الى فرعين ، فرع شرقي هو شط السماوه وفرع عربي هو شط الكوفه وتمر هذا الفرع بالكوفه وأبي صخر والعصليه ثم يلمى بشط الشاميه في شمال قرية الشنايه . وبعد مرور شط الكوفه بأبي صخر يبدد مياهه في الاهوار والمسهعات ثم يسمى من بعد ذلك بشط المشخاب وهو المجرى الرئيسي لهذا الفرع من الغراب ثم يلمى فرع السماوه وبوحد عندئذ مياه شط الهنديه ، ويمر الغراب الاصل من بعد السماوه بالحضر والدراحي والبطحه والناصره وسوق السدوخ ثم يدخل هور الحمار وتمر بفره الحمار ويخرج من ضعه الهور الشماليه وتمر بالحناش والمديه ويلمى بمر دخله عند كرمه على جنوب الفره . ويلمى بدخله عند الفرته محرق الغراب القديم الذي نساب فيه

النابلي اردهرت في الحاة التجارية ولا سيما في عهد ارتخششتا الاول
 (٤٦٤ - ٤٢٤ و ٥٠) وعهد دار النابي (٤٢٣ - ٤٠٥ و ٥٠) ، وقد كتب عن
 ألواح الطين التجارية الكثير المتعلقة بمعاملاتها المالية ، ويحمل بعض
 الألواح في مقام ثبته بوجوه بالآراميه والبحر للبحر محتويات او ثمة
 حيث كتب اللغه الآراميه مشروء في المعاملات التجارية^(١) .

رأس مال للماجره ويجعل له حصة فى الربح • وكان العملاء يقومون فى أغلب الاحايين بالمناجرة لاصحاب رؤوس الاموال خارج العراق • وتخبرنا شريعة حمورابى عن أشياء طريفة بالنسبة الى نصيب المرأة بالتجارة وتمسها بالحرية التجارية فى تلك الازمان القديمة •

ويمكن أن نقول ان أول قانون تجارى صرف هو الذى ظهر فى مستعمرة تجارية أسسها الآشوريون وسط الاناضول • وقد سبق أن سمينا هذا القانون باسم • القوانين الآشورية القديمة • حيث يرجع زمنها الى بداية الالف الثانى و٠م وبالإضافة الى السرائع المدونة فقد وجد المقنون مئات الالوف من العقود والوثائق والمسندات التجارية المخلفة فى مدن العراق القديمة • وهى تعكس لنا نواحي مهمة عن نشاط القوم التجارى وترينا بوجه حلى ان المعاملات التجارية كافة كانت لا تعد قانونية ملزمة الا بعد أن تكب بأسلوب قانونى • ومن مظاهر اهتمام القوم بالامور التجارية ضبط الاوزان والمكاييل والمرجح كثيرا أن دائرة خاصة أسست وأنيطت بها شؤون الاوزان والمكاييل وفى المحف العراقى سادج من هذه الاوزان الرسمية وهى معوشة بالكتابة الرسمية الى تين مقدار الوزن القياسى ، والعادة فى هذه الاوزان انها على هيئة الط وبعضها بهيئة الاسود • ومع ان المدفوعات كانت تدفع بوزن الفضة أو المعادن الأخرى المتخذة أساسا للسادل ولكن مع ذلك لما ستر على سادج للموارين المستعملة فى العراق القديم ولا على صورتها ولكن مما لا شك فيه أنهم استعملوا الموازين ومما يدل على ذلك عدا وجوب وزن الفضة وحوود فعل «وزن ، برن» (شقالو ومه كلمة الشيقل) كما ان الكتابات تشير الى وحوود الميران وقد وردت الكلمة المعبرة عن ذلك بصيغة الثنية مما يشير الى كفتى الميزان • ومما يقال عن المقاييس والموازين القديمة اطراد هذه المقاييس وكانت منسجمة مع نظام العدد الستينى عندهم • وبهذا الامر فاق سكان العراق الاقدمون على جميع الشعوب القديمة •

ولعلكم تسألون الآن كيف كان يتعامل سكان العراق القديم اى ماذا

كانت واسطة التعامل عندهم ؟ وهل عرفوا النقود ؟ والجواب على ذلك ان العراقيين الاقدمين أوشكوا أن يوجدوا النقود الا أن النقود بمفهومها الحديث لم تكن معروفة عندهم وانما استعملوا المعادن واسطة للتعامل لقياس قيم المواد الاخرى عليها^(١) ، ومن ذلك الحاس والفضة والذهب ، فاستعملوا الفضة مثلا على هيئة صفائح صغيرة أو حلقات أو أقراص مثقوبة وهي ذات أوزان معلومة . ويقال انهم كانوا يطمفون مثل هذه القطع المعدنية أحيانا ضمانا لوعها ووزنها فلا يصدون الوزن في كل معاملة^(٢) . وهذه هي فكرة النقود واصل النقود الحقيقة . والمرجح أن بعض الاقوام التي كانت سكن في آسية الصغرى ، ومنهم الليديون ، أخذوا الفكرة وحسوا فيها حيث صار بعض الملوك في هذه الاقاليم يطمفون كلا معينة الوزن من المعدن برمز اللؤلؤ أو الدولة ليكون ذلك ضمانا لقيمة القدر وامكان صرفه ، وكان ذلك في حدود ٧٠٠ ق.م . وهو الرمن الذي يمكننا عده بداية النقود الحقيقية في تاريخ البشر ، وتحسن سك النقود أكثر عد اليونان حيث استعملت بعض منهم ، ولا سيما مدسة أثينة ، النقود مما كان سببا من أسباب ازدهارها الاقتصادي في القرن الخامس ق.م . ولعل ما يشير الى أن فكرة النقود من العراق القديم ان اليونان استعملوا بعض الاوزان البائلة ومن ذلك « الما » (وقدره نحو نصف كيلو غرام في المقاييس البائلة) حيث قسموه كوزن وعملة الى ١٠٠ قسم كل قسم سموه «دراخما» ، ومنه كلمة الدرهم العربية .

ومن البديهي أن أهم الوسائل لازدهار التجارة هي طرق المواصلات ووسائل المواصلات . وقد حاءتنا عن ذلك أخبار لا بأس بها ، ونذكر من ذلك

(١) وكانت واسطة التعامل قبل المعادن الحاجيات والمفاسد الاخرى كالحبوب والحيوانات (فارن الكلمة اللاتينية للثروة والعدل (Pecunia) المأخوذة من الماشية (Pecus)

(٢) وقد ذكرت المصادر القديمة ان قطعاً معدنية داب اوران معلومة مقدار كل منها نصف شيعل كانت متداولة في عهد الملك الاشوري سحرارت ونسعى « رؤوس عشتار »

بعض الامور البارزة المفيدة فمن ذلك أخبار ملوكهم التي تشير الى اهتمامهم بأمن طرق المواصلات حتى اهتم كثيرا ما شنوا الحملات الحربية لاختضاع الاقوام والقبائل التي تمر من بينها الطرق التجارية المهمة ، وبناء الحصون والقلاع العسكرية لضمان ذلك « واشاء نظام للبريد أى نقل الاغسار والرسائل « وقد عثر النقبون حديثا « كما ذكرنا ، فى منطقة الخابور فى شمالى سورية على حصنين عظيمين بناهما الملوك الاكديون فى منتصف الالف الثالث ق.م للمحافظة على الطرق المهمة التي كانت تربط العراق سورية .
 وحدثنا الاخبار القديمة عن الحملات الحربية التي قام بها ملوك العراق القديم مما مر بنا فى البحث عن الادوار المختلفة من تاريخ العراق ، فقد سبق أن ذكرنا كيف أن سرجون الاكدي قد جرد حملة حربية الى الاصول لحماية مسوطن أكدي للتجارة انشأ فى كبدوكية فى الاصول للتجارة بالصوف والفضة .

أما عن وسائل المواصلات فان التحريات الحديثة قد رودتنا بانشاء مهمة عن أقدم وسائل للمواصلات عند الشر ، ومن ذلك العربة التي نشأت فى العراق فى عصور ما قبل التاريخ ، من منتصف الالف الرابع ق.م وقد سبق أن ذكرنا ان مديرية الآثار العراقية وجدت حديثا فى تنقيباتها فى اريدو (أبو شهرين) نموذج قارب يعد أقدم ما صنعه الانسان اذ يرجع تاريخه الى عهد العيد (فى حدود ٤٠٠٠ ق.م) « ومما لا شك فيه ان الملاحة فى العراق نشأت فى جنوبى العراق فى سيف البحر ، اى فى منطقة الخليج .
 ومن الطريف ذكره بهذا الصدد ان نمادج السفن التي خلفها لنا العراقيون الاقدمون تشبه ما يستعمل فى العراق الآن شيها تماما كما تستعمل القفة والجلود المنفوخة فى الانهر كما تدل على ذلك الصور المنحوتة فى المنحوتات الاشورية « والجدير بالذكر ان كلمة « الملاح » المستعملة الآن فى جميع

الافطار العربية أصلها من اللغة السومرية^(١) . ونستطيع أن نقف على اهتمام القوم بالملاحة من المواد التي خصصت في شريعة حمورابي لسطيم شؤون الملاحة وتحديد أحور السفن وجاء في المعاجم اللغوية المدونة على ألواح الطين أنواع محملة من أسماء السفن والعربات . وخلف الرباصيون منهم قضايا رباضية تتعلق بالسفن من حمولتها وسعها ، وحاءها بعض الصوص التي تصف صم السفن .

وبذكر لنا الاخبار القديمة القوافل المحملة بالمواد الاولى الآتية من جهات الشرق المختلفة بالطرق النرية والمائية . ويصر لنا هذا كثرة ما يحده المقوق في مدن العراق القديمة من الاحجار والمعادن الثمينة المستعملة في القطع الفنية والصناعة مما لا وجود له في العراق بل كان القسم الاعلى منه يحلب من خارج العراق ، فقد استوردوا النحاس من جريره العرب (من عمان والبحرين) منذ أقدم العصور كما حلوا بعض الاحجار للنساء ولصنع المايل . وعندما تعلموا صناعة البرور اضطروا الى اسيراد القصدير لخلطه بالنحاس من شرق ايران ومن سورية ومن آسه الصفري وحتى من أوربة . وحلوا الفضة والرصاص من حال طوروس . والاحشاب منس المطعة الحلة في الجهات الشمالية الشرقية ومن سورية ولسان واستوردوا بعض الاحجار الكريمة مثل حجر اللارورد من الافسان والصفد من حلب فارس .

ونحسم بحثنا عن التجارة في العراق بذكر اكتشاف حطير اهتدى اليه الباحثون الاثريون حدثا في تركيه (١٩٤٨ - ٤٩) ، اد وحدوا موضعها فدما وسط الاناصول ثب أنه كان مركزا تجاريا واسعا اشأه الاشوريون في بداية الالف الثاني ق.م . وقد أحدث خبر اكتشافه اهتماما عالميا بالغا ، وقد وحد في الموضع الذي سمي الآن . كول نه ، قرب قيصرية الى الحبوب

(١) سأل اسم الملاح بالسومرية من علاميين مسمارين بدل الاولى (ما) على العرب والباسه (لاح) بمعنى (ذهب وحاء) ولعل ذلك من حمصه استعمال المردى .

الشرفى من امره ، وقد حفر فيه « الجمعية التاريخية اترية » ومن الآثار المهمة التى وحدها المقبون فى ذلك الموضع عدد كبير من ألواح الطين المكنونة بالخط المسمارى والحووم الاسطوانية المسجلة فى المعاملات التجارية مما يحده المقبون فى مدن العراق القديمة . وظهر من التحريات أن تلك المدينة التجارية كان سبها مراكز أخرى فى الأماضول وانها كانت مرتبطة بسده اشور لان سبها من ألواح الطين التى وجدت هناك كانت رسائل تجارية تتعلق بإدارة هذه الشركة الواسعة وهى الرسائل المسدلة بين مدينة آشور وبين التجار فى الأماضول = ووحد المنقبون أيضا بعض المحلات التجارية والدوائر التى كانت يدار منها شؤون ذلك الموضع وفيها الوثائق التجارية المحلفة وهى ممدنا بمعلومات ثمينة عن تنظيم القوافل التجارية وتمويلها ، وكذلك سطم سلم الصائع وطرق السفر ، وقد يرد فى شروط القل ان « كروانا » معينا سلم فى مرحلة معينة من الطريق الى « كروان » آخر . كما نجد بعض الوثائق عن حوالات تجارية بطريقة البادل التجارى أو بارسال كتاب بسلم حامله بموحيه ملعا معيا من المال . وكان البريد مسيرا بين شمالى العراق وبين أولئك التجار وكذلك بينهم وبين عملائهم فى المسعمرات التجارية الأخرى وتذكرنا هذه المدسة التجارية بما قلناه عن تأسيس مسعمره قديمه فى الأماضول فى العهد الاكدي ، ولعل الموضع الأشورى الجديد قد حلف المسعمره الاكديه القديمة . وقد جاءنا وثائق تجارية من مدسة بوري القديمة من العهد الحورى - الميانى وهى تخص عائلة بحارية كانت تؤلف شركة بحارية . وقد حفظ وثائق معاملاتها لمدة خمسة أحوال تقريبا^(١) . ويذكر أيضا على سبل المثال على الشركات التجارية مصرفا أو شركة بحارية كبيرة كانت فى مدسة هر من بداية العهد الفارسى الاحمسي (القرن الخامس ق.م) ، وكان اسم رئيس المصرف « مراشسو وأولاده » ، وكانت هذه الشركة تخص عائلة اسرائيلية من بقايا السبى

النابلي اردهرت في الحاة الحارة ولا سيما في عهد ارتخششتا الاول
 (٤٦٤ - ٤٢٤ و ٤٠٠) وعهد دار النابي (٢٢٣ - ٤٠٥ و ٤٠٠) ، وقد كتب عن
 ألواح الطين التسمارية الكثير المتعلقة بمعاملاتها المالية ، وبحصيل بعض
 الألواح في مقام لسانه موحدة بالاراميه وانحصر للمخصص محتويات اوثنية
 حيث كتب اللغة الاراميه مشروء في المعاملات التجارية^(١) .

الفصل التاسع عشر

الفنونه

١- الادب

مقدمة

عندما اسفل الاسان الى طور الحصاره في وادي الرافدين وراى انسل
ويوفر له اسباب العيش والحياه الحضريه شرع سطر في هذا الكون لنسج
ويمكر في الحياه الشرية ومعاشها وفيما « فداً محاول التعبير عما حاله من
من طواهر الكون ، وسلك للتعبير عن أسرار مفكره سلا مخلقة فاده سطر
الى الاشياء والطسعة بطره موضوعية عملية فيسفيد من امكاناتها وتسخيرها
له منشأ المعارف وبذور العلم وطورا كان ينظر الى الاشياء بطرة اسطورية
-حالة فيسمى الحياه على الاشياء الحامده فيمر عن الحياه تعيرا خياليا فيا على
هته قطعة أدبة أو فسه سميها نحا أو تصويرا أو قصة أو اسطورة^(١) وهذا
هو أسلوب الادب .

وقل أن سطر في اساجهم في حقل الآداب نذكر شيئا عن
طسعة تفكيرهم في الحياه والكون الذي كان اساجهم الادبي مطهرا

(١) سفي لنا أن يمر في نباح الآداب العديمه بن صربين سمي
احدهما المصص (Legends) والثاني الاساطير (Myths) فالنوع الاول حقائق أو
ومائع وقعت فعلا ولكن روت بأسلوب الحبال والقصة ودخل فيها الحبال
والمبالغة والمثل على ذلك الملاحم الكبرى ، كملحمه حلجامش والطوفان التي
سممر بها ، والالوده والالاده الخ . أما النوع الثاني فهو نباح خيالي
محض وصنع لتفسير بعض حقائق الكون واصل الوجود والاشياء او تفسير
الطواهر الاجتماعيه ، والمثل على ذلك أسطوره الخلبه البابلية وبعض قصص
الطوفان ولا سيما الطوفان عند اليونان .

من مظاهره ووجهها من أوجهه • فمما يعال بوجه عام ان تفكيرهم كان باء. درجة الاولى اسطوريا شعريا • وبإستثناء موارد قليلة لا يسعنا ان نسمى ما خلفوه لنا «فكرا فلسفيا» أو فلسفة • مما يستند الى الاستدلال والاستنتاج والنقد والتأمل والظفر في الأشياء بطرا موضوعا • ومع أنهم عالجوا في تخصصهم وأساطيرهم قصايا مهمة لا تقل عما كان يشغل الفلسفة اليونانية والفكر الحديث الا أن تفكيرهم فيها كان اسطوريا حاليا • فكان الحال والفكر ملارمين • ومع أن الاساطير والقصص معروفة في آداب العصور الحديثة الا أنهم لم يطوروا الى تلك الاساطير على انها معة أدبية محضه بل كانوا يعصرون ما فيها من آراء حقائق أو حقائق ميافيزيقية لفسر الأشياء • فاذا بطرا الى الاسطورة القديمة فجب أن نعتبرها نوعا من الشعر والخيال ولكنها تسمو على الشعر لكونها كانت تعبر عن الحقيقة • كانت تفسر نفس المشاكل الأساسية التي عالجها الفلسفة اليونانية بأسلوب موضوعي مسند الى الاستدلال والتفكير المنظم المنطقي كاصل الوجود والاشياء • والعناء من وجود الاشياء • ولذلك فاذا كما سجد فما سذكره من مبادئ القطع الادسه من ناقض في الآراء والمعتقدات فان ذلك موقع في التفكير الاسطوري السعري • لان المسافضات لا تندو الا للفكر المنطقي الموضوعي الذي سمو عليه حال الشاعر السان ، ذلك الخيال الذي يكون فيه الحد بين الواقع وغير الواقع مخلط العالم غير واضح ، كما يكون الحد بين الاحلام واليقظة محلطا • والواقع ان الاحلام لم تكن بأقل بصيا من الحقيقة من القطة • فكان القوم يحصلون على انوحه أو الدسر الالهى باتصائهم بالالهة في الاحلام كما رأينا في محث الدنانه ، وعلى ضوء ذلك لس من الموقع أن نجد في فكرهم ما سسمه بنابون العله أو السسة الذي هو أساس منهج جسيم العلوم الحديثة • أنهم لم بصوروا ان العلاقة بين العلة والمعلول علاقة غير شخصية (impersonal) ميكاسكة سير باطراد على هيئة قانون عام • فمثلا استطاع نيوتن ان يكشف قانون الحاذبة من ملاحظته ثلاث مجموعات من

انفقواهر الطسعة تدو من وجهة الطر الدائى المباشر متباعدة لا رابطة بينها وهى : سقوط الاحسام وحركة الاجرام السماوية وطاهرة المد والجرر « وكانوا ينظرون الى علل الاشياء واسباب حدوثها من وجهة نظر «من» يحدثها ؟ ولس من وجهة نظر « كف تحدث » « فمثلا اذا لم يرتفع نهر دجلة كان السبب فى ذلك «ان النهر أبى أن يرتفع» لغضبه أو بسبب غضب الآلهة على الشر ، لا بسبب نقص الثلوج والأمطار . فمثلا حدث مرة أن المياه لم ترتفع فى دجلة فى عهد حودة فقصد المعد وأمضى ليله هناك ليسترشد بالآلهة عن سبب حدوث هذه الظاهرة ، فظهر له الاله فى الحلم بطريقة لم يستطيع تفسيرها ولكن الكهنة المحصين بعبير الرؤيا فسروا له الحلم بان الاله « تنجرسو » يريد منه بناء معد حديد .

ومع طاهرة أخرى تسرعى انبأه الباطر فى محلفات الفكر فى حياة سكان وادى الرافدين المدماء تلك هى أن أساس نظرهم الى الاشياء والموازنة فيما سها كانت تسد بالدرجة الاولى الى مبدأ القياس أو الممثل (Analogy) وعلى قليل حدا من مبدأ الاسدلال والاستجاج (Inductive and deductive) وسحلى مبدأ القياس والتمثل فى السحر وطرق العرافة والكهانة وتصيغهم للاشياء على أساس الشابه الظاهرى ، وتصورهم للسماء بهيئة الارض أو بالعكس ، حتى انهم تصوروا الكون على هيئة مملكة أو دولة تحكم فيها الآلهة مراتب ودرجات محلفه وباسلوب الديمقراطية البدائية قياسا على الجارب البشرية فى مجتمعهم ، كما ان مبدأ الشمس الذى عروه الى آلههم مشق من هذا الطراز من التفكير . وسنجد من تصفحنا للماذج الادبية التى سنذكرها هذه المادى واصحة ، كما اننا سجد اشياء أخرى كان يصف بها الفكر القديم سسوه بها فى تعليقنا على تلك النماذج ونكفى هنا بذكر وجه آخر من طراز تفكيرهم ذلك هو ما يصح أن نسميه بمبدأ الاسم أو نظرية الاسم ، فموجب هذا الطراز من التفكير لا يمكن لاي شىء أن يوجد ما لم يكن له اسم ، فسمية الشىء بمثابة ايجاد ذلك الشىء . وقد جاء هذا واضحا فى اسطورة

الخلقة البابلية انه في البدء . لم تسم سماء ولا ارض . (أى لم تخلق سماء ولا ارض) كما أن الشيء ما دام بلا اسم فهو غير موجود^(١) وسرى في كلامنا على حضارة وادي النيل ان هذا المبدأ موجود في الفكر المصري القديم بوجه واضح ، فالاسم جوهر الشيء وقوته . وكان للآلهة أسماء سرية تكمن فيها قدرتهم وقوتهم وسلطانهم فلا يسيحون بها ، وامتدت الفكرة عند سكان وادي النيل الى أسماء الاشخاص فكانوا يسمون أطفالهم باسمين اسم سرى واسم آخر هو الذى يدعى به الشخص . وسرى في اسطورة الخليفة البابلية ان الآلهة لما اجتمعت في مجلس شوراها وانخست الاله مردوخ ملكا عليها وبطلا لحارب هوى العماء المثلة بالآلهة العسقة . تنازلت له عن اسمائها وألقابها وبذلك حار الاله مردوخ على الهوى الذى كان يحور عليها آل الاله . وقد يمكن احرار بعض ما فى أسماء الآلهة من القوة الالهية بمجرد كتابة الاسم . وتوسعوا في ذلك بحيث اهتم كانوا يمررون الى الاسماء بالاعداد فمثلا يخبر ناسرجون الاشورى عن قصره في حرساد بقوله « سب محط حداره بمقدار ١٦٢٨٣ دراعا وهو رقم اسمى » . فاسقل ذلك الى مبدأ العدد^(٢) . ولما كان الاسم جوهر الشيء وسر وجوده شأب عندهم فكره تسمية الاشخاص والاشياء المحسنة لهم بأسماء ذات فال خنس ، وتنطق هذه القاعدة بالدرج الاولى على أسماء الاعلام كما رأينا ذلك في محث اندامه ولكن كانوا يراعون المبدأ نفسه في تسمية الاشياء فمثلا سموا شارع الموكب في بابل باسم «اير شابو» (ai - ibur - shabu) (أى عسى العدو أن لا يظأه أبدا) وكان اسم احد الجداول الى شقها حمورابى « حمورابى مع الحير العسم للنشر » وقد سمنون بمائيلهم بحمل مطولة كما فعل « حودة » حاكم لحش .

ومهما كان الامر فان البحث في الساح الادبى لحضارة وادي الرافدين ذو خطورة خاصة بالسنة الى تأريخ الآداب البشرية لانه يمثل لنا مثل مظاهر الفكر الاخرى

(١) فارن ذلك أيضا بالعهد القديم «البوراه» (سفر الكوس ٢ ٥-٥)

(٢) فارن نظريته العيساعورين وافلاطون . وكذلك فكره اعطاه

الحروف فيما عديده .

التي مرت بنا ، أولى محاولات للانسان للتعبير عن الحياة بأسلوب الخيال الذي قلنا هو أسلوب الادب بوجه عام وأسلوب الشعر والقصة والاسطورة بوجه خاص ولعل أروع ما أظهره البحث الحديث أن سجد الباحثون هذه الآداب الموعلة في القدم وهي تصنف بالميراث الاساسية التي تصف بها الآداب العالمية المشهورة سواء اكان ذلك من ناحية الاساليب وطرق التعبير أم من ناحية الموضوع أم من ناحية الاخيلة والصور الفنية ، ونستطيع أن نجد في المادح الادبية التي حلقها لنا العراقيون الاقدمون تلك الميراث وهي تظهر ثلاثة أوجه : أولا : الفكرة التي تدور عليها القطعة الادبية أو القصيدة . وثانيا : الأسلوب الشعري والاتقان الموسقى الذي يهر مشاعر السامع . وثالثا : أسلوب الشاعر الفني في انتخاب الحوادث والمواقف المؤثرة .

الشعر :-

وبدا بالشعر الذي يرجح أن يكون أقدم أنواع الساج الادبي عند البشر ، وقد نشأ الشعر عند سكان وادي الرافدين الاقدمين من الماء والمصائد الشعبية ، والمرجح كثيرا أن الغناء هو أصل الشعر في جميع الآداب البشرية^(١) . ومع أن البابليين لم يخلفوا لنا مآذج من الماء الشعبي ، ولكننا نستطيع أن نتلمسه فيما ورد من بين الاشعار المدونة في القطع التي لم تزل تحفظ بطامع الاغانى الشعبية كبعض الموارد في ملحمة حلجامش . وعلى الرغم من ضاع أشعار الحب وعدم تدوينها أو لانه لم تأت مآذج عنها بعد ، بيد أننا نستطيع أن نقف على ما يشبه الشعر الغزلى في بعض الراتيل الدينية التي كانوا يغنون بها في الصلوة الى الآلهة . وبعضها شبيه بـ « نشيد الاشاد » المسبوق الى سليمان في العهد القديم .

والشعر السومرى والبابلى ، مثل الاشعار البشرية الاخرى ، كان

(١) ولعل مما يؤيد هذا الرأى ان كلمة « شعر » موجودة في كل اللغات السامية فربما وتعنى في أصلها الغناء مثل « شرو » في الاكدية ، والعبرية « شبر » ومعناها النشيد والغناء . (ومن ذلك « شبر هشرم » أى نشيد الانساء المسبوق الى سليمان) وفي الاراميه « شور » .

يحصص لمن خاص من النظم والتأليف ، فمن ذلك تأليفه من أبيات قوام كل بيت من مصراعين (الصدر والعجز) • والعادة في الشعر السومري-البابلي ان المصراعين يتشابهان في المعنى والتأليف وكل منهما يتكون من مقاطع - من مقطعين الى ثلاثة مقاطع طويلة فهو بذلك شبيه من هذه الناحية بالشعر الافرنجى الذى لا يقاس بالعمولات بل بالمقاطع الطويلة والقصيرة " ، ويؤلف يسان من الشعر وحده في المعنى • ويمارس النظم في كل من الشعر السومري والبابلي أن الشعر موزون ولكنه غير مقفى • فهو كالشعر العراني واليوناني والرومانى ، مثل الشعر الانجليزى المعروف بالشعر المرسل ويظهر من قصة الحليقة البابلية ومن ملحمة حلجامش أن القصيدة تقسم الى وحدات تكون الوحدة منها من يبين من الشعر ، والمصاد في السدائى أن يكون معناه اما معايرا للمعنى الست الاول أو مشابهها له أو مكملها له • وود تؤلف أربعة أبيات من القصيدة وحدة في المعنى فكون القصيدة مجموعة من الرباعيات • وقد يستعمل كسة الشعر بعض العلامات أو العواصل بين مصراعى البيت الواحد وبين كل بيت وبيت • وقد تقص الشعراء في الارمان المتأخره في فن التأليف والنظم والصياغة الى ادخلوها ، ومن ذلك نوع من الشعر تؤلف فيه المقاطع الاولى من كل بيت في القصيدة بعد جمعها جملة ذات معنى قد تكون اسم الشاعر أو دعاء خاصا للاله الى غير ذلك (٢) •

ومن الميراث العامة في الادب البابلي أنه مثل الآداب القديمة الاخرى قد أثر فيه الدين سواء كان ذلك في اشراك الآلهة في حوادث الملاحم والقصص والاساطير أو في المواضيع والاغراض الدينية كالصلوات والراسل والادعية الى تؤلف فسمامها من الساح الادبى الشعرى فقد كانت الاعانى والراتل اندسه مثل أغلب القصص والاساطير تؤلف بالشعر وبالاساليب الشعرية ، اما السر فقد اسعملوه في أغراض أخرى من ساح الفكر في تدوين الحوادث والباريح

(١) المقطع الطويل في عرف الشعر الافرنجى Accented Syllable

وعكسه القصير •

(٢) يعرف هذا الفن باسم Alliteration أو Acrostic (Zeitschrift für Assyriologie, 43 (1936), 32 ff.)

وهي الرسائل الملوكية وفي تدوين أعمال الملوك وتخليدها وفي الحكم والمواعظ والأمثال ، وكان هذا النوع من الشر الادبي يخضع أيضا الى أصول خاصة من التألف والتركيب .

وقيل ان نذكر بعض النماذج الادبية مما حلعه لنا سكان وادي الرافدين الاقدمون نذكر بعض الميزات العامة الاخرى التي يمتاز بها ذلك الادب القديم ، فمن ذلك ما سجد في القصص والاساطير وشعر الملاحم من التكرار والاعادة ، وبدو ذلك حلما في قصة الخليقة البابلية وفي ملحمة جلجامش بوجه خاص وفي معظم القصص السومرية بوجه عام . وتوصيحا لذلك من قصة الخليفة نقول انه لو أرسل أحد الآلهة رسولا ليلع أمرا الى اله آخر فان الرسول يعيد جميع الابواب التي قالها الاله المرسل مهما بلغ عددها وطولها ، ونجد ذلك في ملحمة جلجامش في مواقف كثيرة مما يعث الملل والسأم في نفس القارئ ، ومن الطريف ذكره بهذا الصدد ان الباحثين المحدثين قد اسعدوا فائدة عطشى من هذه الميزة اذ استطاعوا أن يكملوا مواطن كثيرة قد انخرمت وضاعب من النص الاصل في ألواح الطين ، وثمت ميزة أخرى يلمسها الباحث في هذه الآداب القديمة بمكنا أن سميها باسباق الحوادث أو بالاحرى اسباق السائح (Anticipation) . وتدو هذه الميزة بوجه جلي في ملحمة جلجامش بوجه خاص وقصة الحلقة بوجه عام ففي ملحمة جلجامش نبدأ الرواية بمقدمة أو دياحة في تعريف بطل الرواية والغنى بامجاده وبما يتفرد به من الحكمة والمعرفة وتنوء أيضا بحوادث الرواية وموضوعها وحتى تسحتها وبهايسها . وهذا في الواقع ما سجد في الملاحم العالمية الكبرى كالاولديسة والايادة والملحمة الجرماة المعروفة باعاني « السيلونك » او « أغاني أرض الظلام » (١) ، ولعل تفسير ذلك ان الناظم اما قبل ذلك لتحرك في السامع الشوق الى حوادث الرواية .

(١) Niebelungenlied وهي ملحمة حرمانية شهيرة في آداب القرون الوسطى . ويدور ميل ملحمة جلجامش على « مغامرات » سبغريد « في أرض السيلونك » مع ملوكها البورعنديين وفيله على آبدبهم ثم انتقام روحه منهم الخ . .

وسنصح من تلخيص بعض القصص والاساطير الادبية كثرة النسخ الى وضعها القوم في الازمان المخلفة للقطع المشهورة ، فمع أن معظم الاجراء الى حاءنا عن اسطورة الخليفة وملحمة جلجامش هي من خزانة كتب الملك الاشوري « اشور بابيال » (القرن السابع ق.م) فان هذه نسخ عن أصول اودم معظمها وضع في العهد البابلي القديم . واكتشف الباحثون حديثا اصولا سومرية لكثير من القصص الادبية المكتوبة باللغة البابلية (السامية) ، وقد تصرفوا في بعضها وغيروا فيها مثل ملحمة جلجامش بحيث يمكننا عدها نتاجا بابليا صرفا . وادا كنا لا نستطيع أن نحدد كل ما حاءنا من هذه القصص والاساطير بد أننا نستطيع أن نصنفها بحسب الاغراض المختلفة التي عاجلتها فمجموعة من هذه القصص تدور على الخليفة وأصل الاشياء والعمراة وهذه أكثره مسوعة بعضها قطع سومرية وبعضها بابلية محورة عن السومرية ، ومن ذلك أطول قصيدة في أصل الكون والاشياء وهي «اسطورة الخليفة البابلية» . ومجموعة أخرى تدور على خمر الطوفان العظيم ، وقد أدمج هذا الحرفي القصة البابلية في ملحمة جلجامش ، ومجموعة ثالثة هي قصص تدور على أعمال الطولة والابطال نذكر منها القصص السومرية التي تدور على أعمال حلجامش ومعمراته . وقد جعلت هذه الاعمال مع خبر الطوفان موضوع الملحمة البابلية الكبرى «جلجامش» . ومجموعة رابعة موسوعة مسائل العالم الآخر وعالم الاموات او « الارض السفلى » ، ومن هذه القصص المعروفة « سرول عشتار » الى العالم الاسفل ثم قامتها منه . وجاءنا من هذه روايان بالسومرية وبالبابلية . ومن هذا الصنف أيضا قصة سومرية تدور على برول صاحب حلجامش المسمى انكيدو الى العالم الاسفل ، ومن المجموعات الادبية المهمة صنف أشرنا اله وهو صنف الرايتل والاعابي الدسة للآلهة المحلقة . وقد أمتاز هذا الصنف من الادب الديني بحضوعه الى طراز خاص من التأليف والنظم فالنماذج متشابهة من هذا الوجه بحيث يمكن استعمال عماء خاص باله معين لاله غيره بمجرد تغيير الاسم .

ومع ان معظم اللوحات المدونة بالآداب السومرية والبابلية لا يتجاوز عهد تدوينها بداية الألف الثاني ق.م إلا أن هذه الآداب المدونة قد تم أبداعها وتطورها في منتصف الألف الثالث ق.م ، وإذا قارنا قدم هذه الآداب بالآداب الشريفة القديمة الأخرى وجدنا أنها أقدم من جميع ما انجبه الفكر البشري في ذلك الحقل . فالسنة إلى مصر مثلاً لم يأتها من أدبها شيء من عصر الأهرام ، ذلك العصر الذي ازدهر فيه الحضارة المصرية وضجت . ولعله كان للمصريين أدب مدون في الألف الثالث ق.م إلا أنه « كما قلنا » لما يأتنا منه نماذج ممثلة حتى الآن (ولعل ذلك بسبب تلف المادة التي دون فيها . وهي ورق الردي الذي هو أكثر عرضة للتلف من ألواح الطين) . واكتشف المقنون حديثاً في « أوغاريت » (رأس الشمرة) أدباً كتباً يرقى تأريخه إلى ١٤٠٠ ق.م . أي من بعد زمن اللوحات الأدبية السومرية والبابلية بأكثر من خمسمائة عام . وكذلك يقال في التوراة التي تتضمن الأدب العبراني فهي متأخرة جداً في زمن تدوينها وشوئها (لا يتعدى زمن تدوينها القرن السادس أو الخامس ق.م) . ونذكر على سبيل المقارنة أيضاً الألياذة والأوديسة المضممتين أدب اليونان القديم والملاحم الأدبية اليونانية ، ونذكر « الريح - فيدا » الخاصة بأدب الهند القديم و « الأفسا » المضمنة أدب إيران القديم ، فإن ما من هذه الآداب القديمة ما قد دون بشكله الحاضر قبل الصف الأول من الألف الأول ق.م أي أن أدب العراق القديم يسبقها بما لا يقل عن ألف عام . وثمة ميزة أخرى مهمة تبدو من مقارنتنا أدب العراق القديم بتلك الآداب القديمة ، تلك هي أن هذه الآداب التي سبقناها للمقارنة مع أدب السومريين والبابليين قد عانت كثيراً من التحوير والتعديل والإضافة على أيدي النساخ والجامعين والشراح والمفسرين ، ولكن الأدب « السومري - البابلي » قد وصل إلينا بأصله غير محوّر كما كتب بأبدي الكبة السومريين والبابليين قبل ٤٠٠٠ عام^(١) .

ومع هذا القدم الواغل فان السومريين لم يصوروا انفسهم محدثي عهد
فى 'ندية والحضارة بل كانوا يبطرون الى انفسهم بصفتهم ورتاء ماض بعيد
مجيد . وقد تخيلوا ذلك الماضى البعيد بهيئة « عصر ذهبي » كان السلام فيه
يسود العالم ، فلا خوف ولا حزن ولا بغضاء ولا حيوانات مفترسة تنازع
الانسان النقاء . وكان الخير يعم الكون وكان البشر « بلسان واحد يمجدون الاله
انليل »^(١) . ان هذه الصورة الجميلة المبخلة الى تصور عهدا متخيلا كان
الشر فيه اسعد واكمل من عصرهم الراهن قد انتشرت الى معظم الامم
والشعوب ، ولم تمكن فكرة « القدم » من الانشار بين الشر الا فى العصور
الحديثة ولا سيما منذ القرن التاسع عشر ، ولا يزال كثيرون فى العصر
الحديث من يرى فكرة « الماضى الذهبى » .

وقل ان سرك بحث المراتب العامة فى أدب العراق القديم ذكر
اكشافا حدثا ذا أهمية وخطوره حاصين اد بدل على وعى أدبى وولع
فى البحث الادبى ، فقد اكشف من س ألواح الطين التى وجدت فى « نمر »
قل خمسين عاما لوحين أحدهما فى باريس (اللوهر) الآن والآخر فى
متحف الجامعة فى فيلادلفيا (أمريكا) وهما مديان ماوس تأليف أدبه
سومرية . ويحوى لوح فيلادلفيا على ٦٢ عنوانا ويحوى لوح اللوهر على
٦٨ عنوانا ، وادا أحرحا ٤٣ عنوانا منسركا فما سهما فان اللوحين برودا
ب ٨٧ عنوانا لتأليف أدبه وقد أمكن تعيين ٢٨ تأليفا منها بما وجد أصله
الكامل فى الألواح المعروفة^(٢) .

ومما يؤسف له انه بعد ايراد مادح من هذه القصص مترجمة

(١) انظر هذه الاسطورة الجميلة فى داب المصدر (ص ٤٥١)

(٢) انظر سر اللوحين فى المرجع الآتى -

(1) S N Kramer, "The Oldest Literary Catalogue"
in **Bulletin of the American Schools of Oriental Research**,
No 88 (1942)

(2), **Sumerian Mythology**, P 14

بنصوصها^(١) وأما سحاول بلخص بعضها ، فإد فإئنا الافكار الاصلية ولو مرآمة فسئقف على أغراضها وفأوها ونبدأ من هذه التماآج بـ «اسطورة الخليفة البابلية»^(٢) .

١ - اسطورة الخليفة البابلية :-

ذكرنا فيما سبق ان المفكرين من العرافين الاقدمين شغلوا بأسئل الوجود والاشاء ، فسأ عنهم مذاهب وعقائد محلله حول موضوع الخليفة وقد حللوا لنا هذه الآراء بما نسمه الآن ملاحم واساطير دويوها على ألواح الطين بالشعر القصصى . وكانت هذه الاساطير متعددة بخلف من آيت الماده والمهد ، وقد آاءتا من السومريين تماآج من هذه الآداب الا انها لم تأسا سائمة محفوظة ولكن البابليين الدين ساهموا فى بئ حضارات العراق واحذوا تراثا كبرا عن السومريين خللوا لنا نمودحا آخر من أساطير الخليفة . وبعد هذا النمودح أكمل وأطول قصة فى موضوع الخليفة . وتعرف هذه الاسطورة عد علماء الاشوريات باسم «رقم الخليفة السعة» أو كما سماها البابليون أنفسهم « اينوما ايليش » (حينما فى العلى) لان أول بيت من الشعر فيها بدأ بهذه العاره . وقد ألقت بالشعر البابلى ودوب على سعة ألواح من الطين مجموع ما فيها ألف بيت تقريبا . وآاءتا أولى هذه الألواح من آراة آكب الملك الاشورى « آشور باسال » (٦٦٨ - ٦٢٦ ق م) فى نىوى .

لقد تناولت بحوث العلماء هذه الاسطورة منذ عام ١٨٧٦ فرآمت عدة ترآحات الى اللغات الاوربية ، ولا نرال البحث فيها مسمرآ . ومع أن تاريخ

(١) لقد ترآمت معظم هذه القصص والاساطير الى العربية وسرب فى محله الآثار العرافية «سومر» ، وذكرآ معها أهم البحوث والمراجع التى رآبت فى هذه المواصب فأنظر الاعداد الآتية من « سومر » المآلد الخامس ، العددان ١ و٢ (١٩٤٩) ، والمآلد السادس . العددان ١ و٢ (١٩٥٠) والمآلد السابع العدد الاول (١٩٥١) .

(٢) لقد سبق ان لآصنا فى مآبب الدينانه (فى القسم الخاص بالسلوك والاحلاق) فطعنا مهمين من آداب وادى الرافدين فلزم الرجوع اليهما .

ألواح الخليقة السبعة من القرن السابع ق.م ، إلا أنه لدينا من الأدلة الداخلية (أى أدلة من القصة نفسها) ما يثبت أن زمن تأليف القصة يرجع الى عهد سلالة بابل الاولى ، والى عهد حمورابى بوجه التحصيل . كما سنان من تمجيد الاله « مردوخ » اله بابل ، وبيان السبب الذى احل من أحله مكانة سامية بين الآلهة بل صار سدها وملكها ، وتنازلت له عن صفاتها وأنعامها . وأعلى شأن مردوخ وتمجده يعنى كذلك تعظيم مدينة بابل وأعلى شأنها على البلدان الأخرى لما أن عظم شأنها فى عهد الملك حمورابى وصارت عاصمة الامبراطورية التى أنشأها ذلك الملك . وموجز القول ان التغيير السياسى الذى طرأ على مدينة بابل اقضى أن يعير مركز الهها مردوخ فيسقل من اله غير دى شأن الى سد الآلهة وملكها . ويرجح كثيرا أن كهنة بابل قد تناولوا القصص والآداب الدينية القديمة ولا سيما السومرية فجعلوها مصدرًا لقصة جديدة بعد أن عبروا وبدلوا فيها ولا سيما تعير بطل القصة الاله « الملل » واحلال الاله مردوخ محله . والث ملخص القصة :^(١)

حيما فى العلى لم يكن للسماء اسم ، وفى الدنى لم تكن الارض شيئًا مذكورا . ولم يكن فى البدء غير أسو (الماء العذب ، أى مياه الانهار) و « تيامة » (الماء المالح) ، وكاب مابهما محلطة . ولم يكن قد ولد اى من الآلهة ولا ذكر اسمائهم ، ثم تولد منهما (من الاله والآلهة اللذين يمثلان المياه الاولى) الآلهة الأخرى بأجيال متعاقبة أولها الهان هما « لخمو » و « لحامو » ثم بعد مرور دهور طويلة جاء الى الوجود الهان آحران هما « اششار » و « كيشار » ، اللذان ولدا الاله « آنو » بعد مرور أرمان طويلة . وقد صار « آنو » عريما وبطيرا لا يآبائه الآلهة العتيقة ، وجاء من بعد ذلك الآلهة الحداثه الأخرى مثل « انا » الذى كان محلليا بالمعرفة والحكمة والقوة أكثر من آبائه ، وبعد حين تحرب حيل الآلهة الحديثة وأسأوا الى آباتهم الآلهة

(١) حول الدراسات الاصلية راجع ببت المصادر فى آخر الجزء والملخص الذى ابيناه مسند بالدرحة الاولى الى الترجمة العربية فى محله سومر (المجلد الخامس ١٩٤٩) الص ١١ فما بعد .

العفة ولاسيما الى أمهم « تيامة » وأبيهم « أبسو » . لقد أرادت الآلهة الحديثة أن تسبب شؤون الكون وتنظمه وفق أهوائها . كانت تمثل الحركة والعمل في حين ان الآلهة العتيقة تمثل السكون والركود والصماء^(١) ، فإساء فعلهم « أبسو » أكثر من أمهم تيامة فعزم على ابادتهم جميعا وارجاع نظام الكون الى سابق عهده وكاد ان يفك بهم على الرغم من معارضة زوجه « تيامة » وفي اللحظة الحاسمة يعلم الاله « ايا » بالخطئة الميئة فعزم أمره والنجأ الى سحره المقدس فألف أقوى رقية وقرأها على الماء (أبسو) فاحل فيه السات فكله وفله وابنتى فى حسمه (فى المياه) بنه^(٢) فسكن فيه هو وزوجه . وولد للاله وزوجه اس هو « مردوخ » الذى كان على أتم ما يكون من كمال الخلق فسر به أبوه وفصله على غيره وعلا قدره على من سواه من الآلهة^(٣) ، وكان حارق القدرة وبطل الآلهة الحديثة حيث نصل الاسطورة ها الى مكان حرج هو ان « تيامة » روج أبسو عزمت على الاسقاء من الآلهة الحديثة لمقتل زوجها وأحدث بعد العدة لذلك فخلق انواعا كثيرة مخيفة من العفاريت والشياطين والافاعي وسلحها بأسلحة فاكدة وأمر ب عليها أحد الآلهة العيفة هو « كيكو » وجعله زوحها وزودته بالسحر واودع عنده ألواح القدر ، وهأت جمعها للبدء بحرب الآلهة . وفي هذا الموضع أيضا نجد « ايا » يكشف للمرة التاسعة الحظر المحقق بالآلهة الحديثة . فحاف وذهب الى حده « أشار » واحمره بما اعزمت عليه « تيامة » من اقاء الآلهة ، فلما سمع الاله الشيخ بذلك ثار ثائره و « صرب فخذه وعض شصه » وأمر « ايا » أن يذهب لقتال تيامة ولكنه حين لانه حاف من جموعها وكذلك انهزم الاله « آبو » منها . واد استطاع الالهة فى الازمة السابقة

(١) العماء بـرحمه كلمة (Chaos) وهو المصطلح الذى اطلقه اكر الباحثين فى اسطورة الخليقة ويريدون به حربا على ما قال به بعض فلاسفة اليونان المادة الاولى المضطربة المشوشة التى كانت اصل جميع الاشياء .

(٢) ولذلك يسمى معبد الاله ايا ب « اى - أبسو »

(٣) مردوخ اله نابل الشهير وبطل القصة ، ولكن كما المحيا سابقا

كان بطل الفصه الاصلى الها آخر هو « انليل » .

أن يحلوا المشكلة بصورة فردية بقيام اله واحد بالامر فانه فى هذه الحالة اقتضى الامر أن يعملوا متحدين جميعا . فاجتمعوا فى مجلس الشورى المقدس (ندوة الاقدار) ، وحاولوا ارسال حملة آلهة للصلح مع تيامة ولكن جهودهم ذهت سدى وفى ندوة الاقدار مرة أخرى اجمع الآلهة فى وليمة أكلوا فيها وشربوا وغنوا وزال خوفهم ، وفرروا انتخاب بطل من بينهم ليتولى عنهم الزال ، فاسحوا الآله مردوخ وحطوه ملكا عليهم . فجلس هذا وسط الآلهة حيث اجمعوا على حمل كلمه لا ترد وامره لا يدل وفوضوه السلطه المطلقة على جميع الكون وزودوه الاسرار الالهية الكامنة فى اسمائهم والخاصة بهم ولكى يمسحوا قدرته وسلطته الحديدى وصنعوا رداء فى وسطهم وقالوا لمردوخ قل كلمة فسيحصى الرداء وبكلمة أخرى سيعود الرداء فعل وادا بالرداء يتلاشى^(١) وبكلمة أخرى عاد الرداء . فلما رأى الآلهة فعل « كلمه » فرحوا وسجدوا له فائلى « حقا ان مردوخ ملك ! » فرودوه بالصولحان والباح واعطوه سلاحا لا نظير له فى حربته مع تيامة وصنع هو قوسا وسهما عيسى وصنع أيضا شبكة وأمر الرياح الاربعة ان تسكن فى مواضعها وركب عربته المرعة المحففة بحرهما مخلوقات مدمرة . ولما تقابل الآله مع تيامة بدأ هذه تلو سحرها ولكن لم تؤثر فى مردوخ وبعد تبادل كلمات الساب شر الآله شكته واصطادها فيها ، واطلق الرياح الشريرة فدخلت فى خوفها فاصبح بطنها فقره ودبحها وحاولت حموعها أن تهرب ولكن مردوخ لم يدع أحدا يفل من يده فجمعهم فى شكته ومعهم فائدهم « كيكو » فاحذمه ألواح القدر وحسمها بحمه واحفظ بها فى صدره . ثم رجع الى تيامة وهشم رأسها وقطع مجارى الدم من جسمها فتصاعد منه

(١) من الباحثين من يرى ان سبب استحباب الرداء لامتحان قوه مردوخ السحرية اعتبارا من ادبته فيه حيث ادخل ناطم الاسطورة نوعا من الصعاب اللغوية ولا سيما الحساس اللغوى المسجل عليه اسم « مردوخ » ، المكسب بمقطعين من العلامات المسماة بالمقطع الاول « مار » ، وصع ، او حلى أو أفى ويعنى المقطع الثانى « دوك » رداء أو ليس رداء الخ .

الدم مع الريح ، ولما رآه الآلهة سروا وهفوا ممجدين باسم مردوخ = ثم قسم جسمها قسمين جعل الصف الأعلى منه سماء ومن نصفه الأسفل أرضاً ، وعس في السماء ماطقها وبروجها ومواضع الآلهة وبروج الكواكب ووقت الاوقات والفصول = ثم رأى مردوخ من بعد ذلك أن يخلق مخلوقاً هو الإنسان ليعبد الآلهة = فأشار عليه «ايا» قائلاً : لضع أحد الآلهة لكى يخلق الشر = لجمع الآلهة كلها ولتقدم الاله المذنب = وبعد أن جمع مردوخ الآلهة سألهم : من حث «تامة» على الثورة ؟ لضع الاله الذى سبب ذلك . فأجابه الآلهة : ان «كنكو» كان كل السب = فقيده الآلهة بالأصعاد وقدموه الى الاله «انا» فأهدر دمه وحلق الآلهة الإنسان من دمه ليعدهم = وبعد أن كمل خلق الإنسان أسس الآلهة = ايساكلا = معبد الاله = مردوخ = فى بابل واجتمعوا فيه بعد تمامه فى حفل مقدس ورتلوا بمجد مردوخ ومنحوه أهم ألقابهم وأسمائهم المقدسة ، فصار يجمع فى شخصه أكثر صفاتهم وسهى الملحمه فى الرقص السامع الذى خصص ليكون ترتلاً وصلاة لمردوخ^(١) .

استنتاجات من اسطورة الخليفة البابلية :-

(١) يوحد شابه وناصر واضحان بين اسطورة الخليفة البابلية وبين رواية النوراه (سحر الكون ١ : ١ - ٢ : ٣) فكلا المصدرين يشير الى وجود عماء مظلم من الماء فصل الى سماء وأرض ، ونشابه الكلمتان المسعملتان للعماء فى كلا المصدرين وكانت هذه المادة الاولى فى القصة البابلية أصل الاشياء وهى مؤلفة من عصير من الماء العذب (العصر المذكر) ومن الماء المالح (العصر المؤنث) وقد جسم البابليون هذين العصرين من الماء وجعلوهمها الها والهة وهما = ايسو ، و « تامة » عدوهما اصل الآلهة الاخرى واصل جميع الانشاء = فكون هذه المادة الاولى عند البابليين ذات صفة ثنائية أى كات مادد والها فى الوقت نفسه = وعلى ذلك فالمادة أرلية أى انها وجدت منذ الازل ولم تخلق ، وكانت الها فى الوقت نفسه ، ونجد هنا اخلافاً جوهرياً

(١) انظر الكلام على عند رأس السنة البابلية فى مبحث الديانة .

بين العقيدة البابلية وبين الأديان السماوية ولا سيما ما نصت عليه السوراة والقرآن ، حيث وجود الله ارلى يسى وجود المادة وهو الذى خلق المادة .

(٧) وبوسنا ان نكشف من وراء الاطار الاسطورى لرواية الحليقة البابلية أحوال العراق القديم ولا سيما الاحوال الجغرافية فى بداية تكوينا أولى الحضارات البشرية فيه . فالمياه الاولى والصراع والاحتراب بين الاله مردوخ و « تامة » و « ايسو » (وهما الالهان اللذان يمثلان المياه الاولى) ، وتغلب مردوخ عليهما فى الحرب بين الجيلين من الآلهة ، ثم احلال النظام بسدل القوضى وخلق الكون وتنسيد المعابد كل ذلك وغيره يعكس لنا صراع العراقيين الاوائل مع بيئتهم الطبيعية وتغلهم عليها وانشاء العمران والحضارة فقد رأينا ان القسم الجنوبي من العراق كانت تغمره مياه البحر ثم تكونت بمرور المرون الياسة من العرين والطمى المحمولين بمياه الرافدين . هذا وان اسم « تامة » يعنى البحر مثل كلمة « تهامة » العربية .

ولقد سبق أن نوها باسـسـاج آحر مهم هو ان هذه الاسـطـوره بعكس لنا ايضا الاحوال الاجتماعية والسياسية فى العراق القديم فى أولى مراحل تكويـه الحضارى فى العهد الذى سـمـاه نافعـه الشـيـه بالكـابـى أو التـأريـحـى حيث كان نوع من نظام الحكم الديمقراطي الدائى كما يسـسـح ذلك حـلـيا من هذه الاسـطـورة اد تصور لنا الكون نهية دولة يحكم فيها الآلهة حكما اشوريا ، وتصور لنا الاسـطـورة أيضا أصل الملك ، حيث انتخت الآلهة فى اثناء الازمة الحادة التى حلت بها الاله مردوخ ليكون بطلها وملكا عليها وتنازلت له عن سلطاتها . وثب أمر آخر بعكسه لنا هذه الاسـطـورة هو الصف الذى تمتاز به البيئة فى وادى الرافدين كما أن عملية الخلق والكون لم تتم بهدوء بل بصراع وكفاح بين الآلهة وسجد عكس هذه الصورة تماما فى تصورات سكان وادى النيل الاقدمين فى اساطير الخلق عندهم حيث تمت عملية الخلق بهدوء .

٢ - ملحمة جلجامش والطوفان :-

جلجامش من أبطال القصص في تاريخ العراق القديم . وقد ورد اسمه في نبت ملوك الوركاء . في عهد سلالته الأولى التي لا نعرف عنها شيئاً سوى أسماء ملوكها ، وقد صار بعضهم . مثل جلجامش موضوعاً لقصص وملاحم شعرية . ومما يرحح كثيراً أن هؤلاء الملوك قد حكموا في العراق ، في مدينة الوركاء قبل عصور فجر السلالات أو في مدياته .

اشهر اسم جلجامش في آداب العراق القديمة منذ أقدم عهود التاريخ وصار موضوعاً لعدة ملاحم وقصص سومرية وبابلية ، وكلها تدور حول وصف أعماله والمغامرات التي قام بها ، وأعمال الطولة الخارقة التي تفرق به ، حتى صار أشبه ما يكون بأبطال اليونان في عهد الأشعار الهومرية ، وقد أصبح في الواقع مثلاً يحذى به عند أبطال الأمم الأخرى ولا سيما « هرقل » ، والاسكندر دى القرنس في المآثر العربية ، ونمردو النوارد في النوراة .

وكان أشهر القصص والملاحم التي تدور حول اسم جلجامش وأعماله الملحمة المشهورة بقصة « جلجامش » التي يؤلف خير الطوفان جزءاً منها ، كما سيتضح ذلك من تلخيص القصة . ان هذه القصة أطول ملحمة شعرية في الأدب البابلي ، وقد كتبت على اثني عشر لوحاً من الطين مجموع ما فيها نحو ٣٥٠٠ سطر وقد وجدت مثل ألواح قصة الخليفة البابلية في مكتبة « اشور باسال » الشهيرة في سنوى . ووحدت نسخ منها من عصور أقدم من العهد البابلي القديم (مما يدل على قدم هذه الملحمة) وقد صارت منذ أن اكتشفت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الآن موضوع اهتمام الباحثين والمرحس من أبناء الغرب .

سيوضح من موجز القصة أنها أقرب ما تكون الى الجمع الادبي المؤلف من عدة قطع مختلفة ، ولكنها جمعت حمماً أدبياً فنيا لتكون وحدة على هيئة

ملحمة فمن هذه القطع القصص التي تدور على مغامرات حلجامش وصاحبه «انكيدو» ، وقد جاءتنا من هذه نماذج من القصص السومرية كما ألمحنا الى ذلك من قبل ، وأدمحت في الملحمة أيضا قصة الطوفان التي يرجح ان تكون موضوعا مستقلا بنفسه وقد جاءتنا عنه روايات أخرى سومرية^(١) . وقد وفق المؤلف في جمع هذا الموضوع ولحمه مع القسم الاول الذي يخص أعمال حلجامش ومغامراته . وهناك قسم ثالث من الألواح التي تخص ملحمة حلجامش وهو اللوح الثاني عشر الذي يؤلف قصة لا علاقة لموضوعها

(١) والذي نبحث له أن فصصا عن الطوفان وحدث عند أغلب الامم والاقوام . فقد احصى الباحثون وجودها فاستسحوا انها مسيرة في قاره أسسه وحرر المحيط الهادي وفي كلتا القارتين الأمريكيتين (فيما قبل العهد الاوربي) ، ولكنها قليلة نسبا في قاره اوربيه واقل منها في القاره الافريقيه . ومع كثره قصص الطوفان واسرارها فانها تختلف فيما بينها اختلافات كثره . كما ان فيما منها اساطير وصعب وصعب لتفسير بعض العوارض الارصيه كالمحضات الواسعه في البلاد التي وصفت فيها تلك الاساطير . وبخلاف ذلك فصص الطوفان البائليه التي كانت بالاصل وقائع حقيقه حدثت في طبائ الماضي البعد ورويت بالروايات السعفيه فسوحت معالمها التاريخية ، وكذلك الحال في روايه التوراه عن الطوفان التي سببه الروايات البائليه سببها جعلها ترجع الى حادثة واحده بعهد انها حدثت في العراق اي انها بروايان حبر طوفان واحد ترجح كثيرا أنه وقع في القسم الجنوبي من العراق في نهانه العهد الذي سمي به بعهد حمده نصر في بدايه الالف الثالث و٠ م . كما يؤيد ذلك دلاله السعفيات الحديثه حيث وحدث آثار ترسيبات من الطوفان بتصل بين دورى حمده نصر وعصر فجر السلاسل وذلك في بعض مدن العراق القديمه ومنها « كيش » والوركاه . و « شروناك » (قاره الآس) . وكانت المدينه الاحمره موطن نوح الطوفان البابلي « اوتو - نيسم » . وورد ذكر الطوفان أيضا في اساطير الملوك السومريه التي قلما فيها ربيبت سلاسل الملوك الحاكمه الى قسمين ، ملوك ما قبل الطوفان وملوك ما بعد الطوفان . وقد جعلت هذه الابواب حاده الطوفان قبل سلاسل الملوك الذين حكموا في عصر فجر السلاسل . وهذا يؤيد دلاله السعفيات التي أشربا اليها . اما سبب الطوفان فلا نعصر علمنا ادراكه ولا سيما في بلد نكر فيه القيصانيات كالقسم الجنوبي من العراق . ولكن كان الطوفان الوارد في ملحمة حلجامش حدثا عظيما وقع قبل تغلب الانسان على الانهار بما أنشأه من السدود واعمال الارواء .

١ أنظر مجلة سومر المجلد السابع ١٩٥١ ، العدد الاول) .

بموضوع الملحمة العام ولم يوفق المؤلف أو المؤلفون في جمعه مع القطعتين الآخرين حيث يدور على وصف العالم الأسفل أو عالم الأرواح كما رآه «انكيدو» صاحب حلجامش والملحمة بوجه عام نجاح أدبي سامي (بابلي) على الرغم من استناد كثير من حوادث الملحمة إلى ما يضاهاها في الأدب السومري الذي لعله اتخذ أساساً وأصلاً لساج أدبي جديد .

ملخص القصة :- (١)

« تبدأ القصة بوصف بطل الرواية حلجامش فذكر حكمته وخبرته ومعرفه باخار الأزمان الغابرة مما قبل الطوفان وأنه سافر أسفاراً بعيدة ، وكل ذلك اسباق لحوادث الرواية فيما بعد ولا سيما أسفار حلجامش ومغامراته وذكر الطوفان . » وتصف الرواية أعمال حلجامش في مدينة الوركاء وكيف أنه بنى أسوارها ومعبداً المقدس « اى - انا » وهو عمل لم يضارعه فيه أحد من الملوك الذين أتوا من بعده .

وكان حلجامش بطل الآلهة على أنم ما يكون من الصورة والحلق . « فقد صعبه الآلهة أحسن صعبه واحمل منال ، قوى الجسم هائل الخلقة حسيب الركب ثلثه اله وثلثه الباقي بشر . »

أخذ حلجامش أهل الوركاء بالعصف والاضطهاد فلم «يرك ولدا لآبيه» ولم برك الروحة لحسبها . « فاستغاث الناس بالآلهة ، فاستمعوا لشكايتهم واستمع « آنو » العظيم لهم فقال للآلهة « ارورو » انت يا « أرورو » قد خلقت حلجامش فاصعنى عرماً وطيئراً له فامسك « ارورو » لامر آنو ففسلت يديها واحذت طياً وعجبه و « بصقت » فيه « وصعت منه بطلاً قويا هو (انكيدو) » وكان هذا مارداً يغطي جسمه الشعر ، وشعر رأسه كالمرأة . وكان وحشاً لا يعرف الشر ولا حياة الشر يرعى العشب واللبات مع الغزلان ويرد الماء مع وحوش البرية . وبما كان برد الماء مره رآه أحد الرعاة فهاله خلقه

وشكله وخاف خوفا شديدا ، فقص هذا الراعى على أبيه ما شاهده وصحبه
 أبوه أن يذهب الى حلجامش ويخبره بخبر هذا الوحش ولحق له بطريفة
 اصطاد هذا الرجل الوحش بواسطة امرأة يرسلها حلجامش . فلما سمع
 حلجامش خبر (انكيدو) من الراعى قال : اطلق يا أيها الراعى واسطحب
 معك بغيا ، وعندما يأتي الوحش لورد الماء « فلنخلع ثيابها ونعمل على اعوائه ،
 وسسدل وحشيه » فسار الراعى ومعه البعى الى المواضع التى يردد عليها
 (أنكيدو) وترضا وروده ثلاثة أيام عند مورد الماء « فوقع (انكيدو) فى
 حائل المرأة وعاش معها ستة أيام وسع امال ، وتغير حاله من بعد ذلك حتى
 أنه « سى الموضع الذى ولد فيه » ، ودهت وحشيه ونفرت عنه العرلان
 والوحوش التى كانت تألفه ، ولم استطع أن يجرى معها ويحاربها بالركض ،
 فرجع الى العى وارتمى عند قدميها فقال له « ألا تعلم يا أنكيدو انك مثل
 اله « فعلام تهيم فى البرية مع الوحش ؟ فقال أذهب بك الى الوركاء حيث
 المصد الراهر ، مسكن آنو وعشار ، وحث حلجامش ذو الحول والقوة «
 وما أن سمع انكيدو ذلك حتى أسلم قياده الى المرأة لأخذه الى الوركاء مصمما
 على أن يازل حلجامش ويطلبه حتى يكون هو القوى بين الرجال .

وعندما أشرف (انكيدو) والمرأة على أبواب الوركاء اجتمع الناس
 ليشاهدوا لقاء البطلس حلجامش وانكيدو . ووقف انكيدو فى باب المدينة
 متحديا حلجامش فشنت بين الاثنين معركة عيفة تصارعا فيها و (انكيدو) را
 كاثورين وحطما اركان الباب . واهر الحائط) « وبعد جهد سلك حلجامش
 من (انكيدو) وطرحه على الارض ، وعددها هدا حلجامش ودهت سورة
 عضه ، وأقر انكيدو بفوق عزمه ، واعجب البطلان كل منهما بالآحر «
 فصارا صديقين حميمين .

وبعد نقص فى نص الملحمة نجد حلجامش يصرم على القيام بسفر طويل
 يذهب به مع صديقه الى غابات الارر ليحصل على الشهرة والمجد . وبعد
 أن أعد البطلان عدة السمر وتسلحا بأسلحة هائلة بدءا بحملتهما الى غابات

الارز • وبعد سفر شاق طويل وصل الاثنان الى مدخل الغابة التي يحرسها العول (خمبابا) أو (خواوا) الذي عينه الاله (الليل) لحراسة الغابة المقدسة • وقد فلا اولا الحارس الذي عينه (خمبابا) في المدخل ثم دخلا الغابة واوعلا فيها حتى بلغا موضع (خمبابا) نفسه ، فذعر جلبامش ونل من الخوف فانسفت بالاله (شمش) فأنجده هذا بأن ارسل الرياح انصاية وسلطها على (خمبابا) • فسكن في مكانه واستسلم وأخذ يتضرع لجلبامش لسقى على حياته ولكن جلبامش لم يرحمه بل قطع رأسه • ورجع البطلان من بعد ذلك الى مدينتهما •

وعندما وصلا الى الوركاء تهادّيا للاحتفال بصرهما وبالعودة من مغامراتهما وليس جلبامش الحلل الراهية وصقل سلاحه ، ولما أن رأته الالهة عشار أعجها حسنه وأحتة فعرضت عليه أن يتزوجها واغرته بما ستفقد عليه من الهات السنيه وانها سيجعل (ملوك الارض وحكامها وأمرائها يسبحون له) • ولكن جلبامش رفض طلب عشتار ولم يقصر على ذلك بل انه أهانها في رده وعيرها بما حله حها من الدمار والهلاك على عشاقها السابقين • فكان من حملة ما قاله لها : أنت قصر تحطم فيه الانطال • • أنت قار يلوث حامله ، وقرنة تلل من يحملها • • فأى من عشائك من أقيت على حبه • • تعالى أفس الك قصة عشائك • • « فمن اجل « تموز » زوج صباك قد أمرت بالنوح والكاء كل عام ^(١) » • وقد احبت طير « الشقراق » المرقش فلطمته وكسرت حاحه • • وذا هو يندب في الساتين والاحراش : جناحى ! جناحى ! ^(٢) »

(١) يسر هذا الى العبد السنوى الخاص بالنوح على « تموز » اله الحضار والساب والربيع ، وقد اعتقدوا فيه انه ينزل الى عالم الاموات الاسفل في كل حريف ويطل هناك حبيب يقوم ويرجع الى الحباه مع بسائر الربيع • ويوجد قصه بابلية نصف نزول عشتار الى العالم الاسفل لارحاع حبيبها تموز الذى مات بسبب حبها •

(٢) ان الشقراق وهو طائر نكر في العراق الجنوبي ، يخرج في اثناء طيرانه في موسم اللقاح صوبا يشبه اللفظه البابلية « كفى » اى جناحى • ولعل صوته وشكل طيرانه هو الذى أوحى للبابليين بهذا الحال الطريف •

وعندها استشاطت عشار غضبا فصعدت الى السماء الى حضرة أبيها « آنو »
 واسعدته على جليجامش وألح عليه بأن يحلق لها نورا مقدسا يقصى به
 على جليجامش وهددته بأنها ان لم يفعل ذلك فسحطم باب العالم الاسفل أى عالم
 الاموات فيخرج منه الموتى وبافسون الاحياء وعد ذلك رضح « آنو » لطلبها
 وحلق (نور السماء) ، وابرله الى مدينة الوركاء فأخذ يصك بسكان المدينة
 وأحل الذعر والهلع فى نفوسهم وسقط المئات من رجال الملك وقد مات
 بعضهم دعرا من حوارهم . وهما اسرى له الطلان بمصارعانه حيث تصف لنا
 الملحمة مشهدا أشبه ما يكون بمصارعة البيران فى اسباسة . وقد تمكنا منه
 وقصيا عليه . ولما رأت عشار ذلك ملكها العضب فلعبت جليجامش فاحابها
 (أنكىدو) بأن قطع فخذ الثور وقذف به فى وجهها . وكان الثور عجميا ، قرداه من
 ححر الاروردد . وقد حرت عشار على الثور وجمعت (ساء المعد) واقامت
 النوح عليه . وسار الطلان فى شوارع المدينة محفليين بمصرهما وقد تملك
 جليجامش الرهو والعرور وصار يسأل عذارى الوركاء وهن محجعات مع
 اللبس فى الاحتفال (من الامجد بين الابطال ؟ ومن رين الرجال ؟)
 فيحبه مع الجماهر (جليجامش الامجد بين الابطال ، جليجامش رين
 الرجال) .

والى ها كان كل شىء يدو على ما يرومه الطلان ، ولكن أقدار الآلهة
 حأت لهما غير ذلك . وبدأت الرؤى والدر تدرهما بما سيحل بهما
 من « المصائب » ولا سيما العاقبة التى قررب احلالها بانكىدو حراء على قلبه
 « خمابا » و « نور السماء » . فرأى انكىدو مما رآه فى الاحلام^(١) ان

(١) وكان مما رآه انكىدو انه برل الى عالم الارواح الذى وصفه
 القصة بأنه « الدار التى لا رجعة لمن ندخلها » والطريق الذى لا رجعة منه .
 والدار التى حرم سكانها من النور حيث الراب والطين طعامهم وفوقهم « الحج »
 وهذه صورة كئيبه بصورها البائسون عن عالم الموتى ولكنهم لطفوا منها فى
 أساطير اخرى ورد فيها ذكر « العالم الاسفل » كما ألمحنا الى ذلك فى
 محجب الدنيا .

الآلهة اجتمعوا فى «مجلس الشورى» ليقرروا أى من الاثنين يجب أن يموت .
 فوقع الحكم على « انكيدو » المسكين « اما جلعامش فقد أبقي عليه لعله
 بسبب أن ثلثيه من ماله الآلهة . وأعقب ذلك أن «انكيدو» مرض وهو فى ريعان
 الشباب . فاصطحب فى فراش المرض مدركا قرب نهايته « وأحدث تتوارد
 عليه الحواطر ويتذكر حياته السعيدة الماضية يوم كان حلى النال يرعى مع
 الغزلان والوحوش وحرن على محيطه الى حياة الشر والحضارة ، فلمس
 الصياد الذى حلب له (المرأة) ولس المرأة التى اغوته على المحى الى المدينة
 وناحى نفسه بهذه اللغات قائلا : (تعالى أيتها البغى فاقدر مصيرك الذى لن
 ينتهى الى الابد « ليكن الشارع مأواك وظل الحائط مسكنك » سيلطم
 السكران وحتيك) الح « وبعد أن مات انكيدو حزن عليه صاحبه حزنا
 ممسا وصار يسبح عليه ويديه ليل نهار (كما تروح المرأة) ، حتى انه ابى
 أن يودعه اللحد معللا نفسه بعودة صاحبه الى الحياة ، وبعد أن يش دفنه
 دفنا يليق به ، ولكن الحزن طل بلامه فهم على وجهه فى البرارى يندب
 صديقه حائفا من المصير الذى سيؤول اليه ، وتملكه الخوف من الموت ولم
 يجد عزاء فى كل ما احزنه من أعمال وامجاد .

وهما صار يفكر بوسيلة للتخلص من الموت ، ولكن كيف يتسنى له
 نيل الحياة الخالدة ؟ وهما ذكر قصة حده « اوتو - بشم » الذى يعيش فى
 بقعة نائية فى البحار البعيدة « وكان قد حصل على الحياة الخالدة فعزم على
 شد الرحال الى حده مهما كلفه الامر ليسأله عن سر الحياة الخالدة « فبدأ
 جلعامش فى سفر طويل شاق ، وبعده يصل أول ما يصل اليه جبلا اسمها
 « ماشو » برجح أن تكون جبال لسان وتنتعها اللحمة بابها الجبال التى تمر
 من مدخلها الشمس فى سيرها اليومى ، ويحرس ذلك المدخل مخلوقات
 غريبة مركبة من اسنان وعقرب كانت نظرتها « موتا محتما » ولما

الاسطورة باسم « ادا » . وهي تمد على قدر عظيم من الاهمية بالنسبة الى آراء القوم فاصل الشر وطسعة الاسان ، كما ان مطل الرواية منه يرى بعض الباحثين فيه أنه « آدم » أبو الشر حتى ان اسمه البابلي يكاد يكون كلفظ آدم . وملخص الاسطورة ان «أدا» كان يعيش صيادا في الجزء الجنوبي من العراق قرب سواحل البحر في اريدو . وقد أحس الآلهة « ايا » ومعه المعرفة والحكمة والقوة . وفما كان يصيد السمك في احد الاما هب الريح الجنوبية فقلب قارب « وقد حسم البابليون الريح الجنوبية بهشة طائر صحم ، فمسك «أدا» الريح وكسر جناحيه ، فسكن الريح ولم يهب فعلم «آنو» . كبير الآلهة بالامر ، وأصدر أمره بان يؤتى بأدا أمامه لدخامه فحاف عليه . «آنو» له «آنا» ولا سيما انه حتى ان لا الهة سمرق

وسر «آنو» . «آنا» له «آنو» على تحلقص «آنا» . فاشده الى ما يحب ان يفعله ويصوم أمام الآلهة في السماء ، وجعله يلبس ثياب الخمار ويضع على رأسه ارماد عندما يقرب من السماء . وادا ما سألته الآلهة الحارس عن سب حربه فعلمه ان «حيث ناله اما فعل ذلك لان الهين تركا الارض وحاموا الى السماء ، وكان يقصد بهذين الالهين الحارسين اللذين يحرسان باب السماء ، فكسب بذلك صديقي في السماء . وبالإضافة الى ذلك فان الآلهة «اياه» أوصى « ادا » بأنه اذا قدم له الآلهة «آنو» . كسوة فيستطيع أن يلبسها ولكنه اذا قدم له طعاما فلا سعى له ان يأكله لانه سيكون طعام الموت . وعندما صعد «أدا» الى السماء عمل موصايا «آنا» فكسب اولا الالهين الحارسين وحاموا صديقين له ورافقا الى السماء السابعة الى حضرة «آنو» ، كبير الآلهة وكان «آنو» عرفة هذا الآلهة ان «آنا» يعرف أكثر مما يلزم شر مثله أن يعرف ولا سبب عبر معروفة قرر الآلهة «آنو» . لعله سبب وساطة الالهين الصديقين ، أن تكبل هذا الشر فطعمه طعام الجحاد وشرايه علاوة حتى «آنو» من العرفة . أن انه عزم على ان يجعله خالدا . ولكن

فيجيه جلعامش بما حل به ويقول له : « يا اوتو - شستم ! كيف لا تذبل
وحساي ويمتقع وجهي ؟ ويحزن قلبي وتتدل هيتي ، ويصير وجهي وجه
من انهكه السمر الطويل ... فان صاحبي وأحي الصغير الذي صاد حمار
الوحش في الرية والعر في النادية ... أنكيدو صاحبي ... الذي تغلب
على جميع الصعاب ... قد أدركه مصير الشر ! فكيف سبعة أيام وسبع ليال
ولم يهن على دمه في القر حتى وقع الدود على وجهه ، فافرعى الموت حتى
همت على وجهي في الراري ، فالنازة التي حلت بصاحبي تنقل كاهلي ...
صار صاحبي الذي أحست ترانا « أفلا أضطجع مثله صحمة لن أقوم منها
أبدا » ... وقد كلام آخر يصف به جلعامش ما عاناه في الوصول اليه
يحيه « اوتو - نشسم » ! « قال اوتو - بشستم لجلعامش ... هل بيننا
بينا يقوه الى الابد ؟ وهل حمنا عهد ، فهو الى الابد ؟ وهل تسمى العصاة في
الارض ابد الابد ؟ ... لم بكر حلود مد القدم « وما ما اعظم الشبه
بين النائم والميت ! الا تظهر على وجهي همة الموت ؟ وهكذا العد والسد
لما يسهي احلها « ... فسأل جلعامش اوتو - شسم الحالد كيف صار ادن
حالدا وهو مثله شر بل بدو أصعب منه « وما يبدأ اوتو - شستم يقص
عليه قصة الطوفان الذي حصل من بعده على الحياة الحادثة »

قصة الطوفان كما برويها اوتو - نبسم (١)

قال (اوتو - نبسم) لجلعامش : ساطلعت يا جلعامش على اسرار حمية
واسنك سر من اسرار الآلهة « كنت أعيش في شرواك المدينة التي تعرفها
الواقعة على الفرات « ولقد عزم الآلهة العظام على احداث الطوفان (٢) »

(١) مقولة بصرف عن الترحمة الحرفية في محلة « سومر » ، محلد
٦ عدد ٢ (١٩٥٠) ، اللوح الحادي عشر الاسطر ٨ فما بعد ، وتوحد قصة
سومر عن الطوفان (انظر

Ancient Near Eastern Texts, 42 ff

(٢) في قصص أخرى عن الطوفان كان السبب في ذلك آثام البشر
وخطاياهم .

وكان الاله (ايا) فى مجلسهم فقل حديثهم الى كوخ القصب (اى مسكن اوتو - ششم) وقال مخاطبه : يا كوخ القصب = اسمع يا كوخ القصب وتأمل يا حائط ! يا رجل (شروماك) فوصى سك واين لك سفينة واترك ما بملك وانج حياتك وحد معك الى السفينة بذرة كل مخلوق حى . ولما ادركت ذلك قلت لـ (ايا) الهى = يا الهى سأعمل بكل ما أمرتنى به . ولكن بماذا سأحب أهل مدسى ؟ فاحاسى (انا) هكذا قل لهم : ان (الليل) يكرهى فلن استطع العيش فى مدينتكم بعد الآن ، وسأنزل الى مياه (الابسو) واعيش مع (ايا) الهى = اما اتم فسرل عليكم المطر مدرارا . وسيمطر كم الموكل بالرواع مطرا من قمح^(١) فجمعت الناس حولى وشرعت بصنع السفينة واقمت هيكلها ، وانشأت فيها ست طبقات سعلى فقسمتها بذلك الى سبع طبقات وسمت طبقاتها الى تسعة أقسام وجهرتها بما تحتاج اليه والمؤن . وحملت فيها كل ما أملك ووصعت فيها بذرة كل مخلوق حى ، وادخلت فيها أهلى ودوى قرناى ، وحوان الرية ووحوشها وجميع الصناع . وحل الوقت المعين فأرسل الموكل بالرواع مطرا مهلكا من السماء . وتطلعت الى الجو . فاذا هو مخيف لا يمكن النظر اليه . فدخلت السفينة واغلقت بابها وعندما لاح أول حط من نور الصباح أتت عيوه سود من الافق البعد وارعبد الاله (أدد) فى داخلها وملت رعوده عنان السماء ، وانقلب النور الى ظلمة . وهبت العواصف العاتية يوما واحدا وحلت بالناس كالحر العوان ، وصار الناس لا يعرفون من السماء وانكسرت السدود وقد هبت العواصف ستة أيام وست ليل وانهمرت الامطار فغطى الطوفان الارض وذعر حتى الآلهة من الطوفان فانهزموا الى سماء (آنو) . واقموا كالكلاب وصرخت عشتار مثل امرأة فى المخاض ، واتحت سيدة الآلهة بصوت شجى وقالت: تحولت الحلقة القديمة الى طين لاسى أمرت بالشر فى مجلس الآلهة ، وصار الشر الذين ولدتهم مثل مض السمك يملأون المياه . ، ولما كان

(١) هنا توريه لخداع أهل المدينة . ووجه التورية انه استعمل كلمة معها من المشترك تعنى قمحا وهلاكاً .

اليوم السابع خفت شدة العاصفة والطوفان وسكن البحر وهدأت الروبعة .
 فتحت كوة من سميتى فسقط النور على وجهى ، وتطلعت الى البحر فكان
 كل شيء هادئاً ، وقد استحال الشر جميعاً الى طين . فاحيت وبكيت وبعد
 مسيرة اثني عشر ساعة مضاعفة اسوت السفينة على جبل (نصير) الذى مسك
 السفينة ولم يدعها تتحرك طوال سعة أيام واطلقت فى اليوم السابع حمامة
 فذهبت الحمامة ثم عادت الى لانها لم تجد موضعاً تحط عليه ، ثم اطلقت
 السونو فذهب وعاد الي لانها لم يجد موضعاً يحط عليه ، ثم اطلقت غراباً
 فذهب الغراب وكانت المياه قد انحسرت فاكل وحام وحط ولم يرجع الي .
 ثم اطلقت كل شيء الى الرياح الارسة وقربت قرباناً ، فلما شم الآلهة رائحة
 قربان الذكى اجمعوا حول ما صحيح كأنهم الدباب . وقالت الالهة
 « ما أب آله الآلهة » . « ما أبى لا أبى عمه الارورد الذى فى عمى
 فسأ تذكر هذه الايام ولن اسماها^(١) » . فليقرب الالهة من الارورد الا
 « ابليل » الذى أحدث الطوفان بلا روية فأهلك البشر ، وعندما وصل
 ابليل ورأى السفينة عصب عصباً شديداً لان بعض الشر بها من الهلاك .
 واسرى له الاله « انا » وكلمه وقال : « ما أبها الطل ما أعقل الآلهة » . كيف
 حار لك ان تحدث الطوفان بلا رويه ، فلتحمل المذب ورر حطشه ، ولا
 تفرط فى الشدة على المذب فهلكه ولا تلى له حتى يعلت من رماحه ، . ثم
 صعد ابليل الى السفينة واحد يدي واحرقى مع روحى فسجدوا له بسم
 وهف يسا ولمس ناصيتنا وباركنا بقوله : لم يكن اوتو - بشتم حتى الآن
 سوى اسار ولكن ليكن الآن اوتو - ششم وزوجه الهين مثلاً . وسيعيش
 اوتو - ششم بعداً عند (قم الانهار) ، فأحدوى واسكوبى فى هذا الموضع .
 أما أب ما حلحامش فمن ذا الذى سحجم الآلهة من أحلك حتى سجد
 الحنة الى تنعى ؟ هلم امتحك ! لا سم ستة أيام وسبع ليال . ولكن حلحامش

(١) يرى بعض الباحثين فى هذا المشهد ما يصاهى ما جاء فى الموراه

من «ن» «ميس فرح» كان علامه للعهد الذى حصل عليه نوح بعدم حدوث الطوفان
 فى الارض .

بدلاً من ذلك غط في نوم عميق . فقال اوتو - نبشتم الى زوجته متكهماً .
 انظري الى هذا الرجل الذي ينشد الخلود ! فلما استيقظ حلاجامش
 حزن وتوسل الى اوتو - نبشتم ان يدلّه الى ما عسى أن يفعل ، وفيما كان
 موشكاً على الرجوع الى بلاده صفر اليدين اشفت عليه روحة « اوتو -
 نبشتم » وتشفعت له عند زوحها فرق هذا لحاله وكلم حلاجامش قائلاً :
 « ساسر اليك يا حلاجامش بامر خفي وساطلحك على سر من اسرار الالهة :
 يوحد بات شوكة مثل شوك الورد يخز يدك وهو يست في عور البحر فان
 ظفرت بهذا النبات حصلت على تجديد الشباب والحياة » فربط حلاجامش
 برجله حجارة ثقيلة وعاص في أعماق البحر ووحد ذلك النبات العجيب
 وعزم على اخذه الى مدينته لينميّه ويستفيد منه الناس فسر حلاجامش وشرع
 يسير راحاً الى مدينته ، وبعد حين شاهد في طريقه رنة من ارد فزل فيها
 ليستحم وليزيل عنه وعتاء السفر . وبينما كان في الماء شمت الحية شذى
 ذلك النبات العجيب فاخطفته . وحصلت بواسطة على قدرة
 تحديد الشباب اد كلما ادركها الهرم برعت عنها حلقها ووجد شبابها .
 فجلس حلاجامش وبكى وانهمرت الدموع على وجهه وعاد الى مدينته
 وقد اعتق بعد الحصول على الحياة الحائلة تأخذ يشعل عسه ويسبي
 همومه فيما قام به من تحديد بقاء المدينة واقامة أسوارها العالية . ونجده في
 قصة أخرى من قصص حلاجامش - قوم من بلاد بعيدة لحلد له اسماً مع
 اسماء الآلهة المكتوبة في « أرض الحناء » .

هذا وقد سبق ان ذكرنا ان التاريخ الثاني عشر من القصة يكون موضوعاً
 أدبياً قائماً بذاته . ولا علاقة له بسبق - سوابب الرواية اذ سنما نكون
 « انكيدو » صاحب حلاجامش قد مات في اللوح السابع الا انه يكون حيناً في
 اللوح الثاني عشر ويأمر حلاجامش ان يزل الى العالم الاسفل ليرجع له
 آلتين صنعهما حلاجامش من خشب ولكنهما سقطتا منه في العالم الاسفل ،
 وبعد أن يزل انكيدو الى ذلك العالم يتسرع حلاجامش الى الآلهة بان يهيمه

من عالم الارواح ليبأ عن حال أهل العالم الاسفل فيصعد شبحه ويصف له ذلك العالم بصورة قاتمة عن حال أرواح الموتى حيث « يكونون كالمسجونين طعامهم الراب والطين » ولكنه يلفت من تلك الصورة الجاهمة بان يصف له حال بعض الموتى ممن يعاملون هناك معاملة خاصة فيجهزون بالماء والقوت ولا سيما من مات وحلف له دريه من الاولاد ومن مات فى الحرب ميسة الاطال (كما سبق أن ذكرنا فى محث الديانه) .

ويوضح من موحر القصة أن فكرة الملحمة الاساسية التأمل فى مسألة الموت والحلود وحمية الموت وان لا سبيل للشر ان يحصلوا على الحلود ، ومع أن حقيقه الموت واضحة عند كل اسان الا أنها مع بدايتها كانت ولا تزال موضع الحيرة فى قراره كل نفس شريرة . لقد قدر الموت على البشر أجمعين « لان الآلهة لما حلفت الشر قدرب عليهم الموت واسأثرت بالحلود والحياة الآلهة » هذه هي الحقيقة التى حاهد مؤلف الرواية فى الرهان عليها بطريقه مؤثره . فذاك حلقامش على الرعم من ان تلتى حسمه من مادة الآلهة وعلى الرعم من فوته الحارقة وان أمه الله لم يحصل على وسيلة للحلود فيتخلص من مصير الشر . ولم يقتصر الامر على انه اخفق فى الحصول على الحلود بل انه فشل حتى فى الحصول على ذلك الباب الاكسير الذى يحدد الشاب . وادا كان الامر كما برهنت عليه القصة فكيف يسعى للاسان أن يسلك فى هذه الحياة ؟ هل سلك السلوك الذى اشار به صاحبة الحانة أى سلوك التعم واللذة أو يسلك السلوك الذى قام به جلعامش عند وصوله الى الوركاء . بعد رجوعه حائما نائسا من معامراته ؟ اى الاهتمامك بالأعمال الاحتماعية وتحلبد الانسان نفسه بالعمل الصالح . ولعل الجواب الصحيح على ذلك أن الصوم وفقوا بن الوعين من السلوك .

٣ - اسطوره (ادايا) :

مذكر أسطورة ثالثة اشتهرت فى العالم القديم حتى ان نسخا منها وجدت فى مصر بالحط المسمارى واللغة البابلية فى عهد العمارنة . وتعرف هذه

الاسطورة باسم « ادا » وهي تمد على قدر عظيم من الاهمية بالنسبة الى آراء القوم فاصل الشر وطسعة الاسان ، كما ان مطل الرواية منه يرى بعض الباحثين فيه أنه « آدم » أبو الشر حتى ان اسمه البابلي يكاد يكون كلفظ آدم . وملخص الاسطورة ان «أدا» كان يعيش صيادا في الجزء الجنوبي من العراق قرب سواحل البحر في اريدو . وقد أحس الآلهة « ايا » ومعه المعرفة والحكمة والقوة . وفما كان يصيد السمك في احد الاما هب الريح الجنوبية ففعلت فاره . وقد حسم البابليون الريح الجنوبية بهشة طائر صحم ، فمسك «أدا» الريح وكسر جناحيه ، فسكن الريح ولم يهب فعلم «آنو» كبير الآلهة بالامر ، وأصدر أمره بان يؤتى بأدا أمامه لدخامه فحاف عليه . «آنو» له «آنا» ولا سيما انه حتى ان لا الهة سمرق

وسرا يعرفه . «آنا» له «آنو» على تحلقص «آنا» فارشده الى ما يحب ان يفعله ويصوم أمام الآلهة في السماء ، وجعله يلبس ثياب الخمار ويضع على رأسه ارماد عندما يقرب من السماء . وادا ما سأله الآلهة الحارسان عن سب حربه فعله ان «حيث ناله اما فعل ذلك لان الهين تركا الارض وحامدا الى السماء ، وكان يقصد بهذين الآلهين الحارسين اللذين يحرسان باب السماء ، فكسب بذلك صديقي في السماء . وبالإضافة الى ذلك فان الآلهة «اياه» أوصى « ادا » بأنه اذا قدم له الآلهة «آنو» كسوة فيستطيع أن يلبسها ولكنه اذا قدم له طعاما فلا سعى له ان يأكله لانه سيكون طعام الموت . وعندما صعد «أدا» الى السماء عمل موصايا «آنا» فكسب اولا الآلهين الحارسين وحامدا صديقين له ورافقا الى السماء السابعة الى حضرة «آنو» ، كبير الآلهة وكان «آنو» عرفة هذا الآله ان «آنا» يعرف أكثر مما يلزم شر مثله أن يعرف ولا سبب غير معروفة قرر الآلهة «آنو» لعله سبب وساطة الآلهين الصديقين ، أن تكبل هذا الشر فطعمه طعام الجحاد وشرايه علاوة حتى «آنا» حتى من العرفة . أن انه عزم على ان يجعله خالدا . ولكن

يا لسوء حظ «أدابا» فإنه أبى أن يأكل مما قدم له من طعام الحياة على الرغم من إلحاح الإله عليه . وعند ذلك غضب الإله وقال : «لقد آبت أن تأكل من طعام الحياة ، فارجع إلى الأرض لتأكل الموت» وهكذا يعيش هذا البشر في نيل الحياة الخالدة ، كما فشل حلجامش في ذلك . وسطيع أن يستشف من هذه الأسطورة فلسفة البابليين في مصير الإنسان وما قدر عليه من الموت ، فقد فسروا مصدر الموت والشر في ذلك من الإنسان ويشاركه في ذلك الإله الذي يصحه خطأ .

٤ - أسطورة « إينانا » :

اسم بطل هذه الأسطورة «إينانا» الذي ورد ذكره من حملة ملوك سلاسل كيش الأولى إلى كاسر . لعل سلالته حكمت من بعد الطوفان كما جاء في إثبات الملوك وقد لعبت في هذه الأسطورة أدواراً بارعة ، وصور في حملته احتام أسطوريته وهو على ظهر سرب من السحرة إلى السماء^(١) . وقد جاءت إليها الأسطورة التي سلخصها وهي مدونه باللعنة الثالثة على ألواح من العهد البابلي القديم ومن العهد الآشوري الوسيط أيضاً . وموخرها أنه كان عهد في تأريخ البشرية لم يكن عندهم نظام الملوكية حيث لم يعين الآلهة لهم ملوكاً فكانت شارات الملك من تاج وصولحان مودعة في السماء لدى الإله «آنو» . ثم هبطت الملوكية من السماء . وتكون الأسطورة محرومة في هذا الموضع ولكن سياق الحوادث يشير إلى أنه كان من بين الملوك القدامى بعد برور الملوكية ملك في كيش اسمه «إينانا» وكان هذا عقيماً لم ينجب ولداً يحلعه في الملك ، فعم الاضطراب في الشراد حاف الناس من عواطف حلو منصب الملوكية بينهم وتمريضهم من ذلك إلى الشر . ففكر «إينانا» في الأمر وأهدى بعد التفكير إلى وسيلة تمكنه من الحصول على ولد له ناس مستحلبات خاص بالولادة موجود في السماء . فصرع إلى الإله الشمس (شمش) أن يمكنه من ذلك فدله هذا

(١) انظر

الآله على سر سيساعده في بغيته وابلغه ان يعبر الحال واذا وصل الى موضع معين وحد حجرة فيها سر مهيض الحجاج لا يستطيع الحراك فاذا ما انتقذه «ايتانا» فانه سيساعده في الحصول على ذلك البات . فعمل «ايتانا» بما أمره به الآله ووصل الى الموضع الخاص ووجد السر سحيا في الحجرة المعينة فعمل ايتانا على التخلص من السر . اما سب وحوود السر مسحوا في هذا الموضع فيروى لنا الاسطورة ان أمرا وقع بين الحية (او الثعبان) وهو انهما اتفقا عهدا فيما بينهما بأن يكونا صديقين فلا يعصى احدهما على الآخر ، وعتدا شركة فيما منهما بأن يقتسما ما يحصلان عليه وحلما من اجل ذلك «الآله الشمس» ودلا على ذلك الحال متصاممين ، حافظين للعهد الذي قطعاه . ان الآله (شمس) ، ولكن سول للسر أن يحور العهد طمعا بصغار الحية وعلى الرغم من تحذير امائه له من معه خيانة العهد والحث بانقسم الآله رأت رأسه وسف على فراح الحية وأكلها ، وعندما عادت الحية الى عشها وحده محزون لا ابر قد تتعارها فكب امام عشها . وكشفت عن فاعل الشر فذهب الى الآله الشمس . شكروا السر عده فحكم نها الآله ودلها على طريقة لعقاب السر بأن يذهب الى موضع في الحقل وسجد هناك ثورا وحشيا مربوف اعده نية الآله . بتلبيها ان سر يفض وتحمي في بطنه ، وساتى الطيور لتأكل من البرمه ويهجمها السر . فعملت الحية ذلك واحتأت في حوف الثور وحاء السر وحط لتأكل على عاده هذه الطيور الحسارحة ، فما كاد ينقر بصره حتى مسكه الحية . وكان هذا بدأ مكى وستعظمها ان يرحمه فطلقه ولكن الحية لم تسمع له لأن الآله (شمس) هو الذي اوقع عليه العقاب ، ولكنها لم تستد بال سر زلزل وأكسر - حماحه ومحالته ورمه في حجرة ليبيوت جوعا وعطشا . وبعد حين سمع الآله شمس لاسعظافه واحمره بانه سيرسل له رجلا يخلصه وهذا هو «اسانا» الذي كما رأنا حاء اليه وخلصه واشترط عليه في ذلك ان يصعده الى السماء ليحلب «بات الولادة» . فركب على ظهره وبدأ الصعود تدريجيا الى السماء ، ومع ان الكتابة محرومة في

النهاية الا ان ما بقى منها يصف لنا كيف كانت الارض تبدو بعين «ايتانا»عنده
كان يطير ويرتفع قليلا قليلا نحو السماء فكانت الارض تبدو كالتل والحار كميزا
الحدول ، وبلغا مرحلة صغرت فيها مناظر الارض واخفت من عينيه ، حتى
كادا يبلغان سماء «آنو» ويبدو ان السر وايتانا خافا من التحلق علوا استعداد
فهبطا مسرعين ولا يعلم مصير بطل الرواية ، ولكن الطاهر ان اثانا يصل الى
الارض سالما وانه انجب خليفة له فى الحكم .

ان هذه الاسطورة أقدم محاولة فى احلام الانسان فى الطيران وفيه
ايضا باب جديد من الادب لم تصادفه فى الماذج التى اوردهاها لادب وادى
الرافدين القديم ذلك هو القصص على السنة الحيوانات والبهائم على نحو ■
هو موحود فى أدب الهند القديم ■ جاء فى كتاب «كليله ودمنه» الشهير ■
والواقع من الامر ان هالك قطعا آخرى من هذا النوع من الادب فى حصاره
وادى الرافدين مما يعرف باسم اب (fables) . ولم يقصر الامر فيه
على الطيور والبهائم بل حتى بالسنة الى السحر كالمفاحرة بين شجرة الائل
(Tamarisk) وبين الحل^(١) . كما ان معرفتنا قد ارداد باب آخر من
أدب وادى الرافدين القديم ، هو الامثال والحكمه ، فقد ترجمت جملة قطع
باللغة البابلية من هذا النوع^(٢) ، ويوجد حديثا ألواح سومرية فيها
مجموعات من الامثال والحكم السومرية ولكن هالك صعوبة خاصة فى فهم
معنى هذه الامثال حتى لو عرفت من الناحية اللغوية نقصر مل هذه الامثال
وتركيز معناها كما ان الامثال تكون عادة مستندة الى حادثه أو حائه فيلت
بسيبها فلا نعرفها كما هو مألوف لدينا من الامثال العربية فمن هذه الامثال
السومرية المكسسه حديثا^(٣) نذكر أملة واصحه :- مل «فى المدينة المهملة

(١) أنظر ترجمة تلك القطعة فى -

Ancient Near Eastern Texts. 410 ff

(٢) ذات المصدر الص ٢٥٤

(٣) حول هذه الامثال السومرية الحديثة أنظر

S N Kramer in Bullt. Un. Museum, vol 17, No 2 (1952) 39 ff

المتهاونة يصير الحايى ماحراً ، و«لا تطلب الحياة من نجشريداه الموت»
 و«المال مثل الطير لا يعرف له موطناً ثابتاً» ومثل «إذا أباحت المدينة لكلاب
 الصيد فيها ان تمكث داخلها تحكم الثعلب فيها» ومثل «اولى للفقير ان يموت»
 فانه ان ملك الحبر عدم الملحاً ، واذا كان عنده ملح عدم الخبز واذا كان
 لديه بيت فلا يكون عنده فراش» . ومن الامثال البابلية : «لا كسب بلا
 تعب» و«لمد ارحيت الشبكة ولكن الاصعاد محكمة»^(١) ، و«اذا لم تنضب بشرى
 فمطشى غير كثير»^(٢) و «لقد اوقف المصد قل أن يبدأ سائمه»^(٣) و«الهز الذي
 باتجاه الريح يحلب الماء الوفير» . و «اذا احس بدو أحله قال لا كل جميع
 ما عدى واذا تعافى قال لاقتصد»^(٤) و «قد تدوم الصداقه يوماً ولكن السوديه
 دهر» و «انرحل ظل الاله والعد ظل الرجل ولكن الملك على صورة الاله»
 و «اذا صرت النحل عصص .. الرحل الصارب»^(٥) .

٢- الفن

اذا أهملنا الصور والتموش التي صنعها اسنان العصر الحجري القديم
 (ولا سيما في اسبامه وفرسه) بصفتها لا بعد فما لان ذلك الاسنان البائد قد
 سمعها مدفوعاً بالسحر . فوسمنا ان يحل ظهور طلائع الفن عند الشر في
 وادي اترافدين ووادي النيل من نهاية العصر الحجري المأخر . وظهرت
 هذه الطلائع في ربوع الشرق الادنى في العصور التي أعصت العصر الحجري
 المأخر التي سميها بمصور ما قبل السلالات أو فجر الحضارة وقبلها عنها
 انها كانت بمثابة مهد او مقدمة لظهور الحضارة الناصجة في كل من العراق

- (١) فارن المل في (عاموس ٥ ١٩) والمثل العربى «كالمسحور
 من الرمضاء بالبار» والمثل الانجليزى «من المفلاه الى البار» .
- (٢) «ق من قبل اسبل» لا يعرف ، در الما حنى بصبت المثر .
- (٣) فارن ما حاء في الموراه (١ ملوك ٢٠ ١١)
- (٤) فارن (اشعيا ٢٢ ١٣)
- (٥) أنظر أحدث ترجمة الامثال البابلية في اترجح الآتى —
 (Ancient Near Eastern Texts, 114 ff)

ومعصر في بدايه الالف الثالث ق = م ، ومن ذلك بداية الفنون الجميلة الى طهرت في كل من هاين الحضارتين فيما بعد . فقد ظهر في الادوار الاولى من تلك العصور المهيديّة فن صبع الفخار وتزويقه بأصابع ورسوم حميله وفاد عمت صناعه هذا الفخار الملون الحميل جميع انحاء الشرق الادنى . وكانت الاساليب متشابهة بوجه العموم ، مع اختلافات محلية تميز في كل قطر من الاقطار . وبلغت صناعة الفخار المروق أوجها في عصر حلف الذي صبح فيه العراقيون الاقدمون وسكان سورية احمل واقدام اوان مريه في تأريخ هذا الفن ، سواء أكان ذلك في دقة الصنع ورقة الفخار وحمال الاشكال أم في الاصابع الكثيرة الراهيه التي اسعملت في الاناء الواحد . وطهرت في أواى الفخار من عهد «حلف» بداية رسم الاشكال الحيوانيه والسائيه والزخارف . واذا علمنا أن مثل هذه الاواى الرفيعة المنتظمة قد صنعت باليد قبل ان يهتدى الانسان الى صنع «دولاب الخزاف» حق لنا أن نحجب من الدوى الفن الذى تظهره لنا صناعة هذا الفخار . واسمرت صناعة الفخار الملون في العهد الذى أعقب عصر حلف، أى عهد «العيد» ، وان كان في المحار في هذا العصر لا يضاهى ما كان عليه في عصر حلف . ولكن طهرت في عصر العيد بدلا من ذلك اولى الابنة العماريه العامة ، بحيث يصح ان بعد بداية فن العمارة مد عهد العيد . وكان أول ما طهر من فن العمارة الاسية الدية العامة حيث طهر المعبد في العراق ، ووجدت نماذج منه في شمالي العراق ، وحبوبه وبوجه خاص المعابد التي كشف عنها في اريدو «ابو شهرين»^(١) ، وبوسعا ان شاهد في هذه المعابد الخصائص العامة الاساسية التي امتارت بها معابد السومريين والبابليين في العصور الأريخية . وظهر المعبد في عهد العيد له خطوره خاصة في تأريخ الحصاره والفن بوجه خاص . فقد ارتطبت به نواح عديدة من حياة القوم الاجتماعيه والنبية .

(١) انظر (ص ٥٨ وما بعده) من هذا الجزء.

وسوف يرى من عرضا لتأريخ الفن كيف ان الفنون الاخرى من نحت الى رسم الى عمارة كانت ذات علاقة وثقى بشؤون الالهة والمعابد التى تعبد فيها ناهيك عن ان حياة القوم الاجتماعية كانت تدور على المعبد . وقد اعطى الباحثون فى شئء عناصر الحضارة المختلفة للمعبد اهمية خاصة يجعله اهم العوامل التى أثرت فى ظهور تلك العناصر . ولقد اسعمل العراقيون الاقدمون الطين مادة للناء فى أقدم ابنتهم . وقد صنعوا بيوتهم اولا من الطين وذلك فما قبل طور العيد ثم صنعوا من الطين آجراً غير مطوخ (وهو اللبن) لتشييد المعابد والدور . ومع معرفتهم بالآجر المطوخ فى المهود التى تلت عهد الصد فان العراقيين الاقدمين ظلوا يستعملون اللبن فى بناء معابدهم الى آخر المهود البأريجية . ومما يقال فى هذا الصد ان الاحوال الطبيعية فى السهل الحوبى من العراق لم تساعد من حيث مواده ومواده على شئء عماره ضخمة بالحجر .

وحدثت فى عصر الوركاء ، ولا سيما فى منتصفه النابى ، تطورات واخراعات مهمة فى الحضارة بوجه عام والفن بوجه خاص ، ففى فن العمارة ظهرت أوائل الاسة الشاهقة التى سمينها «بالزقورة» او الصرح المدرج والتى اختصت بها حصاراب العراق القديم الى آخر أدوارها . وقد سدت هذه العماراب فى المصنف الثانى من عصر الوركاء ساء معد شيد فوق قمة مصاطب صناعة من الناء ، وقد امتدتا التقييات التى أحرقت فى الوركاء والعقير سادح من هذه المعابد المدرجة . ففى العقير شيدوا معدا صغيرا حملا فوق مصططس من الناء الواحدة اصغر من الاخرى ، وكان يرقى الى المعد المشيد فوق المصططه العليا سلالم ، وقد زيت حدران المعد العالي برسوم حيوانات ورسوم شر ملونة تعد اقدم تصاوير جدارية^(١) فى تأريخ الفن ، وكانت عادة ترويق الجدران بالرسوم والاصباغ محاولة لتجميل مادة الناء الفقيرة وقد ظلت عادة صنع الحدران الى العهد الكشى والعهود الاشورية

ولكن اصيف الها تربيين الحدران بالتحوتات واستعمال الأجر المموء بالمينة والتزجيج كما فى قصر سرجون الثانى فى خرساد وكما فى باب عشتار فى بابل . وبدأ استعمال المحوتات لتربيين الجدران منذ عصور فجر السلاطات ، وزينت واجهات معد العقير الذى ذكرناه وكذلك المصاطب التى شيد عليها بصوف من المحاريط والمسامير الطينية المقحورة وكذلك كان المعبد العالى الذى وجد فى الوركاء . وكانوا يلبون رؤوس تلك المسامير بأصابع مختلفة ويشتونها فى الجدران بأشكال مختلفة . كالربعات والمثلثات وهذه أقدم نماذج لفن «الفيسفاء» فى تأريخ العالم . وقد وجد فى معبد الوركاء آثار أعمدة من اللس مريية كذلك بالفيسفاء ، والأعمدة مكونة من أوصاف اسطوانات . واحدد للسقف والريية فى آن واحد وكذلك يقال فى المعبد الابيض الذى عثر عليه فى الوركاء . ومن الاحتراعات المهمة التى وصل اليها فى العمارة فى عصر الوركاء شوء القوس والعقادة ، فقد حاءنا نموذج من قوس صحيح^(١) من «اريدو» (ابو شهرين) من عصر الوركاء . وظهر فى العقادة فى هذا العهد القديم ذو اهمية خاصة بالسسة الى تأريخ فى العقادة وأصله . اد حرت عادة المؤرخين على ارجاع اصل العقادة والقنة الى الفن الرومانى .

وقد ظهرت القنة المعقودة فى عصر فجر السلاطات فى أبيسة المقبرة الملوكية الى كشف عنها فى أور . ومن الامور الفنية الحديدية التى ظهرت فى الوركاء «الحوم الاسطوانية» التى ظهرت منذ النصف الثانى من عصر الوركاء . وفى الختوم الاسطوانية خاص بحضارات العراق القديمة . وقد استعملها العراقيون بكثرة فى جميع أدوار تاريخهم . وبرعوا فى نقشها بصور ورسوم محلفة براعة مذهشة ، وقبل أن تظهر الاختام الاسطوانية كانوا يستعملون ختوما منسطة ، وهى أقراص من الحجر دائرية او مستطيلة نقش برسوم مختلفة ولكنها مختصرة مبسطة «يطمفون» بها أحيانا أفواه

الجرار المسدودة بالطين لتكون بمثابة ختم لضمان عدم الاختلال بالمحتويات . ولكنها استعملت كذلك بهيئة حروز لغايات سحرية ودينية . أما الختم الاسطوانية فكانت تستعمل لختم العقود وألواح الطين المختلفة . وقد استخدموا لنحت الختم الاسطوانية أحجاراً مختلفة بعضها من الأحجار الثمينة ، كحجر اللازورد وحجر «الدم» (الهمتايت) وحجر اليشب (Jasper) والعقيق (Agate) وحجر الحية (Serpentine) وتدل طريقة نقشها صور معكوسة واتقان تلك الصور على مهارة فنية بالغة . وكانوا يقشون بعض هذه الختم بكتابات قليلة يذكر فيها أحيانا اسم صاحبها والقبيلة ، لأنها كانت بمثابة توقيع لصاحب الختم . إذ كانوا بعد الفراغ من كتابة العقود والمقاولات والرسائل أحيانا ، يدحرجون الختم الاسطوانى على لوح الطين وهو طرى فيترك طعة بالصور المنقوش بها .

ولقد سعت الاحتمال الاسطوانية فى أشكالها وفى المشاهد والمواضيع المنقوشة بها واحتلت مختلف اختلاف الأدوار التاريخية . ولكن مما يقال فيها بوجه الاحتمال أنها ذات أهمية خاصة من الناحية الفنية ، عدا عن أنها مصادر مهمة من مصادر معرفتنا بمعتقدات القوم الدينية والعبادات اليومية ، لأنها كثيرا ما تنقش مواضيع مأخوذة من الآداب الدينية والاساطير وكذلك من حياة الأفراد اليومية كالولائم والاعياد والشعائر الدينية المختلفة . وقد جاءت في مجموعات كبيرة من الاحتمال الاسطوانية من مختلف الادوار . وفى المتحف العراقي وحده مجموعة تروى على الاربعه آلاف ختم اسطوانى .

وفى أن سبى عصر الوركاء ظهر فى العراق من حميل هو من النحت ، فقد جاءت من أواخر هذا العهد ومن العهد الذى أعقبه ، وهو «جمدة صر» بمادج حميلة من من النحت على الحجر . من بين ذلك قطعة فنية من حجر البازلت (نوع من الأحجار الزركامة) نحتت بمشهد يمثل صيد الاسود فى العراق القديم^(١) وعلى الرعم من وجود هذه المسلة المنحوتة فى

(١) وجدت فى الوركاء وهى الآن فى المتحف العراقي .

طبعة من البناء في الوركاء تعود الى عهد حمدة بصر ، ولكن المرجح انها
صنعت في عهد الوركاء وطلب مسجلة في عهد حمدة بصر . ومع قدم
هذا النحت واتصافه بالسماجة بوجه عام فان فيه قوة في التعبير ، وبمكنا ان
سمع فيه وفي القطع المحوتة الاخرى ، الخطوط الاساسية لعن النحت
الرافى الذى ظهر في عهد اردهار الحضارة السومرية في عصور فجر
السلالات . ومن القطع الفسة النفسة الى وجدت في الوركاء (من طبعة
تعود الى عهد حمدة بصر) اناء من حجر المرمر كبير الحجم يبلغ طوله اربع
أقدام هو الآن من أفس آثار المحف العرافى . وقد زى هذا الاناء من
الخارج بمشاهد منحوتة بالنحت البار تمثل موكبا من الكهنة العراة وهم
يحملون سلال القرائن الى مصد «اى - انا» في الوركاء وفي الموكب شاهد
بعض الآلهة ويرجح كثيرا انها تمثل الالهة «اينا» (أو انا أى عشار) وقد
نحت هذه الاشكال بمهارة فنة فيها واقعية المعير ، وسطيع ان نجد
في هذا الاناء الاشكال السومرية الممنلة في المنحوتات السومرية المحسمة الى
ظهرت فيما بعد . ووحد المصون في الوركاء من طور حمدة بصر رأسا
منحوتا بحا محسما من الرحام يمثل فاة هو الآن من الآثار النفيسة في
المحف العرافى ، لس لانه أقدم نحت محسم في تأريخ الفن ، بل لما
يصف به من الجمال الفنى ودقه التعبير فى الملامح الشرية . ومن المصون
المرأة المايوية الى جاءها من عهد حمدة بصر مجموعات نفسة من الاحجار
المصعرة المنحوتة بهشة حيوانات وطيور مختلفة ، كانت تستعمل على ما يرجح
حرورا . و أحراء من فلائد . ومهما كانت الاعراض الى اسمعت فيها
فان نجدها والدقة فى التعبير والمثل شير الى مهارة فنة وصحة فى المشاهدة
ودايت فى الاعضاء . وقبل أن بدأ العرافيون الاقدمون بعن النحت على
الحجر كانوا يعملون الطين لمثل الصور الآدمية والحيوانية وهذه هي
صور الطين أو دمي الطين^(١) الى كانوا بفخرونها بعد أن يضموها بقوالب على

(١) Terra Cotta Figurines انظر حول ذلك المرجع الآتى -
E. D. Van Buren, **Clay Figurines of Babylonia and Assyria** (1930)

الغالب . وبلغوا فيها مهاره ملحوظة . وقد بدأت صور العلين منذ أقدم العهود ، من واحة العصر الحجري . وطلت مسجلة الى أواخر ايام الحضارات القديمة في العراق . وكانت ، مثل الاختام الاسطوانية ، متنوعة الاشكال والمواضع . بعضها يمثل الآلهة وبعضها صور للشياطين والعفاريت كما تصورها القوم ، كما انهم صوروا الحيوانات المخلفة والطيور والاسماك . وبلغت هذه الصور من مختلف العهود مئات الالوف ، وهي الى أهميتها الفنية ذات قمة خاصة فما يعلو بالحياة الاحماسة والدينية .

الفن في عهد ازدهار الحضارة السومرية :

يعد عهد ازدهار الحضارة السومرية في العصور التي سميها مصور فجر السلالات ، وقد سبق ان ذكرنا تقسيم عصور فجر السلالات الى ثلاثة أدوار تدعى عادة بعصر فجر السلالات الاول والثاني والثالث ، وسنذكر كل منهما بمميزات خاصة من العمارة والآثار ومظاهر الحضارة الاخرى . ومما يقال في حضارة السومريين الاولى في عصر فجر السلالات ان الفنون التي نشأت في عصور ما قبل السلالات ود صحت وكرب عناصرها ومفوماتها في عصر فجر السلالات . واذا استشينا الآثار الدقيقة وأواني الفخار التي يميز بها عصر فجر السلالات الاول ، فان هذا العهد في الحقيقة دور انتقال بين عهد حمده بصر وعصر فجر السلالات الثاني . فقد طلت فيه بعض الأشياء التي اخص بها عهد حمده بصر كالأواني المصوغة . ولم يعمل فيه « اللس » الخاص بعصور فجر السلالات وهو الآخر (المسوى - المحذب) الذي كان من الخصائص العمارية التي لارمت الساببات في عصور فجر السلالات .

وفي نهاية عصر فجر السلالات الاول ظهرت عمارات عامة بالاضافة الى المعابد التي شاهدها ظهورها في العيد . وكانت هذه العمارات العسامة بهيئة قصور مهمة ، مما يشير الى ظهور الطبقات الحاكمة من الامراء والحكام . كما ان المعابد في الدور الثاني من عصر فجر السلالات قد صارت ابنية

وعمارات مهمه زست بالفنون الجميلة « كالآنية المنحوتة المزينة ، واهم من ذلك المحوالت الكثيرة الى نحت نحات مجسما (Sculpture in the Round) كما انه بدأت معرفتنا بأسماء المعابد بالنسبة الى الآلهة التي شيدت لها . فقد شيد في تل أسمر (عاصمة مملكة اشنونا) معبد فخم للاله « آو » ، اله الحصب ، وقد اودع فيه كبر من المنحوتات المحسمة « من بينها تماثيل تمثل الآله وروجه وتماثيل أشخاص وكهنة . وكثرت المنحوتات المحسمة من هذا العهد وحادثنا أمثلة كبيرة منها كما كثرت المنحوتات البارزة الى كانت تنح على ألواح من الحجر لتزين جدران المعابد « ووجد معد آخر من أبنية هذا العهد (معد الآلهة شاره في تل احرب في منطقة ديالى) رودنا كذلك بمادج من المنحوتات وكيفية كبيرة من رؤوس الصولحانات المدسوة من الحجر . ومما يلاحظ في فنون الحب بوجه عام انه كان يحرى وفق قواعد وقيود معينة ، اولا سيما في تماثيل الآلهة حيث المألعة في الاعضاء وتميل العيون ، وكانوا لا يهتمون بالمشيل الواقعي الطبيعي بل بالفكر المحردة الطريقة الهندسية ، بخلاف فن الاغريق الذي اهم بجمل التمثال حيا محركا واقعيا فكان الفن السومري بذلك أقرب مايكون الى الفن المعروف الآن « بالثيرى » (Impressionism) ^(١) وشذ الفنانون في تمثيل الافراد حيث سحوا في المثل الواقعي الطبيعي نوعا ما ولا سيما في الوجه ، وكذلك قال في الألواح المنحوتة نحا بارزا بمناظر تمثل الحياة الاعتيادية تمثلا بارعا واقعيا « ونستطيع ان نابع النحت في أطوار الأريخ المحلصة في العراق ، فحد ان لكل عصر ميزات وقواعد كان يسير بموجبها الفنان ، كحت الاشخاص والآلهة والافراد الآدميين . كما ان هذه المنحوتات كانت لا عراض دينية بالدرجة الاولى حتى تماثيل الافراد فان هذه كانت توضع بالدرجة الاولى في المعابد لتميل اصحابها دائما أمام الآلهة وكان تمثال الشخص في الواقع فيه من القوة والحيوية كما في الشخص الذي

(١) ولاحظ في التماثيل السومرية مبادئ اخرى من الفن الحديد مثل الطريقة المعروفة بالنكعيسه .

مثله ، واذك كان الملوك والامراء يسمون تماثيلهم بأسماء مطولة كما كانوا يعشونها بنصوص كتابية يوصونها فيها بان تذكرهم ونشفع لهم أمام الآلهة وتوب عنهم أمامها . كما ان تماثيل الآلهة التي كانت توضع في حجرة الهيكل المقدسة كانت تنجسد فيها روح الاله بالذاب ، وكانت مثل هذه التماثيل ثمة يسرفون في تزئينها بالاحجار الكريمة والذهب ، ولكن الذي يؤسف له انه لم تأت منها بعد الا نماذج قليلة . واذا كان الصان مقدماً في نحت تماثيل الآلهة والاشخاص الا انه اسعمل حريه وعمره في تمثيل الحيوانات . فقد جاءنا من المحتوتات الاشورية قطع تعد من القطع الفنية في تاريخ الفنون في جميع الارمان ومن بين ذلك تماثيل «اللوه المحضرة» والاسد الحريح حيث مثلاً تمثيلاً صحيحاً فقد عبر الفنان عن ألم الحيوان الحريح بغير يعث على الدهشة والاعجاب ، ومن الامثلة على ذلك تمثيل صيد الاسود الذي أعمر به الملوك الآشوريون ، وماطر الحيل والحرر الوحشه التي صورت بحركة وعف ومهارة بحيث يحق لنا ان نضعها في مصاف فنون العالم المصارة .

واشتهر الدور الثالث في عصر فجر السلالات بالقصور الملوكية التي وجدت في أور وقد رودتا بكمور لا تمس عن الفنون السومرية في هذا العهد ونحصى الذكر منها العائس المسه من أواشي الذهب وخنجر الذهب والحدود المصنوعة من الذهب واشهر هذه الحدود الحدود الذهبية العائده الى الامير السومري «مس كلام دك» المعروضة في المتحف العراقي وكذلك القنارات الذهبية ورؤوس الحيوانات المسوكة من الجاس والرور . وكل ذلك بدل على ما وصل اليه في الصياغة وسك المعادن . وبرعوا في فن الحرير مراعاة مدهشة كما يشاهد في غمد الحجر الذهبي المعروف في المتحف العراقي وكانوا يصنعون قضبان حاجر الذهب من حجر اللارورد (Lapis lazuli) . ومن الصناعات الدقيقة التي برع بها السومريون في عصور

فجر السلالات فن النظم أو التكفيت^(١) وقد بدأ هذا الفن الجميل في عصر جمدة نصر . فكانوا يطعمون الحجر والاختشاب وغيرها من المواد بمواد أخرى جميلة كالمحار والصدف وحجر اللازورد والبلور بألوان مختلفة . وكان الفنان يؤلف من هذه الأحجار التي يطعم بها المواد الأخرى أطرزة وأشكالاً بديعة ، كالأشكال الهندسية ، ومناظر الحرب والحوادث الأسطورية والحفلات الدينية ، كما يشاهد في مقدم القيثارة الذهبية المعروضة في المتحف العراقي . وبمناسبة ذكر هذه القيثارة نوه قليلاً بفن الموسيقي كما تدل عليه مثل هذه الآلات حيث وجدت أيضاً صور للطبول والابواق والاحراس والصوج . هذا ولا نعلم كيف كانت الانغام الموسيقية ولكن وجدت بعض ألواح الطين بعضها بهيئة أسطوانيات مثقوبة فيها بعض الرموز العرية التي رأى بعض الباحثين فيها أنها «نوطة» موسيقية وإن أحداها تمثل النغمة الخاصة ببريلة سومرية خاصة بخلق الإنسان^(٢) . ونذكر كذلك القطعة المسماة التي وجدت في أور والتي تسمى «راية أور» ، وقد مثلت فيها مناظر الجش والعربات الحربية ، وفي المتحف العراقي عطف نفثة من فن التكفيت أو النظم بعضها ألواح لعب جملة الصنع .

ومن الأهمية المهمة التي جاءت من عصر فجر السلالات ورودتنا أشياء نفيسة عن الفنون السومرية معدة وحده في تل العبد ، شدد إلى الإلهة «ن» - حرساك» في زمن الملك السومري «آبىدا» ناني ملوك سلالة أور الأولى . وقد زين هذا المعد بمادج من عمد السيفساء المصنوعة من الصدف ونمايل من أسود مصنوعة من الخحاس المسوك ، ومن ذلك طائر مقدس يمثل عادة برأس أسد وحسم صقر وقد وقف برجله على وعلين وهذا هو الطائر المقدس المسمى «ام - دوكد» الخاص بالاله «سجرسو» وقد اتخذ شعاراً لمدينة لجش ،

(١) (Inlay Works)

(٢) انظر بحث المؤلف في محله سومر المجلد الثاني (١٩٤٦)

بالإنجليزية وكذلك انظر المرجع الآتى -

F W. Galpin, *Monks of the Sumerians* (1937)

وزين المعبد بأقارير جميلة تمثل مشاهد من حياة السومريين « حيث نجد فيها صور الأبقار والأوز » ومشهدا جميلا يمثل حلب البقر وصنع اللبن وخضه وتصفيته »

وقد زودتنا التقييات التي أجراها المرسيون في «لجش» (تلو) بمئات وكوز من الصور السومرية في عصر فجر السلالات ، من ذلك المخطوطات الجميلة التي سبق ان أشرنا الى بعضها ، مثل « نصب السور »^(١) العائد الى «اياتم» الذي حلد فيه ابصاره العسكري على المدينة المحاورة المعادية «اوما» (تل حوخه الآر) وكذلك قطع أخرى من المخطوطات منها القطعة العائدة الى مؤسس سلالة لجش «اور-باشه» وقد مثل فيها هذا الملك وعائلته وحاشيته « وحاءا كذلك ممثل ، فاقد الرأس ، يمثل احد ملوك هذه السلالة وهو «اسماء» وكانت العادة المتبعة في اكثر المخطوطات العائدة الى الملوك انرا نقش بعض الكمامات لخليد أصحابها فذكر القاهم واعمالهم كما هو الحال في القطع الفضة التي تعود الى أمراء لجش • وبالإضافة الى المخطوطات الخميلة من هذه المدينة فقد جاءت منها ايضا «سادح قيمة من أواسي الفضة المقوشه واسلحة النحاس والقطع الفضة المطعمة » ومن القطع الفضة من هذا العهد الوعاء الفضي المعائد الى ملك لجش « اتميا » وقد نقش على سطح الاناء بطريقة الكفصت سر «اشر حاحيه وهذا هو الطائر الذي قلنا انه خاص بالاله «سحرسو» وتعد صورة النسر أصل الشعارات المتخذة حتى الرمر الذي برن شعار الولايات المتحدة » وبذكر كذلك الكش الذهبي المصنوع في الانكة^(٢) .

لم تقتصر حصاره عصر فجر السلالات والقرون الخميلة التي شسات فيها على مركز ملك الحصاره في القسم الجنوبي من العراق (القسم المعروف

(١) او نصب المعين (Stele of the Vultures) وهو الآن في متحف اللوفر (باريس) .

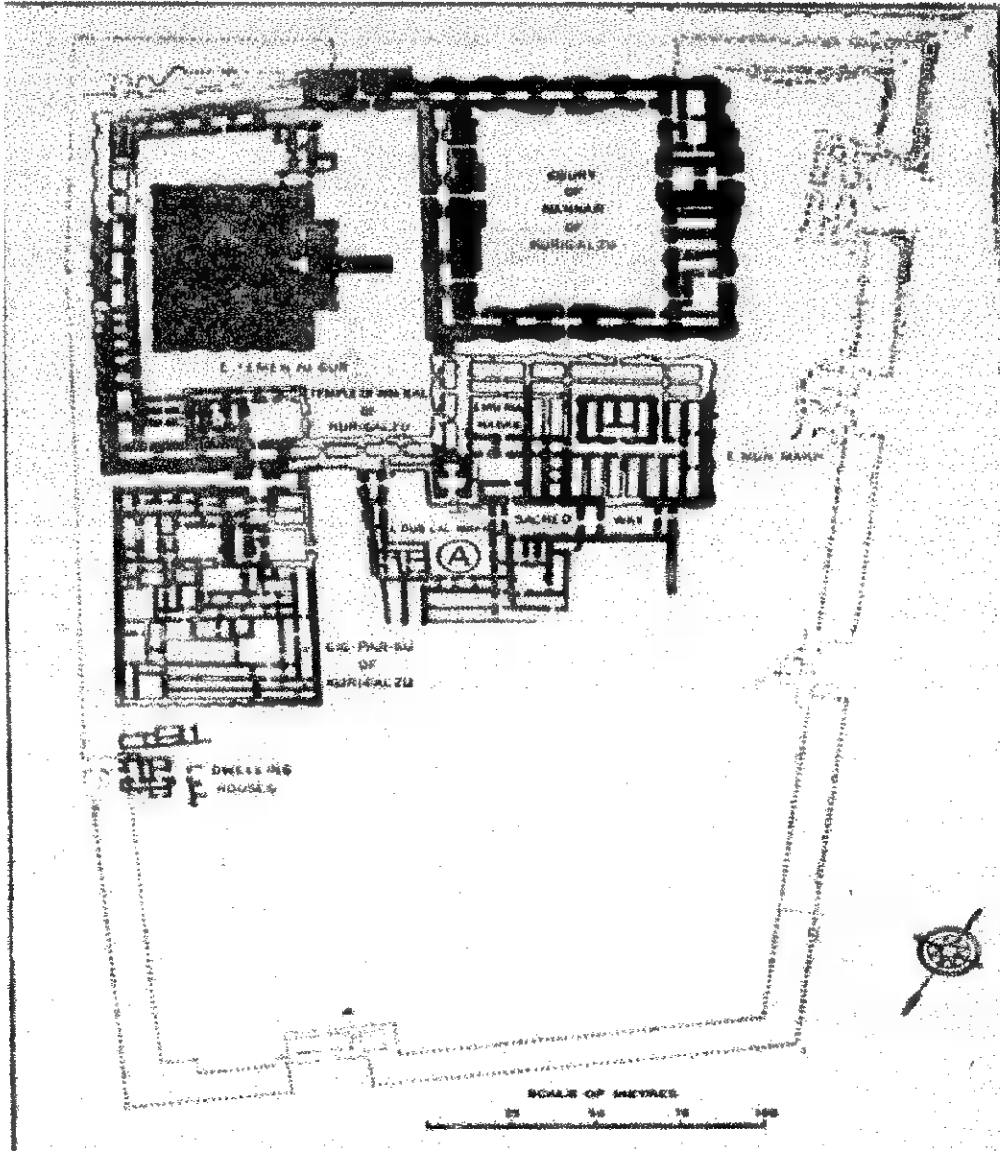
(٢) ويسمى (Ram Caught in a thicket) وود واحد في المعبر « الملكيه في اور (اطر (Woolley, The Sumerian Art)

بلاد سومر) بل انتشرت الى الشمال كما شير الى ذلك الآثار الفنية الى وحدث في مدنة آشور من عهد فجر السلالات ، ووجد مركز مهم للحضارة السومرية في بلاد سورية في المدينة الشهيرة التي تعرف بل الحريري الآن (ماري القديمة) ■ فقد وجدت ها آثار الحصار السومرية ومن بينها الفون ولا سيما المحوتات والصرح المدرج والاحام الاسطوانية وغير ذلك من عناصر الحصار السومريه ■

الفن في العصر الاكدي وفي العصور الاخرى :-

بعد أن ذكرنا بعض الاشياء العامة عن الفن في عهد ازدهار الحصار السومرية ، واخذنا فكرة عن الخطوط الاساسية لخصائص ذلك الفن العامة، بدأ بذكر أشياء موجزة أخرى عن الفن في العصور التي أعقبت عهد فجر السلالات وسوف يكفي بذكر ملح موجرة لان البحث المسهب يتطلب الحوص في آثار العهود التاريخية المختلفة من جهة ، ومن الجهة الثانية فان الفكرة التي أخذناها عن الفون العراقية القديمة في عصر فجر السلالات تكفي لهم روح الفن في العصور الاخرى حيث سارت على خطا الحصار العراقية الاولى ، وقد استمر انواع الفون التي ذكرناها في العهود التاريخية التي أعقبت عصر فجر السلالات مع ما يحدث فيها من التغير في الطراز وفي التأكيد على بعض الواحي الصفة دون الواحي الاخرى ■ ومع ما كان يحدث للفن بوجه عام من تطور وحدة او تدهور وركود بسبب الصوح والعوامل المختلفة الاخرى كنشوء السلالات الجديدة ■

فقد دخلت مثلاً أشياء جديدة في فن النحت في العصر الاكدي انذى أعقب عصر فجر السلالات ، بحيث يصح اعتبار ظهور نزعات جديدة فيه وابرر هذه النزعات الجديدة المشيمل الحيوى القوى ، وكذلك الرعة 'ندسونة والروعة الفية مما لم يكن موحودا في عصور فجر السلالات ■ وسساعد ذلك جليا في 'نصب النصر' العائد الى الملك الاكدي 'برام - سين' الذى ذكرناه في موضع آخر من الكتاب . وأول ما يجلب الانتباه في النصب البارز



حارة المعابد المقدسة في اور ، حيث الزفورة والمعابد المحيطة صمم
السور المقدس (لاحظ فن تخطيط المعابد في عهد سلاله اور الثالثه)

المربن به هذا النصب نوع من التحرر من قيود الفن السابع ومحاوله الصان
رسم المناظر بحسب بعدها وقربها من المشاهد ، وهو ما يعرف بفن المنظور
(Perspective) كما نشاهد قوة وحيوية في الصير في نحت الاشخاص وقد
بلغ فن النحت في عهد نرام - سين ذروته في الابداع . ومن القطع الفنية

النادره رأس الحاس الاكدي الشهير الذى لعله يمثل «نرام - سين» أو سرجون (انظر ص ١٢٥) • ويذكر ايضا نصا آخر لرام سين وجد فى ديار بكر (وهو الآن فى متحف الشرق فى اساسول) ، وعثر ايضا على منحوتات فى بعض المحازات المحلية فى شمالى العراق يخص بالذكر منها المحوثة الموحوده فى المحاز الحللى المسمى «دربندى گاوور» فى جبال قره داغ^(١) . وتنطق نفس الميراث القوية التى ذكرناها على فن نقش الاحام الاسطوانية حث الدقة فى العير والقوة والحوثة • اما عن العمارة فى العهد الاكدي فلا يمكننا أن نقول شيئا عنها لانه لما عثر على نماذج منها ممثلة باستثناء جملة دور سكى فى بعض المواضع القديمة كما ان الفخار لا يميز بشيء فى بارز • وعلى الرغم من ظلمه العهد الكوتى الذى أعقب سقوط السلالة الاكدية ، فإن السلالة السومرية التى قامت فى لخش قد حفظت لنا الكثير من مآثر الحضارة السومرية ، فى الآداب وفى الحب والصور الأخرى • وقد جاءتنا من احد ملوك لخش المشهورين فى ذلك العهد وهو «خودنة» حملة بمائيل بالبحث المحسب مثل الملك ، وفيها دقة فى العير ، ولا سيما التصوير عن ملامح الملك بعيدا طبيعا ، ويوسعا أن بعد «خودنة» من أقدم ملوك العالم ممن شجع الفن وأعزم به • ومما يمال عن عهد سلالة لخش النانه انه كان عهد اسعاش فى الفن السومرى والمآثر السومرية كالأداب كما تشهد على ذلك مآثر خودية من سائله وكنائنه التى بعدد فيها الاشياء القصة التى حهر بها المعابد التى حدد ماءها فى لخش • وعلى الرغم من قلة الآثار القصة ، ولا سيما المنحوتات ، التى جاءتنا من سلالة أور الثالثة فإن السامدح القليلة تشير الى استمرار المآثر القصة • ويخص بالذكر قطعة كبيرة من الحجر منحوتة بمشهد ديبى مثل الملك «اور - نمو» ، مؤسس السلالة وهو يقدم سكب الماء المقدس ازاء اله القمر «سين» الخاص بمدينة أور • وتسلم الملك من الاله الاوامر المقدسة

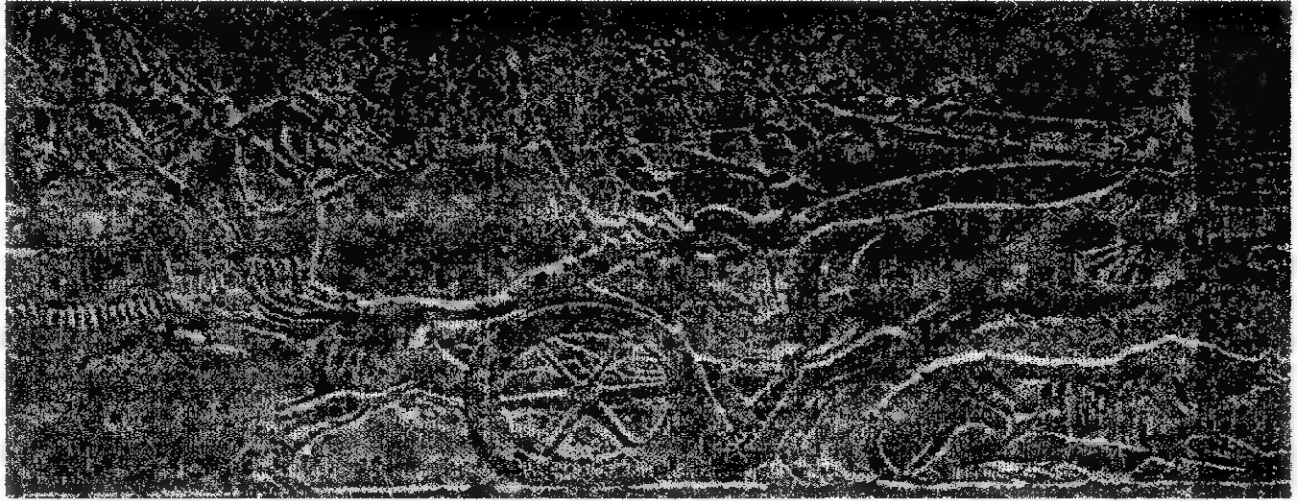
(١) انظر

(C J. Edmonds in *Geogr. Jour.*, LXV (1925), 63 ff ; S Smith, *Early Hist. Assyria*, 96 ff

لتشييد الصرح المدرج في «أور» أي الزقورة التي كانت من أعظم العمارات الفخمة في أور . وقد سبق أن نوهنا بهذا الأثر حيث توجد منه نسخة في المتحف العراقي وقد صور بطريقة متحركة بمرحلتين ، فالمرحلة الأولى يشاهد فيها الإله جالسا في الحقل الأول وإمامه الملك وهو يسكب الماء المقدس ويتسلم الأوامر من الإله لبناء معبده العالي وفي الحقل الأسفل تشاهد الملك وقد تسلم من الإله الأوامر ومعها أدوات البناء كالخيط والفأس والشاقول وهو يسير في طريقه لانهاز العمل . وكان عهد سلا لة أور الثالثة من أعظم عهود العراق القديم في فن العمارة والانتاج الفني على الرغم من قلة القطع الفنية التي جاءت منه ، وإلى كثرة الأبنية التي قام بها ملوك السلالة فإن آثارهم الشاهقة لا تزال قائمة في أور الآن وبوجه خاص الرج المدرج كما وجدت بعض العمارات من عهدها كالقصر والمعبد اللذين شيئا في تل أسمر لتقديس الملك « حمل - سين » (شو - سين) (١) .

ومن الأمور العامة التي تذكر عن الفن في عهد سلالة أور الثالثة شه أساليبه بالعمود البالية وبوجه خاص أساليب العهد الذي سمي به بالعهد البابلي القديم ، كما لا يمكن تمير الفن في عهد سلالة بابل الأولى وعهد حمورابي عن فن عهد «ايسن - لارسه» ، وإن القطع الفنية التي جاءتنا قليلة ، باستثناء فن العمارة كالمعابد التي وجدت في مواضع ديبالي مثل اشحالي وتل حرمل . وعدا مشهد السحت البارز في مسلة شريعة حمورابي فلا يوجد عددا من النماذج لعن النحت من سلالة بابل الأولى إلا قطع قليلة مثل الرأس المسحوت من حجر «الفرانت» الذي يظن أنه يمثل حمورابي نفسه .

وإذا ما أتيننا إلى العهد الكوشي فلا نجد طرازا فنياً مميزاً خاصاً بالكوشيين ، إذ الواقع أن هؤلاء كانوا بعيدين على المآثر الفينسية فساروا على المآثر القديمة وكذلك تأثروا بالفنون الأخرى في الإقطار المحاورة وبوجه خاص مصر في عهد العمرانة ، كما أنهم ساروا في العمارة



مسحونه نادره تمثل الملك « آشور - ناصربال » وهو يصطاد
(من سرود - القرن التاسع ق م)

في المدن القديمة مثل أور والوركاء على الأساليب السابقة تقريباً ، ووجد من العهد الكشّي في الوركاء مصداً لما ذكره انداش ، للالهة عشتار (انانا) (في حدود ١٤٤٠ ق م) ، ووجد حديثاً في الموضع نفسه نصب منحوت من الحجر يمثل الهة وفيه كتابة سومرية تذكر اسم الملك «نازي مرتاش»^(١) كما اما نوها سابقا بالحمريات التي قامت بها دائرة الآثار العراقية في عفرقوف (دور - كوريكالرو)^(٢) حيث كشف عن المعابد وعن جزء من قصور المدينة ووحدت بعض القطع الفنية التي أثارها عن الفن في هذا العهد . ومن ذلك فن العمارة حيث ظهر ان تخطيط القصور فيه شبه كبير بالقصور الحثية في شرقي الأماضول^(٣) ، ولعل الشيء المميز في الفن الكشّي الذي لم

(١) اكتشفت هذا الأمر بعينه التنقيبات الألمانية عام ١٩٥٥ وهو الآن معروض في المتحف العراقي .

(٢) انظر تقارير المؤلف بالانجليزية عن نتائج التنقيبات في Iraq, Supplement, 1944, 1945, 1945

(٣) يعرف هذا الطراز من العمارة الخاص بالقصور باسم « بيت - حلامي » وقد قلده الآشوريون انظر حول ذلك :-

(1) Frankfort The Art and Architecture of the Ancient Orient

يكن معروفاً قبل ذلك جدران الآجر المنحوتة بأشكال ناتئة معمولة من الآجر ، وقد وجدت لذلك نماذج في الوركاء (من عهد كره انداش) وكذلك في عقرقوف . وقد طبق هذا النوع من فن العمارة من بعد نحو ألف عام في بابل (في العهد البابلي الأخير) ، كما ان الكشيين استعملوا في ترين جدران قصورهم طريقة نقشها برسوم آدمية وهندسية ونباتية كما وجد ذلك في عقرقوف وكانت هذه العادة موجودة سابقا ولا سيما في القصور التي عثر عليها في مدينة ماري (تل الحريري) وهي القصور التي دمرها حمورابي^(١) ، ويمكن عد الصور الجدارية التي وجدت في منطقة القصور في عقرقوف تقليدا للحت الاشوري الناز الذي كان يزين قصور الملوك الاشوريين . واشتهر العهد الكشي ايضا بالمحوتات البارزة الموجودة في احجار الحدود وهي الامثلة الوحيدة على فن الحت الكشي . ووجدت كسر من محوتات صحمه من حجر الدوريت احدها تمثل الملك كورنكالرو في عقرقوف في التقييات التي قامت بها مديرية الآثار العراقية . كما وجدت مجموعة من صور الطين التي يماز بالحوية ودقة التعبير ، ووجدت أيضا في الموضع نفسه قطع من صاعة الذهب النفيسة .

ومما يقال عن فن العمارة في العصور الأريخية التي أعقب عصر حجر السلالات حسامة العمارات وصخامها بالقياس الى العصور السابقة . فمن ذلك الابراج المدرجة الشاهقة أي الصروح المدرجة (الرقورات) التي كانت اقبح الاسة للذكارة العامة بعد ان كانت هذه العمارات مهيمنة مكونة من طابقين فوقهما معد صغير في أواخر عصور ما قبل الأريخ . أصبحت في العصور التالية مكونة من عدة طقات ضخمة ، واتسع حجمها وراود ارتفاعها وكثر عددها في المدن المهمة . ومثل ذلك يقال في المعابد التي كانوا يشيدونها في الأرض قرب «الرفورة» بعد ان كانت صغيرة بسيطة في عصور حجر السلالات اتسعت في العصور التالية وتعددت واصبحت مكونة من مرافق

كثيرة معقدة والحقت بها نيات خاصة مقدسة كثيرة للكهنة والكاهنات ولحفظ السجلات وللدريس والدوين ■ ونشاهد الاتجاه الى الضخامة والاتساع في الابنية المخصصة الى الملوك ، أى القصور الواسعة كما أبانت السقييات الى أحريت فى المدن المختلفة ، ووصلت تلك الضخامة أوجها فى عهد الآشورين الأخيرة حيث بلغت سعة قصورهم الألوف الكثيره من الامار المربعة وتعددت مرافقها ، وزينت بمئات الامال من ألواح الحجر المنحوتة بالمناظر والمشاهد المخلفة التى تمثل نواحي متعددة من حياة الملوك وحملاتهم الحربية ومشاهد ديسة ■

الفن الاشورى :-

مما يذكر عن تأريخ نشوء الفن الاشورى وتطوره اننا نستطيع أن نعين زمن ولادته فى القرن الرابع عشر ق . م ، منذ أن اسقلت بلاد آشور وقوى كيانها بعد ان ضعفت الامبراطورية المصرية والحيثية ، اما ما قبل هذا العهد (فى العهد الاشورى القديم) فكان الفن الاشورى مقسما كليا تقريبا من الفن البابلى فى الحوب ، ولكن منذ القرن الرابع عشر (أى منذ العهد الاشورى الوسط) بدأ يتميز بشخصيته ومراته الخاصة ليس فى طرازه وأساليبه بل فى مواضيعه ، ولا سيما المواضيع الدينية لشؤون الدولة واعمال الملوك ■ أما فى المواضيع الدينية فقد حافظ على المآثر القديمة ■ وبوسعا الوقوف على الخصائص المميزة فى الفن الاشورى منذ زمن الملك «توكلى» - سوربا الاول (١٢٥٠-١٢١٠ ق م) مثل المشاهد المنحوتة التى تمثل الشؤون العسكرية كالملك مع جنوده والعربات الحربية ، ومثل استعمال الآحر المرحح ، وهو طراز اسعمل أخيرا فى بابل فى العصور المتأخرة ومثل استعمال رمر «الشجره المقدسة» فى الفن ، واخذ الفن الاشورى طابعه الخاص : أحرا فى العهد الاشورى الحديث او الأخير (١٠٠٠ ق م - ٦١٢ ق م) ، حيث مثل مشاهد الحروب والشؤون الملكية الأخرى مما كان نزن قصور الملوك ، وفيها المفصلات الموسوعة عن غزوات الملوك ومشاهد صدهم ودكهم للمدن

والحصون وتهجير السكان وسوق الأسرى والتمثيل بهم وقاطرات العربات والدبابات الحربية ، وعوضاً ان نقرأ فيها تطور أساليب القتال وآلات الحرب والأسلحة . ويمكننا درس الفن الآشورى فى هذا العهد بتقسيمه الى ثلاث فترات ممثلة بالنسبة الى الملوك المشهورين فالطور الاول يمثل عهد الملك «اشور ناصربال» الثانى (٨٨٣ - ٨٢٤ ق = م) وعهد ابنه شيلمنصر الثالث حيث جاءتا منهما قطع فنية ممثلة مما كان معروفا سابقا وكذلك من التنقيبات الحديثة التى تمت فى بمرود (كالح القديمة) والطور الثانى يشمل الصف الثانى من القرن الثامن ق = م ويمثله حير تمثيل عهد الملك تحلانيلير الثالث وشيلمنصر الخامس وسرحون (٧٤٢ - ٧٠٥ ق = م) ، ويمثل الطور الثالث حكم سحراريب واشور ناسال^(١) .

وأعزاه الآشوريون تحت التماثيل الصخمة من الحجر ، بعضها يمثل أشخاصاً من بينهم الملوك أنفسهم وبعضها يمثل الحيوانات الصخمة ولا سيما الثيران المصححة التى بلغت رنة بعضها أربعين طأءاً وكانت هذه حيوانات مركبة ، رؤوسها رؤوس بشر واحسامها أحسام ثيران أو أسود مصححة ، وهى عدهم من نوع «الملاك» الحارس وكانوا يصنعونها فى مداخل القصور ومداخل المدن . وقد وجدت منها مداخل كثيرة فى «يسوى» فى مداخل المدينة المقدسة وفى حرساد ، وهى المدينة التى شيدها الملك سرحون الثانى لتكون عاصمة له . وقد عث فى هذه المدينة فى منتصف القرن الماضى كل من «بوتا» (Bota) و «بلاس» (Place) من متحف اللوفر فى باريس فوصلوا الى نتائج مهمة ، إذ كشفوا عن المدينة وما فيها من فن العمارة الرافى والمنحوتات المحصنة والبارز التى ريت بها مدينة سرحون .

وقد كشف فى قصر سرحون عن مداخل أخرى من الفنون من بينها الآجر المزين بالماء الملونة وقد صورت بطريقة المياه الملونة صور مختلفة على

(١) انظر احدى البحوث فى الموضوع فى المرح الآتى .
Frankfort, *The Art and Architecture of the Ancient Orient* (1954)

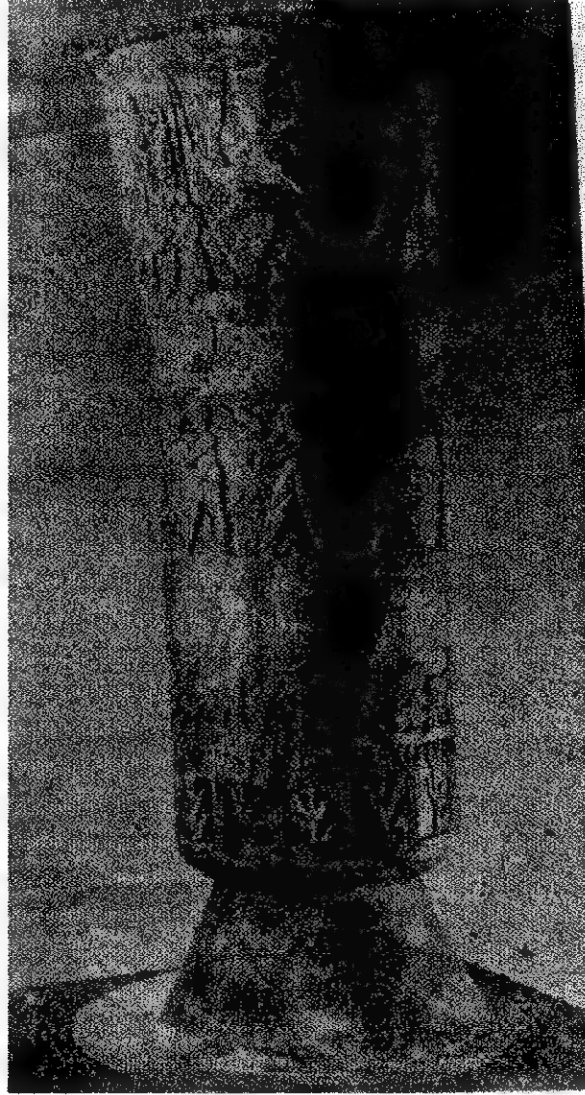
عرار ما وجد في جدران باب عشنار في بابل من زمن بوخذ نصر الثاني .
 وجاء ما نماذج أخرى من الآجر المزجج بالمينا من العهد الآشوري الحديث صور
 في بعضها رسوم أشخاص تعد قطعاً مماسة . كما وجدت في قصر سرجون
 نماذج من صور كانت ترين جدران القصر الملكي . وقد أخبرنا «سرحون»
 في كتاباته الرسمية انه اسعمل في تزيين قصره «الذهب والفضة والحاس
 وحجر الرمل الاحمر وحجر «البريجه» والرخام والعاج وخشب الاسفندان
 والنفس والتوت والارز والسرو والصنوبر والريون والبلوط» وزينه من
 الداخل بالمينا الزاهية المموهة بها ألواح الآجر المزججة وطلبت السقوف
 بطلاء أبيض من «البورق» ونصب قرب الابواب تماثيل ضخمة من المرمر
 والعاج تمثل بقرا تحمل ما يشبه كؤوس الازهار التي تستند اليها الاعمدة .
 وقد سكت تماثيل كثيرة من الاسود والثيران من البرونز .

وقد اشتهر سنحاريب بن سرجون ، كما ذكرنا في تأريخ الآشوريين ،
 مدوق مدني وفني حفزه على تجميل العاصمة نينوى . وعمد الى جلب المياه الصافية
 اشرب المدينة من موضع شمال نينوى قرب منع نهر الكومل من مضيق جلي
 في (افان) فبنى لحلب المياه قناة ملطقة طولها خمسون ميلا ، وقد ربط
 الوديان العميقة بقناطر من الحجارة البيضاء لحرمان الماء . وقد نحت عند
 المنبع على وجه الحجر الشاهق صورا كبيرة للالهة وسجل فيها أعماله
 العظيمة . وشرع في بداية حكمه بتحديد بنات العاصمة المعظمة نينوى
 لئلا يكون عاصمة الامبراطورية الواسعة في زمنه . وقد صور لنا
 سنحاريب تشييد السايات الضخمة ولا سيما قصره في منحوتات ذلك القصر
 ومشاهد فيها مئات الالوف من العمال ، وكان أعليهم اسرى وهم بقلعون
 الطين لعمل الملايين من اللبن لانشاء منابه . وقد وجد المنقون في قصر
 آشور ناسال قطعا من المنحوتات البارزة التي يعد بعضها من القطع الخالدة
 في تأريخ الفن كالاسد الجريح واللوة المحضرة ومشاهد صيد الحيل
 الوحشية .



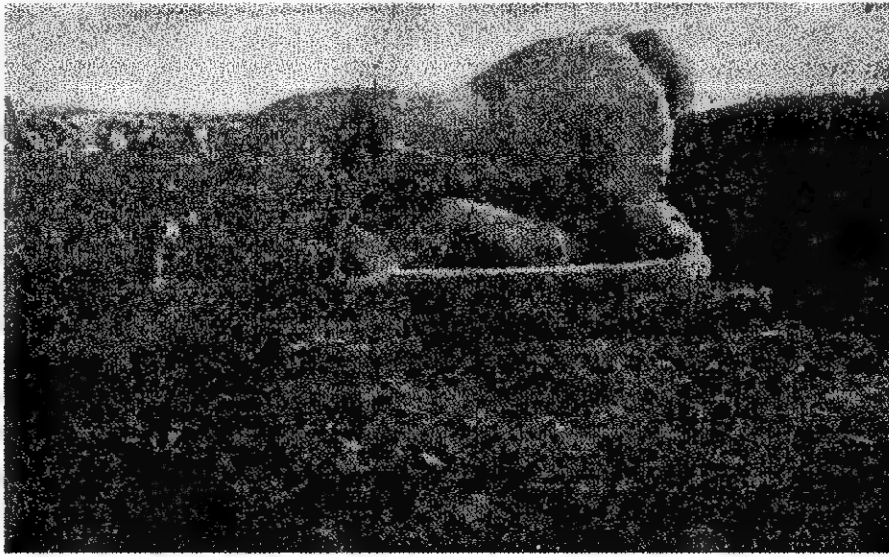
نموذج من الفن من عصر فجر السلالات وتمثل الصورة رأس
بور مسبوك من النحاس وقد طعمت عيانه بالصدف

ومثل ذلك حال عن الالة الفخمة التي شيدت في بابل ولاسيما الابنية التي
اقامها الملك الشهير «بوخذنصر الثاني»، ذكر من ذلك قصره الفخم الذي كان مؤلفا
من عمارات كثيرة تمرکز حول أربع ساحات كبيرة ، بلغت احداها المسماة
بقاعة العرش ٥٢ = ١٧ مترا ، وقد وحد فيها في نهايتها ما يشبه المحراب على
طراز محاريب المعابد وهو موضع عرش الملك . وقد بلغ تخن الجدران
بحو ٥ أمتار وطلب بالصنع الابيض وزين جدران الساحة بالآجر المربع



اباء يدري منحوت من الحجر يمثل مولد الهة و لهة يحملون العرابين
(وحد في الوركاء من بقايا حملة نصر ولكن يرجح انه يعود الى
عصر الوركاء في حدود ٣٥٠٠ في ٠ م)

بالمناة وفيها العمدة المربعة (وتبلغ مساحة القصر نحو ٦٠٠ × ٩٠٠ قدما) .
ووجد في الراوية الشمالية الشرقية من القصر الجنوبي بناء ضخمة فوامه
اربع عشرة حجرة معقودة . كل سعة منها على جانب من رواق بين الصفيين
من هذه الحجرات ، ووجدت في هذا البناء آثار آبار ، ويرجح أن يكون هذا
البناء هو موضع «الحائش المعلقة» التي عدها الاغريق من عجائب الدنيا .



اسند نابل الشهير الذي وجد في قصر بوحده مصر الشمالي • وعلى
الرغم من سهره هذا الاثر فانه مجهول المعري والاصل والعهد
الذي يرجع اليه بوجه التاكيد • ولعله من الضائم الحرسه
التي حلتها بوحده مصر من الخارج

الحصارات الأخرى • فمثلا نجد الباحثين الثقاة في الفن اليوناني يؤكدون
انهم ان اليونان لم بدأوا ساحهم الفني الراقي الا بعد ان اتصلوا بحضارة
مصر وحضارة العراق • وملخص القول فان لمن هابن الحضارتين فضل
السق والبد •

ومن الأمور العامة التي تذكر ما يحده من الوهم والضلال الشائعين •
من ان الطامع العالب في هابن الحضاريين ، ومن ذلك الفن طمعا ، هو السير
والأطراف على ويره واحد أو الحمود دون تغيير وبتطور • وهذا من قبيل
وصف بعض العربيين للشرق «بالشرق الذي لا سدل ، واد كما لا يستطيع
ان يحب في أصل هذا الوهم ، فكيفي بأن يقول ان جميع الحقائق التي
نعرفها عن حضارات العراق ومصر وجميع ما نعرفه عن الفن فهما
بافس هذا الرأي المضلل • اما الذي يصح قوله هو ان لكل حضارة روحاً
سرها أو كما يقول «شئكلر» لها نغم أو لحن هو جزء من موسيقى الحياة •



مجموعه نفسه من الادوات الذهبية التي وجدت في المقابر الملكية
في اور (عن المتحف العراقي)

مظهر الفن وهو مصنف بتلك الروح العامة ومعر عن ذلك النغم الخاص
وكأنه نابت لا يعير .

ومما يحذر ذكره كذلك عن الفن في كلا الحضارتين هو انه لكي
نستطيع ان ندرك الساح التي مهما وبعدره على الوحه الصحيح يجب علينا
ان ندرسه بنفسه وعلى ضوء الروح العامة المحصورة التي هو جزء منها ، فلا
نقسه بعرف الفن الحدث ولا نقسه ايضا كما كان يعمل الاوربيون الى زمن



كاهن أو حاكم سومري من عصر فجر السلالات الثاني (٢٨٠٠ ق ٠ م)

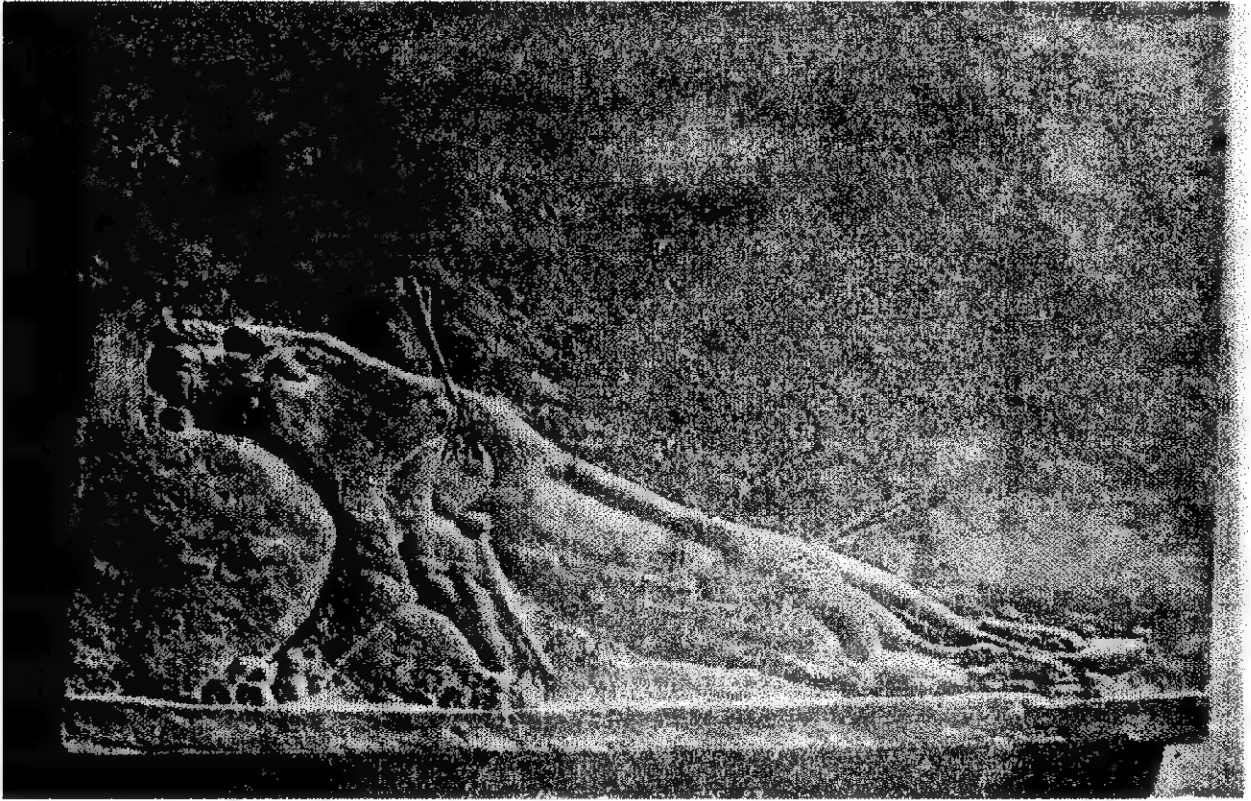
حديث ، على فن آخر سحذه معياراً للحدوده والسمو (كالفن اليوناني) ، سواء كان ذلك من ناحية الحوافز أم من ناحية الاساليب الفنية: وانه واضح ذلك سوق المثل الآتي: وهو اما يعرف ان هناك اسلوبين اساسيين لتمثيل الاحسام ذات الابعاد الثلاثة في السطح المسوي : فالاسلوب الاول طريقة من المنظور (Perspective) ، وهي الطريقة التي شاعت في الازمان الحديثة وبموجبها تصور الاحسام المرئية كما تبدو لعين الرائي في الفراغ ، وأما الاسلوب الثاني فهو الطريقة الهندسية = وهي على القنص من الاولى تمثل الاحسام المحسنة كما هي ، لا كما تبدو للرائي = وبالطرق لشيوع من المنظور في العصور الحديثة صرنا كثيراً ما نحكم على الفن الذي لا سعملها على انه فن سادح لا سسحق ان بعد من الفنون الراقية وسحد مثل هذا الحكم الخاطيء على فن الصوير ، في كل من حصارتي العراق ومصر القديمين حيث لا نجد فهما أسلوب المنظور وانما نشأ هذا الاسلوب على ما نعلم لأول



نماذج من المنحوتات المحسنة من عصور وحر السلاسل • لاحظ
وجه التعبر والحيوة في التمثيل مما يمرر بمثل الحيوانات
(عن المتحف العراقي)

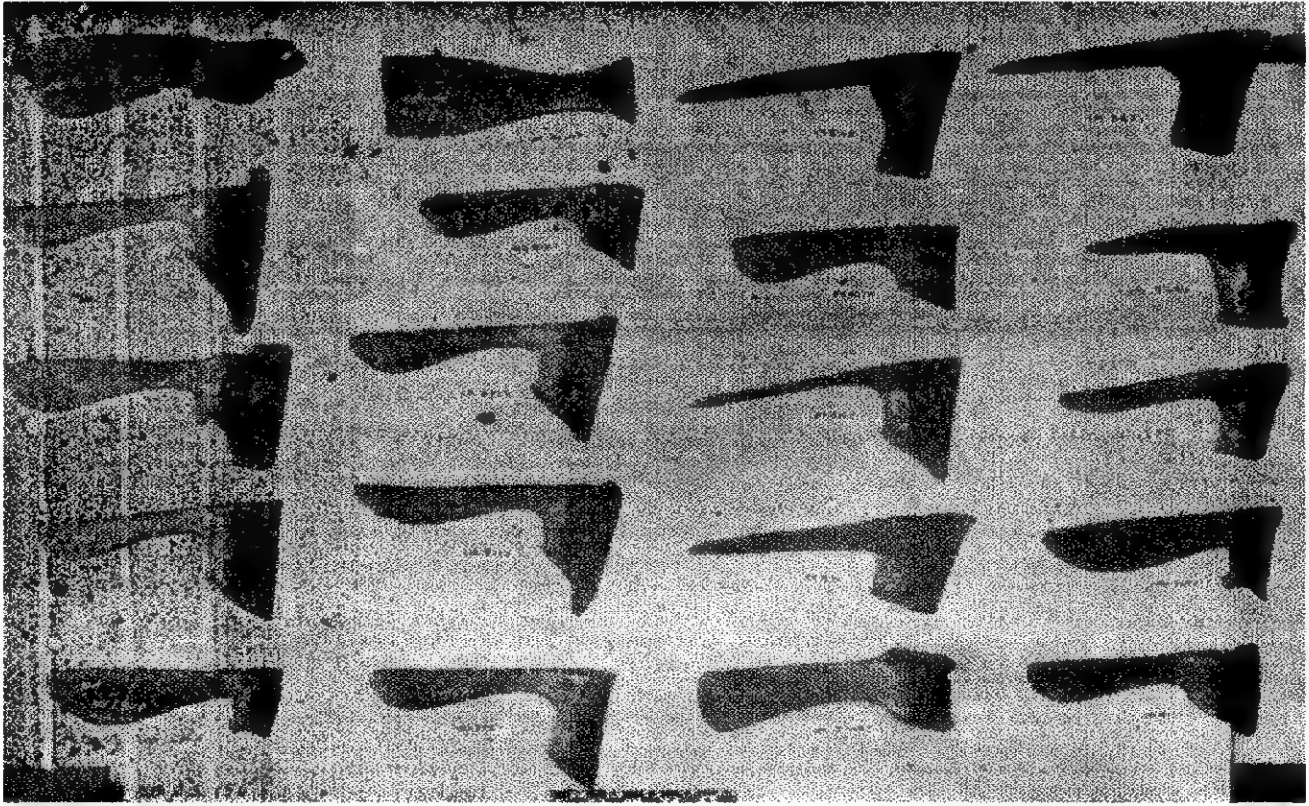
مره في حضارة اليونان • ولذلك فحن لا نستطيع أن نقدر نفائس كثيرة من
ذلك انفس ان نحن انرما بهذه المعايير الحديثة وحملها ما يفسر مطلقه
للحكم على فن الرسم في جميع الادوار • وادا نظرنا الى فن النحت في
حصارتي العراق ومصر وحدا ان العنان لله وفي عانه انوفى في التمثيل
الواقعي • وها لا نستطيع ان نعرو هذه الحدود الى ان فن النحت اسهل من
النصوير باعزاز ان النحت محسم بمثل الابعاد الثلاثة •

وادا نظرنا الى الفن في حصارتي مصر والعراق على انه جزء لا يتجزأ
من هاتين الحضارتين ودرسناه على ضوء الروح العامة لكل منهما فهما ذلك
الفن فهما صححا وبحوا من الورط بأحكام خاطئة كقول البعض مثلا ان
الفن في الحضارة المصرية اقصر على الاموات وعادة الاموات من المراجعة
مسجلين على ذلك بان جميع ما جاءنا من نماذج الفن المصري انما وجدت في



نحت نادر يمثل لنؤه جريحد . وبعد من القطع العبد الحالده (من
عصر اسور ناسال في سوي . من القرن السابع ق م)

المقار . هذا صحيح . ولكن اذا كان صاح الفن قد شغل مثل تلك المسكنة
السامة في عادة الاموات ، أفلس هذا برهاا فاطما على أهمه الفن في حياة
الناس ؟ فلو وحدا مثلا مشهدا من حياة الرب المصري معوشا في حدران
أحد القبور ، فلا تقتصر معنى ذلك على الرغبة في تصوير مطر مألوف للمب
في حياته الاخرى . بل كذلك معنى شغل هذا الميب في حياته ، الفن ، ومما
لا شك فيه ان السب لهذا الخطأ هو اغفال علاقة الفن المصري بالحضارة التي
نشأ فيها ولا سيما علاقه الوثني بالعقائد الدنسة التي طغت على تلك الحضارة .
ونوجه خاص الاعتماد بحياة أخرى ، وهو اعتقاد واضح قوى طبع الحضارة
المصرية بطابعها الخاص .



مجموعة من العؤوس معظمها من عصور فجر السلالاب والعهد الاكدي

ومما يوضح لنا العلاقة الوثقى بين الفن وبين مقومات الحضارة الأخرى ما نراه من الفن في حضارة مصر والعراق من التقيد والسير بموجب عرف في أكادسمى . ومثلاً ذلك خضوع الفن الى مطلبات الدين والسياسة أى الدولة والى القنود الفسة . والدين والدولة شيان ملازمان فى هاتين الحضارتين . وبصير آخر كان الفن فارسما وليس فنا فردياً ، فلامعنى لخصاً عن بعض الشعارات والمادى الحديثة فى ذلك الفن كقولنا « الفن لأجل الفن » . فمثلاً نجد ان فراغة مصر استخدموا فن السحت لخليد هثآت أحسامهم كما استخدموا فن العمار فى تشيد اضخم عمارات فى تأريخ الشر ، وهى الأهرام للمحافظة على حسد الفرعون من اللى بعد الموت . وتفردت الحضارة

الآشورية بأن ملوكها استخدموا الدعاية استخداما واسعا لا يعرف له مثيلا من الأمم الأخرى ، فاستغلوا الفن كذلك وبحث لهم الحاتون مشاهد حروبهم وعروضاتهم ودكهم الحصون والمدن وسوقهم شعوبا برمتها أسرى وغير ذلك من المشاهد المثلثة على ألواح الحجر التي ملئت عشرات الأميال في فاعات قصورهم وحجراتها .

ومن الطبعي ان يسير مثل ذلك الفن الرسمي وفق قيود او عرف من الأساليب والطرق الفنية ، مما يحد من حرية الفنان ، ولكن لو اسما الطريق في الأمر القيا ان الفنانين وحدوا ، على الرغم من هيود العرف ، محالا للتوفيق بين تلك الأساليب المبروسة عليهم ، وبين التعبير عن شعورهم الفني واشباع حسهم بالحمال والانداع . ومما يلاحظ بوجه عام في فن العراق القديم انه كان أكثر حرية بالقياس الى الفن المصري ، وانه كان أكثر مه قوة وعدفا . ومن الأمثلة على الحرية او التوفيق بين العرف وبين انطلاق الفنان ، ان الفنان في العراق القديم اذا كان قد حرم التعبير الحر في تحت الأجسام إلا دمه ، فانه وجد نفسه غير معيد في اظهار حربه الفنية في تحت الحيوانات فقد استطاع ان يمثلها تمثيلا حرا طبعيا . وقد حلف لنا قطعا بنفسه في هذا الباب ، وبحق لنا ان نجد بعض هذه القطع من القطع الفنية الحادثة في تأريخ الصور البشرية . ووجد الفنان محالا آخر في حربه التعبير ، حتى في تحت الصور الآدمية وهي التي قلنا ان هيود العرف تطعي عليها . فمع ما فرض عليه من الأسلوب الخاص في تمثيل الأشخاص ، بأوضاع خاصة ، إلا ان حربه التعبير يركب للفنان على ما يبدو للتعبير عن ملامح الوجه . وقد وفق في ذلك بوقفا سيسحق الإعجاب ، كما سبق ان بوها بذلك من قبل .



مسجد من السمات البارزة مثل صند الخيل والحجر الرخنيته ، وبعد
 هذا المسجد الإثوري من الأعلى انبثت الحائده في قوة الأمير
 وعمل الحركه (من قصر اتمور بامساك في سوري القرن السابع ق . م)



نحتت تارر يعل أسدا حريحا ، وهو مثل الشكل في ص ٥٠٣ من
القطع الميه الحالة (من قصر اشور بانيبال في نينوى
من القرن السابع ق . م)



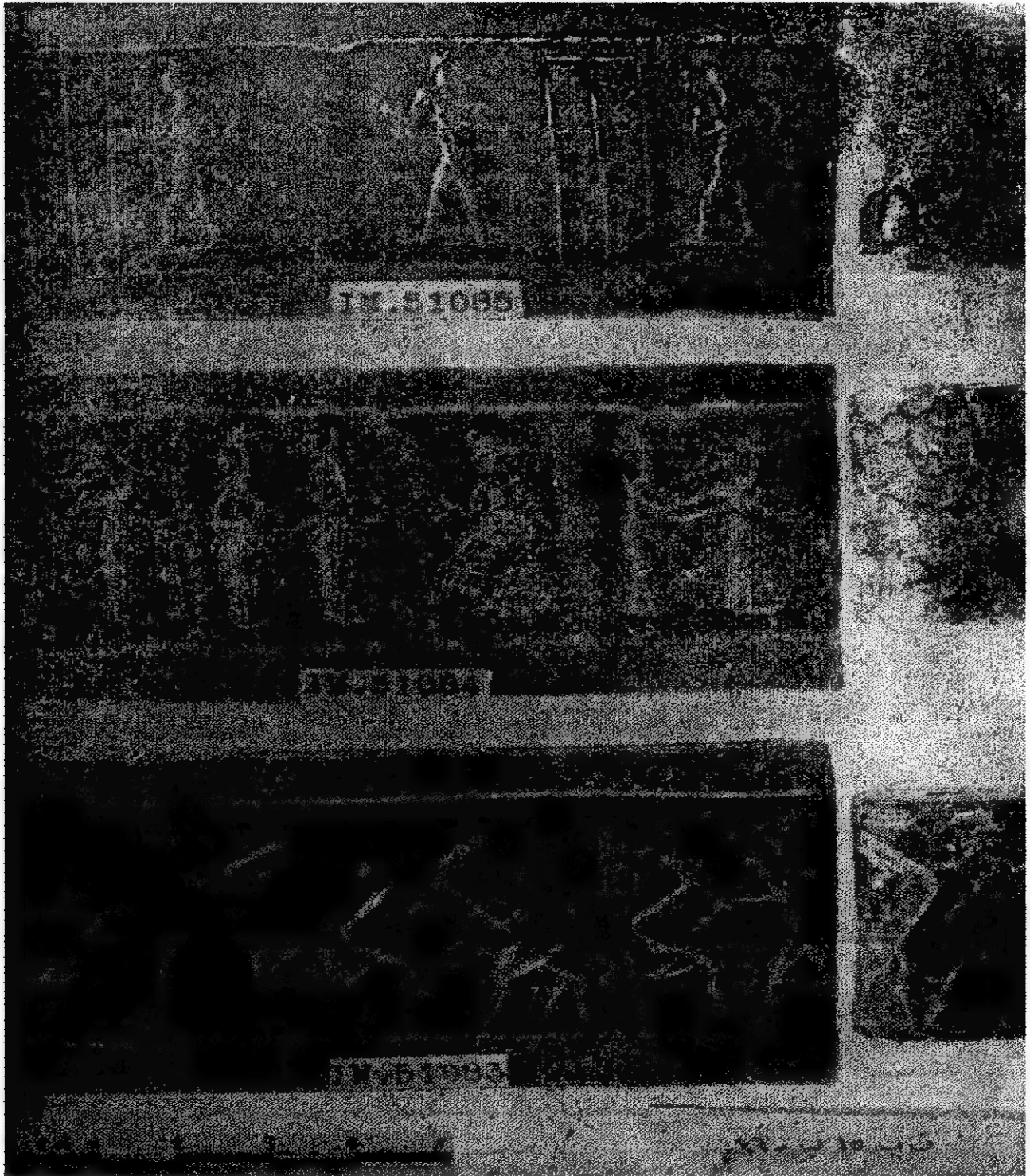
قطعه فيه نفسه معموله بطريقه (التكفيش) وهي بزین مقدمه
 فيباره ذهبيه مما وخذ في السور الملكيه في أور



مسجد مسجوت بالنعمة البارز عمل الملك اشور بانيسال في عهد
الاسود (من نسوي من القرن السابع ق م - في المتحف البريطاني)



حجر مصنوع من الذهب وفيصسه من حجر اللازورد وعمده مصنوع
من الذهب بطريقه الحرير (من المقبرة الملكيه في اور من عصر
فجر السلالات الثالث ٢٦٠٠ ق ٠ م)



مادح من الحوام الاسطوانه الى امارت بها حصاره وادى الرامدين



قطعة فنية نفيسة من العاج وجدت في أثناء السعفيات الحديثة (١٩٥٣)
 التي قامت بها البعثة الأثرية التابعة لمعهد الآثار البريطاني
 في العراق . في موضع معروف بـ «كالح» القديمة . لاحظ
 دقة النحت والصناعة الرائعة في العاج . وقد
 وجدت تماثيل أخرى تمسح من فن النحت في العاج

مراجع مختارة

، إضافة الى ما ذكرناه من المصادر المنتهدة بها في هوامش المتن يجد
القرىء في التت الا نى أهم واحدت مراجع في مواضع الكتاب .

مراجع الفصل الاول

١ - عن التاريخ ومنهج بحثه

- (1) **An Outline of Modern Knowledge** (London, 1932) ch 19
- (2) **B. G. Collingwood, The Idea of History** (1935)
- (3) **Langlois & Seignobos, An Introduction to the Study of History** (English Transl. London, 1912).
- (4) **Vincent, Historical Research** (New York, 1929)
- (5) **Fling, The Writing of History. An Introduction to Historical Method** (Yale, 1926).
- (6) **Bernheim, Lehrbuch der Historischen Methode** (Leipzig, 1894)
- (7) **Shotwell, The History of History** (Columbia Un Press 1939)
- (8) **R. Flint, History of the Philosophy of History** (1873)
- (9) **J G Droysen, Grundriss der Historik** (Jena, 1858)
- (10) **Encyclopaedia of Social Sciences under "History", "History Study"**

٢ - عن كتابه التاريخ عند العرب

- (11) "Theory and Practice in Historical Study" in **Social Science Research Council, Bulletin**, 54, (New York, 1946)
- (12) **D S. Margoliuth, Lectures on Arabic Historians.**
- (13) **F A Rosenthal, A Study of Moslem Historiography** (1952)

٣ - مصادر عربية :-

- (١٤) أسد رستم « مصطلح التاريخ » (١٩٣٩) .
- (١٥) حسن عثمان «منهج البحث التاريخى » (١٩٤٣) .
- (١٦) مقالات للدكتور حسن عثمان فى مجلة الرسالة : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٥ ، ٤٤٠ (آب ، تشرين الاول ١٩٤١) .
- ومجله الثقافة : ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١١١ (تشرين الثانى - شباط ١٩٤١) .

٤ - عن تأريخ النساب في العراق :-

- (17) **Reallexikon der Assyriologie**, I (Ausgrabungen)
- (18) W Budge, **Rise and Progress of Assyriology** (1925)
- (19) V Christian, **Altertumskunde des Zweistromlandes** (1940)
- (20) S Lloyd, **Foundations in the Past** (1946)
- (21) André Parrot, **Archéologie Mesopotamienne** 2 vols (1946 — 53)
- (22) G E Daniel, **A Hundred Years of Archaeology** (1950)

■ - عن أدوار الأريخ القدم وطرق ضبطها :-

- (23) Van der Meer, **Chronology of Western Asia** (1947)
- (24) S Smith, **Alalakh and Chronology** (1940)
- (25) Ann Perkins in Ehrich, **Relative Chronology in Old World Archaeology** (Un of Chicago Press, 1954)
- (26) **Bulletin of the American Society of Oriental Research**, No 88 (1952)
- (27) F E Zeuner, **Dating the Past** (1946)
- (28) , "Archaeological Dating by Radioactive Carbon" **Science Progress**, April, 1951, 225 ff
- (29) W F Libby, **Radioactive Carbon**.
- (30) F Jonson in **Supplement to American Antiquity** (July, 1951)
- (32) Albright in **BASOR**, 99 (1945), 9 ff, **BASOR**, 126 (1952), 24 ff , 127 (1952), 27 ff , **Orientalia**, V (1948), 125 ff
- (33) Goetze in **BASOR**, 122 (1951), 18 ff, 127 (1952), 21 ff
- (34) E Cavaignac in **Reveu d' Assyriologie** XL (1945-6) 17 ff , 149 ff
- (35) A Poebel, "The Assyrian King List from Khorsabad" in **JNES**, I, (1942), 247 ff, 490 ff. , II (1943, 56 ff
- (36) Bowton in **Iraq**, VIII (1946), 94 ff, **JNES** X (1951), 184 ff
- (37) Weidner in **Archiv für Orientforschung**, XV (1945—1951) 85 ff
- (38) Toynbee, **A Study of History**, vol X (1954)

الفصل الثاني

¹ (1) Braidwood, **Prehistoric Man** (1948)

- (2) J S Myres, **The Dawn of History.**
- (3) D A E Garrod, **The Palaeolithic of Southern Kurdistan** (1930).
- (4) Burkitt, **Prehistory** (1924)
- (5) O. Menghin, **Welt Geschichte der Steinzeit** (1939)
- (6) Dorothy Davidson, **Men of the Dawn.**
- (7) Childe, **What Happened in History** (1941)
- (8) , **Man Makes Himself** (1935)
- (9) , **New Light on the Most Ancient East** (1952)
- (10) Will Durant, **Our Oriental Heritage. The Story of Civilization** (1943)

(١١) مجلة مسومر محلد (١٩٥٠ - ١٩٥١)

- (12) Braidwood, **The Near East and the Foundations of Civilization** (1952)
- (13) , **Antiquity**, XXXIV (1950), 190 ff , **American Journal of Archaeology** (1949), 50 — 1
- (14) **Journal of the Near Eastern Studies** vol II (1943), vol IV

مراجع الفصل الثالث

١ - مراجع عامة

- (1) André Parrot, **Archeologie Mesopotamienne** 2 vils
- (2) G Childe, **New Light on the Most Ancient East** (1952)
- (3) A L Perkins, **The Comparative Archaeology of Mesopotamia** (Chicago, 1949)
- (4) H Frankfort, **The Birth of Civilization in the Ancient Near East** (1951)
- (5) V Christian, **Alttertumskunde** . (1939)
- (6) Scharff & Moortgat, **Aegypten and Vorderasien.**

٢ - مراجع خاصة ، بالدرجة الاولى النشرات الصادرة عن نتائج الحفريات في المواضع التي وجد فيها آثار أطوار فجر الحضارة :-

أ - حسونة :

Sumer I, (1945), 59 ff. , **Illustrated London News** II August, 1945, 163—165 ; **Journal of the Near Eastern Studies**, IV,

(1945), 255 ff , *Sumer*, III, I (1947), 26 ff ; *Sumer*, VI, (1950) 93 ff.

ب - مطارة

Sumer IV (1948), 134 ff * of the Near Eastern Studies
(1952), I ff.; *BASOR*, 124 (1951), 12 ff , *Illustrated London News*, 15 December, 1951, 992 ff

ج - سامراء :

E Herzfeld, *Die Ausgrabungen von Samarra*, V, *Die vorgeschichtlichen Toffereien* (Berlin, 1930) .
Braidwood et al in *Jour. of the Near Eastern Studies* III (1944) 147 ff. ,

د - تل حلف

M F van Cppenheim, *Tell Halaf I Die Prehistorischen Funde* (Berlin, 1943)

هـ - الارحصة :

M E L Mallowan & Rose, *Prehistoric Assyria, The Excavtions at Tall Arpachiyah* 1933 (*Iraq* II, 1935, 1 ff)

أنظر المراجع العامة حول المراجع الأخرى الى وحدت فيها آثار
ضور حلف وسامراء والعد وعمرها .

و - العد وأربدو :

R C Thompson, *The British Museum Excavations at Abu Shahrain in Mesopotamia* (1918),
Hall in the *Proceedings of the Society of Antiquaries* XXXI (1919),
Hall, *A Season's Work at Ur, Al-'ubaid and Abu-Shahrain*, 1930
Hall, & Woolley, *Ur Excavations I, Al-'ubaid* (1924)
P. Delougaz, in *Iraq* V, (1938), 1 ff

Sumer, III (1947), 84 ff. ; IV (1948), 115 ff; **Illustrated London News**, 31 May, 1947 ; 11 September 1948.

ح - الوركاء :

حملة تقارير عن مواسم الحفريات الاحد عشر (منذ ١٩٢٨) شرت
مد عام ١٩٣٠ في :

U V B, I 1930, 2 (1931) 3 (1932), 4 (1932) 5 (1934), 6 (1935),
7 (1936) 8 (1937), 9 (1938), 10 (1939), 11 (1940)
Pelkenstein, Archaische Texte Uruk (1936)

ط - حمدة صر :

Field Musum Anthropology Memoirs, I

Mackay, Report on the Excavations at Jamdet Nasr 1931

الفصل الثالث والرابع

- (1) G. Childe, **New Light on the Most Ancient East** (1952)
- (2) , **What Happened in History** (1946)
- (3) John. A. Wilson, **The Burden of Egypt** (1950)
- (4) H. Frankfort, **The Birth of Civilization** (1948).
- (5) Braidwood, **The Near East and the Foundations of Civilization** (1952)
- (6) **The Legacy of Egypt** (1942)
- (7) André Parrot, **Archéologie Mésopotamienne** 2 volumes (1946 — 1953)
- (8) Scharff & Moortgat, **Agypfen und Vorderasien im Altertum** (Munchen, 1950).
- (9) S. Lloyd & Fuad Safar, "Tell Hassuna" . in JNES, IV (1945), **Sumer**, I (1945) , vol VI (1950), 93 ff
- (10) E. Herzfeld, **Die Ausgrabungen von Samarra** vol V (Berlin, 1930), Braidwood et al in JNES, vol. III (1944)
- (11) A.L. Perkins, **The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia** (1949) ; Moortgat in **Der Alte Orient** (1945)
- (12) M. von Oppenheim, **Tell Hull** (Berlin, 1943).
- (13) M.E.L. Mallowon & Rose, **Prehistoric Assyria. Excavations**

- **Tell Arpachiyah, 1933 (Iraq vol II 1935)**
- (14) R C Thompson, **The British Museum Excavations at Abu Shahrain in 1918**
- (15) Woolley, **Excavations at Tell El Obeid, Antiquity Journal IV (1924)**
- (16) Hall & Woolley, **Ur. Excavations, I Al-'Ubaid (1927)**
- (17) **Sumer** I (1945), III (1947) P 3, PP. 43, 84 ff, 219 ff, ILN, 3, May (1947) **Sumer**, IV (1948), 115 ff vol. V (1949), 97 ff. VI (1950), 27 ff.
- (18) H De Genouillac, **Fouilles de Telloh, I (1934), Parrot, Tello (1948).**
- (19) A J Tobler, **Excavations at Tepe Gawra, II (1950)**
- (20) Speiser, **Excavations at Tepe Gawra.**
- (21) UVB, I, (1930) 2 (1931), 3 (1932) 4 (1933), 5 (1934) 6, (1935), 7 (1936), 8 (1937), 9 (1938) 10 (1939) 11 (1940)
- (22) Falkenstein, **Archaische Texte aus Uruk (1936)**
- (23) **Field Museum Anthropology Memoirs, I**
- (24) Mackay, **Report on the Excavations at Jemdet Nasr (1931)**
- (25) Field & Martin, **Painted Potteries from Jemdet Nasr (1935)**
- (26) Langdon, **Pictographic Inscriptions from Jemdet Nasr (1928)**

فصل الخامس والسادس

- (1) André Parrot, **Archeologie Mésopotamienne, 2 vols (1951 & 1953)**
- (2) Julius Levy, "Studies in the Historic Geography of the Ancient Near East" in **Orientalia** 21 (1952), 265 ff
- (3) G M Lees & N L Falcon, "The Geographical History of the Mesopotamian Plain" in **Geographical Journal**, vol CXVIII, Part 1, March (1952)
- (4) **Cambridge Ancient History, vol I**
- (5) Frankfort et al, **Presargonic Temples (1942)**
- (6) Frankfort, **Archaeology and the Sumerian Problem (1932) 1932)**
- (7) André Parrot, **Archéologie Mésopotamienne, vol II (1953) PP 308 ff**

- (8) Gelb, **Hurrians and Subarians** (1944).
- (9) E. Speiser "Hurrians and Subarians" in Jour. of Amer. Orient. Society (1948)
- (10) G Childe, **New Light on the Most Ancient East** (1952)
- (11) Frankfort, **The Birth of Civilization in the Near East.**
- (12) Braidwood, **The Near East and the Foundations of Civilization.**
- (13) Deimel, "Die Sumerische Tempelwirtschaft . " in **Analecta Orientalia**, II (1931)
- (14) A Schneider, **Die Sumerische Tempelstadt**, (1920)
- (15) Frankfort, **Kingship and the Gods.**

مراجع عامه عن تاريخ العراق بوجه عام (من الفصل السابع فما بعد)

- (1) Olmstead in the **Amer. Jour. of Sem. Lang and Lit**, vols XXXIII, 283 ff. , XXXV, 65 ff , xxxvi, 120 ff , xxxvii, 212ff, xxxviii, 73 ff
- (2) W L King, **Sumer and Akkad** (1910)
- (3) . . . , **History of Babylon.**
- (4) Olmstead, **History of Assyria** (1923)
- (5) S Smith, **Early History of Assyria** (1928)
- (6) **Cambridge Ancient History** (1923), vol I—III
- (7) "Assyrien", "Babylonien" in **Reallexikon der Assyriologie**, vol I
- (8) Lukenbill, "The Last Centuries of Babylon History in **Amer. Jour. of Sem. Languages and Literatures**, vol 47, 280 ff
- (9) Breasted, **Ancient Times.**
- (10) Hall, **Ancient History of the Near East** (1939)
- (11) Will Durant, **The Story of Civilization. Our Oriental Heritage**, (1942)
- (12) G Contenau, **Manuel d'Archéologie Orientale** vols I—IV (1927 — 1947).
- (13) Hrozny, **Histoire de l'Asie Antérieure** (1947)
- (14) Jastrow, **The Civilization of Babylonia and Assyria** (1915)
- (15) Dlaporte, **Babylonian and Assyrian Civilization** (1925)
- (16) Meissner, **Babylonien and Assyrien**, 2 vols (1920 — 24)

- (18) Carleton, **Buried Empires** (1939)
- (19) E Meyre, **Geschichte des Altertums** (1926)
- (20) Scharff & Moortgat, **Egypten und Vorderasien.**
- (21) Von Soden, **Der Aufstieg der Assyrischen Reiches** (1937)
- (22) Brockelmann, **Grundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen.**
- (23) J W Swain, **The Ancient world. Empires and City — States of the Ancient Orient and Greece Before 334 B.C.**
- (24) Rostovitzeev, **History of the Ancient World** (1930)
- (25) Olmstead, **History of the Achaemenian Empire.**

الفصل الثاني عشر والثالث عشر (الدانة)

المراجع العامة المذكورة بوجه عام ولا سيما رقم ١٥ ، ١٦ والمصادر الخاصة الآتية :-

- (1) r Dhorme, **Les Religions de Babylonie et d'Assyrie** (1945)
- (2) Frankfort, **Kingship and the Gods** (1948).
- (3) - H Hooke, **Babylonian and Assyrian Religion** (1953).
- (4) Frankfort, Jacobsen et al, **Intellectual Adventure of Early Man.**
- , **Before Philosophy** (1951)
- (5) - Hooke, **The Religion of Babylon and Assyria** (1898)
- (6) Frankfort, **The Problem of Similarity in Ancient Near East** (1950)
- (7) - Hooke, **Ritual, Myth and Drama in the Ancient Near East** (1950)
- (8) K Tallqvist, **Akkadische Götterepithete** (1938)
- (9) A Deimel, **Pantheon Babylonicum.**
- (10) L W King, **Babylonian Magic & Sorcery** (1896)
- (11) C Thompson, **Semitic Magic** (1908)
- (12) Fallis, **The Babylonian Akitu Festival** (1926)
- (13) Thureau - Dangin, **Rituel Accadiens** (1921)
- (14) C J Gadd, **Ideas of Divine Rule in Ancient East** (Seweich Lectures, 1945)
- (15) S Langdon, **Babylonian Menologies and the Semitic Calendar** (Seweich Lectures, 1933)

- (16) G. Meier, **Die Assyrische Beschwörungssammlung Maqlu** (1937)
- (17) F R Kraus, **Die Physiognomischen Omina der Babylonier** (1935)
- (18) Contenau, **La Magie chez les Assyriens et les Babyloniens** (1947)
- (19) Fossey, **La Magie Assyrienne** (1902)
- (20) Muller, **Das Assyrische Ritual** (1937).
- (21) E Behrens, **Assyrische Babylonische Briefe kultischen Inhalts** (1906)
- (22) Campbell, **The Devils and Evil Spirits of Baby'onia.**
- (23) Ebeling, **Tod und Leben nach den Vorstellungen der Babylonier** (1931)
- (24) M Jastrow, **Die Religion Babyloniens und Assyriens** (1912)
- (25) Luckenbill, "The Temples of Babylonia and Assyria" in *AJSL*, XXIV, 291 ff
- (26) Zimmern in **Zeitschrift für Assyriologie**, XXXIX (1930),
- (27) Price, "Some Observations on the Financial Importance of the Temple in the I Dynasty of Babylon", in *AJSL*, XXXII, 250 ff
- (28) Luckenbill, "The Temple Women", in *AJSL*, XXXIV, 1 ff
- (29) Frankfort et al, **The Gimil - Sin Temple.**
- (30) Andrea, **Das Gotteshaus**, (1920)
- (31) Delougaz & Lloyd, **Pre-Sargonic Temples in the Diyala Region.**
- (32) Delougaz, **The Oval Temple.**
- (33) Meissner, **Bab. & Assyr.** II, 72 ff
- (34) V Muller, in *JAOS* (1940), 151 ff
- (35) A. L Oppenheim, "The Significance of the Temple in the Ancient Near East", in **Biblical Archaeology** vol 7 (1944), 54 ff
- (36) ED Van Buren, "Foundation for a New Temple" in **Orientalia**, vol. 21 (No 3), 1952), 293 ff
- (37) H Lenzen, "Die Entwicklung der Ziggurat" in **Zeit. für Assyriologie**, vol 48 (1944), 238 ff
- (38) Parrot, **La Tour de Babel et les Ziggurats** (1949)

الفصل الرابع عشر (الشرائع والقوانين)

- (1) Driver & Miles, **The Assyrian Laws** (1935)
- (2) . . . , **The Babylonian Laws**, 2 vols (1952)
- (3) S N Kramer, "Ur — Nammu Law Code" in **Bulit. of Un. Museum**, vol 17, No 2
- (4) E Szlechter, "Apropos du Code d'Ur-Nammu" **R A**, 47 (1953), 1 ff
- (5) Steele, "Libit - Ishtar Law - Code" in **Amer Jour. of Archaeology** vol L II (1948)
- (6) **Archiv Orientalni**, XVIII, 1—2 (1950), 525 ff. vol XVII (1948)
- (7) Sumer, III2 (1947), IV (1948)
- (8) Koschaker, "Cuneiform Laws" in **Ecyropaedia of Social Sciences** IX, 213 ff.
- (9) Harper, **The Law Code of Hammurabi**.
- (10) Kohler und Ungnad, **Hammurabi's Gesetz**.
- (11) Deimel, **Codex Hammurabi** (1930).
- (12) W Eilers, **Die Gesetz Stele Hammurabis** (1932).
- (13) P Gruvilhier, **Introduction au Code de Hammurabi** (1938)
- (14) A van Praag, **Droit Matrimonial Assyrio-babylonien** (1945)
- (15) Schorr, **Urkunden des altbabylonischen Zivil - und Prozessrechts** (1913)
- (16) M David, **Die Adoption in altbabylonischen Recht**.
- 17 A Walther, **Das altbabylonische Gerichtswesen**.
- (18) M David & E Ebeling, **Assyrische Rechtsurkunden**.
- (19) Kohler & Ungnad, **Assyrische Rechtsurkunden**.
- (20) Kaschaker, **Babylonisch - Assyrisches Bürgschaftsrecht**.
- (21) L Waterman, "Business - documents of the Hammurabi Period" in **AJSL**, XXIX, 145 ff , 288 ff
- (22) Kohler & Peiser, **Aus dem Babylonischen Rechtsleben**.
- (23) É. Cuq **Études sur le droit Babylonien, les lois Assyrien et les lois hittites**.
- (24) W Eilers, **Gesellschaftsformen im altbabylonischen Recht**.
- (25) D H. Muller, **Die Gesetze Hammurabis und ihr Verhältnis zur Mosaischen Gesetzgebung sowie zu den XII Tafeln**.
- (26) S Oettli, **Das Gesetz Hammurabis und die Thora Israels**.

- (27) Ebeling, **Keilschrifttexte aus Assur Juridischen Inhalts**.
 (28) Pohl, "Neubabylonische Rechtsurkunden" in **Analecta Orientalia**, 8.

الفصل الخامس عشر (المعارف اللغوية والتأريحية والجغرافية) -

- (1) J. J. Leeb, **A Study of Writing** (1952)
 (2) G. Contenau, "Les Débuts de l'Écriture Cunéiforme et les Monuments figurés in **Rev. d. Etudes semit. et Baby.** 1940, 56 ff.
 (3) C. R. Driver, **Semitic Writing** (Schweich Lectures 1940)
 (4) R. Labat, **Manuel d'Épigraphie Akkadienne** (1952)
 (5) A. David, Remarques sur l'Origine de L'écriture Sumerienne" in **Archiv Orientální**, XVIII, No. 3 (1950)
 (6) W. Wright, **Comparative Grammar of the Semitic Languages** (1890)
 (8) G. Ryckmans, **Grammaire Accadienne** (1944)
 (9) King, **First Step in Assyrian**.
 (10) Delitzsch, **Assyrische Lesestücke**.
 (11) A. Poebel, **Grundzüge Sumerischen Grammatik** (1923)
 Gadd, **Sumerian Reading Book** (1924)
 (12) Jestin, **Le Verbe Sumerien** (1946)
 , **Abrégé de la grammaire Sumérienne** (1951)
 (13) Falkenstein, **Grammatik der Sprache Gudeas von Lagash**, 2 vols. (1949 — 1950)

حول اتياب العلامات المسماة (Syllabaries)

- (14) Luckenbill, "The Chicago Syllabary" in **AJSL**, XXXIII, 169 ff **ibid.** XXXVI, 154 ff , XXXVIII, 153 ff
 (15) CT (Cuneiform Texts of the Brit. Museum), vols. XI, Pls 1—13, 14 — 28, 29—41 vol XII, XXXV, Pls. 1—8
 (16) **Revue d'assyriologie**, XXVIII, 117 ff , 147 ff
 (17) L. Matoush, **Die lexikalischen tafelserien der Babylonier und Assyrier I-II** (1933)
 (18) Van der Meer, **Syllabaries A,B, from the Herbert Weld Collection** (1938).
 (19) Landsberger, **Ana ittishu** (1937).

- (20) Meissner "Dritte Tafel der Serie Harrahubbullum" in MVAG (1913).
 (21) Landsberger, **Die Fauna im alten Mesopotamie nach der 14. Tafel der Serie HAR-RA hubullu** (Leipzig, 1934), See also **Jour. Ner East, Studies**, IV, (No 3, 1945), 152 ff

عن طرق تأريخ الحوادث

- (22) Jacobsen, **The Sumerian King List**, 147 ff
 (23) S. Langdon, "The Sumerian word for year and Origin of The Customs of Dating by events" in **R A**, XXXII, 13 ff
 (24) "Datenlisten" and 'Eponymen" in **Reallexikon der Assyriologie**, II
 (25) A ■ Mercer, **Sumeru — Babylonian Year Formulae** (1946).
 (26) Van der Meer, **Chronology of Western Asia** (1947).
 (27) Taha Baqir, "Date - formulae of Ishbi - Irra" in **Sumer**, IV, (1948)
 "Date - Lists and Date - formulae from Tell Harmal" in **Sumer**, V (1947)

عن المعارف اللغوية والتأريخية والجغرافية

- (28) Meissner, **Babylonien und Assyrien II** (1925) 324 ff
 (29) Jacobsen, **The Sumerian King List**.
 (30) E F Weidner, "Die grossekoniglisten ■■■ Assur" in **A F O**, 3 (1926), 66 ff
 (31) Kraus, "Zur Liste der ältesten Könige von Babylonien" in **Zeit. für Assyriologie** 16 (50) (1952), 29 ff
 (32) A. Poebel, "Khorsabad King - List" in **JNES** (1942)
 (33) O Schroeder, **Keilschrifttexte aus Assur Verschiedenen Inhalts**, No. 10—12, 182, 26.
 (34) **Mitt. der Vorderas. Gesell.**, XXVI, 2, 11 ff
 (35) **Beiträge zur Assyriologie**, II, 205 ff
 (36) **Cuneiform Texts** (in the Brit Museum), XXXIV, 44
 (37) Rawlinson **Cuneiform Texts II R**, 50, 53 No 2 IV, 36, No. 1, Ct. XXII, 48—49
 (38) Goetze in **JCS**, VII, 2 (1953)
 (39) W F Albright, "Babylonian Geographical Treatise ■■"

Sargon of Akkad Empire" in *Jour. of Amer. Orient. Soc.* vol. (45), 193 ff.

- (41) Thompson J. Oliver, *History of Ancient Geography* (1948)
- (42) L. W. King, *Chronicles Concerning Early Kings of Babylonia.*

الفصل السادس عشر (العلوم الرياضية والطبيعية)

- (1) E. T. Bell, *The Development of Mathematics* (1945)
- (2) Thureau - Danguin, *Mathématiques Babylonniens* (1938)
- (3) O. Neugebauer, *Mathematische Keilschrifttexte* 3 vols
- (4) O. Neugebauer & A. Sachs, *Mathematical Cuneiform Texts* (1945).
- (5) Neugebauer, *The Exact Sciences in Antiquity* (1950).
- (6) Hilprecht, *Mathematical, Metrological and Chronological Tablets.*
- (7) Barton, "On the Babylonian Origin of Plato's Nuptial Number" in *Jour. of Amer. Orient. Soc.* 29, 210 ff.
- (8) Thureau - Danguin in *Revue d'Assyriologie*, XXIX, 1 ff, 22 ff, 59 ff XXV, 115 ff, XXVI, 43 ff, xxxi, 61 ff, xxxii, 188 ff, xxviii, 195 ff,
- (9) H. Lewy, "Studies in Assyrio-Babylonian Mathematics" in *Orientalia*, 18 (1949), 40 ff
- (10) Taha Baqir in *Sumer*, VI, 1—2 (1950), VII, (1951)
- (11) Drenkhahn in *ZA*, 16, (50) (1952) 151 ff
- (12) Bruins in *Sumer*, VIII, IX
- (13) P. Luckey, "Beiträge zur Erforschung der Islamischen Mathematik", *Orientalia*, 22, No 2 (1953), 166 ff
- (14) Van der Waerden, "Babylonian Astronomy" in *JNES*, vol. x (1951), 20 ff
- (15) CT, XXXIII, Pls. 1—9, 10—12.
- (16) Thureau - Danguin in *RA*, XXVIII, 85 ff
- (17) O. Neugebauer, "The History of Ancient Astronomy-Problems and Methods" in *JNES*, IV (1945), 1 ff.
- (18) O. Neugebauer in *Jour. of the Cuneiform Studies*, II - 3
- (19) A. Sachs in *ibid.* VI, No. 4, 146 ff.
- (20) A-T-Olmstead in *AJSL*, LV (1938), 113 ff

- (21) R.C. Thompson, **Assyrian Herbal** (1924).
- (22) , **Dictionary of Assyrian Botany** (1949).
- (23) , **Dictionary of Assyrian Chemistry and Geology**.
- (24) Gadd, & R. C. Thompson, "A middle - Babylonian Chemical Text" in **Iraq**, III, 87 ff.
- (25) G Contenau, **La Médecine en Assyrie et en Babylonie** (1938).
- (26) Kuchler, **Assyr. Bab. Medizin**.
- (27) Lutz in **AJSL**, XXXVI, P 67 ff
- (28) R C Thompson, **Assyrian Medical Texts** (1923)
- (29) Meissner, **Babylonien und Assyrien**, II, 28 ff
- (30) Fossey in **Revue d'Assyriologie**, 40 (1945-6), 109 ff 113ff
- (31) S H Ernest, **A History of Medicine**.

الفصل السابع عشر (الدولة والمجتمع) (تنظر المراجع الخاصة بالشرائع والتاريخ العام) =

- (1) H. Frankfort, **Kingship and the Gods** (1948)
- (2) R. Labat, **Le Caractère religieux de la Royauté Assyro - Babylonienne** (1939)
- (3) C J Gadd, **Ideas of Divine Rule in the Ancient East** (Schwisch Lectures, 1945)
- (4) Meissner, **Babylonien und Assyrien**, vol I
- (5) Jacobsen, "Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia" in **JNES**, II (1943), 159 ff
- (6) J. Engnell, **Studies in Divine Kingship in the Ancient Near East** (1943)
- (7) E D van Buren, "The Sacred Marriage in Early Times in Mesopotamia", **Orientalia**, XIII (1944).
- (8) Luckenbill, **Ancient Records of Assyria**.
- (9) E D van Buren, "Damage to a Deified King" in **ZA**, 16 (50) 1952, 92 ff
- (10) G Contenau, **Everyday Life in Babylon and Assyria** (1954)
- (11) L J Heuzey, **Histoire du Costume dans l'Antiquité Egypte, Mesopotamie** (Paris, 1935).
- (12) Mendelsohen, **Slavery in the Ancient Near East** (1949)

- (13) A.L. Oppenheim in **Bullt of Amer. Soc. of Orient. Research**, No. 93 (1944), 14 ff
- (14) P. Koschaker, "Eheschliessung und Kauf nach Alten Rechten" in **Archiv Orientalni**, XVIII (1950) 210 ff
- (15) A. van Praag, **Droit Matrimonial Assyrio - Babylonien** (1945)
- (16) Brooks, "Some Observations Concerning Ancient Mesopotamian Women", in **AJSL**, XXXIX 187 ff
- (17) C.H. Gordon, "The Status of Woman as Reflected in the Nuzi Tablets" in **Zeit. für Assyriologie**, 43 (1936), 146 ff
- (18) M. David, **Die Adoption in Altbabylonischen Recht** (1927).
- (19) L. Oppenheim, "**Orientalia**, 14 (1945), 239 ff

الفصل الثامن عشر (الحياة الاقتصادية) (تراجع المراجع التاريخية)

الساقية وبوحي خاص المراجع الخاصة بالشرائع) •

- (1) G. Contenau, **Everyday Life in Babylon and Assyria** (1954)
- (2) N.I. San Nicolo in **Orientalia**, 17 (1948) 273 ff , 20 (1951) 129 ff
- (4) A. Salonen, **Die Wasserfahrzeuge in Babylonien** (1939)
- (4) R. J. Forbes, **Notes on the History of Ancient Roads**.
- (5) . . . , **Metallurgy in Antiquity** (1950)
- (6) J. L. Kelso, "Ancient Copper Refining" in **BASOR**, No 122 (1951) 26 ff
- (7) A. H. Quiggin, **A Survey of Primitive Money** (1949).
- (8) Sir. W. Willcocks, **The Irrigation of Mesopotamia** (1911)
- (9) , **The Restorations of the Ancient Irrigation Works on the Tigris** (1903)
- (10) W. A. Macfadyen, **Water Supplies in Iraq** (Geological Department, No 1, 1938)
- (11) **Report on the Development of Mesopotamia with Special Reference to the River System** (Simla Government Press, 1917).
- (12) A. B. Bucklay, **Notes on the Irrigation in Mesopotamia** (1919).

(١٣) طه الهاشمي «مفصل جغرافية العراق» (١٩٣٠) ومختصر الجغرافية

• (١٩٣٣)

- (١٤) عبدالمطلب ،میں «مادی» السوق وحرافية العراق (١٩٤٦)٠الدكتور
احمد سوسة « تطور الري في العراق » (١٩٤٦) ، « وادی الفرات »
٠ ١٩٤٥ - ١٩٤٤

- (15) M G Ionides, **Regime of the Tigris and Euphrates** (London, 1937).
(17) **Hand Book of Mesopotamia** (Great Britain Naval Staff, 1918).
(18) F E Cole, **Dust Storm in Iraq** (1938)
(19) Buxton et al "Survey of Iraq Fauna (by the members of Iraq Expeditionary Force 1915—1919" Jour. Bombay Natural History Soc., Nos 27, 28, (1920—1922).
(20) E Gusst, **Notes on Trees and Shrubs of Lower Iraq** (Department of Agriculture, No 26, 1932)
(21) Lane, **Babylonian Problems** (1921)

السَّاتين والرَّاعِة

- (22) Andrea, "Die Kultische Garten" in **Welt des Orient** (1953), 485 ff
(23) V H W Dowson, **Dates and Date Cultivation of Iraq**,
(24) A H Pruessner, "Date Culture in Babylonia" in **AJSL**, XXXVI 213 ff.
(25) H Danthine, **Le Palmier - Dattier et les Arbores sacres** (1937)
(26) R C Thompson, **Dictionary of Assyrian Botany** (1947), P 308 ff
(27) , in JRAS (1923), 233 ff

الفصل التاسع عشر (الصون)

١ - الادب :

- (1) J B Pritchard, **Ancient Near Eastern Texts** (Princeton, 1950)
(2) Alexander Heidel, **The Epic of Gilgamesh** (1947).
(3) ... , **The Babylonian Story of Creation** (1951)

- (4) S. N. Kramer **Sumerian Mythology** (1944).
 (5) Langdon, **Babylonian Wisdom** (1924).

ويجد القارىء فى المراجع الاربعة الاولى أحدث التراجم الى النصوص الادبية كما يجد الاشارات الى البحوث الاصلية السابقة وقد ترجمت بعض هذه النصوص الى العربية فليراجعها القارىء فى مجلة سومر مجلد ٥ جزء ١ و ٢ (١٩٤٩) ومجلد ٦ جزء ١ و ٢ (١٩٥٠) ومجلد ٧ جزء ١ (١٩٥١) .

٢ - الفن

- (6) Gardner, **Art through the Ages**.
 (7) Woolley, **The Sumerian Art** (1933).
 (8) A. Moortgat, **Fruehe Bildkunst in Sumer**.
 (9) H Frankfort, **The Art and Architecture of the Ancient Orient** (1954).
 (10), **Cylinder Seals** (1937).
 (11) E. Borowski, **Cylinders et Cachets Orientaux**, ١ (1942).
 (12) Edith Porada, **Corpus of Ancient Near Eastern Seals in North American Collection of P. Morgan Library** (1948).
 (13) Ward, **Cylinder Seals of Western Asia** (1910).
 (14) H. R. Hall, **Babylonian and Assyrian Sculpture in the British Museum**.
 (15) G. Contenau, **Manuel d'Archéologie Orientale**.
 (16) Frankfort, **Sculpture of the Third Millennium from Tell Asmar and Khafaje** (1939).
 (17), **More Sculpture from the Diyalah Region**.
 (18) **Ecyclopédie Photographique de l'art**, ١,
 (19) Andrae, **Coloured Ceramics from Assur**.
 (20) C. J. Gadd, **Stones of Assyria** (London, 1936).
 (21) E A W Budge, **Assyrian Sculpture in the Brit. Museum** (London, 1914).
 (22) L. W. King, **Bronze Reliefs from the Gates of Shalmaneser** (London, 1915).
 (23) A. Paterson, **Assyrian Sculpture in the Palace of Sinacherib** (1915).

To: www.al-mostafa.com